المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

السالمية
منهجها وآراؤها في العقيدة والتصوف
عرض ونقد

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب
عبد الله بن دجين السهلي

إشراف
فضيلة الدكتور / راشد بن حمد الطيار
عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بالرياض

١٤٢٢ هـ

الجزء الثاني

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

السالمية
منهجها وآراؤها في العقيدة والتصوف
عرض ونقد

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب
عبد الله بن دجين السهلي



إشراف
فضيلة الدكتور / راشد بن حمد الطيار
عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بالرياض

١٤٢٢ هـ

الجزء الثاني


بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث

منهج السالمية وآراؤها في التوحيد

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول : توحيد العبادة عند السالمية.

الفصل الثاني : توحيد الأسماء والصفات عند السالمية

الفصل الثالث : صفة الكلام عند السالمية.

الفصل الرابع : الرؤية عند السالمية.

الفصل الأول

توحيد العبادة عند السالمية

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول : أول واجب على المكلف عند السالمية.

المبحث الثاني : تعريف التوحيد وأقسامه عند السالمية.

المبحث الثالث : توحيد الألوهية عند السالمية.

المبحث الرابع : الدعاء عند السالمية.

المبحث الخامس : المحبة عند السالمية.

المبحث السادس : الخوف والرجاء عند السالمية.

المبحث السابع : التوكل عند السالمية.

تمهيد:

اهـــتم مـــتأخرو السالمية بالتأليف في مسائل العقيدة، وبالذات مسائل التوحيد، فجميع من وجـــدت لهم مؤلفات من السالمية على اختلاف مشاربهم كلها في العقيدة في الغالب أو يهتمون اهتماماً كبيراً بمسائل العقيدة في المؤلفات الجامعة، مثل: مؤلفات أبي طالب المكي (ت ٣٨٦هـــ)، وابـــن برجان (ت ٥٣٦هـــ)، والزبيدي (ت ٥٥٥هـــ)، وابن عبد الله البصري (ت ٥٨٠هـــ) كما ذكر ذلك في تراجمهم.

ومن ذكر بعض مسائل الفقه كأبي طالب المكي في القوت أو ابن برجان في تفسيره فإنهم لا يهتمون بها كثيراً على طريقة أهل التصوف.

وقـــد اســـتخدموا في هذه المؤلفات المناهج الكلامية، والتي يربطها بعضهم بالتصوف شبه الفلسفي الإشراقي، بينما مال أحدهم إلى منهج المحدثين كالأهوازي وغيره.

ومن مميزات منهج بعض أعلام السالمية ذكرهم لتوحيد العبادة (الإلهية) وبيان أهميته، وأنه الذي جاءت به الرسل ـــ عليهم الصلاة والسلام ـــ، مع أنهم لم يذكروا مسائله في المؤلفات التي بين أيدينا، وإن كان القاسم بن عبد الله البصري قد أفرد فصلاً في توحيد الإلهية في كتابه "أصول السنة والتوحيد" وهو مفقود.

مـــع أن بعضهم الآخر تابع المتكلمين، لذا لم يذكروا هذا التوحيد كأبي طالب والزبيدي، وإن كان الزبيدي تكلم عن بعض مسائله.

وأما الشرك فأورد بعض السالمية روايات موضوعة من وسائل الشرك، كالتوسل بالنبي ﷺ بعد موته، وتعظيم بعض البقاع وغير ذلك.

ولكـــن لما كان منهج السالمية منهجاً كلامياً، لذلك تكلموا عن مسائل ليست من مسائل التوحيد وجعلوها في أبواب التوحيد.

مثل: أول واجب على المكلف، وما يندرج تحته من مسائل مثل كيفية حصول المعرفة، لذا اذكر هذه المسألة أولاً ثم اذكر توحيد العبادة ومسائله، وهي كما يلي:

المبحث الأول : أول واجب على المكلف عند السالمية.

المبحث الثاني : تعريف التوحيد، وأقسامه عند السالمية.

المبحث الثالث : توحيد الألوهية عند السالمية.

المبحث الرابع : الدعاء عند السالمية.

المبحث الخامس : المحبة عند السالمية.

المبحث السادس : الخوف والرجاء عند السالمية.

المبحث السابع : التوكل عند السالمية.

المبحث الأول: أول واجب على المكلف عند السالمية.

أولاً: كيفية حصول المعرفة.

هذه المسألة تسمى الفطرة في الكتاب والسنة وعند السلف، وينبني عليها الكلام في المسألة التي بعدها وهي أول واجب على المكلف، وقد اختلف الناس في كيفية حصول المعرفة بالرب تعالى عند الإنسان على أربعة أقوال:

الأول: أن المعرفة بالله تحصل بنظر العقل، وهذا قول كثير من المعتزلة والأشعرية ومن تابعهم[1].

الثاني: أن المعرفة بالله تحصل بقول الرسول والإمام المعصوم، دون نظر العقل، وهذا قول الرافضة والباطنية[2].

الثالث: أن المعرفة بالله ضرورة يجعلها الله في قلوب العقلاء البالغين من غير سبب، ومن غير نظر، وهذا قول الصوفية وبعض السالمية[3] وسيأتي تفصيل قول السالمية.

الرابع: أن المعرفة بالله يمكن أن تقع ضرورة، ويمكن أن تقع بالنظر، وهذا قول جمهور المسلمين، وعامة أهل السنة وجوزوا وقوعها ضرورة[4].

ومن أعلام السالمية الذين ذكروا هذه المسألة: أبو طالب المكي، وأبو محمد بن عبد الله البصري، والزبيدي، يقول أبو طالب المكي: « وفي أحد المعاني من قوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[5] قال: يمحو الأسباب من قلوب الموحدين ويثبت نفسه،ويمحو الوحدانية من قلوب الناظرين ويثبت الأسباب »[6]، وذكر في موضع آخر أن البحث والنظر يكون عند حصول الشبهة فقط[7].

---

[1] انظر: درء التعارض جـ٧/٣٥٢ .

[2] انظر: نفس المرجع جـ٨/٢٦ .

[3] انظر: نفس المرجع جـ٧/٣٥٣ .

[4] انظر: نفس المرجع جـ٧/٣٥٤ .

[5] سورة الرعد الآية: ٣٩ .

[6] قوت القلوب جـ٢/١٤٨ .

[7] انظر: نفس المرجع جـ١/٢٣٥ .

وقال ابن عبد الله البصري: « فصل في الخلق على الفطرة قال: وخلق الله الخلق على الفطـــرة »[1]، وقال: « فمن أهل الكلام من يزعم أن المعارف كلها اضطرار، وذلك غلط، وهـــو قـــول جمهـــور شيوخ الاعتزال والمجبرة وبعض المتشيعة، ومنهم من يزعم أن جميعها اكتســـاب، وذلك أيضاً غير صواب، وبه يقول القدرية وبقايا الاعتزال وغيرهم، وأصحاب الحديث وأهل الظاهر فيقولون: بالاضطرار والاكتساب، والأمر هو ما ذكرنا، والصواب ما شرحنا »[2]، وهذا هو قول الجمهور.

ويســـتدل الســـالمية على هذه المسألة بما رووا عن أبي بكر الصديق ﷺ: « سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته »[3].

وشـــرحه ابن عبد الله البصري من السالمية فقال: « فهذه المعرفة ضرورة للعارف موجودة فيـــه، كوجـــود ضرورة المقعد وقعوده موجود فيه، فهو سبحانه المعروف الذي لا ينكره شيء، والمعـــلوم الـــذي لا يجهلـــه شيء »[4]، وقال أبو طالب المكي عن الاعتقاد في الله ــ تعالى ــ: « موجود لا شك فيه، وحاضر لا يغيب »[5].

ويـــنفي ابـــن عبد الله البصري النظر فيقول: « وليس للعقل والكسب والوسائط والنظر والاســـتدلال في هذه حكم، لكونها عامة موجودة ممن يصح منه النظر والاستدلال وممن لا يصح منه،... ويصح من الكل المعرفة بالاضطرار »[6].

ويـــرى أبو محمد بن عبد الله البصري أن هذه المعرفة يتفاوت الناس فيها « فمن كان معه معرفتان كان كافراً، ومن كان معه ثلاث كان مسلماً، فإذا كان أربع كان مؤمناً، فإذا كانت معه

---

(١) أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـــ٨/٤٩٤ .

(٢) نفس المرجع جـــ٨/٥١٩ ، وانظر: جـــ٨/٥٠٤ .

(٣) انظـــر: القوت جـــ٢/١٤٤ ، وأصول السنة والتوحيد، نقلاً عن درء التعارض جـــ٨/٥١١ ، لم أجد هذا الأثر، حتى في الكـــتب التي انفردت بذكر روايات أبي بكر مثل: مسند أبي بكر الصديق لأبي بكر أحمد بن علي المروزي، ت/ شعيب الأرناؤوط، ط/ الرابعة ١٤٠٦هـــ الناشر المكتب الإسلامي– بيروت، ومتنه منكر لاتصح نسبته لأبي بكر الصديق ﷺ.

(٤) أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـــ٨/٥١١ ، ٥٢٤ ونص على أنه قول أهل الحق والصواب.

(٥) القوت جـــ٢/١٣٧ .

(٦) أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـــ٨/٥١٠ .

خمس كان مؤمناً عالماً، ثم يتفاوتون في معرفة المزيد على قدر أحوالهم»[١]، ولعل مراده بالمعرفتين: الـــربوبية والوحدانيـــة[٢]، وذكر الثالثة فقال : « وبالمعرفة الثالثة وهي التوحيد الذي دعت إليه الرسل»[٣].

ويرى أن العقل له مدخل بالغ في معرفة المزيد،وكذلك العلم فالعلم بيان الله، والعقل حجة الله[٤]، وهمـــا المعرفـــتان الرابعة والخامسة، وذكر ابن برجان ما يشير إلى أنه يقول المعرفة تحصل بالاكتســـاب[٥]، فإذا علم هذا فإن الكلام في هذه الأبواب المبتدعة مأخوذ في الأصل عن المعتزلة والجهمية ونحوهم، وهذا يدل على أن السالمية تأثرت بالمناهج الكلامية كما سبق ذكره.

وأما الزبيدي فيرى: « أنه واجب على كل عاقل مكلف أن يعرف الله ﷻ ولا يكون المكلف معـــذوراً في عـــدم العلم بالله، وإن لم يكن جاهلاً به، لما يرى من الدلايل والآيات والعجايب[٦]؛إذا أدركهـــا بـــرؤية القلب فطرة أو خبرة أو عبرة،... ويجوز أن يهديه الله للمعرفة به، وكذلك في مهلة الـــنظر يجوز الأمران، ومع قول الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾[٧]، لا يجوز أن يعذر أن الله لم يأمر بالعبادة بالـــنظر، ومـــا [يثمره النظر][٨] الصحيح لا يكون متولداً منه، بل يخلقه الله ﷻ عقيبه،...لا يدفع الأعذار إلا وجود الرسالة والخطاب،وأما العقل فهو شرط في التكليف ويدرك به الحسن والقبيح»[٩]،

---

[١] أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٥١٤ .

[٢] نفس المرجع جـ٨/٥١٠ .

[٣] نفس المرجع جـ٨/٥١١ .

[٤] انظر: نفس المرجع جـ٨/٥١٣ .

[٥] انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ١١ أ، وورقة ١٥ ب.

[٦] كـــذا في الأصـــل بدون همز، وسيأتي في ص ٥١٢ الغايب بدون همز، وفي ص ٥١٨ هدو كذلك، والزبيدي من علماء العـــربية، ويلقب بالنحوي، فلعله ممن يرى تخفيف الهمز، وهي لغة قريش؛ وأكثرالحجازيين، أو ممن لايعتد بالهمزة، كابن المـــبرد وابن جني .انظر:لسان العرب جـ١/٢٢، وشرح ألفية ابن مالك للأندلسي جـ٤/٤٢٩، ونزهة الطرف في علم الصرف تأليف أحمد الميداني شرح/د. يسرية حسن جـ٢/٢٩٠، ط/الأولى الناشر المطبعة الإسلامية الحديثة القاهرة .

[٧] سورة يونس الآية: ١٠١ .

[٨] في الأصل (ما يثمره النظر).

[٩] مسائل في أصول الدين للزبيدي ورقة ٣٩ ب ، ٤٠ أ .

فالزبيدي هنا خالف أهل السنة في الواجب على المكلف، أما كيفية حصول المعرفة فيرى أنها تكون بالنظر للدلائل والآيات والعجائب ولا يثمر هذا النظر شيئاً، لأنه ينفي الأسباب، ويجوز أن يهديه الله للمعرفة، فطريق المعرفة عنده النظر أو ضرورة، وهذا قول جمهور المسلمين.

ومذهب عامة أهل السنة كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية:« أن الإقرار بالخالق وكماله يكون فطرياً ضرورياً في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة، وأحوال تعرض لها»[1]، وعلى هذا دلت الأدلة، فمنها: حصول المعرفة بالفطرة،قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾[2]، وقال ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة»[3].

ومن الأدلة على حصول المعرفة لمن فسدت فطرته، بالنظر في المخلوقات المحدثة ابتداء بالإنسان وانتهاء بالأجرام السماوية[4]، قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ ﴾[5]،وقوله تعالى:﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝ ﴾[6] والآيات في هذا المعنى كثيرة، وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة[7].

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٧٣ ، جـ١٦/٣٢٨ ، ٤٤٤، وانظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لقوام السنة الأصبهاني ت/ محمد المدخلي جـ١/٤٠-٤١ ، ط/ الأولى ١٤١١هـ الناشر دار الراية -الرياض، والمدارج جـ١/٧١ ، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد وعند أهل السنة تأليف عثمان حسن جـ١/٢١٢ ط/ الثالثة ١٤١٥هـ الناشر مكتبة الرشد -الرياض.

[2] سورة الروم الآية: ٣٠ .

[3] أخرجه البخاري في (كتاب القدر، باب: الله أعلم بما كانوا عاملين) جـ٥/٢٠٦٤ حديث رقم٦٥٩٩، ومسلم في (كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، حكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) جـ٤/٢٠٤٧ حديث رقم٢٦٥٨ .

[4] انظر: فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها د.أحمد سعد حمدان ص٢٨ ط/ الأولى ١٤١٥هـ الناشر دار طيبة – الرياض.

[5] سورة الطارق الآيات: ٥ ، ٦ ، ٧ .

[6] سورة عبس الآيات ٢٤-٣٢ .

[7] انظر: ما سيأتي قريباً في ص٣١٤-٣١٦ .

ثانياً: أول واجب على المكلف.

بناء على الخلاف في كيفية حصول المعرفة، فقد اختلفوا في أول واجب على المكلف على أقوال:

١- من قال إن المعرفة تحصل بالنظر: اختلفوا في أول واجب على المكلف: على أقوال: فمنهم من قال: النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم، ومنهم من قال: القصد إلى النظر الصحيح، ومنهم من قال: الشك، ومنهم من قال: المعرفة بالله[1]. وهذه الأقوال باطلة.

٢- قال جمهور المسلمين: أول واجب على المكلف هو الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله، وممن قال به السالمية.

وأما الزبيدي من السالمية فذهب إلى القول الأول، فقال: « مذهب الجماعة وما يقول به أئمة السلف [و][2] السنة أنه واجب على كل عاقل مكلف أن يعرف الله ـ جل جلاله ـ »[3].

مع أنه ذكر أنه: « يجوز أن يهديه للمعرفة به »[4]، وهذا موافقة منه لأهل الكلام.

وأما غيره من السالمية فقالوا: أول واجب على المكلف هو الشهادة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وهذه عباراتهم.

قال أبو طالب المكي في الفصل الثالث والثلاثين في ذكر دعائم الإسلام الخمس التي بنى عليها: « أول ذكر فرض شهادة التوحيد للمؤمنين، ووصف فضائلها وهي شهادة المقربين، وشهادة الرسول ﷺ وفضلها للموقنين، قال الله ـ تعالى وصدقت أنبياؤه ـ لرسوله ﷺ ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[5]، وقال لعباده يأمرهم بمثل ذلك ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[6] »[7].

---

[1] انظر: درء التعارض جـ٨/٣ ، وجـ٧/٣٥٣ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/٩٣٤ .

[2] سقطت من الأصل ولا يستقيم الكلام بدونها.

[3] مسائل في أصول الدين ورقة ٣٩ب .

[4] انظر: نفس المرجع ورقة ٤٠ أ .

[5] سورة محمد الآية: ١٩ .

[6] سورة هود الآية: ١٤ .

[7] القوت جـ٢/١٣٧ ، وانظر: جـ٢/٢١٣ .

وقـال ابن برجان: « أنزل القرآن العزيز على عبده إلى شهادتين: شهادة ألوهية وشهادة رسالة، قال الله جل من قائل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]، فأخبر ﷻ أن يحمل ما أرسل به الرسل وأنزل به الكتب شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بالرسالة والشهادة بالرسول »[2].

وقال أبو محمد البصري في معرض الاستدلال: « وقول صاحب الشرع: « أمرت أن أقـاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »[3]، لم يقل: حتى يقولوا: إن لهم رباً، إذ هم عارفون بذلك »[4]، وهذا هو الصواب وعليه دلت الأدلة من الكتاب والسنة فمنها ما سبق ذكره من الآيات والأحاديث، ومنه حديث معاذ بن جبل ﷺ المشهور، عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قـال: « قـال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: " إنك ستأتي قوماً أهل كـتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطـاعوا لـك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات،... الحديث" »[5]، وفي بعـض ألفاظه عند البخاري : « فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله »[6]، وقوله ﷺ: «فليكن أول ما تدعوهم » نص في المسألة، والمعروف من السيرة أن النبي ﷺ كان يدعو الناس إلى شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وعلى هذا أجمع علماء الإسلام أن الكافر يصير مسلماً إذا نطق بالشهادتين.

---

[1] سورة الأنبياء الآية: ٢٥ .

[2] تفسير ابن برجان ورقة ١١ .

[3] أخرجه البخاري في (كتاب الإيمان، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) جـ١/٣٢ حديث رقم٢٥ من حديث ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله ».

[4] أصول التوحيد والسنّة نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٥٠٩-٥١٠ .

[5] أخرجه البخاري في (كتاب الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء، وترد في الفقراء) جـ١/٤٤٦-٤٤٧ رقم الحديث ١٤٩٦.

[6] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى) جـ٥/٢٣٠١ رقم الحديث ٧٣٧٢.

قال أبو بكر بن المنذر: « أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام ــ وهو بالغ صحيح يعقل ــ أنه مسلم »[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ بعد ذكر بعض الأحاديث السابقة ــ: « وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول؛ أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين، سواء كان معطلاً أومشركاً، أوكتابياً، وبذلك يصير الكافر مسلماً، ولا يصير مسلماً بدون ذلك »[2].

---

[1] درء لتعارض جـ٨/٧ ، وابن المنذر هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، نزيل مكة،له "الإشراف على اختلاف العلماء"، و"الإجماع" وغيرها (ت ٣١٨هـ). انظر: السير جـ١٤/٤٩٠-٤٩٢ رقم الترجمة ٢٧٥ ، والأعلام جـ٥/٢٩٤ ، وقد بحثت في كتب ابن المنذر "الإجماع" ت/ د. صغير أحمد حنيف (ط/ الأولى ١٣٠٢هـ الناشر دار طيبة – الرياض)، و"الإشراف على مذاهب أهل العلم" ت/ عبد الله البارودي (ط/ ١٤١٤هـ الناشر دار الفكر – بيروت)، و"الإقناع" ت/ د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين (ط/ الأولى ١٤٠٨هـ و لم يذكر الناشر)، و"الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف" ت/ د. صغير حنيف (ط/ الأولى ١٤٢٠هـ الناشر دار طيبة – الرياض) و لم أجد ما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، والأوسط مفقود منه من المجلد السادس إلى العاشر، كما في مقدمة الجزء الحادي عشر.

[2] درء التعارض جـ٨/٧-٨ .

المبحث الثاني: التوحيد لغة وأقسامه عند السالمية:

التوحيد: مصدر وحد، والواو، والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد[1].

والعرب تقول: واحد وأحد ووحد ووحيد أي منفرد، فالله ـ تعالى ـ واحد، أي منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال[2].

ومـن أسمائه سبحانه الأحد، وأحد أصله وحد فأبدلت الواو همزة، والباري ـ تعالى ـ يقال هو الواحد وهو الأحد لاختصاصه بالأحدية، فلا يشركه فيها غيره، ولهذا لا ينعت به غير الله ـ تعالى ـ فلا يقال: رجل أحد، ولا درهم أحد، ونحو ذلك[3].

« وسمي دين الإسلام توحيداً، لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في ألهيته وعبادته لا ند له »[4].

وقد ضلت طوائف وفرق في معرفة التوحيد على النحو التالي:

١- التوحيد عند الفلاسفة: هو إنكار ماهية الرب الزائدة على وجوده، وإنكار صفات كماله.

٢- التوحيد عند الجهمية: مشتق من توحيد الفلاسفة: وهو نفي صفات الرب وأسمائه.

٣- التوحيد عند القدرية الجبرية: هو إخراج أفعال العباد أن تكون فعلاً لهم، بل هي نفس فعل الله.

٤- التوحيد عند القائلين بوحدة الوجود: هو أن الوجود ـ عندهم ـ واحد، ليس عندهم خالق ومخلوق.

فهذه الأنواع التي زعم أهل الباطل أنها توحيد.

وأما التوحيد الذي جاء به محمد ﷺ فهو إثبات صفات الكمال له سبحانه، وإثبات كونه

---

[1] انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ت/ عبد السلام هارون جـ٦/٩٠ باب الواحد والحاء وما يثلثهما ط/دار الجيل-بيروت.

[2] انظر: الحجة في بيان المحجة إملاء قوام السنة الأصبهاني ت/ محمد المدخلي جـ١/٣٠٦ ط/ الأولى ١٤١١هـ الناشر دار الراية – الرياض.

[3] انظر: المصباح المنير للفيومي ص٢٤٩ الواو مع الحاء وما يثلثهما، والقاموس المحيط ٤١٤ .

[4] تيسير العزيز الحميد للشيخ عبد الله بن سليمان ص٢٥ عناية عبد الله حجاج، ط/ الأولى ١٤١٦هـ الناشر مكتبة التراث -القاهرة، وانظر: لسان العرب لابن منظور جـ٣/٤٥٠-٤٥١ .

فاعلاً بمشيئته؛ وقدرته واختياره، وأن له فعلاً حقيقة،وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد[١].

والتوحيد نوعان:

١- التوحيد القولي العلمي الخبري.

٢- التوحيد القصدي الإرادي العملي.

ودل على الأول سورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾[٢]، وقوله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾[٣]، ودل على الثاني سورة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[٥].

وقد كان النبي ﷺ يقرأ بالسورتين في سنّة الفجر وسنّة المغرب، كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «رمقت رسول الله ﷺ عشرين مرة يقرأ في الركعتين بعد المغرب، وفي الركعتين قبل الفجر ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ »[٦]، وكذلك في ركعتي الطواف[٧] « وكان ﷺ يقرأ بالآيتين في سنة الفجر »[٨].

---

[١] انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ت/د.علي الدخيل الله جـ٣/٩٢٩-٩٣٣ النشرة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر دار العاصمة -الرياض.

[٢] سورة الإخلاص الآية: ١ .

[٣] سورة البقرة الآية: ١٣٦ .

[٤] سورة الكافرون الآية: ١ .

[٥] سورة آل عمران الآية: ٦٤ .

[٦] أخرجه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين، باب: استحباب ركعتي سنة الفجر) جـ١/٥٠٢ رقم الحديث ٧٢٦ ، والنسائي في (كتاب الافتتاح، باب: القراءة في الركعتين بعد المغرب) جـ٢/١٧٠ رقم الحديث ٩٩٢ واللفظ للنسائي وقد أخرجه غيرهم.

[٧] انظر: الصواعق جـ٢/١٨١ ، جـ٣/٤٠١ ، والحديث أخرجه مسلم في (كتاب الحج، باب: حجة النبي ﷺ) جـ١/ ٨٨٦-٨٨٨ حديث رقم١٢١٨ ، من حديث جابر رضي الله عنه في صفة حج النبي ﷺ.

[٨] أخرجه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما وتخفيفهما) جـ١/ ٥٠٢ حديث رقم ٧٢٦ .

وذلك لتضمنها نوعي التوحيد العلمي والعملي[١].

وينقسم التوحيد العلمي إلى نوعين هما: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وقد دل على انقسام التوحيد لهذه الأنواع الثلاثة استقراء القرآن العظيم[٢].

قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد: « هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف: أشـــار إليه ابن منده[٣]، وابن جرير الطبري[٤]، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في "تاج العروس"[٥]، وشيخنا الشنقيطي[٦] في "أضواء البيان" في آخرين رحم الله الجميع. وهـــو اســـتقراء تام لنصوص الشرع وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة: كلام

---

[١] انظر: بيان تلبيس الجهمية جـ١/٤٧٩-٤٨٠ ، والصواعق المرسلة لابن القيم جـ٣/٤٠١-٤٠٢ .

[٢] انظر: أضواء البيان للشنقيطي جـ٣/٣٠٤-٣٠٧ عناية محمد الخالدي، ط/ الأولى ١٤١٧هـ الناشر دار الكتب العلمية -بـيروت، وانظر: دليل كل نوع من التوحيد في القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد تأليف عبد الرزاق العباد البدر ص١٨-١٩ ، ط/ الأولى ٤١٤هـ الناشر مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة.

[٣] هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن المحدث أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى ابن منده، صاحب التصانيف، توفي سنة ٣٩٥هـ. انظر: السير جـ١٧/٢٨ رقم الترجمة ١٣ ، والأعلام جـ٦/٢٩. وقد ذكر هذا التقسيم في كـتابه " الـتوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد". انظر: جـ٢/٣٠ وما بعدها، ومقدمة المحقق د.علي الفقيهي جـ١/٢٥ وما بعدها ط/ الثانية ١٤١٤هـ الناشر مكتبة الغرباء- المدينة.

[٤] هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العالم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، أكثر الـترحال ولقـي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدّهر علماً وذكاءً، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين وتوفي عشية الأحد ليومين بقيا لشوال سنة عشر وثلاث مائة ودفن ببغداد. انظر: السير جـ١٤/٢٦٧-٢٨٢ رقم الترجمة ١٧٥ ، والأعلام جـ٦/٦٩ ، وقد أشار لتوحيد العبادة في تفسيره جـ١١/٤٧٥ .

[٥] هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، علامة باللغة والحديث والرجال والأنســاب، أصله من العراق، وولد في الهند ونشأ في زبيد باليمن، له مؤلفات كثيرة، توفي بالطاعون سنة ١٢٠٥هـ. انظــر: الأعــلام جـ٧/٧٠ ، ومعجم المؤلفين جـ١١/٢٨٢، وقد ذكر تقسيم التوحيد في تاج العروس جـ٢/٥٢٨، ط/ دار ليبيا-بنغازي -ليبيا.

[٦] هــو محمـد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، من علماء شنقيط صاحب كتاب "أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن"، ولد عام ١٣٢٥هـ وتوفي سنة ١٣٩٣هـ. انظر: الأعلام جـ٦/٤٥ ، وجهود الشيخ محمد أمين الشـنقيطي في تقرير عقيدة السلف تأليف د. عبد العزيز الطويان جـ١/٢٩-٨٧ ، ط/ الأولى ١٤١٩هـ الناشر مكتبة العبيكان - الرياض، وقد ذكر أنواع التوحيد في أضواء البيان جـ٣/٣٠٤-٣٠٧ .

العرب إلى (اسم، وفعل، وحرف) والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب »[١] وقد قال بهذا التقسيم غير هؤلاء[٢].

ومن السالمية من قال بهذا التقسيم، فابن عبد الله البصري يقسم التوحيد إلى ثلاث معارف، فمن كان معه معرفتان كان كافراً، ومن كان معه ثلاث كان مسلماً، والمعرفتان هما: الربوبية والوحدانية، والثالثة هي التوحيد الذي جاءت به الرسل ويسميه توحيد الإلهية[٣]، فهذه أقسام التوحيد الثلاثة.

وابن برجان يقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام فيقول: « إن مجمل ما في بسم الله الرحمن الرحيم هذا الإقرار بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات »[٤] وجعل القرآن سبعة فصول: « الأول: الإلهية بصفاتها وأسمائها وفي ذلك المعرفة كلها. الثاني: الوحدانية. الثالث: الربوبية. الرابع: النبوة. الخامس: معرفة التعبد. السادس: الأمانة وكيف تحمل العهد. السابع: الاعتبار وهو مفتاح غلقها...» ثم يقول: « وهذه الفصول السبعة... ترجع كلها إلى فصلين: فصل الإلهية وفصل النبوة، ويرجعان معاً إلى فصل الإلهية الأعلى »[٥]، وأشار الزبيدي إلى أقسام التوحيد، فقال: « وهو تعالى الموصوف بالحمد والألوهية والربوبية والرحمة والملك، وهو المقصود بالعبادة والاستعانة، وطلب الهدى منه في قولنا ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾[٦] ففي قوله ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ ضمير يعود على المسؤل، وهو المعبود المستعان »[٧].

---

[١] انظر: التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير ضمن الردود ص٣٣١ النشرة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار العاصمة ـ الرياض.

[٢] انظر: القول السديد للعباد ص٢٩-٣٨ وقد نقل هذا التقسيم عن القاضي أبي يوسف ت ١٨٢هـ وابن بطة العكبري ت ٣٨٧هـ ، وقوام السنة الأصبهاني ت ٥٣٥هـ.

[٣] انظر: أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٤ .

[٤] تفسير ابن برجان ورقة ١١ .

[٥] انظر:نفس المرجع ورقة ١٢ .

[٦] سورة الفاتحة الآية: ٥ .

[٧] انظر: جواب عن شبهة عبارة الحروف لم يعنون ورقة ٨٩ ب.

وأما أبو طالب المكي فلم يذكر هذا التقسيم، و لم يتكلم عن توحيد الإلهية، وإن كان ذكر بعض مسائله، وقد عرف أبو طالب التوحيد فقال: « فرض التوحيد هو اعتقاد القلب أن الله ــ تعالى ــ واحد لا من عدد وأول لا ثاني له »[١].

وجعل التوحيد ثلاثة أقسام تدور حول هذا التعريف[٢].

والواحــد عند أهل الكلام هو الشيء الذي لا ينقسم[٣]، ولذا قال أبو طالب: « هو ذات منفرد بنفسه، متوحد بأوصافه »[٤].

والواحد في اللغة أول عدد الحساب[٥]، ولذا قال أبو طالب لا من عدد.

وهــذا المعــنى الــذي ذكره أهل الكلام لا يعرف في اللغة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المــنقول بالــتواتر عن العرب: تسمية الموصوف بالصفات واحداً واحداً، حيث أطلقوا ذلك، ووحيداً»[٦]، فمن: « المعلوم المتواتر في اللغة الشائع بين الخاص والعام أنهم يقولون: درهم واحد، وديــنار واحد، ورجل واحد، وامرأة واحدة، وشجرة واحدة، وقرية واحدة...، وشهرة هذا عند أهــل اللغة شهرة سائر ألفاظ العدد،... فكيف يجوز أن يقال: إن الوحدة لا يوصف بها شيء من الأجسام، وعامة ما يوصف بالوحدة في لغة العرب إنما هو جسم من الأجسام! »[٧].

وفي القــرآن الكــريم يطلق لفظ الواحد والأحد على ذي الصفات، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[٨]، وقال: ﴿ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ﴾[٩]، وقوله: ﴿ وَلَا

---

[١] القوت جـ٢/١٣٧ ، وانظر: جـ٢/١٤١ .

[٢] انظر: القوت جـ٢/١٤٩، وما سيأتي في ص٣١١ .

[٣] انظر: الإرشاد للجويني ص٦٩ ، ت/ أسعد تميم ط/ الأولى ١٤٠٥هـ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية –بيروت.

[٤] القوت جـ١/١٣٦ ، وهذا هو تفسير ابن كلاب للواحد. انظر: بيان تلبيس الجهمية جـ١/٤٨٣ .

[٥] انظر: القاموس ص٤١٤ مادة (وحد).

[٦] درء التعارض جـ١/١١٣ .

[٧] بيان تلبيس الجهمية جـ١/٤٩٣ .

[٨] سورة النساء الآية: ١ .

[٩] سورة النساء الآية: ١١ .

يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[١]، وقوله : ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾[٢]، والآيات كثيرة[٣].

« فلفظ الواحد ما يتصرف منه في لغة العرب وغيرهم من الأمم لا يطلق إلا على ما يسمونه جسماً منقسماً، لأن ما لا يسمونه هم جسما منقسما ليس هو شيئاً يعقله الناس، ولا يعلمون وجوده حتى يعبورا عنه »[٤].

وعلى هذا « فيكون الاسم الواحد والأحد دل على نقيض مطلوبهم منه لا على مطلوبهم »[٥].

فعلى هذا تعريف أبي طالب مناقض للتوحيد.

---

[١] سورة الكهف الآية: ٤٩ .

[٢] سورة الكهف الآية: ٢٦ .

[٣] درء التعارض جـ٧/١١٥-١١٧ ، جـ١/١١٣-١١٤ وانظر: بيان تلبيس الجهمية جـ١/٤٨٨-٤٨٩ .

[٤] درء التعارض جـ٧/١١٦ .

[٥] نفس المرجع جـ٧/١١٧ .

المبحث الثالث: توحيد الألوهية عند السالمية.

توحيـــد الألوهية أو توحيد العبادة هو المسمى بالتوحيد الإرادي الطلبي أو العملي، والألوهية هـــي العبادة يقال: أله الاهه وألوهة وألوهية بمعنى عبد عبادة[1]، والهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد فالإله الله ـــ تعالى ـــ وسمي بذلك لأنه معبود[2].

وأدلـــة الكتاب والسنة متظافرة على وجوب إفراد الله بالعبادة، فتارة تأتي النصوص لبيان أن هذا التوحيد هو المقصود من خلق الخلق، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[4] والآيات في هذا المعنى كثيرة، وتارة تأتي لبيان أنـــه المقصـــود من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وتارة تأتي للأمر به والحث عليه، وتارة لبيان ثواب من عمل به وعقاب من تركه، إلى غير ذلك.

وهـــذا التوحيد يشمل التوحيد العلمي الخبري، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « والإقرار بألوهيـــة الله ـــ تعالى ـــ دون ما سواه يتضمن إقراره بربوبيته وهو أنه رب كل شيء ومليكه وخالقـــه ومدبـــره، فحينـــئذ يكون موحداً »[5]، « لأن الألوهية التي هي وصفه تعم أوصاف الكمـــال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال ومـــا أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال، وتفرده بالربوبية يلزم منه أنه لا يستحق العبادة أحداً سواه »[6].

والســـالمية في هذا النوع من التوحيد اختلفوا اختلافاً بيناً، فمنهم من وافق الحق وأثبت هذا الـــتوحيد، ومـــنهم من خالف، وقد أثبت هذا التوحيد أبو محمد بن عبد الله البصري، ورد على

---

[1] انظر: القاموس ص١٦٠٣ مادة (أله).

[2] انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس جـــ١/١٢٧ مادة (أله) .

[3] سورة الذاريات الآية: ٥٦ .

[4] سورة الإسراء الآية: ٢٣ .

[5] مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/٢٢٥ .

[6] القول السديد في مقاصد التوحيد للشيخ عبد الرحمن السعدي بحاشية كتاب التوحيد ص١٧ ط/ المطبعة الإسلامية العربية ١٤١٤هـــ.

المخـــالفين، سواء من السالمية أو غيرهم، وكذلك ابن برجان، الذي يقول: « لتقف على شرف التوحيد، وعظم قدره، وجلال سلطان الموحد به، وكذلك قال الحكيم ليس في خزائن الله ــ جل ذكــره ــ أفضـــل من التوحيد، وقال لم تؤتوا شيئاً أفضل من التوحيد، به سلموا من شر الدنيا والآخرة، وبه نالوا كرامة الدنيا والآخرة »[1]، وما ذكره في فضل التوحيد صحيح.

ويقـــول ابن عبد الله البصري ــ عند ذكره للمعارف ــ: « وبالمعرفة الثالثة يصح الإيمان وهـــي الفصـــل الثالث: وهي معرفة التوحيد التي[2] دعت الرسل إليها، وبعثوا بها، وكلفنا قبولها، وهي قوله: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[3] وهو قوله: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[4] وأخبرنا أنه ما كان معذباً قبل بعثهم،فكانوا يعرفون أن لهم رباً وإلهاً، ولكنهم ينكرون توحيد الإله وبعث رسله وشرائع دينه، وبه وقع منهم الكفر »[5].

وقـــال:«ألا ترى أنه لم يقع من الكفار التعجب والإنكار من أنه سبحانه رب وإله؟ وإنما تعجبت وأنكرت التوحيد بالإلهية، فقالوا:﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[6] »[7] فهو يرى أن التوحيد الذي جاءت به الرسل هو توحيد الإلهية، وأن كفر المشركين إنما هو لكفرهم بهذا النوع مـــن التوحيد، وذكر هذا النوع من التوحيد ابن برجان فهو يقسم القرآن إلى سبعة فصول: الأول الإلهية بصفاتها وأسمائها وفي ذلك المعرفة كلها[8].

ويقـــول: « وهـــذه الفصول السبعة... ترجع كلها إلى فصلين فصل الإلهية وفصل النبوة ويرجعان معاً إلى فصل الإلهية الأعلى »[9].

---

[1] شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٤ ب، ولم أعرف الحكيم هذا هل أراد الحكيم الترمذي الصوفي؟ أم غيره.

[2] كذا في الأصل وقال د. محمد رشاد سالم في الهامش في نسخة (ت): الذي.

[3] سورة البقرة الآية: ١٦٣ .

[4] سورة النساء الآية: ١٦٥ .

[5] أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـــ٨/٥١١-٥١٢ .

[6] سورة ص الآية: ٥ .

[7] أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـــ٨/٥٢٣ .

[8] تقدم ذكر الفصول السبعة كاملة في ص٣٠٤.

[9] تفسير ابن برجان ورقة ١٢ .

وقـــال: « أم القرآن تمجيد وتحميد وثناء عليه وتوحيد له بالإلهية وتفويض إليه وتعبد وإخـــلاص له في ذلك ثم دعاء وتضرع إليه وطلب معونته وهدايته إلى الصراط المستقيم »[١]، ويرى أن الله ﷻ أخذ الميثاق والعهد على المخلوقات على الإقرار بالربوبية والنبوة[٢] واستدل بـــتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية فقال: « فاعمل نفسك في تحقيق التعبد له بالتوحيد منك لـــه، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن كنت توقن بأنه خلقك وحده، ورزقك وحده، وقام بأمـــرك كلـــه وحده، ولم يشرك في ذلك كله منك أحداً، فأعبده أنت وحده، ولا تشرك في عبادتك أياه أحد، وكما وجدك بصفاتك ويرزقك، وبكفالته إياك، وأخلصك بها، فاخلص له أنت الشكر على ذلك، ولا تتعبد لسواه »[٣].

وهذا التوحيد هو الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[٤]، وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[٥]، وكل الرسل عليهم الصلاة والسلام كان أول دعوتهم لأقوامهم التوحيد، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[٦]، وقال: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ ﴾[٨]، وهكذا جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام دعوا لهذا التوحيد.

كما دلت على هذا الأحاديث، مثل حديث معاذ المشهور وقد جاء في بعض ألفاظه:

---

[١] نفس المرجع ورقة ١٦ .

[٢] نفس المرجع ورقة ٣٤٧أ .

[٣] شرح الأسماء ورقة ١٥ ب.

[٤] سورة النحل الآية: ٣٦ .

[٥] سورة الأنبياء الآية: ٢٥ .

[٦] سورة الأعراف الآية: ٥٩ .

[٧] سورة الأعراف الآية: ٦٥ .

[٨] سورة الأعراف الآية: ٧٣ .

«فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله »[١]، وفي لفظ: « فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله »[٢]، وحديث ابن عمر: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله »[٣] وغيرها، وبهذا قال المحققون من أهل العلم.

وأما أبو طالب المكي فقد خالف في هذا النوع من التوحيد، ولم يهتد للصواب، ولم يذكره كذلك الزبيدي، وأما أبو طالب فيقول في تعريف التوحيد: « ففرض التوحيد هو اعتقاد القلب أن الله ـ تعالى ـ واحد لا من عدد، وأول لا ثاني له»[٤] ثم أطال في ذكر الأسماء والصفات والأفعال، وذكر متناقضات، ولم يذكر شيئاً عن توحيد الألوهية، فهو في هذا التعريف وافق أهل الكلام الذين يعرضون عن توحيد الإلهية[٥].

ولكنه زعم أن التوحيد سر، ولا يستطيع البوح به، وأن من باح به قتل، فيقول:« ولولا أن التوحيد لم يرسمه عارف قط في كتاب، ولا كشفه علام في خطاب، لعجز علوم العموم عن درك شهادته، ولسبق إنكاره القول، لضعفها عن حمل مكاشفته، لذكرنا من ذلك ما يبهر العقول ويبهت ذوى المعقول. ولكنا كرهنا أن نبتدع ما لم نسبق إليه، [و][٦] أن نظهر ما يضطرب العقول بالحيرة فيه، خفنا من عدم النصيب فيه مما نذكره فيعود على السامعين من نفعنا ضرره، وحقيقة علم التوحيد باطن المعرفة، وهو سبق المعروف إلى من به تعرف بصفة مخصوصة لحبيب مقرب مخصوص لا يسع معرفة ذلك الكافة، وإفشاء سر الربوبية كفر » ثم قال: « وقال بعض العارفين: من صرح بالتوحيد وأفشى الوحدانية فقتله أفضل من إحياء غيره »[٧]، ومراده الحلاج فإن بعض الصوفية زعموا أنه أفشى السر فاستحق القتل، وهذا التوحيد عندهم هو الحلول والاتحاد.

---

[١] سبق تخريجه ص ٢٩٩ .

[٢] أخرج هذه اللفظة البخاري في (كتاب الزكاة، باب:لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة) جـ١/٤٣٤ حديث رقم ١٤٥٨.

[٣] سبق تخريجه ص ٢٩٩ .

[٤] قوت القلوب جـ٢/١٣٧ وما بعدها.

[٥] انظر: الملل والنحل جـ١/٤٢ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/٩٤٦ .

[٦] لا يستقيم المعنى بدونها.

[٧] قوت القلوب جـ٢/١٤٨-١٤٩.

وقال: « وقال بعضهم: للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف بطل العلم، وللعلماء بالله سر لو أظهره الله ــ تعالى ــ لبطلت الأحكام »[1] وهذا القول نسبه الناس للسالمية[2].

ثم قال: « فقوام الإيمان واستقامة الشرع بكتم السر، به وقع التدبير وعليه انتظم الأمر والنهي، والله غالب على أمره » ثم يذكر أقسامه فيقول: « وفوق ذلك علم التوحيد والاسم منه وحداني، فالتوحيد وصفه وفوقه علم الاتحاد، فالوصف منه متحد وفوقهما علم الوحدانية، والاسم منه واحد، وفوق ذلك علم الأحدية والاسم منه أحد »[3].

ومجمل كلامه: أن التوحيد سر عظيم لا يعرفه كل أحد، ولا يمكن التعبير عنه، وأن من عبر عنه فقد كفر وأشرك، واستحق القتل، وبهذا قال بعض الصوفية[4].

وفي آخر كلامه أشار إلى أن التوحيد ثلاثة أنواع:

الأول: علم التوحيد والاسم منه وحداني.

الثاني: علم الوحدانية والاسم منه واحد.

الثالث: علم الأحدية والاسم منه أحد[5].

والأحدية مصدر صناعي من أحد، ومعناها عند أهل الكلام: أنها صفة من صفات الله ــ تعالى ــ معناها أنه إحدى الذات، أي لا تركيب فيه أصلاً[6].

وكثير من متأخري الصوفية يقول بمثل هذا التقسيم، فقد جعل الهروى التوحيد ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد العامة.

الثاني: توحيد الخاصة.

---

(1) انظر: القوت جـ٢/١٤٩ .

(2) انظر: المعتمد لأبي يعلى ص٢١٨ ، وتابعه من جاء بعده. انظر: ما سيأتي في ص٨٨٣.

(3) القوت جـ٢/١٤٩ .

(4) انظر: الرسالة للقشيري ص٣٠٠-٣٠٣ ، ط/ معروف زريق وعلي أبو الخير، والهروى في منازل السائرين. انظر: مدارج السالكين لابن القيم جـ٣/٥٣٥-٥٣٦ ، والانحرافات العقدية عند الصوفية جـ١/ ٢١٣ .

(5) انظر: القوت جـ٢/١٤٩ ، وشرح الأسماء الحسنى ورقة ١٨ ب، ١٩ أ.

(6) انظر: المعجم الوسيط تأليف إبراهيم مصطفى وآخرون جـ١/١٠١٦ ط/ مجمع اللغة العربية الناشر المكتبة الإسلامية - استنبول تركيا، مادة (وحد)، وتقدم الرد عليهم قريباً.

الثالث: توحيد خاصة الخاصة[1].

وعلى هذا التقسيم أيضاً لا يزال التوحيد سراً، فلم يعرفوا هذه الأنواع بما يوضحها.

وهذا الزعم بأن التوحيد سر لا يمكن النطق به ولا معرفته، كفر من قائله، لأن الله ـ تعالى ـ أخبرنا أنه أنزل الكتاب هدى للناس وبينات فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[2]، وامتن سبحانه على عباده بنعمة البيان فقال: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[3]،﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[4]، ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[5].

وذم الله ـ تعالى ـ أهل الكتاب ولعنهم على كتمهم للحق فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[6]، وما زعمه هؤلاء ـ المتصوفة ـ من أعظم الكتمان، فاستحقوا ما استحق أولئك، وهل هناك أعظم من كتمان التوحيد؟ الذي جاءت به الرسل، ومن أجله أقيم سوق الجهاد.

وقد قال ﷺ: « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك »[7]، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً، نكتفي منها بالإشارة لبعضها والقرآن الكريم والسنة المشرفة مليئان بذكر التوحيد، والأمر به.

---

[1] انظر: مدارج السالكين لابن القيم جـ٣/٥٠١ ، ٥١٦ ، ٥٣٤ ، وتوحيد العامة هو التوحيد الذي جاء في الكتاب والسنة، والثاني هو الفناء عن شهود السوى، وهو الفناء في توحيد الربوبية، والثالث هو الفناء عن وجود السوى، وهو عقيدة وحدة الوجود، وسيأتي الكلام على هذه الأنواع الثلاثة في ص٧٩٩-٨٠٠ .

[2] سورة البقرة الآية: ٩٩ .

[3] سورة البقرة الآية: ٢٦٦ .

[4] سورة البقرة الآية: ٢٤٢ .

[5] سورة آل عمران الآية: ١٠٣ .

[6] سورة البقرة الآية: ١٥٩ .

[7] سبق تخريجه ص١٥ .

وبـين ابن القيم أن هذا التوحيد عرفه الرسل ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ ثم قال: « وليـس وراءه إلا الشطح والدعاوى والوساوس، وهم ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ قد تكـلموا بالتوحيد ونعتوه وبينوه، وأوضحوه وقرروه، ... ولا يمكن أحداً أن ينقل عن نبي من الأنـبياء، ولا وارث نـبي داع إلى مـا دعا إليه، أنه يعلم توحيداً لا يمكن النطق به، وأن الله ــ سبحانه ــ أخرسه عن نطقه وأعجزه عن بثه »[1].

وأمـا حكم هذا القول فهو كفر، قال القاضي أبو يعلى: « من قال إن بينه وبين الله سراً فقـد كفـر، وأي صلة بينه وبين الإله، وإنما ثم ظواهر الشرع، فإن عنى بالسر ظاهر الشرع فقد كذب، لأنه ليس بسر، وإن عنى شيئاً وراء ذلك فقد كفر »[2].

وأمـا سلوك أبي طالب المكي لمنهج أهل الكلام في عدم ذكر توحيد الإلهية، واعتقادهم أن الإيمان يحصل بالإقرار بتوحيد الربوبية، وكذلك فناء الصوفية في مشاهدة توحيد الربوبية، وجعلوه الغاية، فهذا كله خطأ من الطائفتين، وقد رد عليهم ابن عبد الله البصري من السالمية فيقول: « إن الله خلق الخلق على الفطرة، وهو قوله ــ سبحانه ــ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[3] وهي الإقرار له بالربوبية، مع معرفة الوحدانية »[4].

واسـتدل عـلى ذلـك بالحديث: « يقول الله ﷻ: خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين »[5] ثم قال: « وهذا نص من صاحب الشريعة جلي واضح لا شبهة فيه، يفسر عن إيضاح ما أردناه، حنفاء عارفين على فطرته، وهي معرفة ربوبيته، والإقرار بوحدانيته، لا يقع بذلك كفر ولا إيمان »[6]، واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾[7]،

---

(1) مدارج السالكين جـ٣/٤٧٣-٤٧٤ وأصله في منهاج السنة جـ٥/٣٧٥-٣٧٦ .

(2) بدائع الفوائد لابن القيم جـ٢/٣٣١ .

(3) سورة الروم الآية ٣٠ .

(4) أصول التوحيد والسنة نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٤٩٤ .

(5) والحديث رواه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) جـ٤/٢١٩٧ حديث رقم ٢٨٦٥ بسياق طويل.

(6) نفس المرجع جـ٨/٥٠٠ ، ٥٠١ .

(7) سورة الإسراء الآية: ٤٤ .

وقوله سبحانه:﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1]،وغيرها من الآيات التي تفيد تسبيح الكائنات لربها، ثم قال:« وسبح إخبار عن ماض وآت، وإعلام لنا بأن كل شيء يسبح بحمده، ويسجد لعظمته، ويعترف بألوهيته ووحدانيته، ولا يجوز أن تسجد الأشياء وتسبح لمجهول، وكذلك اعترافها بفضائل رسله، وما استفاض من مخاطبات الجمادات له ﷺ، وسلامها عليه»[2]، وما ذكره ابن عبد الله البصري صحيح.

وقد وافقه ابن برجان ــ ولكن لم يرد على المخالفين ــ فيرى أن من رحمة الله ــ تعالى ــ: « خلق عباده على فطرة الإسلام حنفاء إلى أن اجتالتهم الشياطين عن دينهم»[3]، ويقول: « فصل الربوبية وفي ذلك الوقوف على معرفة النعم والتذكار بالعهد الأول، وإثبات الأمانة التي اؤتمنوا عليها حتى التزام ربقة العبودية بشروطها والإقرار بالربوبية لوليها، والتزام حقيقة التوحيد وتصديق الرسل »[4].

وأصل غلط هؤلاء ــ أهل الكلام ومن تابعهم ــ ظنهم أن الإله بمعنى الآله: اسم فاعل، وأن الإلهية هي القدرة على الاختراع[5]، ومن قال بذلك جعل إثبات توحيد الربوبية هو غايته.

والصواب أن الإله بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، وليس بمعنى القادر على الخلق[6].

ولهذا لم يعرف أهل الكلام ومن تابعهم التوحيد الذي بعث الله به الرسول ﷺ، فإن مشركي مكة كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ

---

[1] سورة الحديد الآية: ١ .

[2] أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٥٠٥ ، ٥٠٦ .

[3] تفسير ابن برجان ورقة ١١ .

[4] نفس المرجع ورقة ١٢ .

[5] انظر: درء التعارض جـ٩/٣٧٧ .

[6] انظر: نفس المرجع جـ١/٢٢٦ .

يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ ﴾[٢]، فليس كل من أقر أن الله رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ما سواه[٣]، لأن معرفة الناس لربهم من لوازم خلقهم، وآيات الكتاب العزيز والسنة وأقوال العرب وأشعارهم في الجاهلية، تدل على أن الإنس والجن مقرون بالخالق معترفون به، وإن قدر أن الإقرار بالرب ـ تعالى ـ أنه يحصل بسبب يعرض للإنسان في حياته فهو في الحقيقة يظهر بذلك ويبرز، وأصل الإقرار بالله ـ تعالى ـ والاعتراف به ربا مستقر في قلوب جميع الإنس والجن، وهذا ـ والله أعلم ـ هو الإقرار والشهادة المذكورة في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾[٤]، ولهذا صار الإقرار بوجود الله ـ تعالى ـ مما لا يحتاج إلى برهان، فإن الفطر الإنسانية السليمة تشهد بضرورة فطرها، وبديهة فكرها على خالق حكيم، قادر عليم ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٥] لذلك لم يرد في القرآن الكريم الاستدلال على وجود الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ ومن تاب من أهل الكلام أنكر عليهم إقامة البراهين على وجود الله ـ تعالى ـ[٦].

قال الشهرستاني: « أما تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد ولا أعرف عليه صاحب مقالة إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية[٧] أنهم قالوا العالم

---

[١] سورة المؤمنون الآيات: ٨٤-٨٨ .

[٢] سورة العنكبوت الآية: ٦١ .

[٣] انظر: درء التعارض جـ١/٢٢٦-٢٢٧ .

[٤] سورة الأعراف الآية: ١٧٢ .

[٥] سورة إبراهيم الآية: ١٠ .

[٦] انظر: أول واجب على المكلف تأليف الشيخ عبد الله الغنيمان ص١٦-١٨ ط/ الأولى ١٤١٠هـ الناشر مكتبة لينه دمنهور- مصر، وشرح العقيدة الطحاوية ص٧٩ .

[٧] الدهرية: هم الذين ينفون الربوبية، وينكرون الخالق ـ سبحانه ـ وينكرون الثواب والعقاب، ويزعمون أن الرسالة من الله ـ تعالى ـ مستحيلة في العقول. انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٨٨ ، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة جـ٢/٧٦٧ .

كـــان في الأزل أجـــزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة واصطكت اتفاقاً فحصل عنها العالم... ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع بل هو معترف به لكنه يحيل سبب وجود العالم عـــلى البحث والاتفاق احترازاً من التعليل، فما عددت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان فإن الفطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبدهية فكرتها على صانع حكيم عالم قدير ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ... ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشرك:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" ولهذا جعل محل التراع بين الرسل وبين الخلق التوحيد... »[1].

---

[1] نهاية الإقدام ص١٢٣-١٢٤ ، طبعة الفردجيوم الناشر مكتبة المتنبي القاهرة- مصر.

المبحث الرابع: الدعاء عند السالمية.

أولاً: تعريف الدعاء وأهميته:

الدعـــاء: واحد الأدعية، وأصله دعاو لأنه من دعوت، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همـــزت، وهو الرغبة إلى الله ﷻ[1]. ودعوت الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عـــنده من الخير، ودعوت زيدا ناديته وطلبت إقباله[2]، وللدعاء معاني كثيرة[3]، والذي يهمنا في هذا المبحث دعاء الله ﷻ.

والدعاء عبادة من أجل العبادات، بل هو أكرمها على الله، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[4]، وفي الحديث عن النبي ﷺ: « الدعاء هو العبادة »[5]، وأمر الله بدعائه فقال تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[6] وقال: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ ﴾[7] وقال: ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾[8]، وجـــاءت الأحـــاديث حاثة على الدعاء فقال ﷺ في حديث

---

[1] انظر: لسان العرب جـــ١٤/ ٢٥٧-٢٥٨ مادة (دعا) والقاموس المحيط ص١٦٥٥ .

[2] انظر: المصباح المنير ص٧٤ الدال مع العين وما يثلثهما.

[3] انظر: الدعاء ومنـــزلته من العقيدة الإسلامية تأليف جيلان العروسي ص٢٥-٣٦ ، ط/ الأولى ١٤١٧هـــ الناشر مكتبة الرشد- الرياض.

[4] سورة غافر الآية: ٦٠ .

[5] أخرجه أبو داود في (كتاب الصلاة، باب: الدعاء) جـــ١/٢٧٧ حديث رقم ١٤٧٩ ، والترمذي في (كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المؤمن) جـــ٥/٣٧٤-٣٧٥ حديث رقم ٣٢٤٧ وقال هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في (أبواب الدعـــاء، باب: فضل الدعاء) جـــ٢/٣٤١ حديث رقم ٣٨٧٣ ، وقد صححه النووي في الأذكار ص٤١١، عناية محي الديـــن الشامي ط/ الخامسة ١٤١٤هـــ، وقد صححه غيرهم. انظر: الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد تأليف صالح العصيمي ص٥٧ ط/ الأولى ١٤١٣هـــ الناشر دار ابن خزيمة – الرياض.

[6] سورة الأعراف الآية: ٥٥ .

[7] سورة الأعراف الآية: ٥٦ .

[8] سورة النساء الآية: ٣٢ .

النــزول:« يقول الرب تبارك وتعالى: من يدعوني فأستجيب له »[١]، وقال ﷺ: « من لم يدع الله يغضب عليه »[٢]، والأحاديث والآثار كثيرة جداً.

ثانياً: مذاهب الناس في الدعاء:

للناس في الدعاء مذاهب أهمها:

١- أن الدعــاء لا معنىله ولا فائدة منه ولا يدعى الله ــ تعالى ــ، وقال به الفلاسفة، وزنادقة الصوفية كابن عربي ومن وافقه[٣].

٢- أن الدعاء لا يجلب به منفعة ولا يدفع مضرة، وبه قال بعض الصوفية، منهم من قال: إن الدعاء عبادة محضة، ومنهم من قال: إن الدعاء من حظ العامة، وأما مقامات الخواص فهي ترك الدعاء والتوكل نظراً للقدر[٤]، وهذا مذهب أبي طالب المكي وابن برجان من السالمية.

٣- أن الدعــاء علامــة وأمــارة ودلالة محضة على حصول المطلوب، وجعلوا ارتباطه بالمطلوب ارتباط الدليل والمدلول لا ارتباط السبب بالمسبب[٥]، وهذا « قول من ينفي الأسباب في

---

[١] أخرجه البخاري في (كتاب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل) جـ١/٣٤١ رقم ١١٤٥ ، وطرفه رقم ٦٣٢١، ٧٤٩٤ ، ومسلم في (كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل) جـ١/٥٢١-٥٢٣ رقم ٧٥٨ .

[٢] أخرجه الترمذي في (كتاب الدعوات، باب: ما جاء في فضل الدعاء) جـ٥/٤٥٦ حديث رقم ٣٣٧٣ ، وأعله بأبي مليح، وابــن ماجــة في (أبواب الدعاء، باب: فضل الدعاء) جـ٢/٣٤١ حديث رقم ٣٨٧٢ واللفظ لابن ماجه، والحاكم في المستدرك جـ١/٤٩١ وقال: حديث صحيح الإسناد، فإن أبا صالح الخوزي وأبا المليح الفارسي لم يذكرا بجرح إنما هما في عــداد المجهولين لقلة الحديث، وابن أبي شيبه في المصنف جـ١٠/٢٠٠ حديث رقم ٩٢١٨ ، وقد استدل بالحديث ابن حجــر على فضل الدعاء، ثم ذكر توثيق أبو زرعة لأبي صالح الخوزي، وجرح ابن معين له. انظر: الفتح جـ١١/٢١١٤ وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه جـ٣/٢٥٢ حديث رقم ٣٨٩٥ ط/ دار المعارف – الرياض الأولى ١٤١٧هـ.

[٣] انظر: شأن الدعاء للخطابي ص٦ ، ومنهاج السنة جـ٥/٣٦٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص٤٦٠ ، والدعاء ومترلته من العقيدة الإسلامية ص٣١٢-٣١٣ .

[٤] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/١٩٢ ، وجـ٨/٥٣٠-٥٣١ ، والتحفة العراقية ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ٢٢ ومدارج السالكين جـ٣/١٠٩ والدعاء ومترلته من العقيدة ص٣١٨ .

[٥] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/١٩٢ ، وجـ٨/٥٣١ ، وجامع الرسائل جـ١/٨٧ ومدارج السالكين جـ٣/١٠٩ ، والدعاء ومترلته من العقيدة الإسلامية ص٣٤ .

الخلق والأمر، ويقول: إن الله يفعل عندها لا بها، وهو قول طائفة من متكلمي أهل الإثبات للقدر كالأشعري وغيره وهو قول طائفة من الفقهاء والصوفية »[١].

٤- أن الدعاء يرد القضاء ويغيره من قضاء إلى قضاء[٢]، وقال به الشوكاني[٣] وغيره.

٥- أن الدعاء يكون نافعاً مشروعاً في بعض الأشياء دون بعض، وقال به بعض أهل السنة[٤].

٦- أن الدعاء سبب من الأسباب وله تأثير في المطلوب كسائر الأسباب المقدرة المشروعة وهذا الصواب وهو قول أهل السنة والجماعة وسيأتي بيانه مفصلاً.

والسالمية الصوفية ممن يقول بالقول الثاني، فلا نجد من أبي طالب المكي من السالمية الصوفية، الاهتمام بالدعاء، فلم يفرد له فصلاً كما أفرد التوكل، والمحبة، والخوف، والرضا وغيرها، وقد ذكر بعض الحكايات التي تنهى عن الدعاء، على سبيل الاستدلال بها، فيقول حدثونا عن بشر الحافي[٥]: « قال: رأيت بعبادان رجلاً قد قطعه البلاء، وقد سالت حدقتاه على خديه، وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله، قال: وإذا هو قد صرع من حبة به، فوضعت رأسه على حجري، وجعلت أسأل الله ﷻ كشف ما به، وأدعوله، فأفاق فسمع دعائي، فقال: من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض عليه في نعمه علي؟ قال:ونحى رأسه »[٦].

وروى حكاية أخرى فقال: « إن بعض هذه الطائفة ضاع ولده وكان صغيراً ثلاثة أيام لا يعرف له خبراً، فقيل له لو سألت الله أن يرده عليك، فقال: اعتراضي عليه فيما قضى أشد من ذهاب ولدي »[٧].

---

[١] جامع الرسائل جـ١/٨٧ .

[٢] انظر: شأن الدعاء ص٨ ، وقطر الولي على حديث الأولياء للشوكاني ت/د.إبراهيم هلال ص٤٤٢-٤٤٣، ولم تذكر معلومات الطبعة، والدعاء ومترلته ص٣٤٨ .

[٣] هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، صاحب التصانيف. ولد بهجرة شوكان في عام ١١٧٣هـ ونشأ بصنعاء وتوفي بها سنة ١٢٥٠هـ. انظر: الأعلام جـ٦/٢٩٨ ، ومعجم المؤلفين جـ١١/٥٣ .

[٤] انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٤٤ ، والدعاء ومترلته ص٣٥٠ .

[٥] هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، الزاهد، أبو نصر المروزي البغدادي المشهور بالحافي. ولد سنة اثنتين وخمسين ومائة وتوفي يوم الجمعة في شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين. انظر: السير جـ١٠/٤٦٩-٤٧٧ رقم الترجمة ١٥٣ ، والأعلام جـ٢/٥٤ .

[٦] القوت جـ٢/٧١ .

[٧] نفس المرجع جـ٢/٧١ .

وذكر حكاية أخرى عن رجل لا يعرف! مضمونها أن الله ـ تعالى ـ أدخل ذلك الرجل الملكوت السفلي، والملكوت العلوي، ثم أوقفه بين يديه فقال: سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك. فلم يسأل، فلما قيل له لم تسأل: صاح في القائل صيحة عظيمة وقال: ويلك غرت عليه مني[1].

وهـذه حكايات باطلة، لا زمام لها ولا خطام، لم يذكر لها أسانيد، وليست عن الأئمة المعروفين بالدين، فكيف إذا خالفت صريح نصوص الكتاب والسنّة والعقل والفطرة، وقد رد عليها العلماء، فلما نقل هذه الحكايات أبو حامد رد عليه ابن الجوزي، فقال: « لقد طال تعجبي من أبي حامد كيف يحكي هذه الأشياء في معرض الاستحسان والرضى عن قائلها، وهو يدري أن الدعاء والسؤال ليس باعتراض »[2]، وأما ابن برجان ـ من السالمية ـ فيرى أن: « الدعاء على [ثلاثة][3] ضروب بعد اجتماعهم في أصله، فدعاء بالأقوال، وهو دعاء العامي، ودعاء بالأفعال، وهو دعاء الزاهد، ودعاء بالأحوال، وهو دعاء العارفين، وهذه المنزلة مشتركة بين الدعاء والاستدعاء »[4].

فهو يرى أن دعاء العارفين هو أفضل الأدعية، وحقيقة حالهم أنهم لا يدعون، وكأنه يرى الدعاء عبادة محضة لذا ذكر آداب الدعاء فقال: « من آداب الدعاء والسؤال والضراعة إلى الملك المالك [للأمر][5] كله، أن يقدم العبد بين يدي دعائه التوحيد والإعظام والإجلال ثم يحمده بمحامده التي هو لها أصل، ويثني عليه ويمجده ويتبرأ إليه من حوله وقوته، ثم يسأل الله بعد ما شاء لعموم قول الحق" ولعبدي ما سأل" »[6] وذكر أن أم القرآن كلها تمجيد وتحميد وثناء وتوحيد وتفويض وتعبد وإخلاص ثم دعاء وتضرع إليه[7].

---

[1] نفس المرجع جـ٢/١١٦ .

[2] تلبيس إبليس ص٣٥٣ .

[3] في الأصل (ثلاث).

[4] تفسير ابن برجان ورقة ١٠٥ ، ويقول بهذا بعض الصوفية. انظر: الرسالة القشيرية ص٢٦٩ .

[5] في الأصل (الآمر) ولا يستقيم المعنى.

[6] تفسير ابن برجان ورقة ٢٣، والحديث أخرجه مسلم في (كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة) جـ١/٢٩٦ حديث رقم ٣٩٥.

[7] انظر: نفس المرجع ورقة ١٦ .

وشبهتهم هي أن غاية الفناء هي في القدر الكوني، وأن القضاء والقدر كله يجب الرضا به، وأن الإرادة تستلزم الرضا والمحبة.

لـــذا زعمـــوا أن الدعـــاء ليس من مقامات الخواص لأن في ذلك سوء الأدب واتهام الله ـــ تعالى ـــ والشك في رزقه وما قدره.

وقد ترتبط هذه الشبهة بشبهتين أخريين إحداهما: نفي الأسباب والظن أن الدعاء لا فائدة فيه؛ إذا لم يكن له تأثير في المطلوب.

ثالثاً: الردّ على شبههم:

١- الإرادة لا تستلزم الرضا والمحبة، لذلك لا يجوز الرضى والمحبة للكفر والشرك والمعاصي، ويجب الرضا والمحبة بالمراد الشرعي.

٢- نفي الأسباب نقص في العقل وقدح في الشرع[1].

٣- الدعاء فيه فوائد أخرى غير حصول المطلوب من ذلك:

أ- دفع السوء عن الداعي، أو يدخر الرب ـــ سبحانه ـــ له الدعوى كما روى أبو سعيد الخـــدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من مسلم يدعو دعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطـــاه الله إحـــدى ثـــلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذا نكثر؟ قال: الله أكثر »[2].

ب- أن إكـــثار الدعاء لله ـــ تعالى ـــ والتوجه إليه كل وقت يزيد الإيمان ويقويه، ويجعل القلب متعلقاً بالله ـــ تعالى ـــ محباً له راغباً راهباً.

---

(١) سيأتي بيانهما في ص٧١١-٧١٩.

(٢) أخـــرجه الإمـــام أحمد في المسند جـــ١٧/٢١٣-٢١٤ حديث رقم ١١١٣٣ ، ت/ شعيب الأرنؤوط ط/ الأولى ١٤١٨هـــ الناشر مؤسسة الرسالة-بيروت، وقال المحقق إسناده جيد، والحاكم في المستدرك جـــ١/٤٩٣ (ط/ دار المعـــرفة-بـــيروت وبذيله التلخيص للذهبي) وقال: صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح، وأخرجه ابن أبي شيبه في المصنف جـــ١٠/٢٠١ حديث رقم ٩٢١٩ ت/مختار الندوى ط/ الأولى ١٤٠١هـــ الناشر دار السلفية بالهند، وقد أخرجه غيرهم، وقد صححه ابن حجر في فتح الباري جـــ١١/١١٥ .

وسبق ذكر بعض الأدلة على أهمية الدعاء[١].

والـذي دل عليه النقل والعقل أن الدعاء سبب « كسائر الأسباب، فالدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإن كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أُمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة والعتق »[٢].

« والدعـاء سـبب لنيل المطلوب المسؤول ليس وجوده كعدمه في ذلك، ولا هو علامة محضة، كما دل عليه الكتاب والسنة، وإن كان قد نازع في ذلك طوائف من أهل القبلة وغيرهم، مـع أن ذلـك يقـربه جمـاهير بـني آدم من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين... » والله ــ تعالى ــ إذا أمر العباد « بالدعاء فمنهم من يطيعه فيستجاب له دعاؤه، وينال طلبته، ويدل ذلك على أن المعلوم المقدور هو الدعاء والإجابة، ومنهم من يعصيه فلا يدعو فلا يحصل ما علق بالدعاء فيدل ذلك على أنه ليس في المعلوم المقدور الدعاء ولا الإجابة »[٣].

وقـد سبق ذكر بعض الأدلة في الأمر بالدعاء والوعد بالإجابة، وأخبر الله ــ تعالى ــ عن أنـبيائه ورسله ــ عليهم السلام ــ ما يدل على تأثير الدعاء، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[٤]، وقال: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[٥]، وقال: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴿٨٤﴾ ﴾[٦]، والآيات في هذا المعنى كثيرة[٧].

---

[١] انظر: الدعاء ومنزلته للعروسي جـ١/٢٣٩ وما بعدها.

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/١٩٦ ، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/١٩٥ .

[٣] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/١٩٥ .

[٤] سورة الصافات الآية: ٧٥ .

[٥] سورة الأنبياء الآيات: ٨٧-٨٨ .

[٦] سورة الأنبياء الآيات: ٨٣ ، ٨٤ .

[٧] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/١٩٣ والدعاء ومنزلته للعروسي جـ١/٣٥٧-٣٦٦ .

وفي الحديث غير ما سبق حديث أنس بن مالك قال: « أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ، فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام أعرابيٌ فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا. فرفع يديه ــ وما نرى في السماء قزعة ــ فوالذي نفسي بيده، ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم يترل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ، فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد وبعد الغد، والذي يليه، حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي ــ أو قال غيره ــ فقال: يا رسول الله، تهدَّم البناء، وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال: اللهم حوالينا لا علينا، فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجَوْبَةِ، وسال الوادي قناة شهراً، ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدَّث بالجَوْدِ »[1] والأحاديث كثيرة.

وقد دل على هذا الفطرة والعقل والتأريخ والحس والمشاهدة[2].

وقد يزعمون أن في الدعاء اعتراضاً على الله في قضائه وقدره!، وكيف يكون الدعاء اعتراضاً وقد امتن الله باستجابة دعاء المضطر فقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[3].

وليس في الدعاء معارضة لتصرف المالك في ملكه، فإنه إنما يرجو تصرفه في ملكه أيضاً بما هو أولى وأحب الأمرين إليه، ولم يوجب الدعاء خروج عن تصرفه في ملكه، بل اقتضى عبوديته[4].

وعندما ذكر أبو طالب الإخلاص عظمه واهتم بالإخلاص في الأعمال، ولم يذكر الإخلاص في الدعاء مع أنه أهم مما ذكر[5].

---

(1) أخرجه البخاري في (كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة) جـ١/٢٧٧ رقم الحديث ٩٣٣ .

(2) انظر: الدعاء ومترلته للعروسي جـ١/٣٦٨-٣٧٦ .

(3) سورة النمل الآية: ٦٢ .

(4) انظر: مدارج السالكين جـ٢/٤٥ .

(5) انظر: القوت جـ٢/٢٦٧-٢٧٧ .

رابعاً: الأدعية التي ذكرها أبو طالب:

لما ذكر أعمال المريد بعد صلاة الغداة جعل منها « أو يخلص الدعاء بتمسكن وتضرع وتملق وتخشع ووجل وإخبات إلى أن يعصمه الله من جميع المنهي »[١].

فلعل مراده الدعاء على سبيل الذكر فقط لذلك أورد فصلاً في ذكر الأدعية المختارة بعد صلاة الصبح[٢]، ويلاحظ عليها:

أ- أن فيها الصحيح والضعيف والموضوع، فقد ذكرها دون أسانيد، وأدخل بعضها في بعض.

ب- ذكر فيها الدعاء بما لم يرد من أسماء الله ﷻ مثل الطهر الطاهر، يا دهر، ويا ديهور، يا ديهار، يا كينان، يا روح، يا كائن وغيرها، وسيأتي بيانها.

ج- جاء في بعض أدعيته التوسل بالنبي ﷺ فقال: « وعلم رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ هذا الدعاء فقال: قل« اللهم إني أسألك بمحمد نبيك، وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وكليمك، وعيسى روحك وكلمتك، وبكلام موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وفرقان محمد ﷺ، وكل وحي أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل أعطيته أو غني أقنيته أو فقير أغنيته... وأسألك باسمك الذي وضعته في السموات فاستقلت، وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال، وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك، وأسألك باسمك الطهر الطاهر... إلخ »[٣] والوضع ظاهر في هذا الخبر[٤].

وجواب هذه البدعة باختصار:

١- لا يوجد دليل صحيح صريح على جواز التوسل بذات النبي ﷺ ولم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، وهذه البدعة لم تكن موجودة في القرون المفضلة، ولعل أبا

---

[١] نفس المرجع جـ٢/٢٩ .

[٢] انظر: نفس المرجع جـ٢/١٧ .

[٣] القوت جـ٢/١٠ .

[٤] انظر: اللآلي المصنوعة للسيوطي جـ٢/٢٩٩-٣٠٠ وقال:« موضوع،... عبد الملك دجال مع ما في السند من الإعضال »، وموسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة إعداد على الحلبي وغيره جـ٢/٢١٥-٢١٦ رقم ٣٥٨٢ ، ط/ الأولى ١٤١٩هـ الناشر مكتبة المعارف – الرياض.

طالب من أوائل من ذكرها، ولذلك لم يقل إلا بالتوسل فقط، ثم تطورت هذه البدعة حتى وصلت للدعاء والاستغاثة بالقبور من دون الله ــ تعالى ــ[1].

٢- أن توسل الأنبياء والرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ كما ذكر الله ذلك عنهم ــ لم يكن فيه توسل بالذوات، وكذلك الأدعية التي علمها النبي ﷺ أصحابه[2].

٣- لو كان التوسل بذات النبي ﷺ جائزاً بعد وفاته لما عدل عمر ــ بإجماع الصحابة ــ إلى العباس ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ للاستسقاء[3]، ولما أمر النبي ﷺ عمر ﷺ أن يطلب من أويس القرني الدعاء[4].

٤- منع التوسل بالذوات كثير من أهل العلم المقتدى بهم[5].

٥- أن التوسل بالذوات بدعة وكل بدعة ضلالة.

خامساً: تخصيص بعض الأماكن بالدعاء:

من خطأ السالمية في باب الدعاء ما روى أبو علي الأهوازي في استجابة الدعاء عند مغارة الدم في جبل قاسيون، وفيه أن ابن آدم قتل هناك، وأنه مجرب، وقد ذكر مثل هذه الروايات الموضوعة خصم الأهوازي ابن عساكر، وذكر عدة روايات و لم يبين كذبها مع أنه شنع على أبي علي الأهوازي روايته لبعض الأحاديث الموضوعة[6]، وغالب الروايات التي ذكرها ابن عساكر عن كعب الأحبار، وبين بطلان بعضها فقال: « وهذا حديث منكر، مكحول لم يدرك كعبا، لأن كعباً مات في آخر خلافة عثمان، وكعب لم يبق إلى فتنة علي ومعاوية »[7] قلت: ذكر في بعض المتون القتال بين علي ومعاوية ــ رضي الله عنهما ــ، ثم قال: « وفي إسناده رجل مجهول وهو

---

[1] انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل تأليف محمد نسيب الرفاعي ص١٨٢-١٩٥ ط/ الثالثة ١٣٩٩هـ.

[2] انظر: الدعاء ومترلته للعروسي جـ٢/٦٣٥-٦٤٠ .

[3] الحديث أخرجه البخاري في (كتاب الاستسقاء، باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا) جـ١/٣٠٢ حديث رقم١٠١٠.

[4] الحديث أخرجه مسلم في (كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أويس القرني ﷺ) جـ٤/١٩٦٨ حديث رقم ٢٥٤٢.

[5] انظر: الدعاء ومترلته للعروسي جـ٢/٦٤٧ وما بعدها.

[6] انظر: الجزء السابع عشر من شرح عقد أهل الإيمان ص١٩٦-١٩٧، وتأريخ مدينة دمشق جـ٢/٣٣١-٣٣٦ .

[7] تأريخ مدينة دمشق جـ٢/٣٣١ .

محمد بن أحمد، وأبوه وجده ضعيفان »[1]، ولكنه لم يتكلم على باقي الأسانيد بل أوردها وسكت عنها، والجواب عن هذا من وجوه:

١- قد نهى النبي ﷺ عن الغلو في قبور الصالحين، والتبرك ببعض الأماكن، فعن أبي واقد الليثي قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، وكان للكفار سدرة يعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة خضراء عظيمة قال فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨﴾[2] إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة »[3].

فعلى هذا لا يجوز اتخاذ بعض الأماكن أماكناً للدعاء والعبادة، والدعاء هو العبادة، وهذا وسيلة لتعظيم المغارة والتبرك بها وعبادتها من دون الله ـ تعالى ـ.

٢- أجمع الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على ترك التبرك بغير النبي ﷺ، حتى مع فضلاء الصحابة ﷺ، وقد نقل هذا الإجماع الشاطبي[4] وابن رجب[5]، والتبرك الجائز هو بذات النبي ﷺ ـ في حياته ـ وآثاره الحسية المنفصلة منه ﷺ، كالشعر ونحوه[6].

٣- لم يشرع التبرك بالمواضع التي جلس فيها رسول الله ﷺ، أو صلى فيها، فكيف بغيره، ولم ينقل عن أصحاب الرسول ﷺ التبرك بهذه المواضع[7]، مع مرورهم بها ووقوفهم عليها معه ﷺ

---

[1] تأريخ مدينة دمشق جـ٢/٣٣١ .

[2] سورة الأعراف الآية: ١٣٨ .

[3] أخرجه الترمذي في (كتاب الفتن، باب: لتركبن سنن من كان قبلكم) جـ٤/٤٧٥ حديث رقم٢١٨٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والإمام أحمد في المسند جـ٥/٢١٨ واللفظ له. وقد أخرجه غيرهم، وهو صحيح. انظر: الدر النضيد ص٤٧-٤٨ .

[4] انظر: الاعتصام جـ٢/٨-٩ .

[5] انظر: الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب ت/ عبد القادر الأرناؤوط ص٤٦ ، ط/ الأولى ١٤١١هـ الناشر دار المأمون دمشق -بيروت.

[6] انظر: التبرك أنواعه وأحكامه تأليف د.ناصر الجديع ص٢٥٢-٢٥٥ ط/ الثانية الناشر مكتبة الرشد-الرياض.

[7] انظر: التبرك د.ناصر الجديع ص٢٥٢ .

وبعد وفاته[1]، بل نهى الصحابة عن ذلك كما ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه رأى قوماً ينتابون مكاناً يصلون فيـــه، قال: ما هذا، قالوا مكاناً صلى فيه رسول الله ﷺ، قال: « أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا من أدركته فيه الصلاة فليصل وإلا فليمض »[2].

فكيف إذا كان موضع غيره ﷺ، وهو أفضل الرسل وخاتم الأنبياء.

٤- أن قصـــد هذه الأماكن غير مشروع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ: « لم يشـــرع الله ـــ تعـــالى ـــ للمسلمين مكاناً يقصد للصلاة فيه إلا المسجد، ولا مكاناً يقصد للعـــبادة إلا المشاعر، فمشاعر الحج، كعرفة،... وما سوى ذلك من البقاع فإنه لا يستحب قصد بقعـــة بعينها للصلاة ولا للدعاء ولا الذكر، إذ لم يأت في شرع الله ورسوله قصدها لذلك، وإن كان مكاناً لنبي أو منـــزلاً أو ممراً »[3].

٥- لا يصـــح زعمهم أن ابن آدم قتل في جبل قاسيون بالشام، بل جاءت عدة روايات فمـــنها: أنـــه قتل في جبل ثور بمكة، وقيل: عند عقبة حراء، وقيل: بالبصرة، وقيل: في الهند، و لم يذكر الشام من ضمن هذه الأقوال[4]، وموضع العبرة ليس بموضع القتل، لذلك لم يبينه الله لنا.

٦- ما جاء في رواياتهم أن بعض الناس دعا واستجاب الله دعاءه، فإن صح هذا فهو من بـــاب الابـــتلاء والفتنة، ولا يصح أن يكون دليلاً على فضل المكان إن صح، وقد تكون وافقت قـــدراً، والمشـــركون كـــانوا يدعون عند أصنامهم فيستجاب دعاؤهم أحياناً، وكانت أصنامهم تخاطبهم أحياناً ببعض المغيبات وهذا لا يدل على الصواب.

---

[1] انظر: التبرك د.ناصر الجديع ص٣٤٤ .

[2] أخـــرج الأثر ابن أبي شيبة في مصنفه جـــ٢/١٥١ رقم ٧٥٥٠ ، وسعيد بن منصور في سننه كما نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عنه في اقتضاء الصراط جـــ٢/٧٥١-٧٥٢، وعبد الرزاق في مصنفه جـــ٢/١١٨-١١٩ ر قم ٢٧٣٤، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص٤١-٤٢ ، ط/ الثانية ١٤٠٢هـــ الناشر دار الرائد العربي بيروت- لبنان، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة جليلة ص٢٠٣(ت/ربيع المدخلي ط/الأولى ١٤١٢هـــ الناشر مكتبة لينه مصر) ، وابن كثير في مسند الفاروق ت/ د.عبد المعطي قلعجي ص١٤٢-١٤٣ ، ط/ الأولى ١٤١١هـــ الناشر دار الوفاء المنصورة – مصر، وقال العلامة الألباني في تحذير الساجد ص٩٤ صحيح على شرط الشيخين ط/الرابعة١٤٠٣هـــ. ا.هـــ وصححه غيرهم.

[3] مجموعة الرسائل والمسائل جـــ٥/٢٦٣-٢٦٤ .

[4] انظر: الجامع الأحكام القرآن للقرطبي جـــ٦/١٣٩ ، ط/ دار إحياء التراث العربي- بيروت.

المبحث الخامس: المحبة عند السالمية.

أولاً: تعريف المحبة:

المحبة: اسم الحب، والحب نقيض البغض، وتحبب إليه: تودد[١].

والمحـــبة أصـــل ديـــن الإسلام، وقد دل الكتاب والسنة واتفق سلف الأمة وأئمتها وجميع مشايخ الطريق أن الله يُحب ويُحبَ، ووافقهم من تصوف من أهل الكلام[٢]، وهي أعلى محركات القلب الثلاث، التي هي: المحبة والخوف والرجاء، وأصل الأعمال كلها المحبة، وعبادة الله ــ تعالى ــ مبنية على المحبة، بل هي حقيقة المحبة[٣]، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[٤].

ثانياً: أقسام المحبة:

تنقسم المحبة إلى قسمين:

القسم الأول: محبة عبادة وهي:التذلل والخضوع والتعظيم، وكمال الطاعة، وهذه خاصة بالله تعالى، لا تصلح لغيره.

وقد ذهب الناس في هذا القسم إلى أربعة أقوال:

الأول: أنه تعالى يُحب ويُحَب، وأن محبة العبد فوق كل محبة تقدر، ولا نسبة لسائر المحاب إليهـــا، ومحـــبة الرب لأوليائه وأنبيائه ورسله صفة زائدة على رحمته وإحسانه وعطائه. وبه يقول سلف الأمة وأئمتها وأهل التصوف وغيرهم.

الثاني: أنه تعالى لا يُحب ولا يحب، وهذا قول الجهمية المعطلة.

الـــثالث: مـــن جعـــل محبة الرب ــ تعالى ــ للعبد ثناءه عليه ومدحه له، ردها إلى صفة الكلام، فهي من صفات الذات لا من صفات الأفعال.

---

[١] انظر: لسان العرب جـ١/٢٨٩-٢٩٠ مادة حبب.

[٢] انظر: الاستقامة جـ٢/١٠٢ .

[٣] انظر: تيسير العزيز الحميد ص٤٦٦ ، القول المفيد على شرح كتاب التوحيد جـ٢/١٤٠-١٤١ .

[٤] سورة البقرة الآية: ١٦٥ .

الـــرابع: من ردها إلى صفة الإرادة وجعلها من صفات الذات باعتبار أصل الإرادة، ومن صفات الأفعال باعتبار تعلقها.

وهـــؤلاء أنكروا محبة العباد والملائكة والرسل له وقالوا: لا معنى لها إلا إرادة التقرب إليه والتعظيم له، وإرادة عبادته[١].

القسم الثاني: محبة مشتركة ليست عبادة، كحب الطعام، وحب الولد، وحب الأنيس[٢].

والكـــلام هنا على القسم الأول من المحبة التي هي المحبة التعبدية، وأما صفة المحبة للرب ــ تـــبارك وتعـــالى ــ فـــيرى أبو طالب وابن برجان أنها من صفات الذات لا من صفات الأفعـــال[٣]، وزعموا أن الله لم يزل راضياً عمن علم أنه سيموت مؤمناً، وإن كان أكثر عمره كافـــراً، ولم يزل ساخطاً على من علم أنه سيموت كافراً، وإن كان أكثر عمره مؤمناً، وهذا مذهب الكلابية[٤].

وأما محبة العبد لربه ــ تعالى ــ فقد اهتم بها أبو طالب المكي من السالمية وجعل لها أقساماً وعلامات ولوازم، وجعلها المقام التاسع من مقامات اليقين، يقول عنها: « المحبة إيثار من الله تعالى لعـــباده المخلصين ومعها نهاية الفضل العظيم »، ثم استدل عليها بأحاديث موضوعة[٥]، ويقول: « فـــدل ذلـــك على فرض الحب لله وإن تفاضل المؤمنون في نهايات فضائله،...والمحبون لله على مراتب في المحبة، بعضها أعلى من بعض »[٦]:

الأولى: أشـــدهم حباً لله أحسنهم تخلقا بأخلاقه، مثل العلم والحلم والعفو وحسن الخلق، والستر على الخلق، وأعرفهم بمعاني صفاته وأتركهم منازعة له في معاني الصفات كي لا يشركوه فيها، مثل الكبر والحمد.

---

[١] انظر: مدارج السالكين جـ٣/١٨-٢٠ .

[٢] انظر: تيسير العزيز الحميد ص٤٦٧-٤٦٨ ، والقول المفيد جـ٢/٢٤١ .

[٣] انظر: القوت جـ٢/٨٦ ، وشرح الأسماء الحسنى ورقة ١٣٦ أ، ١٣٨ ب.

[٤] انظر: المقالات للأشعري جـ١/٣٥٠ ، وسيأتي ذكر ألفاظهم في ص٧١٤ .

[٥] انظر: القوت جـ٢/٨٢ مثل: حديث « ما كان الله ليعذب حبيبه »، « إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب ».

[٦] نفس المرجع جـ٢/٨٣ .

الثانية: أشدهم حباً لرسول الله ﷺ إذ كان حبيب الحبيب وأتبعهم لأثاره [أشبههم][١] هدياً لشمائله[٢].

والنوع الأول الذي ذكره شبيه بقول الفلاسفة الذين يقولون: إن الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة، وتابعه ابن برجان لكنه عدل إلى لفظ التعبد[٣]، وحب الله ﷻ وحب رسوله ﷺ نوع واحد، وهما متلازمان، فلا تصح المحبة لأحدهما دون الآخر.

وجعل للمحبة لوازم باطلة، مثل:

١- قوله : « ومن المحبة الخروج إلى الحبيب من المال بالزهد في الدنيا » وزعم أن محبة الأموال والانشغال بها شرك[٤].

وهـذا لازم باطل، وحب المال محبة طبيعية، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾[٥].

والادعاء بأن محبة الأموال شرك لا دليل عليه من الكتاب والسنة، وهو من القول على الله بلا علم، وأصل غلطه عدم معرفته لأقسام المحبة، وحب المال فليس بعبادة، بل محبة مباحة طبيعية، ولا تكون عبادة إلا إذا اقترن بها ما يقتضى التعبد[٦].

٢- وجعـل من لوازمه أيضاً: الانقطاع عن الخلق إلى الحبيب والأنس به، ومناجاته في الخلوة[٧]، وهذا لا يصح فلا يلزم من المحبة الانقطاع عن الناس في البراري، بل الشارع الحكيم أمر بالجماعة، ونهى عن الانفراد والعزلة، وقد ذم العلماء من هذا سبيله.

---

[١] في الأصل (أشبعهم) ولا يصح المعنى.

[٢] انظر: القوت جـ٢/٨٣ ، وانظر: جـ٢/٩٧ .

[٣] انظر: جامع الرسائل لابن تيمية جـ٢/١٨٧ ، وشرح الأسماء الحسنى ورقة ٧٠ ب، ١٢٤ب، ١٢٥ أ، ١٣٦ب، ١٤٣ أ.

[٤] انظر: القوت جـ٢/٩١ .

[٥] سورة آل عمران الآية: ١٤.

[٦] انظر: القول المفيد جـ٢/١٤٢ .

[٧] انظر: القوت جـ٢/٨٩ ، وانظر: جميع ما سبق وغيره في شرح الأسماء الحسنى لابن برجان ورقة ١٣٧ أ، ب.

ثالثاً: المحبة وعلاقتها بالخوف والرجاء:

ذكر أبوطالب خبراً إسرائيلياً، ومناماً عن من لا يُعرف، رجح فيه أن أفضل العبادة التي تكون لا خوفاً من النار ولا شوقاً إلى الجنة بل حباً له[١]، وسيأتي بيان هذا في الخوف والرجاء، إن شاء الله، علماً أنه ذكر في موضع آخر قول كثير من السلف أن: « من عبد الله بخوف فهو حروري، ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ، ومن عبده بالمحبة فهو زنديق، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد »[٢]، وفي هذه المسألة وغيرها يتضح أن أبا طالب المكي يبطن ما لا يظهر، فهو يذكر بعض الأقوال الضالة ويحسنها ثم ينقل ضدها من أقوال السلف في موضع آخر، وفي كتبه مصادر للملاحدة، كابن عربي وأشباهه، والله تعالى يتولى السرائر.

وأبو طالب يقول بقول بعض صوفية القرن الثالث الهجري وما بعده الذين اختلفوا في المحبة على قولين:

أ- تقييد المحبة بالأمر والنهي، والخوف والرجاء وهذا حال متقدمي الصوفية كالجنيد وسهل التستري وغيرهم[٣]، ولعل أبا الحسن بن سالم يوافق شيخه سهل.

ب- المحبة عندهم لها معنى خاص، ويعبر عنها بالألغاز التي قد لا يفهمها إلا بعض الصوفية، ويرون أن كل مقدر محبوب، والمشي مع القدر، ولا يربطونها بالأمر والنهي، ولا الخوف والرجاء، وهذا مذهب ذي النون المصري والحلاج، وأبي طالب، وابن برجان وغيرهم[٤].

والقول الثاني يؤدي إلى القول بالحلول والاتحاد، ولهذا وجد في كلام أبي طالب في المحبة ما يشير إلى الحلول والاتحاد[٥].

---

[١] انظر: القوت جـ٢/٩٣ .

[٢] نفس المرجع جـ١/٤٢٧ .

[٣] انظر: كلام سهل ص٣٠٠ .

[٤] انظر: ما سيأتي في ص٧٣٧ .

[٥] انظر: ما سيأتي في ص٧٨٧-٧٩٥ .

رابعاً: الرد عليهم من وجوه:

أ- أصل غلط هؤلاء من توهمهم « أن العبودية مجرد ذل وخضوع فقط، لا محبة معه، أو أن المحبة فيها انبساط في الأهواء أو إدلال لا تحتمله الربوبية، ولهذا يذكر عن "ذي النون" أنهم تكلموا عنده في مسألة المحبة، فقال: امسكوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها، وكره من كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام في المحبة بلا خشية، وقال من قال من السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. ولهذا وجد في المستأخرين[1] من انبسط في دعوى المحبة حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة، والدعوى التي تنافي العبودية وتدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح إلا لله، ويدعي أحدهم دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين، أو يطلبون من الله ما لا يصلح ـ بكل وجه ـ إلا لله لا يصلح للأنبياء والمرسلين، وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ.

ب- وسببه ضعف تحقيق العبودية التي بينتها الرسل وحررها الأمر والنهي الذي جاءوا به، بل ضعف العقل الذي به يعرف العبد حقيقته، وإذا ضعف العقل وقل العلم بالدين وفي النفس محبة انبسطت النفس بحمقها في ذلك، كما ينبسط الإنسان في محبة الإنسان مع حمقه وجهله، ويقول: أنا محب فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عدوان وجهل، فهذا عين الضلال، وهو شبيه بقول اليهود والنصارى: « نحن أبناء الله وأحباؤه » قال الله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾[2]، فإن تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضي أنهم مربوبون مخلوقون »[3].

ج- الطريق الوحيد إلى محبة الله هو الإيمان بالله ـ تعالى ـ وبرسوله، وبما جاء في كتابه وسنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ

---

[1] كذا في الأصل ولعلها المتأخرين.

[2] سورة المائدة: الآية ١٨ .

[3] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٠/٢٠٦-٢٠٨ .

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1].

ومـا ذكـره أبـو طالب المكي وغيره من الصوفية فيه إزراء برب العالمين ـ تعالى علواً كبيراً ـ، وسخرية بغيبه من الجنة والنار، ومشابهة لليهود والنصارى في دعوى المحبة.

د- هؤلاء وقعوا في المحبة الشركية البدعية حتى « آل الأمر إلى أن لا يستحسنوا حسنة ولا يستقبحوا سيئة، لظنهم أن الله لا يحب مأموراً ولا يبغض محظوراً، فصاروا في هذا من جنس من أنكر أن الله يحب شيئاً ويبغض شيئاً كما هو قول الجهمية نفاة الصفات، وهؤلاء قد يكون أحدهم مثبتاً لمحبة الله ورضاه، وفي أصل اعتقاده إثبات الصفات لكن إذا جاء القدر لم يثبت غير الإرادة الشاملة »[2]، وسيأتي بيان أن الإرادة لا تستلزم الرضا والمحبة[3].

وأما الزبيدي وغيره من أعلام السالمية فلم يتكلموا عن المحبة.

خامساً: الشوق:

الشوق عند الصوفية هو: نزاع القلب إلى لقاء الحبيب[4].

قال أبو طالب: « وأما الشوق فإنه مقام رفيع من مقامات المحبة، وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيماً في غير مشوقه، والمشتاقون مقربون »[5].

وقـال: « وحدثونا عن إبراهيم بن أدهم ـ وكان أحد المشتاقين ـ ...، قال: فرأيت في المنام أنه أوقفني بين يديه، فقال: يا إبراهيم، أما استحيت مني أن تسألني ما يسكن به قلبك قبل لقائي، وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه؟ أم يستروح المحب إلى غير مشوقه؟ »[6].

وقـال: « وفي المشـاهدة مقامـان: مقـام شوق، ومقام أنس: فالشوق حال من القلق والانـزعاج عن مطالعة العزة ومعاينة الأوصاف من وراء حجاب الغيب بخفايا الألطاف، وفي هذا

---

[1] سورة آل عمران الآية: ٣١ .

[2] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٨/٨ .

[3] انظر: ما سيأتي في ص٧٢٥-٧٣٣ .

[4] انظر: التعريفات ص١٢٩ .

[5] القوت جـ٢/١٠٠ .

[6] نفس المرجع جـ٢/١٠٠ .

المقام الحزن والانكسار »[١]، وقد ذكر هذا المقام ابن برجان[٢].

وجوابه من وجوه:

١- الشوق أثر من آثار المحبة، وحكم من أحكامها[٣]، وليس من مقامات المحبة.

٢- اختلف هل يزول الشوق باللقاء أم لا؟ والراجح أنه يزيد ولا يزول[٤].

٣- ربـــط أبو طالب المشاهدة بالشوق، وليس في الدنيا مشاهدة تزيل الشوق ألبته، ومن ادعى هذا فقد كذب وافترى[٥].

٤- الشوق إلى الله ـــ تعالى ـــ لا ينافي الشوق إلى الجنة، فإن أعظم نعيم الجنة قربه تعالى، ورؤيته، وسماع كلامه، ورضاه[٦].

سادساً: الغيرة:

الغيرة أنواع: فمنها:

أ- غيرة العبد من نفسه على نفسه.

ب- غيرة الحق ـــ تعالى ـــ على عبده.

ج- غيرة العبد لربه لا عليه.

د- غيرة العبد على الله ـــ تعالى ـــ وهذه من أعظم الباطل، وأعظم الجهل، وصاحبها من أعظم الناس جهلاً[٧].

والنوع الأخير من الغيرة هو الذي يذكره متأخروا الصوفية[٨]، ومنهم أبو طالب المكي.

قـــال أبو طالب: « وأما الغيرة فحال سنية من أحوال المحبين، لأنه قد أظهرهم على معاني

---

[١] القوت جـ٢/١٠٥ .

[٢] انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٣٧ ب.

[٣] انظر: المدارج جـ٣/٥٤ .

[٤] انظر: نفس المرجع جـ٣/٥٥ .

[٥] انظر: نفس المرجع جـ٣/٥٨ .

[٦] انظر: نفس المرجع جـ٣/٥٩ .

[٧] انظر: نفس المرجع جـ٣/٤٥ .

[٨] انظر: نفس المرجع جـ٣/٤٥ ، والتعريفات للجرجاني ص١٦٣ .

نفسه، فظنوا بها لما امتلأت بها قلوبهم، وحارت فيها عقولهم، إلا أن هؤلاء خصوص أصحاب اليمين،...

فتسقط هممهم بالغيرة عليه، وعرفوا حكمته بتعريفه أنواع ما يظهر وأقسام ما ينشر، وأنه في غيب غيبه لا يظهر عليه سواه، وفي سرسره لا يشهده إلا إياه، فقام لهم مقام المعرفة بالتوحيد مقام الغيرة عليه »[1]، وهذه الغيرة باطلة، وربما أدت بصاحبها إلى معاداة الله ـ تعالى ـ وهو لا يشعر، وإلى انسلاخه من أصل الدين، والإسلام، وربما كان صاحبها شراً على السالكين إلى الله ـ تعالى ـ.

وهذا المقام زلت فيه أقدام كثير من السالكين[2].

وأين هذه الغيرة القبيحة من الغيرة لله التي توجب تعظيم حقوقه، وتصفية أعماله وأحواله.

فهذه المقامات التي ذكرها السالمية الصوفية.

---

[1] القوت جـ٢/١٠٣-١٠٤ ، وانظر: جـ٢/١١٦ .

[2] انظر: مدارج السالكين جـ٣/٤٥-٤٦ .

المبحث السادس: الخوف والرجاء عند السالمية.

أولاً: تعريف الخوف والرجاء:

الخوف: لغة: هو الفزع، وتخوفت عليه الشيء أي خفت[١].

الخوف من أجل أنواع العبادة، وأنفعها للقلب، وهو فرض على كل أحد ومن لوازم الإيمان، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[٣] وقال ﷺ: « والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم »[٤]، والنصوص في هذا الباب كثيرة.

والخوف هو اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف، والخوف الصادق المحمود هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله.

والخوف والوجل والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة.

والخوف ليس مقصوداً لذاته بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل، ولهذا يزول بزوال المخوف فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والخوف يتعلق بالأفعال، لذلك إذا دخل المؤمنون دار النعيم لم يلحقهم خوف، وأما المحبة فتتعلق بالذات والصفات، ولذا تضاعف محبة المؤمنين إذا دخلوا دار النعيم، ولهذا كانت مترلة المحبة أعلى وأرفع من مترلة الخوف[٥].

الرجاء : لغة : التأخير، أرجأ الأمر أخره، والإرجاء هو التأخير، مهموز، ومنه سميت المرجئة[٦]، والرجاء من أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

---

[١] انظر: لسان العرب جـ٩/٩٩-١٠٠ مادة (خوف).

[٢] سورة آل عمران الآية: ١٧٥ .

[٣] سورة الرحمن الآية: ٤٦ .

[٤] أخرجه البخاري في (كتاب التعبير، باب: العين الجارية في المنام) جـ٥/٢١٩٧-٢١٩٨ حديث رقم٧٠١٨ .

[٥] انظر: مدارج السالكين جـ١/٥٤٨-٥٥١ .

[٦] انظر: لسان العرب جـ١/٨٣-٨٤ مادة (رجاء).

صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾[2].

وفي الحديث: « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ »[3].

والرجاء هو: حاد يحدو القلب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويطيب لها السير.

والفرق بينه وبين التمني، أن التمني يكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل[4].

ثانياً: أقوال الناس في الخوف والرجاء:

للناس في الجمع بين الخوف والرجاء مذاهب هي:

١- التعبد بالخوف فقط، وهذا مذهب الخوارج والمعتزلة.

٢- التعبد بالرجاء فقط، وهذا مذهب المرجئة.

٣- التعبد بالمحبة فقط، وهذا مذهب زنادقة الصوفية.

٤- التعبد بالمحبة والخوف والتقليل من شأن الرجاء، وبه قال كثير من الصوفية، ومنهم السالمية كأبي طالب المكي.

٥- التعبد بالمحبة والخوف والرجاء، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهو المنقول عن سلف الأمة وأئمتها.

نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض السلف قولهم: « من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد »[5]، والقلب في سيره إلى الله تعالى بمترلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جنحاه، وأكمل الأحوال : اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة المحبة،

---

[1] سورة الكهف الآية: ١١٠ .

[2] سورة البقرة الآية: ٢١٨ .

[3] أخرجه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت) جـ٤/٢٢٠٦ حديث رقم٢٨٧٧.

[4] انظر: مدارج السالكين جـ٢/٥٥٤ .

[5] مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/٢٠٦ ، وقد نقله بنصه أبو طالب في القوت جـ٢/٤٢٦ لكن خالفه.

فالمحبة هي المركب، والرجاء حاد، والخوف سائق، والله ــ تعالى ــ الموصل بمنه وكرمه.

واستحب بعض السلف: أن يقوى في الصحة الخوف على الرجاء، وعند الخروج من الدنيا الرجاء على الخوف[١].

وقد جمع الله ــ تعالى ــ بين الخوف والرجاء، فقال تعالى: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠ ﴾[٣].

ثالثاً: الخوف عند السالمية:

غلب أبو طالب جانب الخوف كثيراً وجعله المقام الخامس من مقامات اليقين، ويعرف الخوف بأنه: اسم جامع لحقيقة الإيمان، وهو علم الوجود والإيقان، وهو سبب اجتناب كل نهي ومفتاح كل أمر، وليس شيء يحرق شهوات النفوس فيزيل أثار آفاتها إلا مقام الخوف.

والصواب أن الخوف من لوازم الإيمان لقوله تعالى:﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥ ﴾[٤]، وليس جامعاً لحقيقة الإيمان.

ونقل أبو طالب عن بعض العارفين قوله: « الخوف ذكر والمحبة أنثى، ألا ترى أن أكثر النساء يدعون[٥] المحبة، يريد بهذا أن فضل الخوف على الرجاء كفضل الذكر على الأنثى، وهذا كما قال لأن الخوف حال العلماء، والرجاء حال العمال، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على الكواكب »[٦] ومع تفضيله للخوف فهو يحذر من تجاوز الحد فيه، وذهاب الرجاء، حتى يخرج الخوف إلى القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، ثم يوصي بصدق الرجاء واعتدال الخوف وأن مجاوزة الشيء كالتقصير عنه، وأن المؤمن حقا هو المعتدل بين الخوف والرجاء.

---

[١] انظر: نفس المرجع جـ١/٥١٣ .

[٢] سورة الأعراف الآية: ٥٦ .

[٣] سورة الحجر الآية: ٤٩-٥٠ .

[٤] سورة آل عمران الآية: ١٧٥ .

[٥] كذا في الأصل، والأولى يدعين.

[٦] القوت جـ١/٤١٦ .

ويروى عن سهل التستري أن سبب ظهور أهل البدع وخروجهم على السلطان وتكفيرهم للأمة، هو مجاوزة الحد في الخوف[1].

وقد سبق بيان ما روى عن السلف، في الاعتدال بين الخوف والرجاء، وأن العبادة بواحد منهما دون الآخر يؤدي للانحراف والضلال.

ويقسم أبو طالب الناس في الخوف إلى ثلاثة أقسام:

الأول: خوف عموم المؤمنين، وثمرة هذا النوع العلم بالله والحياء منه سبحانه، ومن أحكامه: أن يحفظ الرأس وما حوى من السمع والبصر واللسان، ويحفظ بطنه وما وعاه وهو القلب والفرج واليد.

الثاني: خوف الخصوص، وهم الموقنون، وهو أن لا يجمع ما لا يأكل، ولا يبني ما لا يسكن، ولا يكاثر فيما عنه ينتقل، ولا يغفل ولا يفرط فيما إليه يرتحل، وهذا هو الزهد وهو حياء مزيد أهل الحياء من تقوى أصحاب اليمين.

الثالث: خوف اليقين، وهو للصديقين، وهو أعلى الخوف، وهو أن يكون قلبه معلقاً بخوف الخاتمة، لا يسكن إلى علم ولا عمل، لعدم علمه تحقيق الخواتيم[2]، وله تقسيم آخر جعله خمسة أقسام[3].

وقد أطال كثيراً وذكر حكايات ومنامات، في الخوف من سوء الخاتمة، وجاوز الحد في ذلك حتى قال: « ومن خوف العارفين علمهم بأن الله ـ تعالى ـ يخوف عباده بمن شاء من عباده الأعلين، يجعلهم نكالاً لأدنين، ويخوف العموم من خلقه بالتنكيل ببعض الخصوص من عباده حكمة له وحكما منه، فعند الخائفين في علمهم أن الله ـ تعالى ـ قد أخرج طائفة من الصالحين نكالاً خوف بهم المؤمنين،ونكل طائفة[4] من الشهداء، خوف بهم الصالحين، وأخرج جماعة من الصديقين خوف بهم الشهداء، والله ـ تعالى ـ اعلم بما وراء ذلك، وقد أخرج جماعة من الملائكة وعظ بهم النبيين، وخوف بهم الملائكة المقربين، فصار أهل كل مقام عبرة لمن دونهم وموعظة لمن

---

[1] انظر: القوت جـ١/٤٢١ .

[2] انظر: نفس المرجع جـ١/٣٩٨-٤٩٩ .

[3] انظر: نفس المرجع جـ١/٤٢٦ .

[4] كذا في الأصل والأولى (بطائفة).

فوقهم، وتخويفاً وتهديداً لأولى الأبصار »[1].

وهذا القول من أبطل الباطل، ومن الكذب على الله ﷻ، ونسبة الظلم للرب ــ تعالى ــ وذلك بسبب نفيه للحكمة والتعليل، وجعله الرضا والغضب صفتين قديمتين، وجوابه باختصار:

١- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[3] وقال: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ ﴾[4] ونفى المولى ــ جلّ وعلا ــ الظلم في أدنى شيء فقال: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾[5]، فكيف ينفي الرب ــ تعالى ــ عن نفسه ظلم الناس مؤمنهم وكافرهم،ويظلم عباده وأولياءه.

٢- أصل هذا القول كلامي وهو قولهم يجوز أن يُدْخِل أولياءه النار، ويدخل إبليس الجنة[6].

٣- ما زعمه من تنكيل الرب ــ تعالى ــ بالملائكة، لا يصح بوجه من الوجوه، على فرض صحة دعواه في الصالحين والشهداء.

ومن أخطائه في الخوف أنه ذكر خبراً عن أبي الدرداء في اعتزال رجل الناس خشية أن يسلب دينه وهو لا يشعر، وإقراره له على ذلك[7]، وهذا باطل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « لقد حدثني رجل أنه أنكر على بعض هؤلاء خلوة له ترك فيها الجمعة، فقال له الشيخ: أليس الفقهاء يقولون: إذا خاف على شيء من ماله، فإن الجمعة تسقط؟ فقال له: بلى، فقال له: فقلب المريد أعز عليه من عشرة دراهم، أو كما قال، وهو إذا

---

[1] القوت جـ١/٤٠٦ .

[2] سورة يونس الآية: ٤٤ .

[3] سورة الكهف الآية: ٤٩ .

[4] سورة الأنبياء الآية: ٤٧ .

[5] سورة النساء الآية: ٧٧ .

[6] انظر: شرح المقاصد للتفتازاني ت/د.عبد الرحمن عميره جـ٤/٢٩٤ ، ط/ الأولى ١٤٠٩هـ الناشر عالم الكتب – بيروت، وجامع الرسائل لابن تيمية جـ١/١٢١-١٢٢ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة د.المحمود جـ٣/١٣٢٣ .

[7] انظر: القوت جـ١/٤١٠.

خـــرج ضاع قلبه، فحفظه لقلبه عذر مسقط للجمعة في حقه، فقال له: هذا غرور بك؟ الواجب الخروج إلى أمر الله ﷻ.

فـــتأمل هذا الغرور العظيم! كيف أدى إلى الانسلاخ عن الإسلام جملة، فإن من سلك هذا المسلك انسلخ عن الإسلام العام، كانسلاخ الحية من قشرها، وهو يظن أنه من خاصة الخاصة »[١].

وأمـــا تقسيمه للخوف فلا دليل عليه، ولا يصح تقسيم الناس بهذه الطريقة، والصواب أن الناس يتفاوتون في الخوف على قدر العلم والمعرفة[٢].

والصواب أن الخوف أربعة أقسام حسب المخوف منه:

الأول: خوف السر: وهو أن يخاف من غير الله ــ تعالى ــ أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادعى أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة، أو على ســبيل الاستقلال، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلاً، لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله نداً يخافه هذا الخوف فهو مشرك.

وهـــذا هـــو الذي كان المشركون يعتقدون في أصنامهم وآلهتهم ولهذا يخوِّفون بها أولياء الـــرحمن كمـــا خوفـــوا إبراهيم الخليل ــ عليه الصلاة والسلام ــ فقال لهم:﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[٣]، وقال تعالى عن قوم هود أنهم قالوا له:﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟

---

[١] انظر: مدارج السالكين جـ١/٥٤٨ .

[٢] انظر: مدارج السالكين جـ١/٥٤٨ .

وقـــد ذكر أبو طالب أسماء للخوف لا طائل من ذكرها مثل قوله في القوت جـ١/٤١١-٤١٢ ذكر من أسماء الخوف: خوف الجنايات والاكتساب، وخوف الوعيد وسر العقاب، وخوف التقصير في الأمر، وخوف مجاوزة الحد وسلب المزيد، وخـــوف حجاب اليقظة بالغفلة، وخوف حدوث الفترة بعد الاجتهاد... الخ. قلت: وكل هذا يخافه المسلم، وما ذكر ما هو إلا تفخيم للعبارة، ولا شيء غيره وهذا من علامات المبتدعة.

[٣] سورة الأنعام الآيات: ٨٠-٨١ .

أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[2].

وهـــذا القسم هو الواقع اليوم من عبَّاد القبور، فإنهم يخافون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون الله بل أشد.

الـــثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا لخوف من الناس، فهذا محرم، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[3]، وهو الذي جاء في الحديث: « إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره؟ فيقول: يا رب خشيت الناس، فيقول: إياي كنت أحق أن تخشى »[4].

الثالث: خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة وهو الذي قال الله فيه:﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾[5] وقال:﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[7]، وهـــذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، ويكون محموداً إذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله، وهذا هو الذي ذكره أبو طالب المكي.

---

[1] سورة هود الآيات: ٥٤-٥٥ .

[2] سورة الزمر الآية: ٣٦ .

[3] سورة آل عمران الآية: ١٧٥ .

[4] أخرجه أحمد جـ٣/٢٧ ، ٢٩ ، ٧٧ ، والحميدي في مسنده جـ٢/٣٢٤ حديث رقم٧٣٩،(ت/ حبيب الرحمن الأعظمي ط/ الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار الكتب العلمية-بيروت)، وأبو نعيم في أخبار أصفهان جـ٢/٢٨٨،(ط/ الثانية ١٤٠٥ هـ الناشر الدار العلمية- الهند) وسنده حسن. انظر: حاشية شعيب الأرناؤوط على المسند بتحقيقه جـ١٧/٣١٢ رقم ١١٢١٤.

[5] سورة إبراهيم الآية: ١٤ .

[6] سورة الرحمن الآية: ٤٦ .

[7] سورة الطور الآية: ٢٦ .

الــرابع: الخوف الطبيعي، كخوف من عدو وسبع وهدم وغرق ونحو ذلك، فهذا لا يذم وهو الذي ذكره الله عن موسى الطَّيِّلا في قوله:﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾[١].

فهذه هي أقسام الخوف[٢].

رابعاً: الرجاء عند السالمية:

الرجاء جعله أبو طالب المقام الرابع من مقامات اليقين[٣] وعرفه فقال: « الرجاء هو اسم لقــوة الطمــع في الشــيء بمنزلة الخوف اسم لقوة الحذر من الشيء » وهو وصف من أوصاف المؤمنين وخلق من أخلاق الإيمان لا يصح إلا به، كما لا يصح الإيمان إلا بالخوف، فالرجاء بمنزلة أحــد جــناحي الطير، لا يطير إلا بجناحيه،... وهو أيضا مقام من حسن الظن بالله ــ تعالى ــ، وجميل التأميل له »، وذكر أن القنوط من رحمة الله من أكبر الكبائر[٤].

والــرجاء عنده مقام بعد مقام الخوف، ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء، ويقول : « وليــس يصــح أن نخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل الرجاء في مقامات الرجاء من قبل أنه لا يصلح لعموم المؤمنين، وهو يفسد من لم يرزقه أشد الفساد، فليس يصلح إلا بخصوصه،... وأكثر النفوس لا يصلح[٥] إلا على الخوف، كعبيد السوء لا يستقيمون إلا بالسوط والعصا، ثم يواجهون بالسيوف صلتا »[٦].

وهذا يؤكد ما سبق أنه يفضل الخوف على الرجاء، وقال: « ومن علامة صحة الرجاء في العــبد كــون الخوف باطنا في رجائه، لأنه لما تحقق برجاء شيء خاف فوته لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به، فهو لا ينفك في حال رجائه من خوف الرجاء، والرجاء هو ترويحات الخائفين،

---

[١] سورة القصص الآية: ٢١ .

[٢] انظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد تأليف الشيخ سليمان العبد الوهاب ص٤٩٥-٤٩٧ ، وفتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص٢٨١ ط/ الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء سنة ١٤١١هــ.

[٣] انظر: القوت جــ١/٣٧٥ .

[٤] انظر: نفس المرجع جــ١/٣٧٩ .

[٥] كذا في الأصل والصواب: لا تصلح.

[٦] انظر: القوت جــ١/٣٨٠ وفي الأصل: الحياء وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف، والصواب الرجاء، لأنه يتكلم عن الرجاء، وقد ذكر بعدها جملة يفهم منها أنه يقصد الرجاء.

ولذلك سمت العرب الرجاء خوفا، لأنهما وصفان لا ينفك أحدهما عن الأخر »[١].

وينقل عن سهل التستري بعض الأقوال في الرجاء، فمن ذلك قول سهل: « من سأل الله ــ تبارك وتعالى ــ شيئا فنظر إلى شيء وإلى أعماله، لا يرى الإجابة حتى يكون ناظراً إلى الله ــ تبارك وتعالى ــ وحده وإلى لطفه وكرمه، ويكون موقنا بالإجابة » وقد جعل أبو طالب هذا الفرض في مقامات الرجاء[٢].

وقال: « قال أبو محمد سهل ﷺ: « لا [يصلح] [٣] الخوف إلا لأهل الرجاء، وقال: العلماء مقطوعون إلا الخائفين، والخائفون مقطوعون إلا الراجين[٤] ، وكان يجعل الرجاء مقاماً في المحبة، وهو عند العلماء أول مقامات المحبة، ثم يعلو في الحب على قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن »[٥]، وهذا يدل على أن سهلاً يخالفه في التقليل من مترلة الرجاء، وفي عدم ربط المحبة بالخوف والرجاء[٦].

وجعل أبو طالب من الرجاء: ترك الأهواء الرديئة، والشهوات المطغية[٧]، وختم الكلام في الرجاء بقوله:« ومقام الرجاء هو جند من جنود الله ﷻ يستخرج من بعض العباد ما لا يستخرج غيره، لأن بعض القلوب تلين وتستجيب عند مشاهدة الكرم والإحسان، وتقبل وتطمئن »[٨]، وهذا كلام حسن وإلى هذا ذهب ابن برجان فقال: « الرجاء خلق من أخلاق الإيمان ووصف من أوصاف الموقنين وهو جند من جنود الله ــ جلّ ذكره ــ يستخرج الله به من بعض عباده ما لا يستخرج بغيره، وطرفه الأعلى منه متصل بالحب كما طرفه الأدنى متصل بالخوف لأنه من رجا

---

[١] القوت جـ١/٣٨ .

[٢] انظر: القوت جـ١/٣٨٢-٣٨٣ .

[٣] في الأصل (يصبح) ولا يستقيم المعنى.

[٤] في كلام سهل ص١٥١ ، ١٧٠ : « العلماء كلهم نيام إلا الخائفين والخائفون كلهم مقطوعون إلا الراجين ».

[٥] القوت جـ١/٣٨٦ .

[٦] انظر ما تقدم في ص١٣٨ .

[٧] انظر: القوت جـ١/٣٩٤ .

[٨] نفس المرجع جـ١/٣٩٥ .

شيئاً أحبه، وكما يرجو دركه خاف فوته، ولهذه المقارنة ظن أكثر الناس أنه الخوف وعبر عنه باسم الرجا عن معنى الخوف »[1] وهذا كلام جيد.

والتقليل من مقام الرجاء هو قول كثير من الصوفية مثل الهروي وغيره، فقد قال: « الرجاء أضعف منازل المريدين »، ورد عليه ابن القيم فقال: « شيخ الإسلام حبيب إلينا، والحق أحب إلينا منه وكل من عدا المعصوم ﷺ، فمأخوذ من قوله ومتروك »[2].

وعد ابن القيم هذه المقولة من الشطحات، وليس الرجاء أضعف المقامات بل هو من أجل المقامات وأشرفها وأعلاها، وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله، وقد مدح الله أهله وأثنى عليهم فقال:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[3].

والرجاء عبودية، وله تعلق بالله من حيث اسمه "المحسن، والبَرُّ"، فذلك التعلق والتعبد بهذا الاسم والمعرفة بالله، هو الذي أوجب للعبد الرجاء، فكل محب راج خائف بالضرورة ، فهو أرجى ما يكون لحبيبه أحب ما يكون إليه.

وبالجملة: فالرجاء ضروري للمؤمن ولو فارقه لحظة لتلف أو كاد، فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله ومترلة عنده يرجو وصوله إليها.

وقد قيل: إن الرجاء والخوف يجب أن يستويا كجناحي الطير، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه نقص.

وللرجاء فوائد جليلة كثيرة: فمنها: إظهار العبودية والفاقة، ومنها أنه حادٍ يحدو في السير إلى الله، فلولا الرجاء ما سار أحد، ومنها: أنه يوجب المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها، ومنها: أنه يبعث إلى أعلى المقامات[4] ، وغيرها كثير، والله تعالى ولي التوفيق.

---

[1] تفسير ابن برجان ورقة ٤٢٢ ، وانظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ٨٠ ب.

[2] انظر: مدارج السالكين جـ٢/٣٨ .

[3] سورة الأحزاب الآية: ٢١ .

[4] انظر: مدارج السالكين جـ٢/٣٧-٥٢ .

المبحث السابع: التوكل عند السالمية.

أولاً: تعريف التوكل وأهميته:

التوكل: توكل على الله وأوكل واتكل: استسلم لله، والتوكل: إظهار العجز، والاعتماد على الغير[١]، وعرفه لغة الزبيدي من السالمية فقال: « الفعل توكلت أتوكل توكلا والأمر توكل يا هذا، والتوكل من صفة الوكل، وهو الذي يكل أمره إلى غيره، فيجعله وكيلاً في أمره ويعتمد في توكله عليه، ويعول في أمره على قصده، والله ــ تعالى ــ وكيل كل مؤمن »[٢].

والتوكل من أهم أعمال القلوب، ومن أعظم المقامات، وأرفعها، وأجل الأعمال الصالحة، وأعظم الطرق الموصلة إلى الله، وهو شرط للإيمان كما قال تعالى:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٣]،وقال:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[٤]،وقال لرسوله ﷺ:﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾[٥]، وقال له : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[٦]، والآيات كثيرة، وفي حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب: « هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون »[٧] وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول:«اللهم لك أسلمت وبك آمنت،وعليك توكلت..»[٨]،

---

[١] انظر: القاموس المحيط ص١٣٨١ مادة (وكل).

[٢] مسألة في التوكل ورقة ٩٣ أ، ب، وانظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٣٢ ب، ١٣٣ أ.

[٣] سورة المائدة الآية: ٢٣ .

[٤] سورة آل عمران الآية: ١٢٢ .

[٥] سورة الأحزاب الآية: ٣ .

[٦] سورة آل عمران الآية: ١٥٩ .

[٧] أخرجه البخاري في (كتاب الطب، باب: أكتوى أو كوى غيره) جـ٤/١٨٢٥ رقم ٥٧٠٥ واللفظ له، وطرفه حديث رقم ٥٧٥٢ ، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب) جـ١/١٩٨-٢٠٠ حديث رقم ٢١٨ .

[٨] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾) جـ٥/٢٣٠٥ حديث رقم ٧٣٨٥ ، ومسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامها) جـ١/٥٣٣ حديث رقم٧٦٩ .

وقد جاء عن بعض السلف كابن عباس وغيره: « التوكل على الله جماع الإيمان »[1]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من أعرض عن التوكل فهو عاص لله ورسوله، بل خارج عن حقيقة الإيمان»[2]، وقد اختلفت عبارات السلف في تعريف التوكل، وحقيقة الأمر: أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور، لا تتم حقيقة التوكل إلا بها، وهي معرفة الرب بصفاته، من قدرته، وكفايته، وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل.

لذلك لا يصح التوكل من الفلاسفة، ولا القدرية النفاة، ولا الجهمية نفاة الصفات، ولا يستقيم إلا لأهل الإثبات، وكذلك لا يستقيم التوكل من نفاة الأسباب، لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه[3].

لذا أجمع وأحسن تعريف للتوكل هو: « صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها »[4].

ثانياً: التوكل عند السالمية:

التوكل كثر فيه كلام السالمية، فتكلم في بعض مسائله أبو الحسن بن سالم رأس السالمية، وشيخه سهل التستري، وأطال أبو طالب المكي فيه، فجعله أعلى مقامات اليقين وعرفه بأنه: « نظام التوحيد وجماع الأمر »[5] وهذا تعريف مختصر جيد، لكنه مجمل.

---

[1] أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف جـ١٠/٣٥٣ رقم ٩٦٣٨ ، والبيهقي في شعب الإيمان جـ٣/٤٨٨ رقم ١٢٦٢ ، قال د. عبد العلي حامد في حاشية الشعب إسناده: جيد.

[2] مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/٣ .

[3] انظر: مدارج السالكين جـ٢/١٢٣ .

[4] جامع العلوم والحكم لابن رجب جـ٢/٤٩٧ ت/شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، ط/ الثالثة ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة الرسالة-بيروت، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/٥٥٠ ، وفتاوى اللجنة الدائمة جـ١/٢٥٢ فتوى رقم ٩٥٨٠ ، ط/ الأولى ١٤١١هـ الناشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.

[5] انظر: القوت جـ٢/٣ .

ويقول أبو طالب المكي: « أول التوكل ترك الاختيار »[١]، وهذا قد يفهم منه القول بالجبر.

وسئل أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم عن معنى قول النبي ﷺ: « ما أطيب ما أكل الرجل: من كسب يده » فقال له السائل: نحن مستعبدون بالاكتساب إذا؟ فقال: « الكسب سنة الرسول ﷺ، والتوكل حال رسول الله ﷺ، وإنما استن لهم الكسب، لعلمه بضعفهم، حتى إذا عجزوا عن التوكل الذي هو حاله، وسقطوا عن مرتبته في التوكل ودرجته، وقعوا في الاكتساب [الذي هو][٢] سنته، ولو لا ذلك لهلكوا[٣]. فهو يرى أن التوكل ترك الكسب.

وقال سهل شيخه: « من طعن في الكسب فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان »[٤].

أما أبو طالب فقد تناقض كعادته فوضع عنوان "ذكر التكسب والتصرف في المعايش"وقال فيه: « لا يضر التصرف والتكسب لمن صح توكله، ولا يقدح في مقامه، ولا ينقص من حاله » وقال: « التكسب خير من التشرف إلى الخلق واعتياد المسألة » وقال: « قال بعض علمائنا: من أنكر التكسب فقد طعن في السنة، ومن أنكر القعود عن التكسب فقد طعن في التوحيد »[٥]، وهذا ليس بقول سهل السابق، وقال: « المتوكل المتسبب موقن أن الله ــ سبحانه ــ هو المعطي المانع، وأنه هو المسبب الرزاق، وأنه هو الأول في التصريف والآخر في التقليب »[٦]، والأصل عنده أن التكسب ليس بفرض إلا بشرطين: وجود العيال، وعدم كفايتهم، أو يقطع عدمه عن فرض ويضعف عنه مع فقد ما يقام به الفرض مما لا بد منه[٧].

---

(١) القوت جـ٢/٧ .

(٢) كذا في تفسير سهل ص٦٩ وفي الأصل (التي هو).

(٣) انظر: اللمع للسراج ص١٦٢ ، وتفسير سهل ص٦٩ .

(٤) تفسير سهل ص٦٩ ، وانظر: كلام سهل ص٣٠٤ ، واللمع ص٢٥٩ ، ونقله ابن القيم في المدارج جـ٢/١٢١ ، وقال بعد مقارنته بقول آخر: "وقول سهل أبين وأرفع".

(٥) القوت جـ١/٢٥-٢٦ .

(٦) نفس المرجع جـ٢/٢٩ .

(٧) انظر: نفس المرجع جـ٢/٣٠.

وعنون بذكر الادخار مع التوكل، وذكر فيه أن التوكل إذا صح لم يضر معه الادخار[١].

ولما ذكر التداوي نقل عن سهل التستري أن مذهبه ترك التداوي: « وإن أضعف[٢] عن الطاعات، وقصر عن الفرائض أفضل من التداوي لأجل الطاعات، وكانت به علة فلم يكن يتداوى منها، وقد كان يداوي الناس منها، وكان إذا رأى العبد يصلي من قعود، أو لا يستطيع أعمال البر من الأمراض، فيتداوى للقيام في الصلاة، والنهوض إلى الطاعة، يعجب من ذلك ويقول: صلاته من قعود مع رضاه بحاله أفضل له من التداوي للقوة، ويصلي من قيام »[٣].

وذكر أبو طالب باباً آخر في التداوي رجح فيه أن تركه أفضل وهو طريق الأقوياء الصابرين، وكذلك ترك التكسب[٤]، ولا يصح ما ذكره في التكسب، أما التداوي فمذهب الإمام أحمد والشافعي في الثاني وهو مذهب الجمهور أنه مباح، ويرى الأحناف أنه مؤكد حتى يداني الوجوب، ويرى مالك: أنه يستوي تركه وفعله، وأوجبه بعض الشافعية[٥].

ثم جعل أبو طالب من آخر المسائل في التوكل ذكر فضل التارك للتكسب، ففضل فيه ترك التكسب اشتغالا بالعبادة، وأيد رأيه بروايات عن الحسن البصري ـــ رحمه الله ـــ[٦].

والذي عليه أئمة المسلمين وجمهورهم أن: « الكسب يكون واجباً تارة، ومستحباً تارة، ومكروهاً تارة، ومباحاً تارة، ومحرماً تارة، فلا يجوز إطلاق القول بأنه ليس منه شيء واجب، كما لا يجوز إطلاق القول بأنه ليس منه شيء محرماً »[٧] فالكسب مما يجرى عليه الأحكام الخمسة فيكون واجباً على المكلف في قوت نفسه ومن يعول،ويكون مستحباً في قوت من لا تجب عليه

---

[١] انظر: القوت جـ٢/٣٢ .

[٢] أي المرض.

[٣] نفس المرجع جـ٢/٣٨ ، وقد ردّ عليه ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص٢٩١ كما سيأتي.

[٤] انظر: نفس المرجع جـ٢/٤٣ .

[٥] انظر: تيسير العزيز الحميد ص١١١-١١٢ ، والتوكل على الله وعلاقته بالأسباب تأليف د.عبد الله الدميجي ص٢١٥-٢١٦، ط/الأولى ١٤١٧هـ الناشر دار الوطن الرياض .

[٦] انظر: القوت جـ٢/٤٧ .

[٧] قاعدة في الرد على الغزالي في التوكل تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ت/علي الشبل ص١٤٦ ط/ الأولى ١٤١٦هـ الناشر دار الصميعي – الرياض.

النفقة عليهم، ويكون مباحاً فيما فضل عن حاجته ومن يعول، ويكون مكروهاً في الكسب الذي فيه شبهة، ويكون حراماً كالربا والغش وغيره.

لذلك لا يصح ما ذكره أبو طالب من أن التكسب ليس بفرض.

وقد أطال أبو طالب في التكسب وفعل الأسباب وتناقض، ويفهم من كلامه كلا الأمرين:

أحدهما: جواز التكسب وأنه لا يناقض التوكل.

ثانيهما: فضل ترك التكسب، وترك الأخذ بالأسباب، وأن الآخذ بالأسباب يناقض التوكل، والرضا بالقضاء والقدر، وهذا هو مذهبه الحقيقي، الذي يوافق مذهبه في القدر.

ثم قسم مقامات التوكل فقال: « وبعضهم أعلى مقاماً من بعض، وبعض هذه المشاهدات أقرب وأرفع فأعلاها: من توكل عليه للإجلال والتعظيم، وأوسطها: من توكل عليه للمحبة والخوف، وأدناها: من توكل تسليماً له وتحبباً إليه »[1].

والصواب أنه يجب التوكل عليه لهذه الأمور جميعاً، ومن نقص واحداً منها فهو على خطر، فمن لم يعظم الله لم يتوكل عليه، ومن لم يسلم له لم يتوكل عليه، ومن لم يحبه ويخافه لم يتوكل عليه، بل من ترك واحداً منها لم يعبد الله تعالى حق عبادته، فهذا التقسيم لا يصح ولا دليل عليه.

وختم الكلام على التوكل بأن هذا هو توكل العموم، قال: « وقد ذكرنا أيضا من توكل العموم ما يستحي العارفون من ذكره، ويترهون قلوبهم عن فكره، وهو التوكل عليه في القلوب، وقدطوينا ذكر توكل خصوص الخصوص من صديقي المقربين لأنه لا يحتمله عقل عاقل ولا يسع أن يستودع في كتاب الناقل، إذ ربما نظر فيه منكر جاهل »[2].

ودعوى السر سبق الرد عليها، وإذا كان توكل خصوص الخصوص لا يحتمله عقل عاقل، فلم يكلفنا الله ــ تعالى ــ به، قال تعالى:﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾[3]، فهذا لا طاقة لأحد به على فرض صحة دعواه.

وليس الأمر كما ادعى فما هو إلا تفخيم للعبارة، وقد بين بعض الصوفية درجات التوكل، وهي:

---

[1] القوت جـ٢/٦١ .

[2] نفس المرجع جـ٢/٦١ .

[3] سورة البقرة الآية: ٢٨٦ .

الأولى: التوكل مع الطلب ومعاطاة السبب.

الثانية: التوكل مع إسقاط الطلب، وغض العين عن السبب.

الثالثة: التوكل مع معرفة التوكل، النازعة إلى الخلاص من علة التوكل[1].

وممن تكلم في التوكل من السالمية الزبيدي وأجاب عن سؤال لبيان التوكل،وقد أجاب في ثلاث ورقات[2]، وبعده إجابة عن التفويض وهو يربط بينه وبين التوكل[3]، قال في التوكل: « التوكل بطانة العزم لقول الله ﷻ:﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[4] »[5] ويقول: « والله ـ سبحانه ـ وكيل في كل شيء، والعبد يكل أمره إلى الله ويعتمد عليه إذا تردد بين الأمرين[6] مما يفعل وما يترك وترجح عنده أحدهما؛ بمشاورة غيره أو مشاورة نفسه، وبالتوكل تقوى العزيمة في طلب المصالح، وترتكب الأخطار، وبالتوكل تؤمن مخافة غير الله ﷻ، وبه تقوى الثقة بالله أنه كما قال تعالى:﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[7]، وبالتوكل تقتحم اللجج، ويجاهد العدو، ويتجرد من هموم الدنيا، وتتحمل لطلب الآخرة »[8].

وأما عن علاقة الكسب والتداوي بالتوكل فيقول: « يجب التوكل في طلب الرزق من غير بطالة ولا إفساد، وقد سمى النبي ﷺ أهل البطالة والإفساد "المتأكلة"[9] والتوكل يستوي عنده التداوي

---

[1] انظر: مدارج السالكين جـ٢/١٢٩-١٣٥ .

[2] انظر: مسألة التوكل من ورقة ٩٣ إلى ٩٥، وبعض حروف المخطوط غير واضحة. وكأن في الورقة ٩٤ سقط ما بين وجه ٩٤أ و٩٤ب .

[3] انظر: مسألة التفويض من منتصف ٩٥ب إلى ٩٦ وهو مثل سابقه بعض حروف المخطوط غير واضحة، وبعده مسألة في التسليم ولكنها غير موجودة.

[4] سورة آل عمران الآية: ١٥٩ .

[5] مسألة في التوكل ورقة: ٩٣أ .

[6] قد يكون في العبارة سقط، والصواب أنه يجب التوكل سواء تردد أو عزم.

[7] سورة الزمر الآية: ٣٦ .

[8] مسألة في التوكل ورقة ٩٣ ب.

[9] لم أجد هذه اللفظة، ولم ترد عن النبي ﷺ، وقد سمى بعض السلف الصوفية بهذا الاسم. انظر: تلبيس إبليس ص١٨٨-١٩١ لأكلهم أموال الناس بالباطل، وكثرة أكلهم مع البطالة والتسول.

وتركه، لعلمه أن الله ﷻ يفعل ما يشاء، والكسب لا يبطل التوكل، خلافاً لابن كرام[١] »[٢].

ويقـــول: « ولا بد للمتوكل أن يستغني بعصمة الله ﷻ عن كل عصمة ترجى من غيره، ولا يقول لا بد ولا يقول لكن بل يقطع بالثقة بالله »[٣].

ويقـــارن التوكل بالتفويض فيقول: « فكأن التوكل عن ثقة بالكفاية، والتفويض عن ثقة بحسن الرعاية، والتفويض أبلغ التوليات »[٤].

ومـــا ذكره من فضائل التوكل لا خلاف فيها كما وافق الصواب في أن الكسب لا يبطل التوكل، ولكنه يخالف الحق في نفي الأسباب.

وموضع النزاع في التوكل بين الطوائف هو في الأسباب وعلاقتها بالتوكل.

فيقول: « المتوكل يستوي عنده التداوي وتركه لعلمه أن الله ﷻ يفعل ما يشاء، والكسب لا يـــبطل التوكل خلافا لابن كرام، فيعتقد العبد أن حاله مع الحركة هي حاله مع السكون، وأن الله ﷻ يحـــرم مـــن يشاء ويرزق من يشاء، وهكذا التوكل مع التحصن بالقلاع ونحوها[٥]، والله ســـبحانه خالق كل شيء من غير سبب ولا علة، والسبب ليس له سبب، والعلة ليس لها علة،... ولا يجوز أن تسمى العوايد أسباباً »[٦] وهذا باطل، كما ينفي الأسباب ابن برجان[٧].

ثالثاً: التوكل والأسباب.

للـــناس في المسألة أربعة أقوال، فمنهم من هو معتمد على الأسباب بالكلية، ومنهم معرض

---

(١) هـــو أبو عبد الله محمد بن كرام بن عراق بن حزبه السجستاني، يسمى أتباعه الكرامية، وهم من الطوائف المنتسبة للسنة، توفي سنة ٢٥٥هـــ. انظر: السير جـــ١١/٥٢٣ رقم الترجمة ١٤٦، والفرق بين الفرق للبغدادي ص٢١٥-٢٢٥ ، وقد نسب القاضي أبو يعلى للكرامية قولهم « من شرط المتوكل ترك الكسب وسائر الأكساب، وأن من اشتغل بالكسب فإنه غير متوكل ولا متيقن ». انظر: المعتمد ص١٥١ .

(٢) مسألة في التوكل ورقة ٩٣ب ، ٩٤أ .

(٣) نفس المرجع ورقة ٩٤أ وبعده كلام لا علاقة له بهذا الكلام، فهنا سقط، وانظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٣٣ ب.

(٤) مسألة التفويض ورقة ٩٥ب ضمن مجموع له.

(٥) في الأصل كرر (ونحوها).

(٦) مسألة التوكل ورقة ٩٤ أ.

(٧) انظر: شرح الأسماء ورقة ١٣٣ ب.

عنها بالكلية، ومنهم ناف لتأثيرها في المسبب، ومنهم متوسط لذلك، وهي كما يلي:

الأول: الاعتماد على الأسباب بالكلية، من غير نظر لمسببها، وهذا الذي عناه العلماء بأنه شرك في التوحيد، لأن الأسباب ـ على زعمهم ـ هي المسببة بذاتها، وهذا قول العقلانيين والماديين.

الثاني: الإعراض عن الأسباب بالكلية، وأن تحقيق التوكل بالإعراض التام عن الأسباب، وأن الالتفات إليها مناف لحقيقة التوكل، وهذا قول الصوفية[1]، ومنهم السالمية.

وقريباً من هذا القول:

الثالث: هو قول الجبرية نفاة الأسباب، ونفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل البتة، لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه، وقول الجبرية أشنع من قول القدرية في هذا الباب، وبه قال الجهم بن صفوان ومن تابعه كالأشعرية، ويوصف هذا المذهب بأنه نقص في العقل، وطرد هذا المذهب مفسد للدين والدنيا، بل ولسائر الأديان[2]. ومن هؤلاء الزبيدي من السالمية.

الرابع: قيام الجوارح بالأسباب واعتماد القلب على مسبب الأسباب سبحانه وتعالى، وهذا قول أهل السنة والجماعة[3].

وقد ناقش أهل العلم أقوال الصوفية ومنهم السالمية في التوكل، فمنهم: ابن الجوزي حيث قال ـ عندما ذكر بعض أقوال الصوفية في التوكل ـ: « فصل: وفي معنى ما ذكر من تلبيسه عليهم في ترك الأسباب أنه قد لبس على خلق كثير منهم بأن التوكل ينافي الكسب » ثم ذكر قول سهل: « من [طعن في][4] التوكل... »، وقول ابن سالم: « التوكل حال رسول الله ﷺ،... » ثم قال: « هذا كلام قوم ما فهموا معنى التوكل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل، وقد بينا أن التوكل فعل قلب، فلا ينافي حركة الجوارح، ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان

---

[1] انظر: التوكل على الله وعلاقته بالأسباب تأليف د.عبد الله الدميجي ص١٦٣-١٦٥ ، والتوكل أصول وضوابط تأليف هيثم بن جواد الحداد ص١٤٨-١٤٩ بحث في مجلة الحكمة العدد ١٢ صفر ١٤١٨هـ .

[2] انظر: مدارج السالكين جـ٢/١٢٤ ، والتوكل على الله د.الدميجي ص١٧٤-١٧٥ .

[3] انظر: التوكل على الله ص١٧٦ ، والتوكل أصول وضوابط ص١٥١ .

[4] في الأصل (في طعن) ولا يصح.

الأنبياء غير متوكلين » ثم ذكر أعمال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[١].

وقال: « وقد لبس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل، وهو على غاية الخطأ، قال رجل للإمام أحمد بن حنبل ﷺ: أريد أن أخرج إلى مكة على توكل من غير زاد، فقال أحمد: فأخرج في غير القافلة، قال: لا إلا معهم، قال: فعلى جراب الناس توكلت؟ »[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « من الكسب ما يكون واجباً، مثل الرجل المحتاج إلى نفقته على نفسه أو عياله أو قضاء دينه وهو قادر على الكسب، وليس هو مشغولاً بأمر أمر الله به، هو أفضل عند الله من الكسب، فهذا يجب عليه الكسب باتفاق العلماء، وإذا تركه كان عاصياً آثماً، ومنه ما يكون مستحباً، مثل هذا إذا اكتسب ما يتصدق به »[٣].

وذكر أن عامة الأنبياء كانوا يفعلون أسباباً يحصل بها الرزق، وكذلك خيار الأولياء المهاجرون والأنصار[٤].

ومذهب السلف ــ رحمهم الله ــ قيام الجوارح بالأسباب واعتماد القلب على مسبب الأسباب سبحانه. وهو الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وهو المذهب الوسط، فأثبتوا للأسباب تأثيراً في مسبباتها، لكن لا بذاتها، بل بما أودعه الله ــ تعالى ــ فيها، وهي تحت مشيئته وقدرته، ومن أدلتهم: أمره تعالى باتخاذ الأسباب، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[٦]، وقوله: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[٧]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص٢٩١ .

(٢) نفس المرجع ص١٥١ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٣٦/٨ .

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٣٧/٨ .

(٥) سورة النساء الآية: ٧١ .

(٦) سورة الأنفال الآية: ٦٠ .

(٧) سورة البقرة الآية: ١٩٧ .

وفي الحديث عن أنس بن مالك ﷺ: « جاء رجل إلى النبي ﷺ على ناقة، فقال يا رسول الله أدعهـــا وأتوكل؟ فقال: اعقلها وتوكل »[١]، وهذا الحديث أصل في التوكل، وفي الجمع بين اتخاذ السبب والتوكل، والأحاديث كثيرة، وسبق ذكر بعضها في أول المبحث.

وأقـــوال العلماء كثيرة أشرنا إلى شيء منها عند مناقشة آراء السالمية في التوكل، وسيأتي مزيد بحث لهذه المسألة لارتباطها بمسألة القدر[٢].

---

[١] انظر: مدارج السالكين جـــ٢/١١٢-٢١٤ والتوكل على الله د.الدرميجي ص١٧٦-١٩٢ ، والحديث أخرجه الترمذي في (كتاب صفة القيامة، باب: ١٠) وقال: حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه. ا.هـــ.
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـــ١٠/٣٠٣ : رواه الطبراني عن عمرو بن أمية من طرق رجال أحدها رجال الصحيح. ا.هـــ.
و لم أجده في معاجم الطبراني الثلاثة، والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته جـــ١/٢٤٢ رقم ١٠٦٨ .

[٢] انظر: ما سيأتي في ص٧١١ .

الفصل الثاني

توحيد الأسماء والصفات عند السالمية

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول : توحيد الربوبية عند السالمية.

المبحث الثاني : الصفات الاختيارية عند السالمية.

المبحث الثالث : صفات العلم والإرادة والسمع والبصر عند السالمية.

المبحث الرابع : صفتا الاستواء والعلو عند السالمية.

المبحث الخامس : صفتا القرب والمعية عند السالمية.

المبحث السادس: باقي الصفات والأسماء الحسنى عند السالمية.

المبحث السابع : الغلو في الإثبات عند السالمية.

تمهيد:

سبق بيان أقسام التوحيد، وبعض المسائل المتعلقة بتوحيد الألوهية، ولما كان هذا النوع من التوحيد يستلزم القسم الثاني من التوحيد؛ وهو:التوحيد العلمي الخبري بنوعيه توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وقد سبق الحديث هناك عن توحيد الربوبية في معرض رد أحد السالمية على أهل الكلام، في تقرير توحيد الألوهية، فأشير إليه هنا إشارة فقط، وبعد ذلك اذكر توحيد الأسماء والصفات، وهذا النوع من أهم وأوسع المباحث، لأن مسائل الأسماء والصفات من مسائل العقيدة الكبرى التي كانت مثار جدل بين الفرق، بل لم تعرف السالمية وتشتهر إلا بأقوالها في هذا الباب،وهو قولهم في العلو والمعية ومسألة القرآن، والسالمية وافقت ابن كلاب في أصل الكلام المحدث المبتدع في دين الإسلام، وفي الصفات الاختيارية، وفي بعض قوله في مسألة القرآن، لذلك أبدأ هذا الفصل بالكلام على توحيد الربوبية، ثم توحيد الأسماء والصفات ومسائله، أما مسألة القرآن فأفردها في الفصل التالي.

ومباحث هذا الفصل على النحو التالي:

المبحث الأول: توحيد الربوبية عند السالمية.

المبحث الثاني:الصفات الاختيارية عند السالمية وفيه مسائل:

أولاً: تعريف الصفات الاختيارية وأقوال السالمية فيها.

ثانياً: شبهات السالمية في نفي الصفات الاختيارية.

أ- لفظ العرض.

ب- مسألة الخلق والمخلوق.

ج- مسألة التسلسل.

د- المؤثر التام والعلة التامة.

المبحث الثالث: صفات العلم والإرادة والسمع والبصر عند السالمية، وفيه مسائل:

أولاً: صفة العلم عند السالمية.

ثانياً: صفة الإرادة والمشيئة عند السالمية.

ثالثاً: صفتا السمع والبصر عند السالمية.

رابعاً: رد الصفات إلى ثلاث أو ست أو سبع عند السالمية.

المبحث الرابع: صفتا الاستواء والعلو عند السالمية، وفيه مسألتان:

أولاً: صفة الاستواء عند السالمية.

ثانياً: صفة العلو عند السالمية.

المبحث الخامس: صفتا القرب والمعية عند السالمية، وفيه مسألتان:

أولاً: صفة القرب والدنو عند السالمية.

ثانياً: صفة المعية عند السالمية.

المبحث السادس:باقي الصفات والأسماء الحسنى عند السالمية، وفيه مسألتان:

أولاً: باقي الصفات عند السالمية.

ثانياً: الأسماء الحسنى عند السالمية.

المبحث السابع: الغلو في الإثبات عند السالمية.

المبحث الأول: توحيد الربوبية عند السالمية.

الرب في اللغة يطلق على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم ولا يطلق غير مضاف إلا على الله ﷻ[١].

وهو الإقرار الجازم بأن الله ــ تعالى ــ رب كل شيء ومالكه وخالقه، ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك[٢].

وهذا التوحيد يقر به المشركون ولا يكفي في حصول الإسلام، بل لا بد أن يؤتى بلازمه وهو توحيد الألوهية، وقد بين هذا التوحيد من السالمية أبو محمد بن عبد الله البصري، فلما ذكر عدل الربّ ــ تعالى ــ بين أنه مع ذلك: « لم يزل مالكا لهم، وقادراً عليهم، ومتصرفاً فيهم، ولا محيص لهم منه، فخلقهم ﷻ على الفطرة كما أخبر »[٣]، ويعرف الفطرة بأنها: « الإقرار بالربوبية مع الوحدانية »[٤]، وقال في تفسير قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٌ ﴾[٥]: « يعني أنه خلق الكل وقد اعترفوا له بذلك، فمنهم من شكر خالقه واعترف له بالنعم، وبالإخراج من العدم إلى الوجود، فحقق فعله، وقبل من رسله ووحد ربه، ومنهم من كفر ولم يشكر خالقه، وأشرك به ما لا يجوز، وكذب برسله، فصار كافراً بفعله »[٦]، وبين أنهم لا يثابون على هذا التوحيد ما لم يقروا بلازمه فيقول: « ألا ترى أنه لما خلقهم على معرفته لم يصح لهم ولم يقع غير ذلك، ولم يثابوا على ذلك؟ أعني: معرفة الربوبية، وهي الفطرة »[٧]، وقال:

---

[١] انظر: لسان العرب جـ٥/٩٥ مادة (ربب).

[٢] انظر: تيسير العزيز الحميد ص٣٣ .

[٣] أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٤٩٥ .

[٤] نفس المرجع جـ٨/٤٩٤ .

[٥] سورة التغابن الآية: ٢ .

[٦] أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٤٩٦ .

[٧] نفس المرجع جـ٨/٤٩٧ .

« وقد أخبر عن الكفار أنهم يعرفونه مع ردهم على رسله، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1]، وقال سبحانه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[2]،مع آيات كثيرة، وذلك موجود منهم ضرورة، وهم في الجاهلية يعرفونه ولا ينكرونه، ويقولون: إلهنا القديم العتيق، وإله الآلهة، ورب الأرباب، وغير ذلك مع كفرهم »[3].

وبين أن التوحيد الذي جحده الكفار هو توحيد الألوهية كما سبق بيانه، وابن برجان قال قريباً من ذلك، فذكر أن خلق الخلق على فطرة الإسلام حنفاء[4]، وأن معرفة الرب متفق عليها[5]، إلا أنه لا يرد على من لم يعرف هذا التوحيد.

وهـذا الذي ذكره ابن عبد الله البصري هو قول السلف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[6]: « والمقصود هنا هو أنه معروف عند السلف والخلف أن جميع الإنس والجن معترفون بالخالق مقرون به، مع أن جمهور الخلق لا يعرفون النظر الذي يذكره هؤلاء[7]، فعلم أن أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقر في قلوب جميع الإنس والجن وأنه من لوازم خلقهم، ضروري لهم، وإن قدر أنه حصل بسبب »[8]، أما الأدلة من القرآن فسبق ذكر بعضها، أما الحديث فاستدلوا بالحديث القدسي بقول الله ﷻ: « خلقت عبادي حنفاء » والأدلة أوضح وأكثر من أن تحصى.

---

(١) سورة لقمان الآية: ٢٥ .

(٢) سورة الزخرف الآية: ٨٧ .

(٣) أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٥٠٩ .

(٤) انظر: تفسير ابن برجان ورقة ١١ ب.

(٥) انظر: نفس المرجع ورقة ١٢أ ، ٣٥٦ ب ، وانظر أيضاً ورقة ٣٤٦ ب، ٣٤٨ ب ، وشرح الأسماء الحسنى ورقة ١٢ أ.

(٦) سورة الذاريات الآية: ٥٦ .

(٧) أي أهل الكلام.

(٨) درء التعارض جـ٨/٤٨٢ .

أمـــا أبو طالب المكي من السالمية فيزعم أن التوحيد سر، بل يزعم أن إبليس لعنه الله ـــ تعالى ـــ عارف به، إلا أنه لم يعمل بالتوحيد و لم يطع من عرفه وآمن به فكفر[١].

وهـــذا باطل، فإبليس وجميع الخلق يعرفون الرب ـــ تعالى ـــ، وهذا هو الإقرار بالربوبية، وأبوطالب من الصوفية الذين يرون أن الغاية هي مشاهدة توحيد الربوبية والفناء فيه[٢] ولا يعرفون شيئاً سواه، وقد سبق الرد عليه.

والسالمية ممن يقول إن المعرفة بالله ضرورة يبتديها في قلوب البالغين العقلاء[٣].

لذلك لم يتعرضوا لطريقة أهل الكلام في إثبات الصانع، وإن كانوا قد التزموا لوازمها، كما سيأتي في ذكر شبهاتهم في نفي الأسماء والصفات.

---

[١] انظر: القوت جـ٢/٢٢٣ .

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٣/١٢٦ .

[٣] انظر: ما تقدم في ص٢٩٤-٢٩٥.

المبحث الثاني: الصفات الاختيارية عند السالمية.

مسألة الأسماء والصفات مسألة كبيرة عظيمة القدر، اضطرب فيها خلائق من الأولين والآخرين من أوائل المائة الثانية من الهجرة النبوية، فأما المائة الأولى فلم يكن بين المسلمين اضطراب في هذا[1]، ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب وأئمة الدين يتكلمون في ذلك، وينهون على الخوض فيه، ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة[2]، فلما كان أوائل المائة الثانية أحدث الجعد بن درهم بدعة نفي الأسماء والصفات، وأظهرها الجهم بن صفوان، وبالغ في نفي ذلك، فله في هذه البدعة ميزة المبالغة في النفي، والابتداء بكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه[3].

ثم تابعه بعض الطوائف متابعة كلية أو جزئية، لذلك اختلفت أقوال الطوائف في الأسماء والصفات، وأهم هذه الأقوال:

١- قول الجهمية، الذين ينفون الأسماء والصفات جميعاً، ويوافقهم على هذا كثير من الفلاسفة والباطنية وغيرهم، الذين يصفونه بالسلوب والإضافات فقط.

٢- قول المعتزلة الذين ينفون الصفات ويثبتون الأسماء، لكن إثباتهم للأسماء لا يفيدهم شيئاً لأنهم يقولون: إما أنها أعلام محضة لا تدل على صفات، أو يقولون: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة.

٣- قول الأشاعرة الذين يثبتون الأسماء وينفون الصفات، ويتأولون بعضها ــ على اختلاف بينهم ــ أو يفوضون.

٤- قول المشبهة، الذين يثبتون الصفات، ولكنهم يجعلونها من جنس صفات المخلوقين، فيشبهون الله بخلقه.

٥- قول من يتوقف فيها وهم على قولين:

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٣/٦.

[2] انظر: ذم الكلام جـ٤/٣٨٧-٣٨٨ رقم ١٢٦٣ ، وأحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي الفضل المقرئ (منتخبه من رد السلمي على أهل الكلام) ت/ د. ناصر الجديع ص٩٩-١٠١، ط/ الأولى ١٤١٧هـ الناشر دار أطلس – الرياض، والاستقامة جـ١/١٠٨.

[3] انظر: رسالة القرآن كلام الله ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/١١٩.

أ ــ قــالوا: يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله، ويجوز أن لا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.

ب ــ يمسكون عن هذا كله، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث.

٦- بعــض الغــلاة الذين قالوا: إن أثبتنا الصفات شبهناه بالموجودات، وإن نفيناها شبهناه بالمعدومات، ولذا فالأولى سلب النقيضين عنه، فيقال: لا موجود ولا معدوم[١].

٧- قــول أهل السنة الذين يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له الرسول ﷺ من غير تحريف ولا تكييف، ومن غير تمثيل ولا تعطيل، فهم يثبتون الصفات على ما يليق بجلال الله وعظمته.

فهــذه أقــوال الفــرق في هذه المسألة الكبيرة، والسالمية من الذين ينفون ظاهرها فيتأولون الصفات الاختيارية ويفوضون غيرها.

وتقسم الصفات إلى:

أ- **صفات ذاتية**: وهي اللازمة لذات الله ــ تعالى ــ لا تنفك عنها بحال من الأحوال مثل الحياة، والقدرة، والعلم، والعلو، والوجه وغيرها.

ب- **الصــفات الفعلية**: وتسمى الاختيارية: وهي المتعلقة بالمشيئة والإرادة مثل الاستواء، والرزق، والخلق وغيرها[٢].

و لم يذكر هذه التقسيمات من السالمية، إلا ابن برجان، قال: « ومن الصفات ما هي صفات ذات، ومــنها مــا هي صفات أفعال، فمن معاني صفات الفعل هي صفات التي بث معقولاتها في العالم، ... ولذلك صفاته الذاتية وأسماؤه كما تقدم لم يعلمنا منها إلا بما قارب أفهامنا »[٣]، وقال: « اعــلم ــ وفقــك الله ــ أن هــذه الصــفات الــتي هي صفات الذات جَلَّ جَلَالُهُ كالقدرة والعلم

---

[١] انظـر: الصــفدية جــ١/٩٦-١٠١ ، ومجمــوع فــتاوى ابن تيمية ٥/١١٣-١١٧ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جــ٣/١٠٣١-١٠٣٣ .

[٢] الاعتقاد للبيهقي ص٢٦-٢٧ ط/ السلام العالمية -القاهرة ، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٢١٩ وشرح العقيدة الطحاوية ١٢٤ ، ولوامــع الأنــوار البهية للسفاريني جــ١/١٢٣ ، وشرح العقيدة الواسطية تأليف الشيخ خليل هراس ص١٠٥ ، والقواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف تأليف د.إبراهيم البريكان ص٨٧ ، ط/ الثانية ١٤١٥هــ الناشر دار الهجرة الثقبة – الرياض.

[٣] شرح الأسماء الحسنى ورقة ٦٦ أ.

والإرادة، ونحو ذلك »[١].

والسلف ــ رحمهم الله ــ لم يفرقوا بين الصفات، و لم يقولوا بشيء من هذه التقسيمات، بل يثبتون ما ثبت في الكتاب والسنة، وينفون ما نفاه، لكن لما ظهرت الفرق وذكرت هذه الأقوال المبتدعة اضطر السلف للرد عليهم بنفس الأسلوب والطريقة، وبينوا الحق من هذه التقسيمات[٢].

أولاً: تعريف الصفات الاختيارية وأقوال السالمية فيها:

الصفات الاختيارية:«هي الأمور التي يتصف بها الربّ ﷻ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، مثل كلامه، وسمعه وبصره، وإرادته، ومحبته، ورضاه، ورحمته، وغضبه، وسخطه، ومثل خلقه، وإحسانه، وعدله، ومثل استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة »[٣].

وأطلق عليها اختيارية، لأن تخير الشيء يعني اختاره، وخيره بين شيئين يعني فوض إليه الخيار، وأنت بالمختار أي اختر ما شئت[٤]، وفعلية، لأن الفعل كناية عن كل عمل متعد أو غير متعد[٥].

وقاعدة الصفات الفعلية قاعدة كبيرة، ومعرفة الإنسان بما نعت الله به نفسه من الصفات الفعلية من أعظم الأصول[٦]، وعلى النزاع في هذه المسألة ينبني النزاع في مسائل هامة وكثيرة، مثل النزاع في مسألة القرآن، والمحبة وغير ذلك[٧].

ومآل القائلين بنفي أفعال الرب الاختيارية القائمة به في مسألة قدم العالم إما الحيرة، أو التوقف، وإما إلى المعاندة والسفسطة، فيكونون إما في الشك وإما في الإفك[٨].

---

(١) نفس المرجع ورقة ٧٦ أ.

(٢) انظر:أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة د. محمد الخميس ص٣٠٦ ، ط/ الأولى ١٤١٦هـ الناشر دار الصميعي -الرياض، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة للجامي ص١٩٩ ط/ الثانية ١٤١١هـ ولم يذكر الناشر.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٢١٧ .

(٤) انظر: تاج العروس للزبيدي جـ١١/٢٤٤ ، ٢٤٦ مادة (خير)، ولسان العرب جـ٤/٢٦٦ مادة (خير).

(٥) انظر: لسان العرب جـ١١/٥٢٨ مادة (فعل).

(٦) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١١/٦٤ ، ١٦/٣٧٢.

(٧) انظر: درء التعارض جـ٢/١٨.

(٨) انظر:درء التعارض جـ٩/٣٦٨، و مجموع فتاوى ابن تيمية١٣/١٥٣.

وقد اختلفت الطوائف في هذه الصفات بناء على الافتراق السابق، على أقوال:

١- الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم، قالوا: لا يقوم بذات الرب ــ تعالى ــ شيء من هذه الصفات ولا غيرها.

٢- الكلابية ومن وافقهم من السالمية وغيرهم، على مسلكين، الأول: جعلوها صفات ذاتية لا تتعلق بمشيئة الله وقدرته، والثاني: ما يكون بمشيئته وقدرته، فلا يكون إلا مخلوقاً منفصلاً عنه.

٣- السلف وأئمة السنة والحديث، وكثير من أهل الكلام والفلسفة، قالوا: إن الربّ ــ تعالى ــ متصف بالصفات الاختيارية، كما نطق به الكتاب والسنة[1].

والسالمية كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ يوافقون الكلابية، كما يوافقونهم في التفريق بين الصفات اللازمة والصفات الاختيارية قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وسلك طريقة ابن كلاب ــ في الفرق بين الصفات اللازمة كالحياة، والصفات الاختيارية، وأن الربّ يقوم به الأول دون الثاني ــ كثير من المتأخرين...

وكذلك سلك طريقة ابن كلاب هذه أبو الحسن بن سالم وأتباعه السالمية، والقاضي أبويعلى وأتباعه: كابن عقيل، وأبي علي الزاغوني... ولكنهم افترقوا في القرآن، وفي بعض المسائل ــ بعد اشتراكهم في الفرق الذي قرره ابن كلاب ــ »[2] ...، والأصل الذي قرره ابن كلاب أن الربّ لا يقوم به ما يكون بمشيئته وقدرته، ويسمونها حلول الحوادث، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « فلما كان من أصل ابن كلاب ومن وافقه، كالحارث المحاسبي... : أن الربّ لا يقوم به ما يكون بمشيئته وقدرته، ويعبرون عن هذا بأنه لا تحله الحوادث، ووافقوا في ذلك الجهم بن صفوان، وأتباعه من الجهمية والمعتزلة، صاروا فيما ورد في الكتاب والسنة من صفات الربّ على أحد قولين: إما أن يجعلوها كلها مخلوقات منفصلة عنه، فيقولون: كلام الله مخلوق بائن عنه، لا يقوم به كلامه، وكذلك رضاه، وغضبه، وفرحه، ومجيئه وإتيانه، ونزوله وغير ذلك، هو مخلوق منفصل عنه، لا يتصف الربّ بشيء يقوم به عندهم، وإذا قالوا هذه الأمور من صفات الفعل: فمعناه أنها عن الله بائنة، وهي مضافة إليه، لا أنها صفات قائمة به...، وإما أن يجعلوا جميع هذه

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٢١٧-٢١٨، وانظر: درء التعارض جـ٢/٣٤٢-٣٤٣، وجامع الرسائل جـ١/١٥٩.

[2] مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٣٦٧-٣٦٨ .

المعاني قديمة أزلية، ويقولون نزوله ومجيئه، وإتيانه، وفرحه، وغضبه، ورضاه، ونحو ذلك قديم أزلي، كما يقولون القرآن قديم أزلي.

ثم منهم من يجعله معنى واحداً، ومنهم من يجعله حروفاً أو حروفاً وأصواتاً قديمة أزلية، مع كونه مرتباً في نفسه، ويقولون: فرق بين ترتيب وجوده وترتيب ماهيته... »[١]، وقوله: « منهم من يجعله حروفاً أو حروفاً وأصواتاً قديمة أزلية...» هو قول السالمية وممن وافقهم كابن الزاغوني[٢]،

وأما مخالفتهم لابن كلاب فهي في مسألة القرآن،مع أن السالمية جميعهم اتفقوا على أن صفة الكلام ذاتية، أما بقية الصفات الفعلية فهذه أقوالهم، فقد سلك أبو الحسن بن سالم مسلك الكلابية الأول وجعل الصفات الفعلية صفات ذات، وتابعه أبو طالب، قال أبو طالب المكي: « ومن قال إن الله ــ سبحانه ــ نظر بعد أن لم ينظر، أو علم بعد أن لم يعلم، أو تكلم بعد أن لم يتكلم، فقد قال بحدوث الصفات، وقدم عليها معلومات »[٣].

ويقول: « كانت صفاته كلها آحاداً كاملات تامات، غير محدودة للمحدودات ولا مؤقتة مرتبة للمرتبات المؤقتات، إذ لم يكن لها محدثات، لأنها قديمة بقدمه وكائنة موجودة بكونه ووجوده »[٤].

ويقول أيضاً: « وإن صفاته قائمة به لم تزل كذلك، ولا يزال بلا نهاية ولا غاية ولا تكييف ولا تشبيه »[٥]، ويقول: « كائن لم يزل، ولا تزال الكينونية صفته لم يحدثها »[٦]، ويقول عن صفة المحبة: « ومحبة الله سابقة للأسباب عن كلمته الحسنى، قديمة قبل الحادثات عن عنايته العليا، لا تتغير أبداً، ولا تنقلب لأجل ما بدا »[٧]، ويقول: « والاستواء صفته لم تزل به، ثم أخبر عنه أنه أخر الترتيب »[٨].

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٤١١-٤١٢.

[٢] انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد لابن عيسى جـ١/٢٨٨ .

[٣] القوت جـ٢/١٤٦، ولعل الصواب: المعلومات.

[٤] نفس المرجع جـ٢/١٤٤.

[٥] نفس المرجع جـ٢/١٣٨.

[٦] نفس المرجع جـ٢/١٣٧ .

[٧] نفس المرجع جـ٢/٨٦ .

[٨] نفس المرجع جـ٢/١٤٥ .

ويقول: « هو سامع متكلم بنفسه، من حيث كان عالماً مقتدراً مريداً بنفسه »[١].

وينقل عن الداراني في الغضب والرضا فيقول: « إن الله ﷻ أعز من أن يغضبه أفعال خلقه، لكنه نظر إلى قوم بعين الغضب قبل أن يخلقهم، فلما أظهرهم استعملهم بأعمال أهل الغضب فأسكنهم دار الغضب، وهو أكبر من أن يرضيه أفعال خلقه، ولكنه نظر إلى قوم بعين الرضا قبل أن يخلقهم، فلما أظهرهم استعملهم بأعمال أهل الرضا، فأسكنهم دار الرضا »[٢].

ويقول: « ولا يجوز أن يدرك سبحانه وتعالى اليوم ما لم يكن أدركه في القدم، كما لا يجوز أن يستفيد الآن علم ما لم يكن علمه فيما لم يزل »[٣] وكلامه كثير جداً في إثبات هذا الأصل، مع اضطرابه، فيقول في أول كلامه: « وإنه تعالى ذو أسماء وصفات وقدرة وعظمة وكلام ومشيئة وأنوار، كلها غير مخلوقة ولا محدثة، بل لم يزل قائماً موجوداً بجميع أسمائه وصفاته وكلامه وأنواره وإرادته، وأنه ذو الملك والملكوت، والعزة والجبروت، له الخلق والأمر والسلطان والقهر، يحكم بأمره في خلقه وملكه، ما شاء كيف شاء، لا معقب لحكمه ولا مشيئة لعبد دون مشيئته، إن شاء شيئاً كان، ولا يكون إلا ما شاء،... هو كما وصف نفسه وفوق ما وصف خلقه، نصفه بما ثبتت به الرواية وصحت عن رسول الله ﷺ، وأنه ليس كمثله شيء في كل شيء بإثبات الأسماء والصفات، ونفى التمثيل والأدوات »[٤] وهذا الكلام ينقضه ما جاء بعده، وهو الكلام السابق، ويقول بمسائل أخرى مثل: إرجاع الصفات أو بعضها لصفة العلم، وإدراك صفة من الصفات ما أدركه بالصفة الأخرى، وهو يوافق أهل الكلام في تسمية صفات الأفعال، بالأعراض فيقول: « ولا تحله الأعراض»[٥]، ويرجع سبب قوله هذا حتى لا يلزمه القول بقدم العالم فيقول:«فمن شهد ما فصلناه بنور اليقين لم يدخل عليه قدم العالم،...ومن لم يهتد بما بيناه ووقف مع العقل،دخلت[٦]

---

[١] القوت جـ٢/١٤٥ .

[٢] نفس المرجع جـ٢/١٤٤-١٤٥ .

[٣] نفس المرجع جـ٢/١٤٥-١٤٦ .

[٤] نفس المرجع جـ١/١٣٧-١٣٨ .

[٥] نفس المرجع جـ٢/١٣٧ .

[٦] في الأصل زاد واو (ودخلت) ولا يستقيم المعنى.

عليه شبهة قدم العالم، فألحد برؤيته قدم الحدثان »[١].

ومـــن هذا يتضح أن أبا طالب المكي يقول بالمسلك الأول من مسالك الكلابية، وهو أن: « يجعلوا جميع هذه المعاني القديمة أزلية، ويقولون: نزوله، ومجيئه، وإتيانه، وفرحه، وغضبه، ورضاه، ونحـــو ذلك قديم أزلي »[٢]، ولكن لتأثره بالصوفية والكلابية والمعتزلة وغيرهم، ذكر اعتقاده بهذه الطريقة المضطربة، حيث يذكر القول وما قد يناقضه، بطريقة مجملة جداً، فقد ذكر ما يفهم منه أنه يـــرد الصفات إلى العلم والقدرة والمشيئة، أو يردها إلى صفة العلم فقط، كما يردها ابن برجان إلى سبع صفات[٣].

وابن برجان متابع لأبي طالب المكي في اعتقاده بل ناقل عنه بألفاظه فمما ذكر أن صفات الفعل قديمة[٤]، وأن علمه هو صفة ذاته[٥]، غير أنه سلك مسلك الكلابية الثاني فيقول: « فمن معـــاني صفات الفعل هي صفات الفعل التي بث معقولاتها في العالم »[٦]، وهو أقل تناقضاً من أبي طالب.

وأما الزبيدي فيقول: « يوصف الله ﷻ بأنه خالق لم يزل، رازق لم يزل، ولا يوصف بأنه لم يـــزل خالقاً و لم يزل رازقاً، إلا على معنى الاستقبال، والقول في إثبات خالق رازق صفة واحدة نفسية لا فعلية »[٧]، وهذا قول المتكلمين[٨].

وقال: « كلامه تعالى صفة ذاته »[٩]، ويرى أن صفتي الغضب والرضا قديمتان[١٠].

---

[١] نفس المرجع جـ٢/١٤٦ .

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٤١٢ .

[٣] انظر: ما سيأتي ص٤١٠.

[٤] انظر: تفسير ابن برجان ورقه ١٥ ، ٣٤٣ أ، وشرح الأسماء الحسنى ورقه ٥٧ ، ١٥ ب - ١٩ أ.

[٥] انظر: نفس المرجع ورقة ٣٥٣ أ، وشرح الأسماء الحسنى ورقه ١٧ ب.

[٦] انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ٦٦ أ.

[٧] أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٤٠ ب .

[٨] انظر: المقالات جـ٢/٢٢٤ .

[٩] جواب عن عبادة الحروف ورقة ٨٨ أ .

[١٠] انظر: نفس المرجع ورقة ٤٦ أ .

فمن هذا يتضح موافقتهم للكلابية.

أمـــا أبو محمد بن عبد الله البصري فيذكر ألفاظ المتكلمين، فيقول: « فلما ثبت أنه القديم الأزلي وحـــده وما سواه محدث » وقال: « فالله سبحانه هو المعروف الأزلي »[1]، لكن لم أجد له كلاماً في الصفات الاختيارية.

وأما أبو علي الأهوازي فظاهر منهجه مجانبة الكلام، وترك التأويل، وإثبات الصفات، لكن لا يوجـــد لدينا أقوال له في هذه المسألة، سوى نقل ابن عساكر عنه أنه يجرى الصفات على الظاهر[2]، ويؤيـــد هذا أن شيخ الإسلام ابن تيمية ذكر أن السالمية ممن يثبتون الصفات الفعلية فيقول: « وصفه تعالى بالصفات الفعلية مثل الخالق، والرازق، والباعث، والوارث، والمحي، والمميت، قديم عند أصحابنا وعامة أهل السنة: من المالكية والشافعية والصوفية، ذكره محمد بن إسحاق الكلاباذي[3]، حتى الحنفية والســـالمية والكرامية، والخلاف مع المعتزلة والأشعرية »[4]، ثم ذكر أن القاضي أبا يعلى ذكر ذلك في مسائل الخلاف مع السالمية، فهذه طائفة والتي قبلها طائفة أخرى.

وقـــد نسب هذا القول للسالمية القاضي أبو يعلى فقال: « ومن قولهم (أي السالمية): إن الله لم يزل خالقاً »[5]، ونسب لهم الشيرازي التأويل، وسيأتي ذكر كلامه.

ويتضح منهج أبي طالب المكي في كلامه على صفة السمع فيقول: « وقال تعالى في سماع الأصوات قبل الأشباح وخلقها ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾[6]، فأخبر أنه سمـــع الأصوات في القدم في علمه قبل خلق المصوتين في الحديث »[7]، وقال في صفة البصر ـــ بعـــد هذا القول ـــ: «فكيف لايرى الكون عن آخره في القدم بعلمه قبل ظهورهم له متصورين

---

[1] انظر: أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعرض جـ٨/٥١٩ ، ٥٢٦ .

[2] انظر: تأريخ مدينة دمشق جـ١٣/١٤٥ ، وتبيين كذب المفتري ص٢٦٥ .

[3] انظـــر: التعرف ص٣٨-٣٩ الباب السابع: اختلافهم في أنه لم يزل خالقاً، وذكر أن الجمهور والأكثرون من القدماء منهم والكبار على إثباتها.

[4] مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٢٦٨ .

[5] انظر: المعتمد ص٢٢٠ ، ٢٢١ .

[6] سورة المجادلة الآية: ١ .

[7] القوت جـ٢/١٤٥ ، وانظر: شرح الأسماء الحسنى ورقه ١٧ ب.

بفعلــه »[1] وســيأتي مزيد إيضاح لأقواله في هذه الصفة وغيرها، وهذا باطل قالت عائشة ــ رضــي الله عــنها ــ: « الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه، وأنا في ناحية البيت، تشكو زوجها وما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﷻ:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ إلى آخر الآية »[2].

ويتضح هذا المنهج جلياً في صفة الاستواء، والقرب والمعية، وصفة الكلام، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، وقد أُفردت كما سيأتي.

ثانياً: شبهات السالمية في نفي الصفات الاختيارية:

الســالمية في صفات الأفعال أو الاختيارية، تابعوا الكلابية، وسبب هذا القول من الكلابية مــناظرة ابن كلاب للمعتزلة بطرق قياسية « سلم لهم فيها أصولاً هم واضعوها، من امتناع تكلمه تعالى بالحروف، وامتناع قيام الصفات الاختيارية بذاته »[3].

ولهذا التزم الكلابية شيوخ السالمية اللوازم الفاسدة لدليل الأعراض وحدوث الأجسام.

وخلاصته: أن إثبات حدوث العالم لا يمكن إلا بإثبات حدوث الأجسام، وحدوث الأجسام يُعلم بلزومها للأعراض، أو بعضها، والأعراض هي الصفات[4].

واقتضــى ذلك نفي حلول الأعراض بذات الله ــ تعالى ــ، التي هي الصفات لأنه يلزم أن يكــون جســماً إذا قامت به الصفات، وأطلقوا على صفات الأفعال القائمة بالله ــ تعالى ــ اسم الأعراض، فنفوا قيامها بالله ــ تعالى ــ لأنها تعرض وتزول، وأثبتوا ما سواها من الصفات لأنها

---

[1] القوت جــ٢/١٤٥ .

[2] أخرجه النسائي في (كتاب الطلاق، باب: الظهار) جــ٦/١٦٨ حديث رقم ٣٤٦٠، وابن ماجه في (المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية) جــ١/٣٦-٣٧ حديث رقم ١٧٦ واللفظ له، وأخرجه البخاري معلقا مختصرا في (كتاب التوحيد باب قول الله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾) جــ٥/٢٣٠٦ ، وقال ابن حجر في الفتح جــ١٢/٤٦٢: « وهو أصح ما ورد في قصة المجادلة » ا.هـــ.

[3] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٣٧٦ .

[4] انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية تأليف د.عبد القادر ابن محمد عطا الصوفي جــ١/٣٢٢-٣٢٣ ، ط/ الأولى ١٤١٨هـــ الناشر مكتبة الغرباء الأثرية– المدينة، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جــ٣/٩٩٧ .

باقية لا تزول ولا تعرض[١].

ولهذا لما كان خلق الله العالم بعد أن لم يكن العالم موجوداً هو قول بحلول الأعراض بالرب ــ تعالى ــ، قالوا: الخلق فعل قديم، وإن كان المخلوق حادثاً، ونفوا قيام صفة الخلق بالله ــ تعالى ــ عند حدوث المخلوق، أو عند فعل المراد.

وهي مسألة الخلق والمخلوق، ويقال في الخلق مثل ما يقال في الكلام والاستواء وجميع صفات الأفعال.

ولكي يثبتوا حدوث العالم قالوا بامتناع حوادث لا أول لها بناء على أن التسلسل ممتنع، وبناء عليه قالوا: إن الله ــ تعالى ــ لم يكن قادراً على الفعل في الأزل ثم صار قادراً، أو قالوا: إن الفعل كان ممتنعاً عليه تعالى ثم صار ممكناً.

وهي مسألة التسلسل.

والسالمية لا يوجبون النظر كما سبق، ومن أوجب النظر منهم، لم يذكر دليلاً على ذلك[٢]، ولكنهم استدلوا ببعض ألفاظ دليل الأعراض وحدوث الأجسام في نفي الصفات الاختيارية، فمن ذلك قول أبي طالب المكي: « والله ــ جلّ وعظم شأنه ــ هو ذات منفرد بنفسه، متوحد بأوصافه، لا يمتزج ولا يزدوج إلى شيء، بائن من جميع خلقه، لا يحل الأجسام، ولا تحله الأعراض، ليس في ذاته سواه، ولا في سواه من ذاته شيء »[٣] فهو يشير إلى لفظ الأعراض.

وقال أيضاً: « فمن شهد ما فصلناه بنور اليقين لم يدخل عليه قدم العالم، ...ومن لم يهتد لما بيناه ووقف مع العقل، دخلت عليه شبهة قدم العالم، فألحد برؤية الحدثان »[٤].

وقال ابن برجان: « الإجماع من علماء المسلمين ــ رضي الله عنهم وعنا ــ قد [أطبق][٥] على تنزيهه ﷻ عن أن يكون محلاً للحوادث »[٦]، وقال: « فاحرص ــ رحمنا الله وإياك ــ

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٣٦ ،٤٠ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/٩٩٧ .

[٢] انظر: ما تقدم في ص٢٩٨.

[٣] القوت جـ٢/١٣٧ .

[٤] نفس المرجع جـ٢/١٤٦ ، وسبق بيان أن العبارة جاءت بزيادة واو على كلمة (دخلت) والصواب حذفها.

[٥] في الأصل رسمت (اصفق) ولا معنى لها.

[٦] شرح الأسماء الحسنى، ورقة ٧ ب.

عـلى تقرير العلم بتحقيق معرفة الأحدية فبذلك ينتفي عنك ــ إن شاء الله ــ القول بقدم العالم، وينتفي عنك شبه تكثر الصفات »[١].

وقال الزبيدي: « يوصف الله ﷻ بأنه خالق لم يزل، رازق لم يزل، ولا يوصف بأنه لم يزل خالقاً، و لم يزل رازقاً، إلا على معنى الاستقبال »[٢].

وهذا قول أهل الكلام[٣]، ومعناه: لم يكن قادراً على الخلق في الأزل ثم صار قادراً.

فهنا يرميان إلى مسألتي الخلق والمخلوق، والتسلسل.

لذا لا بد من رد هذه الشبه وهي:

أ ــ لفظ الأعراض.

ب ــ مسألة الخلق والمخلوق.

ج ــ مسألة التسلسل.

د ــ المؤثر التام والعلة التامة.

أ ــ لفظ الأعراض:

العرض عند أهل اللغة بالتحريك هو: « ما يعرض للإنسان من مرض ونحوه »[٤].

وأمـا أهـل الكلام فاختلفوا في تعريفه، فعند المعتزلة ومن وافقهم: « ما قام بغيره كالحياة والعلم، والقدرة، والحركة والسكون ونحو ذلك »[٥].

وعـند الكلابيـة ومن وافقهم ومنهم السالمية وغيرهم: هو ما يعرض لمحله، وهو لا يبقى زمانين، ويقولون: إن صفات الله باقية، بخلاف ما يقوم بالمخلوقات من الصفات، فإنها لا تبقى زمانين[٦].

وبهذا يعلم أن لفظ العرض من الألفاظ المجملة، فإن أريد بنفي العرض نفى الصفات رد القول

---

[١] نفس المرجع ورقه ١٨ ب.

[٢] أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٤٠ ب .

[٣] انظر: المقالات جـ٢/٢٢٤ .

[٤] مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٢١٥ ، ولسان العرب جـ٧/١٦٩ مادة (عرض).

[٥] مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٢١٥ .

[٦] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٤٠ ، وجـ٥/٢١٦ .

على صاحبه، وإن أراد نفي المرض والأفة والعاهة فهذا نفي صحيح موافق للكتاب والسنة.

١- قاعدة أهل السنة في الألفاظ المجملة هي أن: « ما تنازع فيه المتأخرون نفياً وإثباتاً؛ فليس على أحد بل ولا له أن يوافق على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً رد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً، ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى »[١].

٢- قال ابن عقيل[٢]: « أقطع أن الصحابة ماتوا ولم يعرفوا الجوهر ولا العرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر، فبئس ما رأيت »[٣]، وهذا: « قول محدث في الإسلام، لم يقله أحد من السلف والأئمة »[٤].

٣- مقولة أن العرض لا يبقى زمانين: مخالفة للحس، ولما يعلمه العقلاء بضرورة عقولهم، « فإن كل أحد يعلم أن لون جسده الذي كان لحظه هو هذا اللون، وكذلك لون السماء، والجبال، والخشب، والورق، وغير ذلك »[٥].

فتبين من هذا أن هذا اللفظ أصله من دليل كلامي، بين العلماء بطلانه، وتسمية المسمي للصفات أعراضاً أمر اصطلاحي لمن قاله، ولا يؤثر في الحقائق المعلومة بالسمع والعقل[٦].

ب ـ مسألة: هل الخلق هو المخلوق أو غيره؟

هذه المسألة مشهورة بين المتكلمين ويطلقون عليها مسألة التكوين ويعرفونها بأنها المعنى الذي يعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والإيجاد والإحداث والاختراع ونحو ذلك.

بيان ذلك: أنه إذا كان من المتفق عليه بين جميع الطوائف أن الله ـ تعالى ـ هو الذي خلق

---

(١) التدمرية لابن تيمية ت/ السعوي ص٦٥-٦٦ ، ط/ الأولى ١٤٠٥هـ ولم يذكر الناشر، وانظر: القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف د. البريكان ص١٩٥ .

(٢) هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي، الحنبلي، المتكلم، شيخ الحنابلة، انحرف عن السنة للاعتزال، ثم تاب ورجع، (ت ٥١٣هـ). انظر: السير جـ١٩/٤٤٣-٤٥٠ رقم الترجمة ٢٥٩ ، والأعلام جـ٤/٣١٣ .

(٣) تلبيس إبليس ص٨٨ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٣١٨ .

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٦/٢٧٥ .

(٦) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٣١٩ .

السموات والأرض، كما اتفقوا على أن هذه المخلوقات وجدت منفصلة عنه، إلا أنهم اختلفوا في أنه تعالى لما خلقها هل قامت به صفة الخلق، أو أن الخلق هو نفس المخلوق من غير أن تقوم به صفة؟ فهذه المسألة سبب في الخلاف في الصفات الفعلية أو الاختيارية، وارتباطها بها قوي جداً.

فإنه من المعلوم أن السموات والأرض أو غيرهما من المخلوقات ليست مخلوقة منذ الأزل، بل هي حادثة، فحين خلقها الله لابد أن تكون قد تجددت له صفة لم تكن موجودة من قبل، فبخلقه للسماء قامت به صفة الخلق لها لأن السماء لم تكن مخلوقة من قبل، ومعنى ذلك ـــ حسب تعبير أهل الكلام ـــ أن الله حلّت به الأعراض التي لم تكن موجودة من قبل.

وقد اختلفت الفرق على قولين:

الأول: الأشعرية ومن وافقهم قالوا: بأن الخلق هو المخلوق.

الثاني: قال الجمهور الخلق غير المخلوق ثم اختلفوا على عدة أقوال:

١- قالت الكلابية والماتريدية وكثير من الفقهاء: إن الخلق فعل قديم، وإن كان المخلوق حادثاً، ونفوا قيام صفة الخلق بالله ـــ تعالى ـــ عند حدوث المخلوق، أو عند فعل المراد، وربطوه بالتكوين القديم.

٢- قالت الكرامية والهشامية: الخلق حادث في ذاته، ولا يفتقر إلى خلق آخر، بل يحدث بقدرته، وهم يقولون بقيام الأمور الاختيارية بذات الله ـــ تعالى ـــ.

إلا أنهم قالوا: الخلق حادث بلا سبب يوجب حدوثه، وهذا ممتنع، كما لم يلتزموا التسلسل في الآثار، فيفرقون بين الحادث والمحدث، فيسمون ما قام بالله ـــ تعالى ـــ حادثاً، ولا يسمونه محدثاً، لأن الحادث ـــ عندهم ـــ يحدث بقدرته ومشيئته كالفعل، وأما المُحدَث فيفتقر إلى إحداث، فيلزم أن يقوم بذات الله إحداث غير المُحدث، وذلك الإحداث يفتقر إلى إحداث فيلزم التسلسل[1].

---

[1] انظر: رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل جـ٢/٢١-٢٢ ، وضمن مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٢٣١-٢٣٢، ودرء التعارض جـ١/٣٤٧ ، والملل والنحل جـ١/١٠٩-١١١ ، ولوامع الأنوار البهية (السفارينية) جـ١/٢٥٢-٢٥٣، وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ت/ د.أحمد السقا ص٤٧ ط/ الأولى ١٤٠٧هـ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، والروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية لأبي عذبة ت/ د.عبد الرحمن عميرة ص٦٣-٦٨ ط/ الأولى ١٤٠٩هـ الناشر عالم ==

٣- أمـــا السلف وأهل العلم قاطبة فقالوا: الخلق غير المخلوق، والفعل غير المفعول، ويثبتون ثلاثة أشياء: يثبتون الخالق ــ تعالى ــ، ويثبتون صفة الخلق، ويثبتون قيام صفة الخلق بالله ــ تعالى ــ كغيرها من الصفات.

٤- السالمية وافقوا الكلابية والماتريدية، في قولهم: إن الخلق قديم، والمخلوق حادث منفصل عنه، وليس الخلق هو المخلوق، وقد نسب لهم القاضي أبو يعلى هذا القول فقال: « ومن قولهم: إن الفعل مخلوق، والتفعيل ليس بمخلوق »[1]، ونقل الكلاباذي إجماع الصوفية ــ والسالمية فرقة منها ــ عـــلى أن الخلق غير المخلوق[2]، وقولهم إن الخلق غير المخلوق حق، لكنهم يخالفون في نفي قيام صفة الخلق بالله ــ تعالى ــ عند حدوث المخلوق.

ويـــرد عليهم بأن: « التكوين القديم: إما أن يكون بمشيئته، وإما أن لا يكون بمشيئته، فإن كـــان بغـــير مشيئته لزم أن يكون قد خلق الخلق بلا مشيئته، وإن كان بمشيئته لزم أن يكون القديم مـــراداً، وهـــذا بـــاطل، ولو صح لأمكن كون العالم قديماً مع كونه مخلوقاً بخلق قديم بإرادة قديمة، ومعـــلوم أن هـــذا باطل، ولهذا كان كل من قال: القرآن قديم، يقولون: تكلم بغير مشيئته وقدرته فالمفعول المراد لا يكون إلا حادثاً، وكذلك الفعل المراد لا يكون إلا حادثاً »[3].

ويتضح بطلان هذا القول وغيره في كلام المؤثر التام والتسلسل.

واعـــتقاد السلف وأكثر المسلمين هو أن: الخلق غير المخلوق والفعل غير المفعول، وهذا هو قـــول أهل العلم قاطبة، قال الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ: « وقال أهل العلم: التخليق فعل الله، وأفاعيلنا مخلوقة لله، لقوله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا

== الكـــتب - بيروت، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـــ٣/١٢٠٦-١٢٠٧، والأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات د.عبد القادر الصوفي جـــ٢/٣٠٧-٣١٣ .

[1] المعتمد ص٢٢٠ .

[2] انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف ص٣٨-٣٩ .

[3] مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/٣٧٨-٣٧٩ .

يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾[١]، يعني السر والجهر من القول، ففعل الله صفة الله، والمفعول غيره من الخلق »[٢].

وذكر البغوي أن الخلق غير المخلوق[٣]، ونقل الكلاباذي إجماع الصوفية على أن الخلق غير المخلوق[٤]، وهو قول الكرامية[٥]، وكثير من المعتزلة، وأصحاب أبي حنيفة، وجمهور أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم[٦].

وهم بقولهم: الخلق غير المخلوق يثبتون ثلاثة أشياء، يثبتون الخالق ــ تعالى ــ، ويثبتون صفة الخلق، ويثبتون قيام صفة الخلق بالله ــ تعالى ــ، كغيرها من الصفات.

فيقولون في الخلق مثل قولهم في صفات الأفعال التي تقوم بالربّ ﷻ.

ويدل صريح المعقول على التفريق بين الخلق والمخلوق : « فإنه قد ثبت بالأدلة السمعية والعقلية أن كل ما سوى الله مخلوق، محدث، كائن بعد أن لم يكن، وأن الله انفرد بالقدم[٧] والأزلية، وقد قال تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٨]، فهو حين خلق السموات والأرض ابتداءً: إما أن يحصل منه فعل يكون هو خلقاً للسموات والأرض، وإما أن لا يحصل منه فعل، بل وجدت المخلوقات بلا فعل، ومعلوم أنه إذا كان الخالق قبل خلقها، ومع خلقها سواء، لم يجز تخصيص خلقها بوقت دون وقت بلا سبب يوجب التخصيص.

---

[١] سورة الملك الآيتان: ١٣ ، ١٤.

[٢] خلق أفعال العباد للبخاري ص١١٢ .

[٣] انظر: شرح السنة له ت/ شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش جـ٥/٢٩ ، ط/ الأولى ١٣٩٠هـ الناشر المكتب الإسلامي – بيروت، والبغوي هوأبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، الشافعي، مصنف"شرح السنة" و"معالم التنزيل"(ت سنة ٥١٦هـ وقيل:٥١٠هـ). انظر: السيرجـ١٩/٤٣٩- ٤٤٣ رقم الترجمة٢٥٨، والأعلام جـ٢/٢٥٩.

[٤] انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف ص٣٨-٣٩ .

[٥] انظر: الملل والنحل جـ١/١٠٩-١١٠ .

[٦] انظر: الاستغاثة في الرد على البكري جـ١/٢٠٦-٢٠٧ ، ودرء التعارض جـ١/٣٤٧-٣٤٨ ، ونقله عن أهل السنة قوام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ت/ محمد المدخلي ص٣٠١-٣٠٢.

[٧] السلف ــ رحمهم الله ــ استخدموا هذا اللفظ في باب الإخبار، وليس في باب الوصف.

[٨] سورة الفرقان الآية: ٥٩ .

وأيضاً: فحدوث المخلوق بلا سبب حادث ممتنع في بداية العقول، وإذا قيل: الإرادة والقدرة خصصت، قيل: نسبة الإرادة القديمة إلى جميع الأوقات سواء. وأيضا: فلا تعقل إرادة تخصص أحد المتماثلين إلا بسبب يوجب التخصيص، وأيضاً: فلا بد عند وجود المراد من سبب يقتضي حدوثه، وإلا فلو كان مجرد ما تقدم من الإرادة والقدرة كافيا، للزم وجوده قبل ذلك؛ لأنه مع الإرادة التامة، والقدرة التامة يجب وجود المقدور »[١].

وبهذا يتضح أنه لا بد عند وجود المخلوق من سبب يقتضي وجوده؛ لأن حدوث المخلوقات بلا سبب حادث ممتنع في بداهة العقول.

وهـذا يقتضي أن هـذه المخلوقات قد وجدت بفعل قام بالله ـ تعالى ـ، به خلق المخلوقات[٢].

ج ـ مسألة التسلسل:

وهـذه المسألة هي أساس المسألة السابقة، ويمنع أهل الكلام التسلسل هرباً من القول بقدم العالم، ولذا قال أبو طالب المكي: « ومن لم يهتد لما بيناه ووقف مع العقل دخلت عليه شبهة قدم العالم »[٣]، وقال ابن برجان: « فاحرص ـ رحمنا الله وإياك ـ على تقرير العلم بتحقيق معرفة الأحدية، فبذلك ينتفى عنك ـ إن شاء الله ـ القول بقدم العالم »[٤]، وقال الزبيدي بمقولة أهل الكلام: « لا يوصف بأنه لم يزل خالقاً، و لم يزل رازقاً إلا معنى الاستقبال »[٥].

ولفظ التسلسل من الألفاظ المجملة، ويراد به معنيان:

أحدهما: التسلسل في الفاعلين، أو في العلل الفاعلة.

---

[١] رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية ضمن جامع الرسائل جـ٢/٢١-٢٢، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٢٣٠-٢٣١.

[٢] انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/ ١٢٠٦-١٢٠٧ ، والأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات جـ٢/ ٣١٩-٣٢١ .

[٣] القوت جـ٢/١٤٦ .

[٤] شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٨ أ.

[٥] أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٤٠ ب، وانظر: المقالات جـ٢/٢٢٤ .

والثاني: التسلسل في الآثار[١].

١- التسلسل في الفاعلين، أو في العلل الفاعلة:

- التسلسل في الفاعلين:

هو أن يقال: للخالق خالق، وللخالق خالق، وهكذا، أو لفاعل العالم فاعل، وللفاعل فاعل، ولذلك الفاعل فاعل، وهلم جرا،...

- التسلسل في العلل الفاعلة:

هو أن يقال: للخلق خلق، ولهذا الخلق خلق، ولذلك الخلق خلق، وهكذا، أو لا يكون فعل أصلاً حتى يكون قبله فعل ما[٢].

« وهذا ممتنع لذاته، فإنه يستلزم وجود الشيء قبل وجوده، ووجوده قبل وجوده يقتضي أن يكون موجوداً معدوماً، وهذا جمع بين النقيضين، ولهذا استدل غير واحد من أئمة المسلمين على أن كلام الله غير مخلوق بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[٣]، فإن النص دل على أنه لا يخلق شيئاً حتى يقول له: "كن" فيكون، فلو كان "كن" مخلوقاً، لزم أن يخلقه بكن، وكذلك هذا يجب أن يكون مخلوقاً بكلمة أخرى، وهذا يستلزم التسلسل في أصل الخلق، وهو التسلسل في التأثير، وهذا ممتنع لذاته، فإنه إذا لم يخلق شيئاً أصلاً، حتى يخلق قبل ذلك شيئاً آخر، كان هذا ممتنعاً لذاته، فكان وجود مخلوق قبل أن يوجد مخلوق أصلاً فيه جمع بين النقيضين، بخلاف ما إذا قيل: إنه لا يخلق مخلوقاً معيناً حتى يخلق مخلوقاً معيناً، فإن هذا ليس بممتنع، كما أنه لا يخلق المولود من غيره حتى يخلق الوالد »[٤].

وهذا التسلسل هو الذي أمرنا الرسول ﷺ بالاستعاذة منه في قوله في الحديث الصحيح:

---

[١] انظر: درء التعارض جـ١/٣٢١، ٣٢٢، ومنهاج السنة جـ١/٤٣٦-٤٣٧.

[٢] انظر: منهاج السنة جـ١/٤٣٦، والأصول التي بني عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات جـ٢/٣٢٦.

[٣] سورة يس الآية: ٨٢.

[٤] الصفدية جـ٢/١٢١، ١٢٢، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٦/٣٨٧.

«يـأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربّك؟ فإذا بلغه، فليستعذ بالله، ولينته »[١] ، وفي الحديث الآخر: « لن يبرح الناس يتساءلون، حتى يقولوا: هذا الله خالق كل شيء، فمن خلق الله؟ »[٢].

وهذا لكون الوسواس الشيطاني الباطل لا يقف عند حد الموجود الممكن المحدث، بل يتعداه إلى الخـالق ﷻ[٣]، « وهـو سبحانه قديم واجب الوجود، ربّ كل شيء ومليكه، هو الخالق، وما سواه مخلوق، ولهذا كان السؤال عن: من خلق الله؟ منتهى مسائل الشيطان التي يضل بها الإنسان، مع ظهور فسادها بالبرهان »[٤].

٢- التسلسل في الآثار:

ومـثاله « كـان قـبل هذا الكلام كلام، وقبل هذا الفعل فعل »[٥]، هذا في الماضي، أما المستقبل فمثاله: وجود حادث، بعده حادث وهكذا.

فإذا قال الله ـ تعالى ـ عند إيجاده للموجود: « "كن"، وقبل "كن": "كن"، وقبل "كن": "كـن"، ليس بممتنع، فإن هذا التسلسل في آحاد التأثير، لا في جنسه، كما أنه في المستقبل يقول: "كن" بعد "كن"، ويخلق شيئاً بعد شيء إلى غير نهاية، فالمخلوقات التامة يخلقها بخلقه، وخلقه: فعله القائم به، وذلك إنما يكون بقدرته ومشيئته »[٦].

---

[١] أخرجه البخاري في (كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده) جـ٢/١٠٠٩ حديث رقم٣٢٧٦، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها) جـ١/ ١٢٠ حديث رقم تابع ١٣٤ ، واللفظ للبخاري.

[٢] أخرجه البخاري في (كتاب الاعتصام، باب: ما يكره من كثرة السؤال) جـ٥/ ٢٢٧٧ الحديث رقم٧٢٩٦ ومن تكلف ما لا يعنيه، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها) جـ١/١١٩ حديث رقم١٣٤ واللفظ للبخاري.

[٣] انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات جـ٢/٣٢٨ .

[٤] بيان تلبيس الجهمية جـ١/٣٠٤ .

[٥] مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/١٨٦ .

[٦] مجموع فتاوى ابن تيمية١٦/٣٨٧ .

والأقوال في تسلسل الآثار ثلاثة وهي:

١- قال الجهم وأبو الهذيل العلاف[1] بمنعه في الماضي والمستقبل.

٢- قال أكثر أهل الكلام بمنعه في الماضي وتجويزه في المستقبل.

٣- وقال بجوازه في الماضي والمستقبل، السلف وتابعهم جماهير المسلمين، وأئمة أهل الملل والفلاسفة[2].

وظاهر مذهب السالمية القول بمنع التسلسل في الآثار في الماضي وتجويزه في المستقبل.

والسلف يجيزون هذا النوع من التسلسل، ويرون أن إثباته ضروري لإثبات أفعال الله ـــ تعالى ـــ الاختيارية...

وعلى هذا النوع يشهد قولهم: لم يزل الله فاعلاً بمشيئته وقدرته، أو لم يزل متكلماً بمشيئته وقدرته، ولا نهاية لكلماته.

ولا يفهم من قول السلف : لم يزل فاعلاً، أو لم يزل متكلماً، أو لم يزل خالقاً « أن الخالق للسموات والأرض والإنسان لم يزل يخلق السموات والإنسان، والفاعل لذلك لم يزل يفعله، وليس كذلك، بل لم يزل الخالق لذلك سيخلقه، ولم يزل الفاعل لذلك سيفعله، فما من مخلوق من المخلوقات، ولا فعل من الأفعال إلا والربّ ـــ تعالى ـــ موصوف بأنه لم يزل سيفعله، ليس موصوفاً بأنه لم يزل فاعلاً له خالقاً له، بمعنى أنه موجود معه في الأزل، وإن قدر أنه كان قبل هذا الفعل فاعلاً لفعل آخر، وقبل هذا المخلوق خالقاً لمخلوق آخر، فهو لم يزل بالنسبة إلى كل فعل ومخلوق سيفعله وسيخلقه، لا يقال: لم يزل فاعلاً له بمعنى مقارنته له »[3].

فهذا هو التسلسل في الآثار الذي أجازه السلف ـــ رحمهم الله ـــ، وأكثر العقلاء، وشهد بصحته العقل الصريح...

---

[1] هو أبو هذيل، محمد بن الهذيل بن عبد الله البصري، المعروف بالعلاف، من رؤوس المعتزلة،له تصانيف كثيرة، ونقل عنه الفسق، هلك سنة ٢٢٧هـ، وقيل ٢٣٥هـ، وقد خرف آخر حياته. انظر: السيرجـ١٠/٥٤٢-٥٤٣ رقم الترجمة ١٧٣، ومعجم المؤلفين جـ١٢/٩١-٩٢ .

[2] انظر: الصفدية جـ١/١٠-١١ ، ودرء التعارض جـ١/٣٢٠ ، ومنهاج السنة جـ١/١٤٦-١٤٧ ، والاستغاثة جـ١/ ٣١٧ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/٩٩٦ .

[3] درء التعارض جـ٢/٢٦٧ ، ٢٦٨ .

والفلاسفة وافقوا السلف في هذا القول، واستدلوا به على القول بقدم العالم، فرد عليهم أهل السنة.

فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ أن أدلة السمع موافقة لمذهب السلف في تسلسل الآثار في الماضي، ومبطلة لمذهب الفلاسفة والمتكلمين، ثم قال في الرد على الفلاسفة :« وهؤلاء أبعدوا[١] أن يمكنهم إقامة الدليل على قدم شيء من العالم؛ فإن الفاعل الذي يفعل بإرادات قائمة به بذاته شيئاً بعد شيء، لا يقوم لهم دليل على أن شيئاً من مفعولاته لم يزل مقارناً له؛ إذ يمكن أنه فعل مفعولاً بعد مفعول، وأن هذا العالم خلقه من مادة كانت قبله؛ كما أخبرت بذلك الرسل ــ عليهم السلام ــ فأخبر الله ــ تعالى ــ في القرآن أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش، وأخبر أنه سبحانه : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾[٢]، وقال في الآية الأخرى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[٣]، فأخبر أنه سواهن سبع سموات في يومين، وأن السماء كانت دخاناً،... فكل ذلك في إخبار الله أنه خلق السموات السبع من مادة أخرى، كما أخبر أنه خلق الإنسان من مادة، وأنه خلق الجان من مادة، وثبت في الصحيح ــ صحيح مسلم ــ عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ عن النبي ﷺ أنه قال: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"[٤].

وثبت في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال:"إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء"[٥]...

فأخبر أنه كان بين تقديره وبين خلقه السموات والأرض خمسون ألف سنة، وهذه أزمنة

---

[١] كذا في الأصل وفي الهامش قال د. محمد رشاد سالم: في إحدى النسخ: "بعد".

[٢] سورة فصلت الآيتان: ١١ ، ١٢ .

[٣] سورة البقرة الآية: ٢٩ .

[٤] أخرجه مسلم في (كتاب الزهد والرقائق، باب: في أحاديث متفرقة) جـ٤/٢٢٩٤ حديث رقم ٢٩٩٦ .

[٥] أخرجه مسلم في (كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام) جـ٤/٢٠٤٤ حديث رقم ٢٦٥٣ بلفظ قريب جداً.

مقـــدرة بحركات موجودة قبل وجود الأفلاك والشمس والقمر، وأخبر أنه كان عرش الربّ إذ ذاك على الماء،... (وذكر نصوصاً أخرى ثم قال): ففي هذه الآثار المنقولة عن الأنبياء أنه كان موجوداً قبل خلق هذا العالم: أرض وماء وهواء، وتلك الأجسام خلقها الله من أجسام أخر، فإن العرش أيضاً مخلوق، كما أخبرت بذلك النصوص، واتفق على ذلك المسلمون »[1].

د ــ المؤثر التام والعلة التامة:

هذه المسألة إحدى فروع المسألة السابقة، فإنه لأجل أن يسلم لأهل الكلام حدوث العالم، قـــالوا: المؤثـــر التام يتراخى عنه أثره، مما أدى لتسلط الفلاسفة عليهم، حيث ظنوا أن الذي يقوله المتكلمون هو دين الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ، وتبين لهم أنه باطل.

والأقوال في المؤثر التام والعلة التامة ثلاثة:

الأول: قـــال الفلاسفة: المؤثر التام يجب أن يقارنه معلومه بالزمان، وهذا باطل، وهو قول بقدم العالم.

الثاني: قال أهل الكلام: المؤثر التام يجب أن يتراخى عنه معلومه، وهذا باطل.

الـــثالث: قال السلف ــ رحمهم الله ــ: المؤثر التام يستلزم الأثر فيكون عقبه، لا مقارناً له ولا متراخياً عنه[2].

وهـــذا الذي عليه أئمة أهل العلم، فإن: « التأثير التام يستلزم وجود الأثر عقبه، لا معه في الـــزمان، ولا مـــتراخياً عنه، فمن قال بالتراخي من أهل الكلام، فقد غلط؛ ومن قال بالاقتران ــ كالمتفلسفة ــ فهم أعظم غلطاً »[3]،وهذا هو الذي يدل عليه السمع والعقل، قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[4]، والفاء للتعقيب.

« والعقلاء يقولون: قطعته فانقطع، وكسرته فانكسر، وطلّق المرأة فطلقت، وأعتق العبد

---

[1] درء التعارض جـــ٨/٢٨٧-٢٩٠، وشرح حديث عمران بن حصين ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨/٢٣٤-٢٣٦.

[2] انظـــر: ابن تيمية السلفي الشيخ محمد خليل هراس ص١٥٥ ، ١٦٢ ، ط/ الأولى ١٤٠٤هـــ الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـــ٣/٩٩٩ .

[3] مجموع فتاوى ابن تيمية١٦/٣٨١ .

[4] سورة يس الآية: ٨٢ .

فعـــتق، فالعـــتق والطلاق يقعان عقب الإعتاق والتطليق، لا يتراخى الأثر، ولا يقارن وكذلك الانكســـار والانقطاع مع القطع والكسر، وهذا مما يبين أنه إذا وجد الخلق لزم وجود المخلوق عقـــبه، كمـــا يقـــال: كوّن الله الشيء فتكون، فتكوّنه عقب تكوين الله، لا مع التكوين، ولا مـــتراخياً؛ وكذلـــك الإرادة التامة مع القدرة تستلزم وجود المراد المقدور، فهو يريد أن يخلق، فيوجـــد الخـــلق بإرادته وقدرته، ثم الخلق يستلزم وجود المخلوق، وإن كان ذلك الخلق حادثاً بسبب آخر يكون هذا عقبه؛ فإنما في ذلك وجود الأثر عقب المؤثر التام، والتسلسل في الآثار، وكلاهما حق، والله أعلم »[١].

« والله ســـبحانه ما شاء كان ووجب بمشيئته وقدرته، وما لم يشأ لم يكن لعدم مشيئته له، وعـــلى هذا فكل ما سوى الله ـــ تعالى ـــ لا يكون إلا حادثاً مسبوقاً بالعدم، فإنه يجب أن يكون عقـــب تكوينه له، فهو مسبوق بغيره سبقاً زمنياً، وما كان كذلك لا يكون إلا محدثاً، والمؤثر التام يستلزم وجود أثره عقب كمال التأثير التام »[٢].

والحـــس والعقـــل والمشـــاهدة دلت على بطلان قول الفلاسفة بمقارنة العلة لمعلولها: فإنه « يوجـــب أن لا يحدث في العالم شيء، وهو خلاف المشاهدة، فقد قالوا بما يخالف الحس والعقل وأخبار الأنبياء، وهذه هي طرق العلم »[٣].

وهذا من أعظم الباطل المخالف لدين الرسل ـــ عليهم الصلاة والسلام ـــ.

واعـــتقاد أهـــل السنة والجماعة: « أن الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ لم يزل متصفاً بصفات الكمـــال: صـــفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمـــال بعـــد أن كان متصفاً بضده، ولا يرد على [هذا][٤] صفات الفعل والصفات الاختيارية

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية١٦/٣٨١ ، ٣٨٢، وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/٩٩٩، ١٠٠٢ ، والأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات جـ٢/٣١٠-٣١١ .

[٢] درء تعارض العقل والنقل جـ٨/٢٧٠ ، ٢٧١ ، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٦/٣٨١ .

[٣] درء تعارض العقل والنقل جـ١/٣٦٩ ، وانظر: الأصول التي بنى المبتدعة عليها مذهبهم في الصفات جـ٢/٣٤٥-٣٤٦ .

[٤] كذا في ط/ الشيخ أحمد شاكر ص٨٠ ، وفي الأصل (ط/المكتب الإسلامي): "هذه".

ونحوها، كالخلق والتصوير، والإماتة والإحياء، والقبض والبسط والطي، والاستواء والإتيان والمجيء والـــترول، والغضب والرضى، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل معـــناه معـــلوم لنا،...وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت...، ولا يطلق عليه أنه حـــدث بعـــد أن لم يكن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلماً بالأمس لا يقال: أنه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم، لآفة كالصغر[1] والخرس، ثم تكلم يقال:حدث له الكلام، فالساكت لغـــير آفـــة يسمى متكلماً بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلمه يسمى متكلماً بالفعل، وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعل، ولا يخرج عن كونه كاتباً في حال عدم مباشرته الكتابة »[2].

والأدلة على هذا الأصل كثيرة جداً، فمنها قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[3]، وقوله:﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[4]، وقوله :﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾[5]، وقوله : ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾[6]، وقوله : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾[7].

---

[1] كذا في ط/ الشيخ أحمد شاكر ص٨٠ ، وفي الأصل زاد "لأنه لآفة كالصغير".

[2] شـــرح العقيدة الطحاوية ص١٢٤-١٢٥، وانظر: أصول شرح السنة لابن أبي زمنين ت/ عبد الله البخاري ص٦٠-٦١، ط/ الأولى ١٤١٥هـــ الناشر مكتبة الغرباء - المدينة، والحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني جـــ١/٣٠٠-٣٠١.

[3] سورة البقرة الآية: ١٨٦ .

[4] سورة الأعراف الآية: ١٤٣ .

[5] سورة الأنبياء الآيتين: ٨٣ ، ٨٤ .

[6] سورة الإنسان الآية: ٢٨ .

[7] سورة الإسراء الآية: ٨٦ .

فإن جوازم الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال، مثل "إن" "أن"، وكذلك "إذا" ظرف لما يستقبل من الزمان[١].

والآيات في القرآن كثيرة تدل على هذا الأصل، وهذه الآيات مما استدل به الإمام أحمد في الرد على الجهمية[٢]، وتضمنت فعل الربّ ـ تعالى ـ، ويدخل في ذلك عامة ما أخبر الله به من أفعاله، لا سيما المترتبة كقوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾ [٣]، وقوله: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝ ﴾[٤]، ويدل عليها أيضاً ما علّق بشرط، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٥][٦].

وكذلك قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٧]، فإن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله، فإنه جزم قوله « يحببكم الله »، فجزمه جواباً للأمر، وهو في معنى الشرط، فتقديره: إن تتبعوني يحببكم الله.

ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله، فمحبة الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم للرسول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « القرآن والسنة فيهما من الدلالة على هذا الأصل ما لا يكاد يحصى، فمن له فهم في كتاب الله يستدل بما ذكر من النصوص على ما ترك، ومن عرف حقيقة قول النفاة علم أن القرآن مناقض لذلك مناقضة لا حيلة لهم فيها، وأن القرآن يثبت ما يقدر الله عليه

---

[١] انظر: رسالة في الصفات الاختيارية جامع الرسائل جـ٢/١٤ .

[٢] انظر: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ت/ د. عبد الرحمن عميرة ص١١٧-١١٨، ط/ الثانية ١٤٠٢هـ الناشر دار اللواء – الرياض.

[٣] سورة الضحى الآية: ٥ .

[٤] سورة الغاشية الآيتين: ٢٥ ، ٢٦ .

[٥] سورة الطلاق الآيتان: ٢ ، ٣ .

[٦] انظر: درء التعارض جـ٢/١١٦-١٢٤ .

[٧] سورة آل عمران الآية: ٣١ .

ويشاؤه من أفعاله التي ليست هي نفس المخلوقات وغير أفعاله »[1].

وكذلك في الأحاديث الصحيحة المتلقاة بالقبول فمنها:

قال ﷺ في حديث الشفاعة : « إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله »[2].

وقوله:« ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة، ليس بين الله وبينه ترجمان »[3].

وفي حديث الفاتحة: « قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله ربّ العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي (وقال مرة فوض إليّ عبدي) »[4].

وقال ﷺ في حديث الأنصاري الذي أضاف رجلاً وآثره على نفسه وأهله، فلما أصبح الرجل غدا على رسول الله ﷺ فقال: « ضحك الله الليلة ــ أو عجب ــ من فعالكما »[5].

وفي الحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت قال: « ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته؛ فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته؛ فليس شيء

---

[1] درء التعارض جـ٢/١٢٣-١٢٤ ، وانظر: جـ٢/١١٦-١٢٤ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية٦/٢٢٢-٢٢٧ ، وذكر آيات كثيرة في الدلالة على هذا الأصل.

[2] هذه اللفظة جزء من حديث الشفاعة الطويل أخرجه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿ إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾) جـ٢/١٠٢٧ حديث رقم٣٣٤٠، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها) جـ١/١٨٥ حديث رقم١٩٤ ، واللفظ لمسلم.

[3] أخرجه البخاري في (كتاب الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذب) جـ٤/٢٠٤٨ حديث رقم٦٥٣٩، ومسلم في (كتاب الزكاة، باب:الحث على الصدقة) جـ٢/٧٠٣ حديث رقم ١٠١٦ ، واللفظ للبخاري.

[4] أخرجه مسلم في (كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة) جـ١/٢٩٦ رقم الحديث ٣٩٥ .

[5] أخرجه البخاري في (كتاب مناقب الأنصار، باب: قول الله تعالى: ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ﴾) جـ٣/١١٦٢ حديث رقم ٣٧٩٨ .

أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه »[١].

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله »[٢].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: « إن الله ــ تبارك وتعالى ــ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك والخير بين يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربّ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ قالوا: يا ربّ وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً »[٣].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « من حلف على يمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم، وهو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان »[٤].

والأحاديث الدالة على هذه المسألة كثيرة جداً لا يمكن حصرها ذكر العلماء عدداً كبيراً منها[٥].

وأما دليل العقل: « فمن جوز أن يقوم بذات الله تعالى فعل لازم له كالمجيء والاستواء، ونحو ذلك، لم يمكنه أن يمنع قيام فعل يتعلق بالمخلوق كالخلق والبعث والإماتة والإحياء، كما أن من جوز أن تقوم به صفة لا تتعلق بالغير كالحياة، لم يمكنه أن يمنع قيام الصفة المتعلقة بالغير كالعلم والقدرة والسمع والبصر، ولهذا لم يقل أحد من العقلاء بإثبات أحد الضربين دون الآخر...

---

[١] أخرجه البخاري في (كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه) جـ٤/٢٠٤٠ حديث رقم ٦٥٠٧، ومسلم في (كتاب الذكر والدعاء، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) جـ٤/٢٠٦٥ حديث رقم ٢٢٨٤ ، واللفظ للبخاري.

[٢] أخرجه البخاري في (كتاب مناقب الأنصار، باب: حب الأنصار) جـ٣/١١٥٩ حديث رقم ٣٧٨٣، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن حب الأنصار... الخ) جـ١/٨٥ حديث رقم ٧٥ ، واللفظ للبخاري.

[٣] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد باب:كلام الربّ مع أهل الجنة) جـ٥/٢٣٤٦ حديث رقم ٧٥١٨، ومسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً) جـ٤/٢١٧٦ حديث رقم ٢٨٢٩ ، واللفظ للبخاري.

[٤] أخرجه البخاري في (كتاب الأيمان والنذور، باب: قول الله تعالى: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله﴾) جـ٣/١٣٧٨ حديث رقم ٤٥٥٠، ومسلم في (كتاب الأيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة) جـ١/١٢٢ حديث رقم١٣٨ ، واللفظ للبخاري.

[٥] انظر: درء التعارض جـ٢/١٢٤-١٤٠ .

وإذا كــان كذلك كان حدوث ما يحدثه الله ــ تعالى ــ من المخلوقات تابعاً لما يفعل من أفعالــه الاختيارية القائمة بنفسه، وهذه سبب الحدوث، والله ــ تعالى ــ حي قيوم لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما شاء، فعال لما يشاء، وهذا قد قاله العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث، ونقلوه عن السلف والأئمة، وهو قول طوائف كثيرة من أهل الكلام والفلسفة المتقدمين والمتأخرين، بل هو قول جمهور المتقدمين من الفلاسفة »[1].

وأمــا حــلول: « الحوادث بالربّ ــ تعالى ــ، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال: فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء مــن مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح. وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كــأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته، فهذا نفي باطل.

وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، فيسلم السني للمتكلم ذلك، على ظن أنه نفــى عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله، فإذا سلم له هذا النفي ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل، وهو غير لازم له، وإنما أتى السني من تسليم هذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل لم ينقطع معه »[2].

---

[1] درء التعارض جــ٢/٣-٤ .

[2] شرح العقيدة الطحاوية ص١٢٥ .

المبحث الثالث: صفات العلم والإرادة والسمع والبصر عند السالمية.

أولاً: صفة العلم عند السالمية:

اختلف المنتسبون للإسلام في علم الله ـــ تعالى ـــ باعتبار تعلقه بالمستقبل على ثلاثة أقوال:

الأول: أنـــه ســـبحانه يعـــلم المستقبلات بعلم قديم لازم لذاته، ولا يتجدد له عند وجود المعلومات نعت ولا صفة، وإنما يتجدد مجرد التعلق بين العلم والمعلوم، وهذا قول طائفة من الصفاتية من الكلابية والأشعرية ومن وافقهم من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة، وهو قول طوائف من المعتزلة وغيرهم من نفاة الصفات، لكن هؤلاء يقولون: يعلم المستقبلات، ويتجدد التعلق بين العالم والمعلوم، لا بين العلم والمعلوم.

الثاني: أنه لا يعلم المحدثات إلا بعد حدوثها، وهذا أصل قول غلاة القدرية.

الـــثالث: أنه يعلمها قبل حدوثها، ويعلمها بعلم آخر حين وجودها[1]، وهذا قول السلف ومن وافقهم.

وهـــذا حكـــاه المتكـــلمون كـــأبي المعالي عن الجهم إلا أن الجهم يقول بتجدد علم قبل الحدوث[2].

وقد ذكر هذه المسألة من السالمية أبو طالب المكي وابن برجان، ويذهبان للقول الأول، فيقول أبو طالب: « يشهد ذلك اليوم أعني من غدٍ وبعد غدٍ، وما وراءه، إلى يوم القيامة وما فيها، وهذا كله عـــدم لم يخلقه بعد، لأن علمه بذلك شهادة له، لأنه ليس بينه وبين علمه حجاب، فهو يشهد الكون مـــن أوله إلى آخره من حيث علمه بعلم هو وصفه، ومشاهدة هي نعته »[3]، ويقول: « ونظره سعة عـــلمه، وعـــلمه مدى نظره، يدرك الأشياء كلها على اختلاف أوصافها بصفة من صفاته، ثم يدرك بجميع أوصافه ما أدركه بهذه الصفة، فصح بذلك أنه نظر وعلم وتكلم، ... ولزم على ذلك أنه يعلم

---

[1] انظر: رسالة في تحقيق مسألة علم الله ضمن جامع الرسائل جـــ١/١٧٧-١٧٩ .

[2] انظر: نفس المرجع جـــ١/١٧٩ .

[3] القوت جـــ٢/١٤٣ .

بـــنظره، وينظر بعلمه، فصارت الأوائل والأواخر لديه كشيء واحد »[١]، وقال: « عالم بالكون قبل الكـــون، وناظر إلى علمه، لا حجاب بينه وبين معلومه »[٢]، ويقول: « لا يجوز أن يدرك سبحانه وتعـــالى اليوم ما لم يكن أدركه في القدم، كما لا يجوز أن يستفيد الآن علم ما لم يكن علمه فيما لم يـــزل، فيكون متكلماً بما لم يشهد وهو معلومه منطو في علمه، أو يكون متزيداً بما أظهر حين ظهر، ...فالكون موجود له بعلمه لسبق علمه به، ولا بيان له في علمه ولا أثر له في وصفه »[٣].

وقـــال: « والله قـــديم بعلمه، واجدا لمعلومه بنفسه عن علمه به لقدرته عليه بقهره، وناظر إليه بعلمه، لا بعدم معلومه، والمعلوم معدوم لنفسه، .... كما لم يحدث به علمه بنفسه، وعلمه صفته لم يزل له وهو قائم بوصفه »[٤]، وقال: « متكلم بما علم »[٥]، وقال: « علمه القديم الذي لا يتغير »[٦].

وقال ابن برجان: « وينظر إذا شاء إلى كل شيء بنظر واحد من ذاته، ويعلمها بعلم واحد مـــن ذاته، دون زمان بل دفعة واحدة »[٧]، وقال: « بعلم هو وصفه، ... علمه بها شهادة، ليس بيـــنه وبـــين عـــلمه حجاب »[٨]، وقال: « يدرك الأشياء كلها على اختلاف أوصافها بصفة من صفاته، يدرك بجميع صفاته ما أدركه بهذه الصفة، لا يدخل الترتيب في صفاته ولا التعقيب، عز عن ذلـــك العلي الكبير، فهو على ذلك يعلم بنظره، وينظر بعلمه، ويريد بما علم، ويقدر بما يريد »[٩] وقـــال: « مـــن قال إن الله علم بعد أن لم يعلم، ونظر بعد أن لم ينظر، وتكلم بعد أن لم يتكلم، أو شاهد بعد أن لم يشاهد، فقد قال بحدوث الصفات »[١٠].

---

[١] القوت جـ٢/١٤٣-١٤٤ .

[٢] نفس المرجع جـ٢/١٤٥ ، وانظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٨ أ.

[٣] نفس المرجع جـ٢/١٤٥-١٤٦ .

[٤] نفس المرجع جـ٢/١٤٦ .

[٥] نفس المرجع جـ٢/١٤٥ .

[٦] نفس المرجع جـ٢/١٢٦ .

[٧] انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقه ١٧ ب.

[٨] نفس المرجع ورقه ١٧ ب، وانظر: ١٨ أ.

[٩] نفس المرجع ورقه ١٨ أ.

[١٠] نفس المرجع ورقه ١٨ ب.

فهذه أقوال ابن برجان يتابع فيها أبا طالب، ويتبين من هذا قولهم أنه سبحانه يعلم المستقبلات بعلم قديم لازم بذاته، ولا يتجدد له عند وجود المعلومات نعت ولا صفة، وهذا قول الكلابية، ولعل أبـــا طالب أخذه عن المحاسبي فقد تأثر به، الذي قال بمثل هذا[١]، وهو يوافق المعتزلة ويجعل التعلق بين العـــالم والمعـــلوم، ويفهم من قولهما أنهما يرجعان الصفات إلى العلم، ويرجعان العلم إلى الذات، لذا قـــالا: « يـــدرك الأشياء كلها على اختلاف أوصافها بصفة من صفاته، ثم يدرك بجميع أوصافه ما أدركـــه بهذه الصفة »، لكن أبا طالب تناقض وأرجع صفتيّ السمع والبصر إلى العلم في موضع آخر، ويقول: « ولا تتفاوت صفاته على ترتيبها من نظر وعلم، لأنها معلوم علمه وموجود إرادته »[٢].

وأما قولهما في صفة العلم « بعلم هو وصفه » فهو قول المعتزلة أو قريب منه، فإنهم قالوا: « إن الله عالم ولا يقولون سميع بصير على غير معنى عالم وكذلك قول النصارى » لأن النصارى لم تثبت لله سمعاً ولا بصراً إلا معنى أنه عالم[٣].

وهـــذا هو مذهب أبي الهذيل العلاف فإنه يقول:« علم الله هو الله ـــ سبحانه ـــ، وأن الله علم فنفى العلم من حيث أوهم أنه يثبته حتى ألزم أن يقول يا علم الله اغفر لي إذا كان علم الله هو الله، وكان الله على قياسه علما وقدره »[٤].

وأبو طالب المكي ومن وافقه يوافق أبا الهذيل العلاف، في إرجاع الصفات كلها أو بعضها للعـــلم، وهـــذا القول أخذه العلاف عن أرسطو طاليس الذي يقول: « إن البارئ علم كله، قدرة كلـــه، حياة كله، سمع كله، بصر كله، فحسن (أي أبو الهذيل) اللفظ عند نفسه، وقال: علمه هو هو، وقدرته هي هي »[٥].

---

[١] انظر: فهم القرآن للحارث المحاسبي ص٣٤٠-٣٤١ .

[٢] القوت جـــ٢/١٤٦ .

[٣] انظر: تلبيس الجهمية جـــ٢/٢١ .

[٤] نفس المرجع جـــ٢/٢١ ، وانظر: المقالات جـــ٢/١٧٧ ، والملل والنحل جـــ١/٤٦ .

[٥] المقالات جـــ٢/١٧٨ ، وقد ذكر الدكتور محمد عبد القادر أن هذا أثر اعتزالي قوي في فكر السالمية، ويرجعه إلى النشأة الواحدة الـــتي تمثلها البيئة الفكرية في البصرة والتي كانت تمثل آنذاك معقلاً للمعتزلة. انظر: ملامح الفكر الإسلامي، السالمية بين ===

وقد نسب هذا القول للسالمية القاضي أبو يعلى، ورد عليهم بأن هذا القول: « يؤدي إلى أن الله ـ تعـالى ـ يعلم بغير علم، ويقدر بغير قدرة، ويريد بغير إرادة، فيؤدي إلى موافقة المعتزلة في نفي الصفات »[١].

وقال الزبيدي عن صفة الكلام: « لا هو هو، ولا هو غيره »[٢].

أ- والصواب أن إطلاق القول: إن علم الله هو هو أو غيره، باطل، قال شيخ الإسلام ابن تـيمية ـ رحمه الله ـ: « لا يطلق القول بأن كلام الله وعلم الله ونحو ذلك هو هو، لأن هذا باطل، ولا يطلق أنه غيره لئلا يفهم أنه بائن عنه منفصل عنه، وهذا الذي ذكره الإمام أحمد[٣]، وعليه الحذاق من أئمة السنة، فهؤلاء لا يطلقون أنه هو، ولا يطلقون أنه غيره، ولا يقولون ليس هو هو، ولا غيره، فإن هذا أيضاً إثبات قسم ثالث، وهو خطأ، ففرق بين ترك إطلاق اللفظين لما في ذلـك من الإجمال، وبين نفي مسمى اللفظين مطلقاً، وإثبات معنى ثالث خارج عن مسمى اللفظين »[٤].

ولهـذا كـان مذهب أهل السنة والجماعة: « إذا قيل: هل هي (أي الصفات) زائدة على الذات أم لا ؟ كان الجواب: أن الذات الموجودة في نفس الأمر مستلزمة للصفات، فلا يمكن وجود الذات مجردة عن الصفات، بل ولا يوجد شيء من الذوات مجرداً عن جميع الصفات، بل لفظ الذات تـأنيث ذو، ولفظ ذو مستلزم للإضافة، وهذا اللفظ مولد، وأصله أن يقال: ذات علم، ذات قدرة، ذات سمع »[٥].

« والذات كلمة مولدة ليست قديمة، وقد وجدت في كلام النبي ﷺ والصحابة ﷺ، لكن

=== التصوف والكلام ص٦٠٧-٦٠٨ ، وهذا صحيح، ولكن كل الطوائف الكلامية تأثرت بالمعتزلة، مثل الكلابية والأشعرية والسالمية والماتريدية وغيرهم، وليس هذا شيئاً اختصت به السالمية.

[١] انظر: المعتمد ص٢١٧ .

[٢] رسالة في الرد على من زعم عبادة أهل السنة للحروف ورقة ٨٨ أ.

[٣] انظر: الرد على الجهمية ص١١٠-١١١ .

[٤] جواب أهل العلم والإيمان ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية١٧/١٦٠ ، وانظر: درء التعارض جـ٣/٢٤ .

[٥] مجموع فتاوى ابن تيمية١٧/١٦١ .

بمعنى آخر، ...

وفي قول بعضهم أصبنا في ذات الله والمعنى في جهة الله، وناحيته، أي لأجل الله، ولابتغاء وجهه، ليس المراد النفس ونحوه، ...

فاسم الذات في كلام النبي ﷺ والصحابة ﷺ والعربية المحضة لهذا المعنى، ثم أطلقه المتكلمون وغيرهم على النفس بالاعتبار الذي تقدم فإنها صاحبة الصفات، فإذا قالوا: الذات، فقد قالوا التي لها الصفات»[١].

« وأسماء الله تعالى متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في الدلالة على الصفات، فهي قسم آخر قد تسمى المتكافئة، وأسماء الله الحسنى، وأسماء رسوله وكتابه من هذا النوع.

فإنك إذا قلت: إن الله عزيز حكيم غفور رحيم عليم قدير؛ فكلها دالة على الموصوف بهذه الصفات سبحانه وتعالى، كل اسم يدل على صفة تخصه، فهذا يدل على العزة، وهذا يدل على الحكمة، وهذا يدل على المغفرة، وهذا يدل على الرحمة، وهذا يدل على العلم، وهذا يدل على القدرة »[٢].

فبهذا تبين بطلان قولهما، وأن هذا الإطلاق من إطلاقات نفاة الصفات.

ب- صفة العلم، صفة ذاتية ـــ ثابتة لله ـــ ﷻبالكتاب والسنة، قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[٣]، وقال : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٤]، وقال:﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾[٥]، وفي حديث الاستخارة: « اللهم إني أستخيرك بعلمك ... »[٦].

« وإثبات علمه وتقديره للحوادث قبل كونها، ففي القرآن والحديث والآثار ما لا يكاد يحصى، بل كل ما أخبر الله به قبل كونه فقد علمه قبل كونه،وهو سبحانه يعلم ما كان،وما يكون،

---

[١] جواب شبهة في نفي الصفات ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٤٢/٦ .

[٢] الحقيقة والمجاز ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية٤٢٤/٢٠ .

[٣] سورة البقرة الآية: ٢٥٥ .

[٤] سورة المائدة الآية: ٩٧ .

[٥] سورة الأنعام الآية: ٧٣ .

[٦] أخرجه البخاري في (كتاب الدعوات، باب: الدعاء عند الاستخارة) جـ٢٠٠٤/٤ حديث رقم ٦٣٨٢ .

وما لم يكن لو كان كيف يكون »[1].

وهـــذا مما لا نزاع فيه، لكن النزاع هل يعلم الله الشيء بعد وجوده مع علمه السابق به قبل وجوده، هذا ما ينكره أبو طالب وابن برجان ــ كما أنكرته طوائف من أهل الكلام ــ بناء على مذهبهما في الصفات الاختيارية، وقد سبق بيان بطلانه.

وقد دل القرآن الكريم على أن الله يعلم الشيء كائناً بعد وجوده مع علمه السابق به قبل وجوده، وأن علمه الثاني والأول ليس واحداً، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[2]، وقوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾[4]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾[5]، وقوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾[6]، وغيرها من الآيات[7].

وأبـــو طـــالب قال ــ في معنى لنعلم ــ :« أي لنرى، وقيل: لنعلم العلم الذي يجازى عليه بالـــثواب والعقاب، وقيل:لنعلم المؤمنين ذلك، فيتبين لهم،...فعلى هذه المعاني مجاز كل ما في كتاب الله ﷻ مـــن قوله لنعلم وحتى نعلم إذ كان علمه تعالى قد سبق المعلومات، وإذا كانت الأشياء عن

---

[1] رسالة في تحقيق مسألة علم الله ﷻ ضمن جامع الرسائل جـ١/١٨٣ .

[2] سورة البقرة الآية: ١٤٣ .

[3] سورة آل عمران الآية: ١٤٢ .

[4] سورة آل عمران الآية: ١٤٠ .

[5] سورة العنكبوت الآيات: ٣-١١ .

[6] سورة محمد الآية: ٣١ .

[7] انظر:مسألة علم الله ﷻ ضمن جامع الرسائل جـ١/١٨٣ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/١٠٥٧ .

عـــلمه بعلمه جاريات »[1]، وبعض هذه المعاني وردت عن السلف، لكن أبا طالب أراد نفي العلم الذي يتعلق بالمعلوم بعد وجوده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:«وأما قوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[2]، وقوله:﴿ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾[3]، ونحو ذلك فهذا هو العلم الذي يتعلق بالمعلوم بعد وجوده وهو العلم الذي يترتب عليه المدح والذم والثواب والعقاب[4]، والأول هو العلم بأنه سيكون، ومجرد ذلك العلم لا يترتب عليه مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب، فإن هذا إنما يكون بعد وجود الأفعال، وقد روي عن ابن عـــباس أنـــه قال في هذا: لنرى[5]؛ وكذلك المفسرون قالوا: لنعلمه موجوداً بعد أن كنا نعلم أنه سيكون، وهذا المتجدد فيه قولان...

وعامـــة السلف وأئمة السنة والحديث على أن المتجدد أمر ثبوتي كما دل عليه النص، وهذا مما هجر أحمد بن حنبل الحارث المحاسبي على نفيه، فإنه كان يقول بقول ابن كلاب فر من تجدد أمر ثبوتي، وقال بلوازم ذلك، فخالف من نصوص الكتاب والسنة وآثار السلف ما أوجب ظهور بدعة اقتضت أن يهجره الإمام أحمد ويحذر منه.

وقد قيل: إن الحارث رجع عن ذلك »[6].

وقال الشنقيطي في « قوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾[7] ظاهر

---

[1] القوت جـــ١/٢٢٩ .

[2] سورة البقرة الآية: ١٤٣ .

[3] سورة الكهف الآية: ١٢ .

[4] نسب القرطبي القول الأول لعلي بن أبي طالب ﷺ دون ذكر إسناد، ورجح « أن معناه علم المعاينة الذي يوجب الجزاء ». انظر: الجامع لأحكام القرآن جـــ٢/١٥٦-١٥٧ .

[5] ذكر هذا القول ابن جرير في تفسير آية البقرة جـــ ٢/١٦ولم ينسبه لأحد، ورده، ورجح أن تفسير (لنعلم) أي يعلم أوليائي وحزبي.

[6] مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٤٩٦-٤٩٧ .

[7] سورة البقرة الآية: ١٤٣ .

هـــذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه، سبحانه وتعالى عن ذلك عـــلواً كـــبيراً، بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون، وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه بقوله ﷻ : ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾[1]، فقوله : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ بعد قوله:﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ﴾ دليل قـــاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئاً لم يكن عالماً به، ـــ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ـــ لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار، وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر الله فيها اختباره لخـــلقه، ومعـــنى ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ أي عـــلماً يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي أنه كان عالماً به قبل ذلك»[2].

وبهـــذا تتضح دلالة القرآن على أن علمه تعالى بالشيء بعد فعله قدر زائد عن العلم الأول، وأن تســـميته تغيراً وحلولاً لا يمنع من القول به ما دام دالاً على الكمال لله ـــ تعالى ـــ، وما دامت أدلة الكتاب والسنة تعضده[3].

ثانياً: صفة الإرادة والمشيئة عند السالمية:

للناس في الإرادة عدة أقوال:

١- الإرادة قديمة أزلية واحدة، وإنما يتجدد تعلقها بالمراد، ونسبتها إلى الجميع واحدة، ومن خواصها أنها تخصص من غير مخصص، وهذا قول ابن كلاب والأشعري ومن تابعهما.

٢- الإرادة واحـــدة قديمة مثل هؤلاء، لكن يقول: تحدث عند تجدد الأفعال إرادات في ذاته بتلك المشيئة القديمة، وهذا قول الكرامية وغيرهم.

٣- نفي قيام الإرادة بالرب ـــ تعالى ـــ، ثم إما أن ينفوها، أو يفسروها بنفس الأمر والفعل، أو يقولوا بحدوث إرادة لا في محل، وهذا قول الجهمية والمعتزلة.

---

[1] سورة آل عمران الآية: ١٥٤ .

[2] أضواء البيان للشنقيطي عناية/ الخالدي جـ١/٧١-٧٢ .

[3] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٦/٣٠٤ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/١٠٥٨ .

٤- أنه لم يزل مريداً بإرادات متعاقبة، فنوع الإرادة قديم، وأما إرادة الشيء المعين فإنما يريده في وقــته، وهو سبحانه يقدر الأشياء ويكتبها، ثم بعد ذلك يخلقها[١]، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

والإرادة تنقسم إلى:

أ ــ إرادة كونية: وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد، وهي المشيئة.

ب ــ إرادة دينية شرعية: وهي المستلزمة للمحبة والرضا[٢].

والكلام هنا على الإرادة التي هي المشيئة، المستلزمة لوقوع المراد[٣]، والإرادة مشروطة بالعلم[٤]، وهي من أعظم محارات النظار، والقول فيها يشبه القول في الكلام ونحوه[٥].

وأبو طالب المكي وابن برجان يوافقان شيوخهم الكلابية الذين جعلوا الإرادة واحدة قديمة.

يقول أبو طالب: « فهو ناظر سامع متكلم من حيث كان عالما مقتدرا مريدا بنفسه » [٦].

وقــال : « وأنــه تعالى ذو أسماء وصفات وقدرة وعظمة وكلام ومشيئة وأنوار، كلها غير مخــلوقة ولا محدثــة، بل هو قائم موجود بجميع أسمائه وصفاته وكلامه وأنواره وإرادته، ... يحكم بأمــره في خلقه وملكه ما شاء كيف شاء، لا معقب لحكمه، ولا مشيئة لعبد دون مشيئته، إن شاء شيئا كان، ولا يكون إلا ما شاء »[٧].

وقال: « لا يسعه غير مشيئته، ...ولا يعرف إلا [بمشيئته][٨] إن شاء وسعه أدنى شيء، وإن شاء لم يسعه كل شيء »[٩]، وقال : « يخلق بيده إذا شاء، وعن كلمته إذا شاء، وبإرادته متى شاء،

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٦/٣٠١-٣٠٣، وتحقيق مسألة علم الله ــ تعالى ــ ضمن جامع الرسائل جـ١/١٨٢.

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٨/١٨٨، و سيأتي الكلام عليها في مسائل القدر في ص٧٢٥ .

[٣] انظر: منهاج السنة جـ٣/١٨٠ ، جـ٣/١٦٨ .

[٤] انظر: درء التعارض جـ٤/١٢٧ .

[٥] انظر: نفس المرجع جـ٩/١٢٨ .

[٦] القوت جـ٢/١٤٥ .

[٧] نفس المرجع جـ٢/١٣٧-١٣٨ .

[٨] كذا في الطبعة الميمنية جـ١/٨٦ ، وفي الأصل ط/ باسل (بشيئته) بدون ميم.

[٩] نفس المرجع جـ٢/١٤٢ ، وآخر كلامه نقله ابن برجان في تفسيره، انظر: ورقة ٢٣٠ .

وبمعاني صفاته كيف شاء، لا يضطره التكوين إلى الكلام وكلامه إليه إذا شاء، كأن خزائنه في كلمته وقدرته في مشيئته، إذا تكلم أظهر وإن شاء قدر، ومتى أحب ظهر، وبأي قدرة شاء، استتر، ...كشف العلم بالإرادة وأظهر الإرادة بالحركات،...وصنع سر في صنعته وهي علانية مشيئته»[١].

وقال:«ولا تتفاوت صفاته على ترتبها من نظر وعلم،لأهما معلوم علمه وموجود إرادته»[٢]، وسبق قوله إن الصفات قديمة.

وقال ابن برجان بمثل قوله، فقال: « ومقدوره في مشيئته، إذا شاء ــ جل ذكره وتعالى علاه جده ــ حجبهم عنه، وإذا شاء أراهم نفسه بوعده الكريم »[٣]، وقال: « والله يفعل ما يريد لا يعدد عليه فعله »[٤].

وقول السالمية في الإرادة مثل قولهم في صفة العلم والكلام والسمع والبصر، فجعلوا الإرادة واحدة حتى لا يقولوا بتجدد الإرادة[٥]، وهذا باطل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ عن قول الكلابية ومن وافقهم ــ: « كثير من العقلاء يقول: إن هذا فساده معلوم بالاضطرار، حتى قال أبو البركات[٦]: ليس في العقلاء من قال بهذا، وما علم أنه قول طائفة كبيرة من أهل النظر والكلام. وبطلانه من جهات: من جهة جعل إرادة هذا غير إرادة ذاك، ومن جهة أنه جعل الإرادة تخصص لذاتها، ومن جهة أنه لم يجعل عند وجود الحوادث شيئاً حدث حتى تخصص أو لا تخصص، بل تجددت نسبة عدمية، ليست وجوداً، وهذا ليس بشيء، فلم يتجدد شيء، فصارت الحوادث تحدث وتتخصص بلا سبب حادث ولا تخصص »[٧].

---

[١] القوت جـ٢/١٤٤ .

[٢] نفس المرجع جـ٢/١٤٦ .

[٣] تفسير ابن برجان ورقة ٢٢٩ .

[٤] نفس المرجع ورقة ٢٢٩ ، وانظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٨ أ.

[٥] انظر: درء التعارض جـ٩/١٢٨ .

[٦] هو أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي، كان يهوديا فأسلم في آخر عمره، فيلسوف، طبيب، خدم الخليفة العباسي المستنجد، له كتاب "المعتبر" و "اختصار التشريح من كلام جالينوس"، توفي نحو سنة ٥٦٠هـ عن ثمانين سنة. انظر: السير جـ٢٠/٤١٩ رقم٢٧٥ والأعلام جـ٨/٧٤ .

[٧] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٦/٣٠٢ .

أ ـــ والصواب أن الإرادة نوعها قديم، وإن كان كل من المحدثات مراداً بإرادة حادثة[1].

وأن مشـــيئة الله الشاملة وقدرته النافذة لا بد لكل أحد منها، لا محيص ولا محيد لأحد عنها، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو سبحانه الفعال لما يريد، ولا نفوذ لإرادة أحد إلا أن يريد، وما من حركة ولا سكون في السموات والأرض إلا بإرادته ومشيئته، ولو شاء عدم وقوعها لم تقع، قال تعالى:﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾[2]، وقال:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾[3]، وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾[4]، والأدلة من الكتاب والسنة كثيرة[5]، وهذا لا نزاع فيه.

وإنما النزاع في الإرادة الحادثة، وقد دل الكتاب العزيز على ذلك، « قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾[6]، فبين أنه يحكم فيحلل ما يريد ويحرم ما يريد، ويأمر بما يريد، فجعل التحليل والتحريم والأمر والنهي متعلقاً بإرادته، وهذه أنواع الكلام، فدل على أنه يأمر بإرادته وينهى بإرادته، ويحلل بإرادته، ويحرم بإرادته، ...

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[7]، وقوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾[8]، وقوله : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ

---

[1] انظر: نفس المرجع جـ١٦/٣٠٢ .

[2] سورة البروج الآية: ١٦ .

[3] سورة البقرة الآية: ٢٥٣ .

[4] سورة آل عمران الآية: ٤٠ .

[5] انظر: معارج القبول جـ١/٢١٣-٢١٥ .

[6] سورة المائدة الآية: ١ .

[7] سورة يس الآية: ٨٢ .

[8] سورة الكهف الآيتان: ٢٣-٢٤ .

ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ ﴾[2]، وقوله:﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾[3]، وقوله:﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾[4]،وقوله:﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[5]، وأمثال ذلك في القرآن العزيز.

فإن جوازم الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال، مثل "إن" و "أن"، وكذلك "إذا" ظرف ما يستقبل من الزمان، فقوله "إذا أراد" و "إن شاء الله" ونحو ذلك يقتضي حصول إرادة مستقبلة ومشيئة مستقبلة »[6].

ب ــ فإذا اتضح هذا فإنه لا يجوز أن يفهم أن هناك انفصال العلم عن العلم أو الإرادة عن الإرادة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: « الناس يختلفون في العلم والإرادة في تعدد ذلك وإيجاده، ومعلوم أن ما يقوم بالنفس من إرادة الأمور، لا يمكن أن يقال فيه العلم بهذا هو العلم بهذا، ولا إرادة هذا هو إرادة هذا؛ فإن هذا مكابرة وعناد وليس تمييز العلم عن العلم، والإرادة عن الإرادة، تمييزاً مع انفصال أحدهما عن الآخر، بل نفس الصفات المتنوعة ــ كالعلم، والقدرة، والإرادة ــ إذا قامت بمحل واحد لم ينفصل بعضها عن بعض، بل مثل هذا هو محل هذا، كالطعم واللون والرائحة القائمة بالأترجة الواحدة وأمثالها من الفاكهة وغيرها. فإذا قيل: "هي علوم وإرادات" لم ينفصل هذا عن هذا بفصل حسي، بل هو نوع واحد قائم بالنفس، وإذا علم هذا بعد علمه بذلك فقد زاد هذا النوع وكثر، وإن شئت قلت: عظم، فلا يزيد فيه زيادة الكمية عن زيادة الكيفية،... بل يقال: "علم كثير، وعلم عظيم" بأن تكون العظمة ترجع إلى قوته وشرف معلومه،

---

[1] سورة الفتح الآية: ٢٧ .

[2] سورة الإسراء الآية: ١٦ .

[3] سورة الرعد الآية: ١١ .

[4] سورة الإنسان الآية: ٢٨ .

[5] سورة الإسراء الآية: ٨٦ .

[6] رسالة الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل جـ٢/١٣-١٤ ، وانظر: نفس المرجع جـ٢/٣٩ .

ونحـــو ذلـــك، ... وانضـــمام العلم إلى العلم، والإرادة إلى الإرادة، والقدرة إلى القدرة، هو شبيه بانضمام الأجسام المتصلة، كالماء إذا زيد فيه ماء فإنه يكثر قدره، لكن هو كم متصل لا منفصل، بخـــلاف الدراهـــم، فـــإذا قيل: "تعددت العلوم والإرادات" فهو إخبار عن كثرة قدرها وأنها أكثر وأعظم مما كانت، لا أن هناك معدودات منفصلة كما قد يفهم بعض الناس، ولهذا كان العلم اسم جنس، فلا يكاد يجمع في القرآن »[1].

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٦/ ٣١٠-٣١٢ .

ثالثاً: صفتا السمع والبصر عند السالمية:

للفرق في هاتين الصفتين أربعة أقوال:

١- قال الكلابية وأكثر المعتزلة ومن وافقهم: إن الله لم يزل سميعاً بصيراً، والمعتزلة الذين قالوا بهذا القول اختلفوا على قولين:

أ ـ قال البغداديون: إن الله لم يزل سميعاً بصيراً، سامعاً مبصراً، يسمع الأصوات والكلام، لا تخفى عليه المسموعات والمبصرات.

ب ـ قال الجبّائي: يمتنع أن يكون لم يزل سامعاً بصيراً، وزعم أن سميع وبصير لا يعدى إلى مسموع ومبصر.

٢- قال عباد بن سليمان: سميع لم يزل، بصير لم يزل، ولا يقول: لم يزل سميعاً بصيراً لأن ذلك يقتضي وجود المسموع والمبصر.

٣- قال بعض المعتزلة: أثبت سمعاً هو الله وأنفى عن الله الصم، وأثبت بصراً هو الله، وأنفى عن الله العمى[1].

وأبو طالب المكي من السالمية يقول بالقول الأول، ويرد على العبادية أتباع عباد بن سليمان من المعتزلة[2].

٤- مذهب أهل السنة والجماعة أن صفتي السمع والبصر كصفة الكلام نوعهما أزلي وآحادهما متعلقة بالمشيئة.

غير أن القائلين بالقول الأول اختلفوا فيما يتعلق بالمسموع والمرئي عند وجوده على ثلاثة أقوال:

أ ـ قال ابن كلاب ومن وافقه بسمع وبصر قديم يتعلق بالمسموع والمرئي عند وجوده.

ب ـ القول بتجدد الإدراك مع قدم الصفة، وهذا قول طوائف كثيرة، كالكرامية .

---

(١) انظر: المقالات جـ١/٢٥٣-٢٥٥ .

(٢) انظر: القوت جـ٢/١٤٧ ، والمقالات جـ١/٢٥٣ ، والعبادية: هم أصحاب عباد بن سليمان الضمري البصري، من أصحاب هشام الفوطي، له كتب في الاعتزال.انظر:ما سيأتي في ص٩٨٤.

ج ــ القول بثبوت الإدراك قبل حدوثها وبعد وجودها، وهو قول السالمية كأبي الحسن ابن سالم وأبي طالب المكي[١].

قــال الهروي: « قال أبو عبد الله بن سالم: " الله ــ تعالى ــ ناظر في الأزل على جميع الأشياء " فهجروه بسبب هذا الكلام »[٢] ومراده ابن سالم الابن، وقال أبو طالب المكي:«وقال الله تعالى في سمع الأصوات قبل الأشباح وخلقها:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾[٣]، فأخبر أنه سمع الأصوات في القدم في علمه قبل خلق الموصوتين في الحديث، فكيف لا يرى الكون عن آخره في القدم بعلمه قبل ظهورهم له متصورين بفعله ؟ وقد قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾[٤]، والخلق والتصوير كانا بعد السجود لأدم، فأخبرعنه أولاً لشهوده له، واســتوائه في علمه، إذ لابد من كونه »[٥]، وقال ابن برجان: « وأنه ماينظر إلى شيء قط في وجوده بعد أن لم ينظر إليه حال عدمه، ولا سمع قط شيئا لم يسمعه قبل حدوثه »[٦]، وقد نسب لهم هذا القول القاضــي أبــو يعــلى[٧]، وكذلك الشيرازي في قوله: « وإن قال نظر إليها قبل كونها (أي أشخاص المخلوقات) فهو سالمي »[٨]، ورد عليهم بأن هذا القول يؤدي إلى القول بقدم العالم.

وأبو طالب ينقل هذا عن الحارث المحاسبي الذي هجره الإمام أحمد لهذا[٩]، إلا أنه يخالفه في إرجاع صــفتي الســمع والبصــر للعــلم، قــال شيخ الإسلام ابن تيمية: « لكن قال من قال من السالمية: إنه

---

[١] انظر: رسالة في تحقيق مسألة علم الله ضمن جامع الرسائل جـ٢/١٨١ .

[٢] نفحات الأنس ص٤٠٧-٤٠٨ .

[٣] سورة المجادلة الآية: ١ .

[٤] سورة الأعراف الآية: ١١ .

[٥] القوت جـ٢/١٤٥ .

[٦] انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٨ ب، وانظر ١٧ ب.

[٧] انظر: المعتمد ص٢١٧ .

[٨] جزء فيه امتحان البدعي من السني ص٣٥٤ .

[٩] انظر: فهم القرآن ص٣٤٤-٣٤٥ .

يسمع ويرى موجوداً في علمه، لا موجوداً بائناً عنه، و لم يقل أحد: إنه يسمع ويرى بائناً عنه »[١].

والصواب أن صفتي السمع والبصر كصفة الكلام: نوعهما أزلي، وأحادهما متعلقة بالمشيئة والإرادة[٢]، « وما خلقه الرب ــ تعالى ــ فإنه يراه، ويسمع أصوات عباده، والمعدوم لا يرى باتفاق العقلاء، ...فقبل أن يوجد لم يكن يُرى، وبعد أن يعدم لا يرى، وإنما يرى حال وجوده، وهذا هو الكمال في الرؤية.

وكذلك سمع أصوات العباد عند وجودها، لا بعد فنائها، ولا قبل حدوثها »[٣].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية الأدلة على صفتي السمع والبصر فقال: « قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾[٤]، هذا في حق المنافقين، وقال في حق التائبين: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٥]، فقوله "فسيرى الله" دليل على أنه يراها بعد نزول هذه الآية الكريمة، والمنازع إما أن ينفي الرؤية وإما أن يثبت رؤية قديمة أزلية فقط.

وكذلك قوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[٦] ولام "كي"تقتضي أن ما بعدها متأخر عن المعلول،فنظره كيف يعملون هو بعد أن جعلهم خلائف.

وكذلك قوله : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾[٧]، أخبر أنه يسمع تحاورهما حين كانت تجادل وتشتكي إلى الله.

وقال النبي ﷺ: "إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا ولك الحمد، يسمع الله لكم"[٨]، فجعل سمعه لنا جزاءً وجواباً للحمد، فيكون ذلك بعد الحمد، والسمع يتضمن مع سمع

---

[١] رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل جـ٢/١٧ .

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٦/٣١٢-٣١٣ ، والأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات جـ٢/١٩ .

[٣] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٦/٣١٢-٣١٣ .

[٤] في الأصل سورة التوبة الآية: ١٠٥ ، ولعل الصواب الآية ٩٤من السورة نفسها.

[٥] سورة التوبة الآية: ١٠٥ .

[٦] سورة يونس الآية: ١٤ .

[٧] سورة المجادلة الآية: ١ .

[٨] هذا جزء من حديث طويل: « إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم ... » الحديث. أخرجه مسلم في (كتاب الصلاة، باب: التشهد في الصلاة) جـ١/٣٠٣ حديث رقم ٤٠٤ .

القول قبوله وإجابته، ومنه قول الخليل: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[1]، وكذلك قوله: ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ ﴾[2]، وقوله لموسى وهارون : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[3].

والعقـــل الصريح يدل على ذلك، فإن المعدوم لا يُرى ولا يسمع بصريح العقل واتفاق العقلاء، لكن قال من قال من السالمية: إنه يسمع ويرى موجوداً في علمه لا موجوداً بائناً عنه، ولم يقل أحد: إنه يسمع ويرى بائناً عن الرب، فإذا خلق العباد، وعملوا وقالوا، فإما أن نقول: إنه يرى أعمالهم ويسمع أقوالهم، وإما لا يرى ولا يسمع، فإن نفي ذلك تعطيل لهاتين الصفتين، وتكذيـــب لـــلقرآن، وهما صفتا كمال لا نقص فيه، فمن يسمع ويبصر أكمل ممن لا يسمع ولا يبصر.

والمخـــلوق يتصف بأنه يسمع ويبصر، فيمتنع اتصاف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق ـــ ســـبحانه وتعالى ـــ، وقد عاب الله ـــ تعالى ـــ من يعبد من لا يسمع ولا يبصر في غير موضع، ولأنـــه حيّ، والحيّ إذا لم يتصف بالسمع والبصر، اتصف بضد ذلك: وهو العمى والصمم، وذلك ممتنع، وبسط هذا له موضع آخر.

وإنما المقصود هنا أنه إذا كان يسمع ويبصر الأقوال والأعمال بعد أن وجدت، فإما أن يقال: إنه تجدد شيء، وإما أن يقال: لم يتجدد شيء، فإن كان لم يتجدد، وكان لا يسمعها ولا يبصرها، فهـــو بعد أن خلقها لا يسمعها ولا يبصرها، وإن تجدد شيء: فإما أن يكون وجوداً أو عدماً، فإن كان عدماً فلم يتجدد شيء، وإن كان وجوداً: فإما أن يكون قائماً بذات الله، أو قائماً بذات غيره، والثاني يستلزم أن يكون ذلك الغير هو الذي يسمع ويرى، فتعين أن ذلك السمع والرؤية الموجودين قائم بذات الله، وهذا لا حيلة فيه »[4].

---

[1] سورة إبراهيم الآية: ٣٩ .

[2] سورة آل عمران الآية: ١٨١ .

[3] سورة طه الآية: ٤٦ .

[4] رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل جـ٢/١٥-١٨ .

وأما قول أبي طالب المكي في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾[1]: « الخلق والتصوير كانا بعد السجود لآدم »[2]، غير صحيح، و لم ينقل هذا القول عن أحد من أهل العلم، وقد ذكر المفسرون اختلاف الناس في هذه الآية على عدة أقوال ــ وليس فيها ما ذكره أبو طالب ــ وهي:

١- ولقد خلقناكم: في ظهر آدم، أيها الناس، ثم صورناكم: في أرحام النساء.

٢- ولقد خلقناكم: يعني آدم، ثم صورناكم: يعني ذريته.

٣- خلقناكم: في أصلاب آبائكم، ثم صورناكم: في بطون أمهاتكم.

٤- خلقناكم: يعني آدم، ثم صورناكم: يعني في ظهره.

٥- خلقناكم: في بطون أمهاتكم، ثم صورناكم: فيها.

قال ابن جرير الطبري:« وأولى الأقوال بالصواب قول من قال:تأويله﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾: ولقد خلقنا آدم،﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾: بتصويرنا آدم ...

كما قال جل ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله ﷺ:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾[3]، وما أشبه ذلك من الخطاب الموجه إلى الحي الموجود، والمراد به السلف المعدوم، فكذلك في قوله:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ معناه: ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صورناه.

... ومعلوم أن الله ــ تبارك وتعالى ــ قد أمر الملائكة بالسجود لآدم، قبل أن يصور ذريته في بطون أمهاتهم، بل قبل أن يخلق أمهاتهم، وثم في كلام العرب لا تأتى إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها »[4].

---

[1] سورة الأعراف الآية: ١١ .

[2] القوت جــ٢/١٤٥ .

[3] سورة البقرة الآية: ٦٣ .

[4] تفسير الطبري (جامع البيان)جــ٥/٤٣٧ .

ويـرد الطبري على من آخر التصوير فقط؛ فيقول: « وقد وجه بعض من ضعفت معرفته بكـلام العرب ذلك إلى أنه من المؤخر الذي معناه التقديم، وزعم أن معنى ذلك: ولقد خلقناكم، ثم قلـنا للملائكة اسجدوا لآدم، ثم صورناكم، وذلك غير جائز في كلام العرب، لأنها لا تدخل ثم في الكلام وهي مراد بها التقديم على ما قبلها من الخبر ...

فقـول الله ـ تبارك وتعالى ـ:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا ﴾ نظير قول القائل:"قام عبد الله ثم قعد عمرو" في أنه غير جائز أن يكون أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان إلا بعد الخلق والتصوير »[1].

وقد ذهب إلى هذا ونصره ابن كثير ـ رحمه الله ـ[2] وغيره.

وهذه الآية تدل على مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات الاختيارية ـ ولله الحمد ـ فبين أن الله ـ تعالى ـ: « إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم، لم يأمرهم في الأزل »[3].

أ ـ مسألة تعلق صفات الله ـ تعالى ـ بالمخلوقات بعد وجودها:

هـذه مسـألة كبيرة وهي تعلق صفات العلم والسمع والبصر ونحو ذلك بالمخلوقات بعد وجودها.

« والـناس مـتفقون على تجدد نسب وإضافات لا تقوم بذات الرب، وتنازعوا فيما يقوم بـذات الرب، وهذا كما تنازعوا في الاستواء ونحوه: هل هو مفعول للرب يحدثه في المخلوقات من غير قيام أمر به؟ أم يقوم به أمر؟ على قولين:

١- فالكلابية والمعتزلة ينفون أن يقوم بالرب شيء من ذلك.

٢- وأكثر أهل الحديث، وكثير من أهل الكلام يجوزون ذلك »[4].

---

[1] تفسير الطبري جـ٥/٤٣٨ .

[2] انظر: تفسير القرآن العظيم له جـ٢/١٨٨ .

[3] رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل جـ١/١٠ .

[4] درء التعارض جـ٩/٣٩٤-٣٩٥ .

وأبـــو طالب المكي وابن برجان يقولان بقول الكلابية، كما سبق ذكر أقوالهما، في العلم والسمع والبصر.

وجوابهم كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن يقال لهم:«أنتم معترفون وسائر العقلاء بما هو بصـــريح العقل أن المعدوم لا يرى موجوداً قبل وجوده، فإذا وجد فرآه موجوداً وسمع كلامه فهل حصـــل أمر وجودي لم يكن قبل، أو لم يحصل شيء، فإن قيل: لم يحصل أمر وجودي، وكان قبل أن يخلق لا يراه؛ فيكون بعد خلقه لا يراه أيضاً، وإن قيل حصل أمر وجودي، فذلك الوجودي إما أن يقـــوم بذات الرب، وإما أن يقوم بغيره، فإن قام بغيره لزم أن يكون غير الله هو الذي رآه، وإن قام بذاته علم أنه قام به رؤية ذلك الموجود الذي وجد، كما قال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وما سموه إضافات وأحوالاً وتعلقات وغير ذلك، يقال لهم:هذه أمـــور موجودة أو ليست موجودة، فإن لم تكن موجودة فلا فرق بين حاله قبل أن يرى ويسمع، وبعد أن يرى ويسمع، فإن العدم المستمر لا يوجب كونه صار رائياً سامعاً، وإن قلتم: بل هي أمور وجوديـــة فقـــد أقـــررتم بأن رؤية الشيء المعين لم تكن حاصلة ثم صارت حاصلة بذاته، وهي أمر وجودي »[2].

وقـــد دلـــت الأدلة على: « قيام أمور وجودية حادثة بذاته، مثال ذلك أنه سبحانه وتعالى يســـمع ويرى ما يخلقه من الأصوات والمرئيات، وقد أخبر القرآن بحدوث ذلك »[3] في مثل الآية السابقة، والأدلة على ذلك سبق ذكرها في صفة العلم والسمع والبصر.

ب ــ رد صفتي السمع والبصر للعلم:

يفهم من كلام أبي طالب المكي وابن برجان في صفتي السمع والبصر ردها إلى صفة العلم، كما سبق ذكر ألفاظها.

---

[1] سورة التوبة الآية: ١٠٥ .

[2] درء التعارض جـ٢/٢٤١ .

[3] نفس المرجع جـ٢/٢٣٩ .

والصواب مغايرة السمع والبصر للعلم: « لأن الله قرن بين العلم وبين السمع والبصر، وفرق بين السمع والبصر، وهو لا يفرق بين علم وعلم، لتنوع المعلومات،قال تعالى:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1]، وفي موضع آخر : ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]، وقال:﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3]، ذكر سمعه لأقوالهم، وعلمه ليتناول باطن أحوالهم، وقال لموسى وهارون:﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[4].

وفي السنن عن النبي ﷺ " أنه قرأ على المنبر : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[5] ووضع إبهامه على أذنه وسبابته على عينه" [6]، ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة، لا تمثيل الخالق بالمخلوق، فلو كان السمع والبصر العلم لم يصح ذلك »[7].

وقال البيهقي في تعليقه على هذا الحديث:« أفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر لا على معنى أنه عليم، إذ لو كان بمعنى العلم، لأشار في تحقيقه إلى القلب، لأنه محل العلم منا »[8].

فبهذا يتضح خطأ السالمية في رد هاتين الصفتين إلى العلم، وأما صفة الكلام فسيأتي الكلام عليها، إن شاء الله ـــ تعالى ـــ.

---

[1] سورة فصلت الآية: ٣٦ .

[2] سورة الأعراف الآية: ٢٠٠ .

[3] سورة البقرة الآية: ٢٢٧ .

[4] سورة طه الآية: ٤٦ .

[5] سورة النساء الآية: ٥٨ .

[6] أخرجه أبو داود في (كتاب السنة، باب: في الجهمية) جـ٥/٦٥ حديث رقم ٤٧٢٨ ، والحاكم في المستدرك جـ١/٢٤ ، وقال: هذا حديث صحيح و لم يخرجاه، وذكر الذهبي: أن الحديث على شرط مسلم، والبيهقي في الأسماء والصفات جـ١/ ٢٩٤ (ط/حيدر)، وابن بطة في المختارة من الإبانة (الكتاب الثالث) جـ٣/١١٦ رقم ٨٧ وقال محققه الوليد سيف النصر: صحيح ورجال أبي داود ثقات رجال مسلم.

[7] شرح الأصفهانية ص١٠٣-١٠٤ .

[8] الأسماء والصفات جـ١/٢٩٥ .

رابعاً: رد الصفات إلى ثلاث أو ست أو سبع عند السالمية:

يفهم من بعض أقوال أبي طالب وابن برجان رد الصفات إلى ثلاث صفات هي: العلم والقدرة والإرادة أو ست أو سبع، قال أبو طالب: « سامع لما شهد متكلم بما علم، فقد سبق النظر والسمع والكلام الكون كله، من حيث سبق العلم والقدرة والمشيئة، فهو ناظر سامع متكلم بنفسه من حيث كان عالماً مقتدراً مريداً بنفسه، ثم أظهر الخلق عالماً بعد عالم في وقت بعد وقت، فجاؤا على نظره وسمعه وكلامه كما كانوا في علمه وقدرته ومشيئته »[1]، وقال: « والمعتزلة أيضاً مجمعة على نفي العلم والقدرة والمشيئة »[2]، فكأنه يردها إلى ثلاث قبل إيجاد الخلق، وست بعد ذلك.

وقال ابن برجان: « اعلم وفقك الله أن هذه الصفات التي هي صفات الذات ﷻ كالقدرة والعلم والإرادة ونحو ذلك،... إنما سميت بذلك تحديداً وتوقيفاً بالكتاب والسنة »[3]، وقال: « ليس يعزب عن علمه وقدرته ومشيئته مثقال ذرة في الوجود »[4]، وهذا القول قد يكون له علاقة بقول المعتزلة: إن الله لم يزل عالماً قادراً حياً، وأجمعت على ذلك[5]، قال الشهرستاني: « وانتهى نظرهم فيها[6] إلى رد جميع الصفات إلى كونه: عالماً قادراً »[7].

لكنهما يزيدان على المعتزلة فيثبتان ست أو سبع صفات، وإن كان أبو طالب يرد صفات السمع والبصر والكلام إلى صفة العلم، وأما ابن برجان فيقول ـ عن منهجه في شرح الأسماء ـ: « والثالث معرفة رجوعها إلى الصفات العلى وهي: الإلهية والوحدة والحياة والعلم والقدرة والإرادة والملك، فيضاف إلى كل صفة منها ما وافق معناها من الأسماء، كالوحدة يضاف إليها ما كان في معنى عدم القرين وانقطاع النظير والشبه والمثل ونحو هذا كالواحد، والفرد، والصمد، والوتر، ...

---

[1] القوت جـ٢/١٤٥ .

[2] نفس المرجع جـ٢/١٤٧ .

[3] شرح الأسماء الحسنى ورقه ٧٦ أ.

[4] نفس المرجع ص٧ أ.

[5] انظر: المقالات جـ١/٢٣٨ .

[6] أي في كتب الفلاسفة.

[7] الملل والنحل جـ١/٤٦ .

وينضاف إلى الحياة ما كان في معناها كالحي والباقي والدايم،... كذلك العلم ينضاف إليه ما كان في معناه كالعليم، والخبير، والسميع، والبصير، والشهيد... »[١].

ومن هذا القول يتضح تأثر ابن برجان بالأشعرية، لكنه لم يذكر السمع والبصر والكلام، وذكر الإلهية والوحدة والملك بدلاً منها، وهذه الأقوال من أبي طالب وابن برجان غاية في التناقض فقد تقدم ما يشير إلى رد الصفات إلى صفة العلم، وكذلك إثبات الصفات الفعلية على أنها ذاتية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ عن نفاة الصفات ــ: « إنه قوم سفسطوا في العقليات وقرمطوا في السمعيات، ليس معهم على نفيهم لا عقل ولا سمع، ولا رأي سديد، ولا شرع،...

ولهذا تغلب عليهم الحيرة والارتياب، والشك والاضطراب »[٢].

وهذا القول باطل من وجوه:

١- لا فرق بين صفات الله ــ تعالى ــ، فإن ما نفيتموه من الصفات يلزمكم فيه نظير ما أثبتموه، فإما أن تعطلوا الجميع وهو ممتنع، وإما أن تمثلوه بالمخلوقات وهو ممتنع، وإما أن تثبتوا الجميع على وجه يختص به؛ لا يماثله فيه غيره، وحينئذ فلا فرق بين صفة وصفة، فالفرق بينهما بإثبات أحدهما ونفي الآخر فراراً من التشبيه والتجسيم قول باطل، يتضمن الفرق بين المتماثلين، والتناقض في المقالتين[٣].

٢- تخصيص هذه الصفات بالإثبات دون غيرها تخصيص من غير مخصص، والدليل العقلي والنقلي قد دلا على اتصافه تعالى بهذه الصفات وغيرها، فإن زعموا أنه لا بد من دليل عقلي على تلك الصفات؟

قيل لهم: **أولاً**: بقية الصفات ثابتة بالعقل.

ثانياً: على فرض عدم وجود الدليل العقلي على ما عدا هذه الصفات فإنه لا يستلزم أنه لا دليل يدل عليها، ومن ثم فليس لهم نفيها إلا بدليل، ولا دليل على النفي، إلا عدم الدليل، وعدم

---

[١] شرح الأسماء الحسنى ورقه١ ب.

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٥/٢٩١ ، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٨ .

[٣] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٤٥-٤٧ ، والتدمرية ص٣١-٣٢ .

العلم ليس علماً بالعدم، والنافي عليه الدليل كما أن على المثبت الدليل[١].

٣- وجوب التصديق بما أخبر الله به ورسوله من صفاته ليس موقوفاً على أن يقوم عليه دليل عقـلي على تلك الصفة بعينها، فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول ﷺ إذا أخبرنا بشـيء مـن صفات الله وجب علينا التصديق به وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا، ومن لم يقر بما جاء به الرسـول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم:﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾[٢]، ومـن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا متلقيا عنه الأخبار بشأن الربوبية، ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك أو لم يخبر به[٣].

٤- ما زعمه هؤلاء وغيرهم من الأدلة العقلية على إثبات هذه الصفات ونفي ما سواها ليس لهم قاعدة ثابتة فيما يزعمون أن العقل يوجبه أو يحكم باستحالته، ودليل ذلك تناقضهم فيما بينهم، فإنهـا لا تصلح حكما في إثبات الحقائق الغيبية، فضلا عن تحكيمها فيما يتنازع الناس فيه، والقرآن الكـريم أنزله الله يخرج الناس من الحيرة والمتاهة، والصواب أن الأدلة العقلية لا يمكن أن تخالف ما جاء من عند الله تعالى[٤].

وقـد تقدمـت النصـوص من الكتاب والسنة وأدلة العقل والفطرة على إثبات الصفات الاخـتيارية، والرد على شبهاتهم، لكن حقيقة قول هؤلاء « ترتيب الأصول في تكذيب الرسول، ومخالفة صريح المعقول وصحيح المنقول »[٥].

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٤٦ ، والتدمرية ص٣٣ ، والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، تأليف الشيخ فالح آل مهدي، تصحيح د. عبد الرحمن المحمود ص٨٤-٨٥ ، ط/ الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار الوطن – الرياض.

[٢] سورة الأنعام الآية: ١٢٤ .

[٣] انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ص٢٧-٢٨ .

[٤] انظر: أسماء الله وصفاته تأليف د. عمر الأشقر ص١٧٨-١٧٩، ط/الثانية١٤١٤هـ الناشر دار النفائس عمان الأردن.

[٥] درء التعارض جـ٢/٢٠٧.

خامساً: وحدة الشهود:

يـــدور كـــثير من كلام أبي طالب المكي وابن برجان حول الحلول، وإن كانا لا يصرحان بـــلفظه، وســـيأتي بيانه[١]، ولكن لا بد من إشارة لما دار حوله كلام أبي طالب المكي في الصفات، فذكـــر في القرب والمعية والدنو والعلو ما يفهم منه الحلول، بل لازمه الحلول، وسيأتي ذكر ألفاظه، لكـــنه دندن حول كلمة الشهود، والحجب وغيرها، فيقول: « فلا موجود في الأولية ولا المشاهدة ســـواه »[٢] وكرر نفس العبارة في الصفحة التالية، وقال: « إن الكفر والضلال موجود في طبائع الـــنفوس لعدم شهادة الأبصار، ولفقد وجود مشاهد الإلهية في تخيل الأفكار، ولجريان المعتاد »[٣]، وقال: « ولا حس في وجوده ولا مس في شهوده، ولا إدراك في حضوره »[٤]، وقال: « لا يعرف إلا بشهوده »[٥]، وقال: « وإن الله ـــ تعالى ـــ لا يحجبه شيء عن شيء، ... قريب من كل شيء بوصفه، وهو القدرة والدرك، والأشياء مبعدة بأوصافها، وهو البعد والحجب، فالبعد والإبعاد حكم مشيئته، والحدود والأقطار حجب بريته »[٦]،

وقال: « لا يحجبه بعد التأخير »[٧].

ونسب إلى بعض الصديقين ـــ ولم يسمهم ـــ أنه دعا إلى الله ـــ تعالى ـــ بحقيقة التوحيد، فـــلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد، ...فأوحى الله إليه: تريد أن تستجيب لك العقول؟ قال: نعم، قال: احجبني عنهم، قال: كيف أحجبك وأنا أدعو إليك؟ قال: تكلم في الأسباب وفي أسباب الأسباب، قال الصديق: فاستجاب له الجم الغفير[٨].

---

[١] انظر: ما سيأتي في ص٧٨٧-٧٩٥ .

[٢] القوت جـــ٢/١٤٣ ، ١٤٤ .

[٣] نفس المرجع جـــ٢/١٤٧ .

[٤] نفس المرجع جـــ٢/١٤١ .

[٥] نفس المرجع جـــ٢/١٤٢ .

[٦] نفس المرجع جـــ٢/١٤١ .

[٧] نفس المرجع جـــ٢/١٤٥ .

[٨] نفس المرجع جـــ٢/١٤٨ .

وهل مراد أبي طالب المكي نفي الأسباب المعروفة التي تنازع الناس في إثباتها وعدمه أم لا؟، والحقيقة أنه بجمع أقواله بعضها إلى بعض نجده يدور حول الاتحاد والحلول، نعم هو ينفي الأسباب، لكن نفي الأسباب لا يحتاج إلى ذكر المشاهدة والحجب والاتحاد وأن التوحيد سر، يقول: « لا شريك له في ملكه، ولا معين له في خلقه، ولا نظير له من عباده، ولا شبيه له في اتحاده »[1].

وقال في آخر اعتقاده: « ولو لا أن التوحيد لم يرسمه عارف قط في كتاب ولا كشفه علام في خطاب، لعجز علوم العموم عن درك شهادته، ولسبق إنكاره القول، لضعفها عن حمل مكاشفته، لذكرنا من ذلك ما يبهر العقول، ويبهت ذوي المعقول »[2] ثم ذكر بعد ذلك: أن من صرح بالتوحيد، وأفشى الوحدانية فقتله أفضل من إحياء غيره، ثم زعم أن التوحيد سر[3]، وسبق الرد على هذا.

والمشاهدة عند الصوفية: « تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وتطلق بإزائه على رؤية الحق في الأشياء، وذلك هو الوجه الذي له تعالى بحسب ظاهريته في كل شيء »[4]، والحجاب عند الصوفية: « انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحق »[5].

ولعل مراد أبي طالب المكي في المشاهدة الأول، وإن كان لا يسلم من الثاني، ويؤيده أقواله واتباعه في العلو والاستواء والمعية والقرب والتجلي كما سيأتي، وسيأتي الكلام على الحلول والاتحاد، لكن ذكره لهذه الأقوال يناقض ما ذكره في الصفات بالكلية، لكن أبا طالب متناقض في كثير من المسائل، والله ـ تعالى ـ يتولى السرائر، وعفوه ورحمته نرجو وبالله التوفيق.

وأما ابن برجان فلم يذكر لفظ المشاهدة وذكر الحجب والأستار وهو يدور حول الحلول، وسيأتي بيانه إن شاء الله[6].

---

[1] القوت جـ١٤٢/١ .

[2] انظر: نفس المرجع جـ١٤٨/٢ .

[3] نفس المرجع جـ١٤٩/٢ ، وانظر: ما تقدم في الرد عليه في ص٣١٠-٣١٤ .

[4] التعريفات للجرجاني ص٢٧٤ .

[5] نفس المرجع ص١١٠ .

[6] انظر: تفسير ابن برجان ورقة ٢٣٠ ، وشرح الأسماء الحسنى ورقة ١٧ ب، ١٨ب وانظر: ما سيأتي في ص٧٦٤-٧٧٦ .

المبحث الرابع: صفتا الاستواء والعلو عند السالمية.

صـــفة العـــلو من أهم الصفات التي خالفت فيها السالمية، بل اشتهرت بهذا القول، وهما صفتان إحداهما تدل على الأخرى، فالاستواء من أهم أدلة العلو، لذلك نبدأ بالكلام عليه.

أولاً: صفة الاستواء عند السالمية:

الاســـتواء في اللغة يأتي بمعنى ارتفع وصعد واستقر إذا عدى بعلى، وإذا أطلق يكون معناه كمل وتم[١].

والاســـتواء مختص بالعرش بعد خلق السموات والأرض[٢]، وهي من الصفات الاختيارية المعلومة بالسمع فقط[٣]، والأقوال في هذه الصفة تعتمد على القول في الصفات الاختيارية.

وقد اختلفت الفرق في صفة الاستواء على عدة أقوال:

١- نفي الاستواء، وذهب إليه الجهمية والمعتزلة، وكثير من متأخري الأشاعرة[٤]، وهؤلاء قالوا: الاستواء مجاز، ثم اختلفوا في تأويله:

أ ـــ فقالت طائفة: استوى أي استولى أي ملك وقهر.

ب ـــ وقالت طائفة: استوى أي قصد وأقبل على خلق العرش.

ج ـــ وقـــالت طائفـــة: بـــل مجمل في مجازاته يحتمل خمسة عشر وجهاً كلها، لا يعلم أيها المراد[٥].

٢- إثبات الاستواء بمعنى أنه صفة للعرش، وليس صفة لله ـــ تعالى ـــ، وقالوا: إن الاستواء فعـــل يفعلـــه الـــرب في العرش، بمعنى يحدث في العرش قرباً فيصير مستوياً عليه، من غير أن يقوم به

---

[١] انظـــر: صـــحيح الإمـــام البخاري (كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء) جـــ٥/٢٣١٥ ، معلقا عن أبي العالية ومجاهد، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة جـــ٣/٤٠٠ ، ومختصر الصواعق جـــ٢/٣٠٦ .

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٢٢٦ .

[٣] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٥/١٢٢ .

[٤] انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ت/ بشير محمد عيون ص٩٨ ، ط/ الثالثة ١٤١١هـــ الناشر مكتبة دار البيان – دمشق، ومكتبة المؤيد – الرياض، ومجموع فتاوى ابن تيمية٥/٩٦ .

[٥] انظر: مختصر الصواعق جـــ١/١٢٦ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية٥/٥٢٠ .

فعل اختياري، وذهب إليه ابن كلاب والأشعري ومتقدمو أصحابه ومن وافقهم[١].

٣- إثبات لفظ الاستواء فقط مع التوقف في المعنى المراد، وقال به البيهقي[٢].

٤- إثبات الاستواء، والتعمق في الكلام على كيفية ذلك الاستواء، وينسب إلى أصحاب هشام بن عبد الحكم الرافضي، وإلى الكرامية[٣].

٥- مذهب سلف الأمة وأئمتها: أن صفة الاستواء من الصفات الاختيارية القائمة بالله ـ تعالى ـ، وهو متعلق بمشيئته وإرادته، كما سيأتي تفصيله.

أما قول السالمية في هذه الصفة فهم على قولين:

أحدهما: وهو المشهور المبتدع وهو موافقة الكلابية، ويقول به أبو طالب المكي وأتباعه كابن برجان وأمثاله.

والثاني: وهو الموافق للحق ولقول السلف وهو إثبات صفة الاستواء من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، مثل أبي علي الأهوازي، فإنه على مذهب السلف في الإثبات، وهم الذين عناهم شيخ الإسلام في ذكره للسالمية ممن يثبت الصفات الاختيارية كما سبق بيانه.

وهذه أقوالهم:

يقول أبو طالب المكي:«ويعلم أن الله ـ عز وجل ـ أقرب إلى القلب من وريده، وأقرب إلى الروح من حياته، وأقرب من البصر من نظره، وأقرب من اللسان من ريقه، بقرب هو وصف لا بتقريب ولا بتقرّب، وأنه ـ تعالى ـ على العرش في ذلك كله... ولا نصيب [للعرش][٤] منه إلا كنصيب موقن عالم به، ...

ثم استوى على العرش، وهو معكم أينما كنتم، غير متصل بالخلق ولا مفارق، وغير مماس

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٤٣٧ ، ٤٦٦ .

[٢] انظر: الاعتقاد له ص٥٣ .

[٣] انظر: الملل والنحل للشهرستاني جـ١/١٠٥ ، ١٠٧ ، وقد يكون في نسبته إلى الكرامية شيء من المبالغة. انظر: منهج الشهرستاني، تأليف السحيباني ص٤٥٠ .

[٤] كذا في مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٤٨٧ وفي الأصل العرض وهو خطأ.

لكون ولا متباعد »[1]، وقال: « الرحمن اسمه، والاستواء نعته، متصل بذاته »[2]، وقال: « العرش قبل السموات والأرض، والاستواء صفته لم تزل به، ثم أخبر أنه أخر الترتيب »[3]، وقال: « هو على عرشه باختياره بنفسه »[4]، ونقلها منه ابن برجان بحروفها[5]، ويقول: « استوى أي كمل وتم كما شاء المستوي العلي الكبير »[6] فهو لا يرى أن الاستواء على العرش كما جاء في كتاب الله ـ تعالى ـ بل يرى الحلول كما سيأتي، وأبو طالب وابن برجان يريان أن صفة الاستواء ذاتية وأنه مستوى في الأزل، وهما يوافقان الكلابية ومن وافقهم الذين يقولون: إن الاستواء فعل يفعله الرب في العرش، فيقول أبو طالب: « العرش قبل السموات والأرض والاستواء صفته » أي صفة للعرش، وليس من صفات الرب ـ تعالى ـ، مما يدل على أنه أراد قول الكلابية الذين قالوا: إنه ـ تعالى ـ يحدث في العرش قربا فيصير مستويا عليه من غير أن يقوم بالله ـ تعالى ـ فعل اختياري، لذلك قال: « هو على عرشه باختياره لنفسه » ولم يقل: مستوٍ.

وبمثل هذا قال ابن برجان فيقول: « الاستواء نعته وفعله، والعرش خلق منفصل من صفاته »[7]، وقال: « والعرش محل لاستوائه »[8]، ونقل أقوال أبي طالب السابقة.

ويوافق ابن الزاغوني الحنبلي الكلابية كما وافقهم السالمية، فيقول: « واسم الاستواء لحدوث العرش قرب الموجودات إليه، وإذا تقرر هذا كان وصفه بالاستواء على العرش من غير أن يتغير عما كان عليه في الأزل »[9].

---

[1] القوت جـ٢/١٤٠-١٤١ .

[2] نفس المرجع جـ٢/١٤٢ .

[3] نفس المرجع جـ٢/١٤٥ .

[4] نفس المرجع جـ٢/١٤٢ .

[5] انظر: تفسير ابن برجان ورقة ٢٢٩ب ، ٢٣٠ أ ، وشرح الأسماء الحسنى ورقة ١٧ أ.

[6] نفس المرجع ورقة ١٥ ، وانظر: ورقة ٣٤٣ أ ، ٣٥٣ ب .

[7] تفسير ابن برجان ورقة ٢٣٠ أ .

[8] نفس المرجع ورقة ٢٣٠ ب.

[9] انظر: الإيضاح في أصول الدين ورقة ٦ أ ، وشرح حديث النزول ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٤٦٦ .

وقال زهير الأثري وأبو معاذ التومني : « إن الله ـ سبحانه ـ بكل مكان، وإنه مع ذلك مستوٍ على عرشه، وإنه يرى بالأبصار بلا كيف، وإنه موجود الذات بكل مكان »[١]، وقريباً من هذا القول نُسب لذي النون المصري ولا يصح[٢].

وهذا القول متناقض متهافت، سنجمل الرد عليه هنا، وبيان تناقضه في صفة العلو، وسبب هذا القول نفيهم قيام الصفات الاختيارية بذاته ـ سبحانه وتعالى ـ، لذلك جعلوا أفعال الرب ـ تعالى ـ كالاستواء لازمة لذاته، والرد من وجوه:

١- قد تقدم في المبحث السابق بيان بطلان مذهبهم، وإقامة الأدلة على إثبات قيام الصفات الاختيارية بذات الرب ـ تعالى ـ، وهذا القول ابتدع لما أنكرت أفعال الله، ولم ينقل هذا القول عن أحد من السلف.

٢- معنى الاستواء في اللغة يرد هذا القول، فإن معنى الاستواء إذا قيد بعلى هو العلو والارتفاع والصعود، وهذا المعنى لا يمكن أن يعود على العرش.

٣- لو كان الاستواء عائداً على العرش لكانت القراءة برفع العرش، ولم تكن بخفضه، فلما كانت بخفض العرش دل على أن الاستواء عائد إلى الله ـ تعالى ـ[٣].

٤- إجماع الأمة ـ وفيها نفاة الاستواء الذين يؤولونه بـ "استولى"ـ على أن الاستواء فعل للرب ـ تعالى ـ، وهذا القول مبتدع لا يعرف، لذا كان غاية القائلين به الرجوع إلى مذهب المعتزلة ونفي الاستواء.

وأما مذهب السلف في الاستواء فيعتقدون أن الله ـ تعالى ـ مستو على عرشه، فوق سبع سموات، بائن من خلقه، استواء يليق بذاته من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل[٤]،

---

[١] المقالات جـ١/٣٥١ ، ودرء التعارض جـ٦/٣٠٤ .

[٢] انظر: ما سيأتي في ص٧٤٠ .

[٣] انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ت/ د.عواد المعتق ص١٨١ ، ط/ الأولى ١٤٠٨هـ.

[٤] انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ت/ نبيل السبكي ص١٣ ، ط/ الأولى ١٤١٣هـ ولم يذكر الناشر، ولوائح الأنوار السنية (شرح قصيدة ابن أبي داود) السفاريني ت/ عبد الله البصيري جـ١/٣٤٨ ، ط/ الأولى ١٤١٥هـ الناشر مكتبة الرشد ـ الرياض.

وأن الاستواء فعل يفعله سبحانه وتعالى بمشيئته وقدرته، ولهذا قال:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ﴾[1].

وقد ورد إثبات الاستواء في كتاب الله ــ تعالى ــ في سبع آيات قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾[3]، وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[4]، وقال تعالى:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾[5]، وقال تعالى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[6]، وقال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[7]، وقال تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ ﴾[8].

وقد بين السلف معنى هذه الآيات فقال الإمام مالك ــ رحمه الله ــ: « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة »[9].

---

[1] شرح حديث النزول لابن تيمية ت/ د.محمد الخميس ص٣٩٥ ، ط/ الثانية ١٤١٨هـ الناشر دار العاصمة - الرياض.

[2] سورة الأعراف الآية: ٥٤ .

[3] سورة يونس الآية: ٣ .

[4] سورة الرعد الآية: ٢ .

[5] سورة طه الآية: ٥ .

[6] سورة الفرقان الآية: ٥٩ .

[7] سورة السجدة الآية: ٤.

[8] سورة الحديد الآية: ٤ .

[9] أخرجه الصابوني في عقيدة السلف ص١٦ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة جـ٣/٣٩٨ ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الحموية ت/ حمد التويجري ص٣٠٦ : « وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات » أ.هـ.===

وهذا هو قول أهل السنة قاطبة[1].

والأحاديث والآثار عن السلف كثيرة سيأتي ذكر بعضها في العلو.

وأمـــا المعنى الذي ذكره ابن برجان للاستواء، فهو من معانيه في اللغة، لكن: « لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم، وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق ومقيد.

فالمطلق: ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله:﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ﴾[2]، وهذه معناه كمل وتم...

وأما المقيد فثلاثة أضراب:

أحدها: مقيد بـــ"إلى" كقوله : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[3] واستوى فلان إلى السطح وإلى الغـــرفة، وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بإلى في موضعين من كتابه، في سورة البقرة وهو قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[4].

والـــثاني: مقيـــد بـــ"على" كقوله:﴿ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾[5] وقوله:﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ﴾[6] وقوله:﴿ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾[7]، وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

=== ط/ الأولى ١٤١٩هـــ الناشر دار الصميعي – الرياض، والذهبي في العلو للعلي العظيم ت/ د.عبد الله البراك جـــ٢/ ٩٥٣ ، ط/ الأولى ١٤٢٠هـــ الناشر دار الوطن – الرياض، وقال الذهبي: « هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة، شـيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة »، وصححه الألباني في مختصر العلو ص١٣٢ رقم ٩٧ ، ط/ الثانية ١٤١٢هـــ الناشر المكتب الإسلامي، بيروت –لبنان.

[1] انظر: العلو للعلي العظيم جـــ٢/٩٧٠ .

[2] سورة القصص الآية: ١٤ .

[3] سورة فصلت الآية:١١.

[4] سورة البقرة الآية: ٢٩ .

[5] سورة الزخرف الآية: ١٣ .

[6] سورة هود الآية: ٤٤ .

[7] سورة الفتح الآية: ٢٩ .

والثالث: المقرون بـ"واو" (مع) التي تُعدي الفعل إلى المفعول معه نحو "استوى الماء والخشبة..."[١].

ويتعلق بالاستواء مسائل:

١- المماسة والمباينة:

السالمية ومن وافقهم الذين قالوا في الاستواء: إنه سبحانه بكل مكان، وإنه مستو على العرش، زادوا بعض العبارات، فقال أبو طالب المكي: « وأن العرش غير ملامس له بحس، ولا مفكر فيه بوجس[٢]، ولا ناظر إليه بعين ولا محيط به بدرك »[٣]، وقال ابن برجان: « وغير مماس للكون ولا مباعد »[٤]، وقال زهير الأثري وأبو معاذ التومني: « إنه ليس بجسم، ولا محدود، ولا يجوز عليه الحلول والمماسة »[٥].

وقد أثبت أبو الحسن التميمي من الحنابلة الاستواء لا بمعنى المماسة للعرش ولا مبايناًله، وكذلك القاضي أبو يعلى في أول قوله، ثم رجع عنه[٦].

وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ هذه المسألة فقال في قول من يقول: إنه فوق العرش وليس بجسم: « وهذا قول الكلابية وأئمة الأشعرية وطوائف ممن أتبعهم من أهل الفقه وغيرهم، وطوائف كثيرة من أهل الكلام والفقه يقولون: بل هو مماس للعرش، ومنهم من يقول: هو مباين له، ولأصحاب أحمد ونحوهم من أهل الحديث والفقه والتصوف في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

---

[١] مختصر الصواعق جـ٢/٣٠٦ باختصار.

[٢] في مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٤٨٧ « وأن العرش غير ملاصق له بحس، ولا تمكن فيه، ولا يذكر فيه بوجس، ولا ناظر إليه بعين، ولا يحاط به فيدرك ».

[٣] القوت جـ٢/١٤١ .

[٤] شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٧ أ.

[٥] المقالات جـ١/٣٥١ ، ودرء التعارض جـ٦/٣٠٤ .

[٦] انظر: الروايتين والوجهين مسائل من أصول الديانات للقاضي أبي يعلى ت/سعود الخلف ص٤٦ ،٤٩ .، ط/ دار البخاري-المدينة. والتميمي: هو أبو الحسن عبد العزيز بن الحارث بن أسد التميمي، فقيه حنبلي له اطلاع على مسائل الخلاف، صنف كتبا في الأصول والفرائض، (ت سنة ٣٧١هـ). انظر: طبقات الحنابلة جـ٢/١٣٩ ، والأعلام للزركلي جـ٤/١٦.

١- منهم من يثبت المماسة كما جاءت بها الآثار.

٢- ثم من هؤلاء من يقول إنما أثبت إدراك اللمس من غير مماسة للمخلوق، بل أثبت الإدراكات الخمسة له، وهذا قول أكثر الأشعرية والقاضي أبي يعلى وغيره فلهم في المسألة قولان، ... وعلى هذا فلا يرد السؤال.

٣- ومنهم من أصحاب أحمد وغيره من ينفي المماسة.

٤- ومنهم من يقول لا أثبتها ولا أنفيها فلا أقول هو مماس مباين ولا غير مماس ولا مباين.

وهذه "المباينة" التي تقابل "المماسة" أخص من المباينة التي تقابل المحايثة، فإن هذه العامة متفق عليها عند أهل الإثبات، وهي تكون للجسم مع الجسم وللجسم مع العرض، وأما التي تقابل المماسة فإنها لا تكون له مع العرض والعرض يحايث الجسم فلا يباينه المباينة العامة، وأما الخاصة فلا يقال فيها مباينة ومماسة فامتناع خلوه عن المباينة العامة والمحايثة أولى، فإن المباينة الخاصة والمماسة نوعان للمباينة العامة، فإذا امتنع رفع النوع فامتناع رفع الجنس أولى، وليس هذا موضع الكلام في هذه الأقوال.

ولكن نذكر جواباً عاماً فنقول: كونه فوق العرش ثبت بالشرع المتواتر وإجماع سلف الأمة؛ مع دلالة العقل ضرورة ونظراً أنه خارج العالم، فلا يخلو مع ذلك: إما أن يلزم أن يكون مماساً أو مبايناً، أو لا يلزم، فإن لزم أحدهما كان ذلك لازماً للحق، ولازم الحق حق، وليس في مماسته للعرش ونحوه محذور كما في مماسته لكل مخلوق من النجاسات والشياطين وغير ذلك، فإن تنزيهه عن ذلك إنما أثبتناه لوجوب بعد هذه الأشياء عنه، وكونها ملعونة مطرودة، لم نثبته لاستحالة المماسة عليه، وتلك الأدلة منتفية في مماسته للعرش ونحوه، كما روي في مس آدم وغيره، وهذا جواب جمهور أهل الحديث وكثير من أهل الكلام، وإن لم يلزم من كونه فوق العرش أن يكون مماساً أو مبايناً فقد اندفع السؤال. فهذا الجواب هنا قاطع من غير حاجة إلى تغيير[1].

القول الصحيح في هذا المقام وبين من قال إنه فوق العرش ليس بمباين كما يقوله من الكلابية والأشعرية من يقول ومن اتبعهم من أهل الفقه والحديث والتصوف والحنبلية وغيرهم: إن

---

[1] في الهامش وتتحمل (نقص).

كـــان قولهم حقاً فلا كلام، وإن كان باطلاً فليس ظهور بطلانه[١] موجود قائم بنفسه مع وجود قائم بنفسه أنه فيه ليس بمماس ولا مباين له، وأنه ليس هو فيه ولا هو خارجاً عنه »[٢].

٢- لفظ الجسم:

نفى السالمية لفظ الجسم قال الزبيدي: « وعند أهل السنة من أجل أن الله ــ تعالى ــ غير ذي جسم يصح أن يرى في غير تحديد ولايمتنع أن يراه من لايرى سواه »، ويرد على المعتزلة تسمينهم لأهل السـنة مجسـمة[٣]، وقـال زهـير الأثـري وأبو معاذ التومني : « مستو على عرشه، وليس بجسم، ولا محدود»[٤].

وأما أبو طالب المكي وابن برجان فلم يذكرا لفظ الجسم لكن ظاهر كلامهما نفيه.

وللناس أربعة أقوال هي:

« ١- منهم من يقول: هو فوق العرش وليس جسم.

٢- منهم من يقول : هو فوق العرش وهو جسم.

٣- منهم من يقول: هو فوق العرش ولا أقول هو جسم.

٤- ثم من هؤلاء من يسكت عن هذا النفي والإثبات، لأن كليهما بدعة في الشرع.

ومنهم من يستفصل عن مسمى الجسم، فإن فسر بما يجب تتريه الرب عنه نفاه وبين أن علـوه عـلى العـرش لا يستلزم ذلك، وإن فسر بما يتصف الرب به لم ينف ذلك المعنى، فالجسم في اللغة هو البدن، والله متره عن ذلك، وأهل الكلام قد يريدون بالجسم ما هو مركب من الجواهر المفردة أو من المادة والصورة، وكثير منهم ينازع في كون الأجسام المخلوقة مركبة من هذا وهذا، بل أكثر العقلاء من بني آدم عندهم أن السموات ليست مركبة، لا من الجواهر المفردة، ولا مـن المـادة والصورة، فكيف يكون رب العالمين مركباً من هذا وهذا؟ فمن قال: إن الله جسم،

---

[١] في الهامش يبدو أن في الكلام سقط تقديره (كظهور بطلان) كما تقدم.

[٢] بيان تلبيس الجهمية جـ٢/٥٥٥-٥٥٦ ، وانظر: الروايتين والوجهين ص٤٨-٤٩ .

[٣] انظر: رسالة في حفظ النبوة ورقة ٦٠ب .

[٤] انظر: المقالات جـ١/٣٥١ ، ودرء التعارض جـ٦/٣٠٤.

وأراد بالجسم هذا المركب، فهو مخطئ في ذلك، ومن قصد نفي هذا التركيب عن الله، فقد أصاب في نفيه عن الله، لكن ينبغي أن يذكر عبارة تبين مقصوده.

ولفـظ التركيب قد يراد به أنه ركبه مركب، أو أنه كانت أجزاؤه متفرقة فاجتمع، أو أنه يقبل التفريق، والله متره عن ذلك كله.

وقد يراد بلفظ الجسم والتحيز ما يشار إليه بمعنى أن الأيدي ترفع إليه في الدعاء، وأنه يقال: هـو هنا وهناك، ويراد به القائم بنفسه، وهو عند السلف وأهل السنة ترفع الأيدي إليه في الدعاء وهو فوق العرش، فإذا سمى المسمي ما يتصف بهذه المعاني جسماً، كان كتسمية الآخر ما يتصف بأنه حي عالم قادر جسماً، وتسمية الآخر ما له حياة وعلم وقدرة جسماً »[1].

وعلى كل فألفاظ الجسم والحدود ألفاظ مجملة، وشيخ الإسلام رأى الاستفصال، وهذا من قواعد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، وقولهم لا محدود مثل الجسم.

وقد أنكر الزبيدي على المعتزلة تأويل استواء الرب ـ تعالى ـ على العرش[2].

ومن المسائل المتعلقة بالاستواء إثبات العرش.

٣- **العرش**:

والعرش في اللغة سرير الملك[3].

وقال تعالى:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[4]، وقال تعالى:﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[5]، وكل سرير للملك يسمى عرشاً، قال تعالى عن ملكة سبأ:﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[6].

وقد اختلفت الفرق في تعريف العرش على ثلاثة أقوال:

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٤١٨-٤١٩، ومختصر الصواعق جـ١/١١٠-١١١ .

[2] انظر: رسالة حفظ النبوة ورقة رقم ٦٠ أ .

[3] انظر: لسان العرب جـ٦/٣١٣ .

[4] سورة يوسف الآية: ١٠٠ .

[5] سورة النمل آية: ٤١ .

[6] سورة النمل الآية: ٢٣ .

الأول: أن العرش هو السرير، وهذا مذهب السلف[١]، والكلابية والكرامية وغيرهم[٢].

الثاني: أن العرش هو الملك، وذهب إلى هذا الجهمية والمعتزلة والماتريدية ومتأخرو الأشعرية[٣].

الثالث: أن العرش فلك مستدير من جميع الجوانب محيط بالعالم من كل جهة، وهذا قول الفلاسفة[٤].

وقد ذكر أبو طالب ما يفهم منه أن العرش سرير، فيقول: « وأنه تعالى على العرش في ذلك كله، ... وأن العرش غير ملامس له بحس »[٥]، وقال: « العرش حد خلقه الأعلى، وهو غير محدود بعرشه ــ تعالى ــ »[٦]، وقال: « العرش قبل السموات والأرض »[٧]، وبمثل هذا قال ابن برجان[٨].

وهذه الأقوال ظاهرها يدل على موافقتهما للسلف كما وافقتهم الكلابية وغيرهم، لكن هذا الإثبات يناقض قولهم في الاستواء، وفي العلو.

والعرش ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة وأئمتها[٩]،وقد ورد ذكر العرش كثيراً في القرآن والسنة النبوية الشريفة، وأنه أعظم مخلوقات الله، وقد كان خلقه قبل السموات والأرض، كما قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[١٠].

---

[١] انظر: تفسير الطبري جـ١١/٣٥ ، جـ١١/٤٦ ، والعلو للذهبي جـ١/٥٦٢ .

[٢] انظر: مقدمة العرش لابن أبي شيبة د. محمد الخليفة ص٣٧ ط/ الأولى ١٤١٨هـ الناشر مكتبة الرشد وشركة الرياض.

[٣] انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار تعليق أحمد بن أبي هاشم ت/ د.عبد الكريم عثمان ص٢٢٦-٢٢٧ ، ط/ الثانية ١٤٠٨هـ الناشر مكتبة وهبة – القاهرة.

[٤] انظر: الرسالة العرشية ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٥٤٦ .

[٥] القوت جـ٢/١٤١ .

[٦] نفس المرجع جـ٢/١٤٢ .

[٧] نفس المرجع جـ٢/١٤٥ .

[٨] انظر: تفسير ابن برجان ورقة ٢٣٠ أ ، ٦ .

[٩] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٥٨٤ .

[١٠] سورة هود آية: ٧ .

وفي الحديث عن عمران بن حصين ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض »[١].

وأخبر الله ــ سبحانه وتعالى ــ عن نفسه أنه استوى على عرشه.

وهوسبحانه متمدح بأنه ذو العرش، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ۝٤٢﴾[٢]، وقال تعالى:﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥﴾[٣]، وقال تعالى:﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾[٤]، وقال تعالى:﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾[٥]،فوصف العرش بأنه عظيم.

وفي الحديث عن ابن عباس ﷺ قال: « كان النبي ﷺ يقول عند الكرب: لا إله إلا الله العليم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم »[٦] فوصفه في الحديث بأنه عظيم وكريم أيضاً[٧].

٤- الكرسي:

لم يذكره أحد من السالمية لذا لا حاجة للإطالة فيه.

والمراد بالكرسي موضع القدمين، وهو المأثور عن السلف.

وقد صح عن ابن عباس ﷺ موقوفاً أنه قال: « الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر

---

[١] أخرجه البخاري في (كتاب بدء الخلق باب: قول الله تعالى﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾) جـ٢/٩٨٦ حديث رقم٣١٩١.

[٢] سورة الإسراء الآية: ٤٢ .

[٣] سورة غافر الآية: ١٥ .

[٤] سورة البروج الآيات: ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

[٥] سورة التوبة الآية: ١٢٩ .

[٦] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد باب: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ ﴿وهو رب العرش العظيم﴾) جـ٥/٢٣١٧ حديث رقم ٧٤٢٦.

[٧] انظر: التوحيد لابن خزيمة جـ١/٢٣١-٢٣٢ ، والعلو للعلي العظيم للذهبي جـ١/٥٦٢-٥٨٦ ، وعلو الله على خلقه د.موسى الدويش ص٢٠٩-٢١١ ، ط/ الأولى ١٤٠٧هـ الناشر مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

قدره إلا الله تعالى »[1].

ونقــل عن جمهور السلف مثل هذا، قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين[2]: « ومن قول أهل السنة أن الكرسي بين يدي العرش وأنه موضع القدمين »[3].

وقــد نقل عن بعضهم: أن كرسيه علمه، وهو قول ضعيف، فإن علم الله وسع كل شيء، والله يعلم نفسه ويعلم ما كان وما لم يكن، فلو قيل: وسع علمه السموات والأرض، لم يكن هذا المعنى مناسب.

وقــال بعضــهم: إن الكرســي هو العرش، لكن الأكثرون على أنهما شيئان، والأول هو الصحيح الثابت كما صححه الأئمة[4].

---

[1] أخرجه الدارمي في نقضه على بشر المريسي ت/ د. رشيد الألمعي جـ١/٤٠٠ ، ٤١٢ ، ٤٢٣ ، ط/ مكتبة الرشد، وشركة الـرياض، وقال الدارمي ص٤٠١: « فهذا الذي عرفناه عن ابن عباس صحيحاً مشهوراً » ا.هـ، وابن أبي شيبة في العرش ت/ د. محمد خليفة ص٤٣٨ رقم ٦١ ، وابن خزيمة في التوحيد جـ١/٢٤٨-٢٤٩ رقم ١٥٤-١٥٦ ، وابن جرير الطبري في تفسيره جـ٣/١١ رقم٥٧٩٠-٥٧٩٣ ، عن بعض السلف، و لم ينقله عن عباس، والدارقطني في الصفات ص٣٦ رقم٣٦ ، تعـليق عبد الله الغنيمان، ط/ الثانية ١٤١٤هـ الناشر مكتبة لينة -مصر، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة جـ١/٣٠١ رقـم٥٧٦، والحـاكم في المستدرك جـ٢/٢٨٢ ، وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ط/ دار المعرفة بيروت-لبنان بإشراف د. المرعشلي، والذهبي في العلو جـ١/٥٩٧ رقم١٤٨ وقال: رواته ثقات، والألباني في مختصر العلو: ص١٠٢ رقم٣٦ وقال: "صحيح موقوف".

[2] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى الأندلسي، نزيل قرطبة وشيخها وفقيهها وصاحب التصانيف الكثيرة في الفقه والحديث والزهد، من كتبه اختصار "المدونة"، توفي سنة ٣٩٩هـ. انظر: السير جـ١٧/١٨٨-١٨٩ رقم الترجمة ١٠٩، وشذرات الذهب جـ٣/١٥٦ .

[3] أصول السنة لابن أبي زمنين ت/ عبد الله البخاري ص٩٦ .

[4] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٥٨٤-٥٨٥ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٨٠ .

ثانياً: صفة العلو عند السالمية:

العلو في اللغة: يدل على السمو والارتفاع، وعلو كل شيء: أرفعه(١).

ولا خلاف بين جميع الفرق في وصفه ـ تعالى ـ بعلو القهر، وعلو القدر، والاختلاف في علو الذات، فأثبته أهل السنة ونفاه أهل التعطيل(٢).

وهذه الصفة من الصفات التي كثر فيها النـزاع، مع وضوحها وكثرة أدلتها من الكتاب والسنة، ودلالة الفطرة والعقل عليها، والعلو علو ذات وعلو قدر وعلو قهر، ويسمى بعض أهل الكلام صفة العلو "الجهة" والمصطلح الشرعي هو العلو والفوقية، أما الجهة فمصطلح حادث مجمل، قد يراد به ما هو حق وما هو باطل.

وقد افترق الناس في العلو على أربعة أقوال مع الإجماع على إثبات علو القدر والقهر، والخلاف إنما هو في علو الذات، وهي كما يلي:

١-الجهمية النفاة: الذين يقولون: ليس داخل العالم، ولا خارج العالم، ولا فوق، ولا تحت، لا يقولون بعلوه ولا بفوقيته، بل الجميع عندهم متأول أو مفوض.

٢-الذين يقولون: إنه بذاته في كل مكان، وبه يقول النجارية(٣)، وكثير من الجهمية ـ عبادهم، وصوفيتهم، وعوامهم ـ الذين يقولون: إنه عين وجود المخلوقات، و"أهل الوحدة" القائلون: بأن الوجود واحد، ومن يكون قوله مركباً من الحلول والاتحاد.

٣- من يقول: هو فوق العرش، وهو في كل مكان بذاته، ويقول: أنا أقر بهذه النصوص، وهذه لا أصرف واحداً منها عن ظاهره، وهذا قول طوائف من السالمية والصوفية.

ويشبه هذا ما في كلام أبي طالب المكي، وابن برجان وغيرهما، مع ما في كلام أكثرهما من التناقض.

---

(١) انظر: لسان العرب جـ١٥/٨٣ مادة (علا).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة جـ٤/١٣٢٤ .

(٣) النجارية: هم أتباع الحسين بن محمد النجار، وهم فرق عد منها كتاب الفرق: البرغوثية والزعفرانية، والمستدركة، خالفوا المعتزلة في القدر والأسماء والأحكام، وإنفاذ الوعيد، ووافقهم على نفي الصفات، وأكثر معتزلة الري وما حواليها على مذهب النجارية. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٠٧-٢١١ ، والملل والنحل جـ١/٨٨-٩٠ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية١٣/٩٩ .

٤- مذهب فهم سلف الأمة وأئمتها: أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة، فإنهم أثبتوا وءامنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة كله من غير تحريف للكلم، أثبتوا أن الله ــ تعالى ــ فوق سمواته، وأنه على عرشه بائن من خلقه وهم منه بائنون، وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وهو أيضاً قريب مجيب[١].

والسالمية منهم من يوافق السلف بناء على أصل مذهبهم وهو ترك التأويل كأبي علي الأهوازي ومنهم من يثبته وإن كان من أهل الكلام كالزبيدي، ويرد على قول بعض السالمية .

ومنهم من قال بالقول الثالث كأبي طالب المكي وابن برجان، وقال به أيضاً زهير الأثري وأبو معاذ التومني، وهذه نصوصهم.

قال أبو طالب المكي: « وأنه تعالى على العرش في ذلك، وأنه رفيع الدرجات من الثرى وهو رفيع الدرجات من العرش، وأن قربه من الثرى، كقربه من العرش، ...ولا نصيب [للعرش][٢] منه إلا كنصيب موقن عالم به »[٣].

وقال ابن برجان:« ثم استوى على العرش وهو الموصوف المعلوم بأنه معكم أينما كنتم،... وهو أقرب إلى القلب من وريده، وإلى الروح من حياته » حتى قال: « لولا وصف التنزيل والاستواء ما فهم عنه معنى مبانيه في خلقه، فافهم يقرب عليك البعيد...، فاعقل خطاب ربك واعبده كما أمرك » وقال: « لا يخلو منه مكان »[٤].

وقال أبو طالب المكي في الفوقية ــ بعد كلامه السابق ــ : « وأن الله ــ تعالى ــ محيط بعرشه فوق كل شيء وفوق، تحت كل شيء، فهو فوق الفوق وفوق التحت، ولا يوصف بتحت فيكون له فوق،... وهو سبحانه فوق كل فوق، وفوق كل تحت في السمو »[٥].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٢٢٧-٢٣١ .

(٢) كذا في مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٤٨٧ وفي الأصل (للعرض).

(٣) القوت جـ٢/١٤١ .

(٤) انظر: تفسير ابن برجان ورقة رقم ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٥) القوت جـ١/١٤١ .

وقال ابن برجان: « وهو فوق كل شيء، ومحيط بكل شيء »[1]، وكذلك قال أبو معاذ التومني وزهير الأثري كما سبق حكايته[2]، وقال أبو الهذيل من المعتزلة: الباري بكل مكان، بمعنى أنه مدبر لكل مكان[3]، ونقل مثل هذا عن عبد الواحد بن زيد[4].

وقد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الأقوال فقال: « وهذا الصنف الثالث وإن كان أقرب إلى التمسك بالنصوص وأبعد عن مخالفتها من الصنفين الأولين.

فإن الأول لم يتبع شيئاً من النصوص، بل خالفها كلها.

والثاني ترك النصوص الكثيرة المحكمة المبينة وتعلق بنصوص قليلة اشتبهت عليه معانيها.

وأما هذا الصنف فيقول: أنا اتبعت النصوص كلها ، لكنه غالط أيضاً.

فكل من قال: إن الله بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، مع مخالفته لما فطر الله عليه عباده، ولصريح المعقول وللأدلة الكثيرة. وهؤلاء يقولون أقوالاً متناقضة، يقولون: إنه فوق العرش، ويقولون: نصيب العرش منه كنصيب قلب العارف، كما يذكر مثل ذلك أبو طالب وغيره، ومعلوم أن قلب العارف نصيبه منه المعرفة والإيمان وما يتبع ذلك، فإن قالوا: إن العرش كذلك نقضوا قولهم: إنه نفسه فوق العرش، وإن قالوا بحلوله بذاته في قلوب العارفين كان هذا قولاً بالحلول الخاص.

وقد وقع في ذلك طائفة من "الصوفية" حتى صاحب "منازل السائرين" [5] في توحيده المذكور في آخر المنازل في مثل هذا الحلول، ولهذا كان أئمة القوم يحذرون من مثل هذا، سئل

---

(1) تفسير ابن برجان ورقة ٢٣٠ .

(2) انظر: المقالات جـ١/٣٥١ ، ودرء التعارض جـ٦/٣٠٤ .

(3) انظر: المقالات جـ١/٢٣٦ .

(4) انظر: نفس المرجع جـ١/٣٤٣ .

(5) هو أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ت ٤٨١هـ، وكتابه منازل السائرين إلى الحق المبين، وقد شرح الكتاب جماعة، وخيرها شرح ابن القيم المسمى: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، والهروي مع صحة اعتقاده، ذكر في المنازل ما يفهم منه الاتحاد، ولذلك يعظمه الاتحادية وينتحلونه ويزعمون أنه موافق لهم. انظر: السير جـ١٨/٥٠٣-٥١٨ رقم الترجمة ٢٦٠ ، ومقدمة ذم الكلام وأهله لأبي جابر الأنصاري جـ١/٨٧-٩٠ ، ومقدمته لعبد الرحمن الشبل جـ١/٧٠-٨٧ ، ط/ الأولى ١٤١٦هـ الناشر مكتبة العلوم والحكم -المدينة.

"الجنيد" عن التوحيد فقال: هو "إفراد الحدوث عن القدم"، فبين أنه لا بد للموحد من التمييز بين القديم الخالق والمحدث المخلوق فلا يختلط أحدهما بالآخر، وهؤلاء يقولون في أهل المعرفة ما قالته النصارى في المسيح والشيعة في أئمتها، وكثير من الحلولية والإباحية ينكر على الجنيد وأمثاله من شيوخ أهل المعرفة المتبعين للكتاب والسنة ما قالوه من نفي الحلول، وما قالوه في إثبات الأمر والنهي، ويرى أنهم لم يكملوا معرفة الحقيقة كما كملها هو وأمثاله من الحلولية والإباحية »[١].

وقد رد هذا القول الزبيدي من السالمية فقال:« ولا يقول أهل السنة إن الله في كل مكان تنزيهاً له تعالى من أجواف الخنازير والكلاب، والمعتزلة بعضهم يجعل الله في الأشياء كلها، كالروح في الجسد بكاف التشبيه،وبعضهم يجعلون الأشياء كلها في الله ــ سبحانه ــ وهو عندهم فضا»[٢].

ومذهب السلف أن الله ــ تعالى ــ: « وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش، والفوقية في كتابه في آيات كثيرة، حتى قال بعض كبار أصحاب الشافعي: في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله عال على الخلق، وأنه فوق عباده.

وقال غيره: فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك »[٣].

وقد تنوعت الآيات الدالة على ذلك أنواعاً كثيرة فمنها:

١- التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتاً وقدراً وقهراً.

قال تعالى:﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾[٤]، وقال:﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ ﴾[٥].

٢- التصريح بالاستواء مقروناً بأداة "على" مختصاً بالعرش: الذي هو أعلى المخلوقات مصاحباً في الأكثر لأداة "ثم" الدالة على الترتيب والمهلة، وهو بهذا السياق صريح في معناه

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٢٣٠-٢٣١ .

[٢] رسالة حفظ النبوة ورقة ٦٠ أ ، ب.

[٣] مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٢٢٦ .

[٤] سورة الأعلى الآية: ١ .

[٥] سورة الرعد الآية: ٩ .

الذي لا يفهم المخاطبون غيره من العلو والارتفاع ولا يحتمل غيره البتة، وقد سبق ذكرها.

٣- إخباره سبحانه وتعالى بعروج الأشياء إليه وصعودها وارتفاعها إليه: مثل قوله تعالى:﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[2].

٤- التصريح بتنزيل الكتاب منه قال تعالى:﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾[3].

٥- التصريح بأنه سبحانه في السماء: مثل قوله تعالى:﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾[4].

٦- التصريح بالفوقية: مثل قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾[5].

وأما السنة:

فقد دلت عليه بأنواعها القولية والفعلية والإقرارية في أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر وعلى وجوه متنوعة كقوله ﷺ في سجوده: «سبحان ربي الأعلى»[6]، وقوله : « لما قضى الله الخلق كتب كتاباً عنده : غلبت أوقال : سبقت رحمتي غضبي، فهو عنده فوق العرش»[7]،وقوله :« ألا

---

[1] سورة فاطر الآية: ١٠ .

[2] سورة المعارج الآية: ٤ .

[3] سورة النحل الآية: ١٠٢ .

[4] سورة الملك الآية: ١٦ .

[5] سورة الأنعام الآية: ١٨ .

[6] أخرجه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل) جـ١/٥٣٧ حديث رقم٧٧٢.

[7] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ بل هو قرآن مجيد... ﴾)جـ٥/٢٣٦١حديث رقم ٧٥٥٣، وطرفه ٣١٩٤، ٧٥٥٤، ومسلم في (كتاب التوبة، باب: سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه) جـ٤/٢١٠٧ حديث رقم٢٧٥١.

تأمنوني وأنا أمين من في السماء »[1].

وثبت عنه أنه رفع يديه وهو على المنبر يوم الجمعة يقول: « اللهم أغثنا »[2].

وأنـــه رفع يده إلى السماء وهو يخطب الناس يوم عرفة، حين قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال: « اللهم أشهد »[3].

وأنـــه قال للجارية: « أين الله » قالت: في السماء، فأقرها وقال لسيدها: « اعتقها فإنها مؤمنة »[4][5].

وأما الإجماع:

فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على أن الله ـــ تعالى ـــ فوق سمواته مستو على عرشه وكلامهـــم مشهور في ذلك نصاً وظاهراً قال الأوزاعي: « كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله ـــ تعالى ذكره ـــ فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات »[6].

---

(1) أخـــرجه البخاري في (كتاب المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب ﷺ وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع) جـــ٣/١٣١٤ حديث رقم٤٣٥١ ، ومسلم في (كتاب الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم) جـــ٢/٧٤١ حديث رقم ١٠٦٤ ، واللفظ للبخاري.

(2) أخـــرجه البخاري في (كتاب الاستسقاء، باب: الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة) جـــ١/٣٠٣ حديث رقم ١٠١٤، ومسلم في (كتاب صلاة الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء) جـــ٢/٦١٣ حديث رقم٨٩٧ .

(3) رواه الـــبخاري في(كـــتاب الحج، باب الخطبة أيام منى) جـــ١/٥١٣-٥١٤ حديث رقم١٧٤١ ، وأخرجه مسلم في (كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والدّيات، باب: تغليظ وتحريم الدماء والأعراض والأموال) جـــ٣/١٣٠٥ حديث رقم١٦٧٩.

(4) أخرجه مسلم في (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته) جـــ١/٣٨٢ حديث رقم٥٣٧ من حديث طويل.

(5) وللتوسع انظر: العرش لابن أبي شيبة ص٢٨٦-٣٥٠ ، وإثبات صفة العلو للموفق ابن قدامة ت/ د. أحمد الغامدي ص٦٤-١٥٨، ط/ الأولى ١٤٠٩هـــ، الناشر مكتبة العلوم والحكم -المدينة، والعلو للذهبي حـــ١/٢٤٥ وما بعدها، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ت/ د. عواد المعتق ص٩٦-١٢٦ ، ط/ الثانية ١٤١٥هـــ الناشر مكتبة الرشد -الرياض، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٨٤-٢٨٨ ، والقواعد الحسنى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ محمد العثيمين ت/ أشرف عبد المقصود ص٦٦-٦٧ ، ط/ الأولى ١٤١١هت الناشر مكتبة السنة -القاهرة، وعلو الله على خلقه د. الدويش ص١٢٩-١٣٠ .

(6) أخـــرجه البيهقي في الأسماء والصفات ت/ الحاشدي جـــ٢/٣٠٤ رقم٨٦٥، ط/الأولى ١٤١٣هـــ الناشر مكتبة السوادي -جدة، والذهبي في العلو جـــ٢/٩٤٠ رقم٣٣٤، وقد صحح إسنادها إلى الأوزاعي شيخ الإسلام==

وأما دلالة العقل:

فعلوه سبحانه وتعالى ثابت بالعقل من وجوه:

١- العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين إما أن يكون أحدهما سارياً في الأخر قائماً به كالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائناً عن الأخر.

٢- أنه لما خلق العالم فإما أن يكون خلقه في ذاته، أو خارجاً عن ذاته، والأول باطل لأمرين:

أ- الاتفاق على بطلانه.

ب- لأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والثاني: يقتضي كون العالم[1] واقعاً خارج ذاته فيكون منفصلاً، فتعينت المباينة لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغيره منفصل عنه غير معقول.

٣- أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية لأنه غير معقول، فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجه.

والأول باطل، فتعين الثاني فلزمت المباينة[2].

وأما ثبوته بالفطرة:

فإن الخلق جميعاً بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو.

ولو سئل أي مخلوق لم تتلوث فطرته « أين الله ؟ » لكان الجواب نحو العلو.

ولو حدّث إنسان بغير هذا لأنكرته الطباع السليمة، ومن هذا الباب الحكاية المعروفة أن أبا المعالي الجويني كان يحدث على المنبر ويقول: « كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان ».

===ابن تيمية في الفتوى الحموية ص٢٩٩ ، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٣١ ، وصححها غيرهم. انظر: حاشية العلو جـ٢/٩٤١ .

[1] في شرح العقيدة الطحاوية ط/ (المكتب الإسلامي جميعها) ص٢٩٠ (العلم)، والتصحيح من ط/ أحمد شاكر ص٢٦٩، العالم، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة ١٤٠٨هـ.

[2] انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٢٩٠-٢٩١ ، وعلو الله على خلقه د.موسى الدويش ص١٥٩-١٦٠ .

فقال أبو جعفر الهمداني[1]: « أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فإنه ماقـال عارف قط "يا الله" إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا ؟ » فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل وقال: حيرني الهمداني.

فالهمداني تكلم بلسان جميع بني آدم، فأخبر أن العرش والعلم باستواء الله عليه، إنما أخذ من جهـة الشرع وخبر الكتاب والسنة، بخلاف الإقرار بعلو الله فهو أمر فطري ضروري يجده جميع الخلق في أنفسهم فكيف تدفع هذه الفطرة والضرورة[2].

وقـال الأشـعري: « ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله مسـتو على العرش الذي هو فوق السموات، فلو لا أن الله ﷻ على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش »[3].

---

[1] هو: أبو جعفر، محمد بن الحسن بن محمد الهمداني، الإمام الحافظ الزاهد، من أهل الأثر،موطنه همذان؛ لذلك ينسب إليها أحيانا، (ت سنة ٥٣١هـ) . انظر:المنتخب من السياق لتأريخ نيسابور للفارسي انتخبه إبراهيم الصريفيني ت/أحمد عبد العزيز ص ٧٠ رقـم ١٥٠، ط/ الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار الكتب العلمية، والسير جـ٢٠/١٠١-١٠٢ رقم الترجمة٦١، وقد نسبه الذهبي إلى بلده فقال: الهمذاني. كما في تأريخ الإسلام حوادث ٥١٢-٥٤٠هـ ص ٢٥١، والسير في ترجمته .

[2] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٤/٦١، والسير جـ ٤٧٧/١٨، وجـ٢٠/١٠٢، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٩١ .

[3] الإبانة في أصول الديانة للأشعري ص٩٧-٩٨ .

المبحث الخامس: صفتا القرب والمعية عند السالمية.

لهذا المبحث ارتباط قوي بمسألة العلو والمباينة، فمن أثبت العلو على الوجه الصحيح، سلم في هذه المسألة، ووافق الحق والصواب.

وأيضاً بين القرب والمعية ارتباط وثيق، فالمعية نوعان كما سيأتي، والمعية الخاصة هي معية القرب.

أولاً: صفة القرب والدنو عند السالمية:

القـــرب في الـــلغة نقيـــض البعد، قرب الشيء بالضم، يقرب قربا وقربانا؛ وقرب: أي دنا فهو قريب[١]، ولفظ القرب مثل لفظ الدنو، وضد القرب البعد، فاللفظ ظاهر في اللغة[٢].

وفي الاصـــطلاح الشـــرعي فهنا قرب العبد من ربه ـــ تبارك وتعالى ـــ، وقرب الرب ـــ تعالى ـــ من العبد، وللناس مذاهب في كل مسألة.

فقرب العبد من ربه ـــ تبارك وتعالى ـــ للناس فيه ثلاثة مذاهب:

الأول: قـــول الفلاسفة ويقولون: إن قرب العبد ودنوه إزالة النقائص والعيوب عن نفسه، وتكميلها بالصفات الحسنة الكريمة، حتى تبقى مقاربة للرب، مشابهة له من جهة المعنى، ويقولون: الفلســـفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة، وبعضهم يلطف هذا المعنى ويقول: بل يتخلق بأخلاق الرب، وعندهم أن حركة الروح ممتنعة[٣].

الـــثاني: قـــول أهـــل الكلام الذين يقولون: إن الله ليس فوق العرش، وأن نسبة العرش والكرسي إليه سواء، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وعندهم قرب العبد إلى الله حركة ذاته إلى الأماكن المشرفة عند الله، وهي السموات وحملة العرش والجنة.

الثالث: قول أهل السنة والجماعة الذين يثبتون أن الله على العرش، وأن حملة العرش أقـــرب إليـــه ممن دونهم، وأن ملائكة السماء العليا أقرب إلى الله من ملائكة السماء الثانية، وأن الـــنبي ﷺ لمـــا عـــرج به إلى السماء صار يزداد قرباً إلى ربه بعروجه وصعوده، وكان

---

(١) انظر: لسان العرب جـ١/٦٦٢ مادة(قرب).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٢٣ .

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٦ ، ومدارج السالكين جـ٣/٢٥٢ .

عـــروجه إلى الله، لا إلى مجرد خلق من خلقه، وأن روح المصلي تقرب إلى الله في السجود، وإن كان بدنه متواضعاً[١].

وأبو طالب المكي من السالمية ذكر ما يشبه قول الفلاسفة أو يقرب منه فيقول: « والمحبوب لله عـــلى مراتب المحبة، بعضها أعلى من بعض، فأشدهم حباً لله أحسنهم تخلقاً بأخلاقه، مثل العلم والحـــلم والعفو وحسن الخلق، والستر على الخلق، وأعرفهم بمعاني صفاته وأتركهم منازعة له في معـــاني الصفات كي لا يشركوه فيها، مثل الكبر والحمد، وحب المدح وحب الغنى والعز وطلب الذكر »[٢]، وقد رد ابن برجان على الفلاسفة في لفظ التشبه فقال: « أما خطأ[هم][٣] في العبارة فإن شيئا لا يشبه الله ﷻ بوجه ولا على حال، ولا صفة، ولا يجوز في الحقيقة أن يعبر عن صفات الله بأخلاق لأن حقيقة الأخلاق مأخوذة من الخلق،...

إنما الأخلاق موجودة بالمخلوق وهي ما يكون عن الأمر العلي بالكلم التام عن الأمر الحق المـــتوجه إلى المخلوق المكون، قوله كن فيكون يؤمئذ عن ظواهر أصول ما خلق منه باطنه نفسه وروحـــه وعقله، وهي أنواره من جهة الخلقه، ويكون عن صفات الأمر وأسمائه صفات المخلوق، وأسماؤه هي أخلاقه، وإنما تتعقل معاني الأخلاق، وهي المنسوبة إلى المخلوق المضافة إليه، تعبداً لله ﷻ وتقرباً إليه، لا تشبها به جل عن ذلك وتعالى علواً كبيراً »[٤].

وقـــال: « الإيمـــان عن اسمه المؤمن، والإسلام عن اسمه السلام، والتطهر عن اسمه الطاهر، والتقدس عن اسمه القدوس، والبركة عن اسمه المبارك... »[٥] فابن برجان عدل عن لفظ التشبه إلى لفـــظ التعـــبد[٦]، ولما ذكر أبو طالب وابن برجان قرب الرب من كل شيء قالا: « لا بتقريب ولا بـــتقرب »[٧]، وهـــذا يـــدل على نفيهما تقريب الرب ـــ تعالى ـــ لعباده، وكلامهما كثير

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٧ .

[٢] القوت جـ٢/٨٣ .

[٣] في الأصل (ة) ولا يستقيم المعنى، وبعدها بسبعة أسطر رسمت صحيحة.

[٤] شرح الأسماء الحسنى ورقه ٧٠ ب.

[٥] نفس المرجع ورقة ١٢٤ أ، وانظر: ١٤٣ أ، ١٤٥ ب.

[٦] انظر: جامع الرسائل لابن تيمية جـ٢/١٨٧ .

[٧] القوت جـ١/١٤١ ، وتفسير ابن برجان ورقة ٢٢٩ ، وانظر: شرح الأسماء الحسنى ورقه ١٧ أ.

في قــرب الرب ــ تعالى ــ إلى كل شيء، ولا يذكران قرب العبد إلى ربه، وقد أول أبو طالب القــرب إلى المســارعة إلى الــبر قال في فرائض المحبة: « ثم المسارعة إلى ما ندب إليه من أنواع الــبر، بوجــود الحلاوة بشرح الصدر كما جاء في الأثر: « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه »[1][2]، فهو ينفي قرب العبد إلى ربه، وهذا الأثر استدل به أهل السنة في إثبات « قربه إلى عبده، وقرب عبده إليه »[3].

وهــؤلاء لا يثبتون قرباً حقيقياً ــ وهو القرب المعلوم المعقول ــ، ومن جعل قرب عبادة المقربين ليس إليه، وإنما هو إلى ثوابه وإحسانه فهو معطل مبطل[4].

وقــرب العــبد إلى الله ــ تعالى ــ يكون بتقريب الله قلب الداعي إليه، كما يقرب قلب الســاجد إليــه، وقــد وصف الله أنه يقرب إليه من يقربه من الملائكة والبشر، قال تعالى:﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[5]، وقال تعالى:﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ ﴾[6]،وقال تعالى:﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ ﴾[7].

وعــن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة »[8].

---

[1] قطعة من حديث الأولياء أخرجه البخاري في (كتاب الرقاق، باب التواضع) جـ٤/٢٠٣٩ رقم٦٥٠٢ .

[2] القوت جـ٢/٩٠ ، وانظر: جـ٢/٨٨ .

[3] مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٢٤٧ ، وجامع العلوم والحكم لابن رجب جـ٢/٣٣٦.

[4] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/١٢ .

[5] سورة النساء الآية: ١٧٢ .

[6] سورة الواقعة الآيتان: ١٠-١١ .

[7] سورة المطففين الآية: ٢٨ .

[8] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾) جـ٥/٢٣١٠-٢٣١١حديث رقم ٧٤٠٥، ومسلم في (كتاب الذكر، باب: الحث على ذكر الله تعالى) جـ٤/٢٠٦١ حديث رقم ٢٦٧٥ واللفظ للبخاري.

وهذه الزيادة تكون بزيادة تقريبه للعبد إليه جزاء على تقربه باختياره، فكلما تقرب العبد باختياره قدر شبر، زاده الرب قرباً إليه حتى يكون كالمتقرب بذراع.

وقربه من العباد بتقربهم إليه مما يقربه جميع من يقول إنه فوق العرش سواء قالوا مع ذلك إنه تقوم به الأفعال الاختيارية أو لم يقولوا.

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء »[1]، فالساجد يقرب الرب إليه فيدنو قلبه من ربه وإن كان بدنه على الأرض، ومتى قرب أحد الشيئين من الآخر صار الآخر قريباً إليه بالضرورة، وإن قدر أنه لم يصدر من الآخر تحرك بذاته، كما أن من قرب من مكة قربت مكة منه[2].

وأما قرب الرب ودنوه ـ تعالى ـ فللناس فيه مذاهب:

الأول: إثبات قربه بنفسه من مخلوقاته، وهو مع ذلك فوق العرش، وهذا قول طائفة من المتكلمين والصوفية، وقد يطلق عليه القرب الذاتي اللازم، ويقول بهذا بعض السالمية.

الثاني: قربه بنفسه ـ سبحانه ـ من مخلوقاته، مع أنه بذاته في كل مكان، وهذا قول كثير من الجهمية.

الثالث: لا داخل العالم ولا خارج العالم، ولا فوق ولا تحت، فهم ينفون العلو والفوقية والمعية والقرب، وهذا قول الجهمية النفاة.

الرابع: أن قربه ـ سبحانه ـ من لوازم ذاته، مثل العلم والقدرة، وهو سبحانه وتعالى قريب بعلمه وقدرته وتدبيره من جميع خلقه، لم يزل بهم عالماً، ولم يزل عليهم قادراً، وهذا مذهب جميع أهل السنة[3].

وبعض السالمية كأبي طالب المكي وابن برجان ممن يقول بالقول الأول، قال أبو طالب المكي ـ وتابعه في كثير من ألفاظه ابن برجان ـ: « ويعلم أن الله ﷻ أقرب إلى القلب من وريده، وأقرب إلى الروح من حياته، وأقرب إلى البصر من نظره، وأقرب إلى اللسان

---

[1] أخرجه مسلم في (كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود) جـ١/٣٥٠ حديث رقم٤٨٢ .

[2] انظر: شرح حديث النزول ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٥٠٩-٥١٠ .

[3] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/١٣ ، ١٤ ، ٢٠٢ ، وجـ٥/٢٢٧-٢٢٨ .

مـــن ريقه، بقرب هو وصفه لا بتقريب ولا بتقرب[1]، وأنه تعالى على العرش في ذلك كله، وأنـــه رفيع الدرجات من الثرى، وهو رفيع الدرجات من العرش، وأن قربه من الثرى ومن كل شيء كقربه من العرش،...ولا نصيب [للعرش][2]منه إلا كنصيب موقف عالم به»[3]، وقال أبو طالب:« وهو أمام كل شيء، ووراء كل شيء، بعلو ودنو هو قربه،... وهو أقرب من حبل الوريد الذي هو الروح»[4]، وذهب ابن برجان إلى أن القرب: قرب خاص، وقرب عـــام كقـــربه من جميع الخليقة[5]، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية كلام أبي طالب المكي السابق وما بعده وأطال في ذلك، ثم قال:« وهذا الذي ذكره من قربه وإطلاقه وأنه لا يتجلى بوصف مرتين، ولا يظهر في صورة لاثنين، هو حكم ما يظهر لبعض السالكين من قربه إلى قلوبهم، وتجليه لقلوبهم » ثم ذكر ما يؤدي إليه من الحلول والاتحاد[6].

وقال: « أما قوله: أقرب إلى الروح من حياته، وأقرب إلى البصر من نظره وإلى اللسان من ريقـــه بقـــرب هو وصفه ... وقوله: أقرب من حبل الوريد ... فهذا ليس في كتاب الله ولا سنة رســـول الله ﷺ، ولا قالـــه أحد من السلف: لا من الصحابة، ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا الأئمـــة الأربعة وأمثالهم من أئمة المسلمين، ولا الشيوخ المقتدى بهم من شيوخ المعرفة والتصوف، وليـــس في القرآن وصف الرب ـــ تعالى ـــ بالقرب من كل شيء أصلاً، بل قربه الذي في القرآن خاص لا عام »[7].

وأما الزبيدي فقد يفهم من قوله ـــ: « ومن يدبر الأمر من السماء والأرض، وهو أقرب من حبل الوريد، لا يمتنع أن يكون كلماته معناً من غير انفصال،كما نقول في علمه»[8]،

---

[1] إلى هذا الموضع نقله ابن برجان بحروفه. انظر: تفسير ابن برجان ورقة ٢٢٩ ، وشرح الأسماء الحسنى ورقه ١٧ .

[2] كذا في مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٤٨٦ وفي الأصل (للعرض).

[3] قوت القلوب جـــ٢/١٤٠-١٤١ ، وانظر: تفسير ابن برجان ورقة ٢٢٩ ، وشرح الأسماء الحسنى ورقه ١٧ .

[4] القوت جـــ٢/١٤٢ .

[5] انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقه ١١٧ ب، ١٢٠ ب.

[6] انظر: شرح حديث النـــزول ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جـــ٥/٤٨٩-٤٩٢ ، وما سيأتي في ص٧٨٥.

[7] نفس المرجع مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٤٩٣ .

[8] انظر: رسالة في حفظ النبوة ورقة ٦٠أ، ب .

أنه يقول بالقرب الذاتي من كل شيء، وهو يناقض ويرد على من يقول: إن الله بكل مكان[١].

وهذا القول غلط، وإن كان أقرب إلى التمسك بالنصوص، وأبعد عن مخالفتها من القولين الثاني والثالث، وفيه تناقض، فمعلوم أن قلب العارف نصيبه منه المعرفة والإيمان وما يتبع ذلك، فإن قالوا: إن العرش كذلك نقضوا أقوالهم: إنه نفسه فوق العرش، وإن قالوا بحلوله بذاته في قلوب العارفين، كان ذلك قولاً بالحلول الخاص[٢].

وقبل بيان مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة لا بد أن يعلم أمور:

أحدها: لا يلزم من جواز القرب على الرب ــ تعالى ــ أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه، بل يبقى هذا من الأمور الجائزة وينظر في النص الوارد، فإن دل على هذا حمل عليه، وإن دل على هذا حمل عليه.

فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية، وهذا موجود في أمر المخلوقين، يراد بألفاظ الصفات منهم في مواضع كثيرة غير الصفات[٣].

الثاني: القرب يختلف عن المعية، فلم يرد القرب إلا خاصاً، ولم يرد في الكتاب والسنة قرب ذاته من جميع المخلوقات في كل حال، بينما المعية وردت خاصة وعامة[٤].

والقرب ورد تارة بصيغة المفرد وتارة بصيغة الجمع.

أ- القرب الذي ورد تارة بصيغة المفرد:

كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[٦]، وفي الحديث: « ...

---

[١] جزء فيه رد على من أخذ في الكتاب العزيز ورقة ٧ب.

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٥/١٢٤-١٢٥ .

[٣] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/١٤-١٥ .

[٤] انظر: شرح حديث النزول ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٤٩٣-٤٩٤ .

[٥] سورة البقرة الآية: ١٨٦ .

[٦] سورة هود الآية: ٦١ .

والـــذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم »[١]، وهذا إنما جاء في إجابة الداعي ولم يذكـــر أنه قريب من العباد في كل حال، وإنما ذكر ذلك في بعض الأحوال[٢]، فهو سبحانه قريب ممن دعاه، فإن قوله (قريب مجيب) مقرون بالتوبة والاستغفار أراد أنه قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين إليه، وقد قرن القريب بالمجيب، ومعلوم أنه لا يقال إنه مجيب لكل موجود، وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه، فكذلك قربه سبحانه وتعالى.

وأسماء الله المطلقة كاسمه: السميع، البصير، الغفور، الشكور، المجيب، والقريب لا يجب أن تتعلق بكل موجود، بل يتعلق كل اسم بما يناسبه.

وليس في الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود، ولكن بعض الناس لما ظنوا أنه يوصف بالقرب من كل شيء تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء قادر على كل شيء، وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب مثل لفظ المعية، فإن لفظ المعية جاء عاماً وجاء خاصاً[٣].

وكذلك لفظ الباطن ليس معناه القرب، ولا لفظ الباطن يدل على ذلك[٤].

« وظاهـــر قوله:﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ يدل على أن القرب نعته، ليس هو مجرد ما يلزم من قرب الداعي والساجد »[٥].

وبهذا يتبين « أنه هو نفسه سبحانه وتعالى القريب الذي يجيب دعوة الداع، ...وذلك لأنه ســـبحانه قريب من قلب الداعي، فهو أقرب إليه من عنق راحلته، وقربه من قلب الداعي له معنى متفق بين أهل الإثبات الذين يقولون: إن الله فوق العرش، ومعنى آخر فيه نزاع.

فـــالمعنى المتفق عليه عندهم يكون بتقريبه قلب الداعي إليه، كما يقرب قلب الساجد،... ومـــتى قـــرب أحـــد الشيئين من الآخر صار الآخر قريباً إليه بالضرورة، وإن قدّر أنه لم يصدر

---

[١] أخرجه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب: استحباب خفض الصوت بالذكر) جـــ٤/٢٠٧٦ حديث رقم ٢٧٠٤.

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٢٣٢-٢٣٣ .

[٣] انظر: شرح حديث النزول ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٤٩٣-٤٩٤ ، ٤٩٦ .

[٤] انظر: نفس المرجع جـــ٥/٤٩٩ .

[٥] نفس المرجع جـــ٥/٢٤١ .

من الآخر تحرك بذاته »[1].

والمعنى الآخر: « أنه أقرب إلى كل شيء من نفس ذلك الشيء، بأن الأشياء معدومة من جهة أنفسها، وإنما هي موجودة بخلق الرب ــ سبحانه وتعالى ــ لها، وهي باقية بإبقائه، وهو سبحانه وتعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن،... فلو قدّر أنه لم يشأ خلقها وتكوينها لكانت باقية على العدم لا وجود لها أصلاً، فصار هو أقرب إليها من ذواتها »[2]، وهذا من معاني الصمد[3].

ولا يقال في هذه الآيات: « قريب بعلمه وقدرته، فإنه عالم بكل شيء، قادر على كل شيء، وهم لم يشكوا في ذلك و لم يسألوا عنه، وإنما سألوا عن قربه إلى من يدعوه ويناجيه، ...، فأخبر أنه قريب مجيب ».

وطائفة من أهل العلم تفسر القرب في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ والحديث السابق بالعلم وهذا قاله بعض السلف وكثير من الخلف[4]، ولكن لم يقل أحد منهم إن نفس ذاته قريبة من كل شيء[5]. وسيأتي بيان بطلان تفسير القرب بالعلم.

ب- **القرب الذي ورد بصيغة الجمع**:مثل قوله تعالى:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[6]، وقوله : ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[7] وغيرها.

وهذه الصيغة في كلام العرب للواحد العظيم الذي له أعوان يطيعونه، فإذا فعل أعوانه فعلاً بأمره، قال: نحن فعلنا، كما يقول الملك: نحن فتحنا هذا البلد وهزمنا هذا الجيش، ونحو ذلك، لأنه إنما يفعل بأعوانه، والله ــ تعالى ــ رب الملائكة، وهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، لذا

---

[1] شرح حديث النزول ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٥/٥٠٩ .

[2] نفس المرجع جـ٥/٥١٣ .

[3] نفس المرجع جـ٥/٥١٥ .

[4] مثل: مقاتل بن حيان، ود. الدويش في علو الله على خلقه ص٢٧٧ وغيرهم.

[5] انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٥٠٠ .

[6] سورة ق الآية: ١٦ .

[7] سورة الواقعة الآيات: ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ .

فالمراد قرب ملائكته[١].

ومثل هذا اللفظ إذا ذكره الله ـ تعالى ـ في كتابه دلّ على أن المراد أنه سبحانه يفعل ذلك بجنوده من الملائكة، فإن صيغة نحن يقولها المتبوع المطاع العظيم الذي له جنود يتبعون أمره، وليس لأحد جند يطيعونه كطاعة الملائكة ربهم، ... فكان لفظ نحن هنا هو المناسب[٢]. وقد أوله بعضهم إلى العلم به والقدرة عليه، وسبب ذلك أنه جاء عن طائفة من أهل السنة تفسير القرب الذي ورد بصيغة المفرد بالعلم، لكونه هو المقصود، فإنه إذا كان يعلم ويسمع دعاء الداعي حصل مقصوده، وهذا هو الذي اقتضى أن يقول من يقول: إنه قريب من كل شيء، بمعنى العلم والقدرة، وكذلك ظنهم أن المراد قربه وحده دون قرب الملائكة ففسروا ذلك بالعلم والقدرة كما في لفظ المعية، ولا حاجة لهذا[٣]

« فإن سياق الآيتين يدل على أن المراد الملائكة، لأنه قال:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[٤].

فقيد القرب بهذا الزمان، وهو زمان تلقي المتلقيين قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال، وهما الملكان الحافظان اللذان يكتبان كما قال:﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾.

ومعلوم أنه لو كان المراد قرب ذات الرب لم يختص ذلك بهذه الحال و لم يكن لذكر القعيدين والرقيب والعتيد معنى مناسب.

وكذلك قوله في الآية الأخرى:﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

فلو أراد قرب ذاته لم يختص ذلك الحال ولا قال:﴿ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ فإن هذا

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٢٣٣-٢٣٦ ، وانظر: تفسير الطبري جـ١١/٦٦٤ ، وتفسير ابن كثير جـ٤/٣٠٠ .

[٢] شرح حديث النزول ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٥٠٧ .

[٣] انظر: نفس المرجع جـ٥/٥٠٠-٥٠٢ .

[٤] سورة ق الآيات: ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

إنما يقال إذا كان هناك من يجوز أن يبصر في بعض الأحوال، ولكن نحن لا نبصره، والرب تعالى لا يراه في هذا الحال لا الملائكة ولا البشر.

وأيضاً فإنه قال:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ فأخبر عمن هو أقرب إلى المحتضر من الناس الذين عنده في هذه الحال، وذات الرب ــ سبحانه وتعالى ــ إذا قيل: هي في مكان، أو قيل: قريبة من كل موجود لا يختص بهذا الزمان والمكان والأحوال، ولا يكون أقرب إلى شيء من شيء.

ولا يجوز أن يراد به قرب الرب الخاص كما في قوله:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾، فإن ذلك إنما هو قربه إلى من دعاه أو عبده، وهذا المحتضر قد يكون مؤمناً وقد يكون كافراً ولهذا قال تعالى:﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾[1].

ومعلوم أن مثل هذا المكذب لا يخصه الرب بقرب منه دون من حوله، وقد يكون حوله قوم مؤمنون، فالمراد الملائكة الذين يحضرون عند المؤمن والكافر كما قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ﴾[2]»[3].

« ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم، أنه قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[4]، فأخبر أنه يعلم ما توسوس به نفسه، ثم قال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ فأثبت العلم، وأثبت القرب، وجعلهما شيئين، فلا يجعل أحدهما هو

---

[1] سورة الواقعة الآيات من ٨٨ إلى ٩٤ .

[2] سورة النساء الآية: ٩٧ .

[3] انظر: شرح حديث النزول ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٥٠٥-٥٠٧ .

[4] سورة ق الآيات: ١٦، ١٧، ١٨ .

الآخر، وقيّد القرب بقوله:﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾.

وأمـــا من ظن أن المراد قرب ذات الربّ من حبل الوريد، أو أن ذاته أقرب إلى الميت من أهله، فهذا في غاية الضعف؛ وذلك أن الذين يقولون: إنه في كل مكان أو أنه قريب من كل شيء بذاته؛ لا يخصون بذلك شيئاً دون شيء، ولا يمكن مسلماً أن يقول: إن الله قريب من الميت دون أهله، ولا أنه قريب من حبل الوريد دون سائر الأعضاء.

وكيـــف يصح هذا الكلام على أصلهم وهو عندهم في جميع بدن الإنسان، أو قريب من جميع بدن الإنسان، أو هو في أهل الميت كما هو في الميت، فكيف يقول:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ إذاً كان معه ومعهم على وجه واحد؛ وهل يكون أقرب إلى نفسه من نفسه. وسياق الآيتين يدل على أن المراد الملائكة »[1].

والخلاصـــة: أن القـــرب خاص فقط، وهو المراد فيما ورد بصيغة المفرد، ويدل على أن القرب نعته سبحانه وتعالى، وأنه هو نفسه سبحانه القريب الذي يجيب من دعاه.

وما ورد بصيغة الجمع فالمراد قرب الملائكة. والله ـــ تعالى ـــ الموفق والهادي إلى الصراط المستقيم.

---

[1] شرح حديث النزول ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جـــ ٥/٥٠٤-٥٠٥ .

ثانياً: صفة المعية عند السالمية:

المعية أصلها (مع) بفتح الميم والعين، وهو اسم معناه الصحبة، وكذلك بسكون العين، غير أن مع المحركة العين تكون اسماً وحرفاً، ومع المسكنة حرف لا غير[1].

و"مـــع" في كـــلام العرب للصحبة اللائقة، وهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوباتها، فكـــون نفـــس الإنسان معه لون، وكون علمه وقدرته وقوته معه لون، وكون زوجته معه لون، وكون أميره ورئيسه معه لون، وكون ماله معه لون، فالمعية ثابتة في هذا كله مع تنوعها واختلافها، فيصح أن يقال زوجته معه وبينهما شقة بعيدة، وكذلك يقال مع فلان دار كذا وضيعه كذا[2].

والأقـــوال في المعية هي نفس الأقوال في صفة القرب وفي العلو أيضاً فلا حاجة لإعادتها هنا، والســـالمية ممن يقول: « إن الرب ــ تعالى ــ فوق العرش، وهو في كل مكان بذاته »[3]، قال أبو طـــالب المكي: « ثم استوى على العرش، وهو معكم أينما كنتم، غير متصل بالخلق، ولا مفارق، وغير مماس لكون ولا متباعد، بل متفرد بنفسه متحد بوصفه... »[4]، وسبق كلامه في صفة العلو.

وهـــذا القول متناقض، فإما أن يكون متصلاً بالخلق أو مفارقاً لهم، أو مماساً أو متباعداً، وهذا نفي للنقيضين، ومثله قوله: « لا يخلو من علمه وقدرته مكان، ولا يحد بمكان ولا يفقد من مكـــان ولا يوجـــد بمكان »[5]، وقال بمثل هذا ابن برجان قال: « الرحمن اسمه والاستواء نعته وفعلـــه والعـــرش خلق منفصل من صفاته، لا يخلو منه مكان، وعلى ذلك فليس هو بمضطر إلى مكـــان، إذ المكان لا يجوز عليه ولا تسعه الأمكنة »[6]، وقال: « ثم استوى على العرش وهو الموصوف المعلوم بأنه معكم أينما كنتم، وأنه ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ

---

[1] انظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ت/ مصطفى السقا ود. حسين نصار جـــ١/٥٥ ،ط/ الأولى ١٣٧٧هـــ الناشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ومختار الصحاح للرازي ص٢٦٢ ط/ مكتبة لبنان-بيروت، وتاج العروس للزبيدي جـــ٥/٥١٣-٥١٤ فصل الميم من باب العين، ط/ دار ليبيا-بنغازي.

[2] انظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم جـــ٢/٣٩٤ .

[3] انظر: ما تقدم ص٤٢٨-٤٣٠، ومجموع فتاوى ابن تيمية٥/١٢٤ .

[4] القوت جـــ٢/١٤١ .

[5] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[6] تفسير ابن برجان ورقة ٢٣٠ ، وانظر: شرح الأسماء الحسنى ورقه ١٧ أ.

وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[1] »[2]، ثم ذكر قوله في صفة القرب الذي سبق إيراده.

وهذا القول المتناقض قد يكون فيه قولاً بالحلول الخاص، إن قالوا بحلول الرب ــ تعالى ــ في قلوب العارفين. وقد وقع طائفة من الصوفية في مثل هذا الحلول، ولهذا حذر أئمة الصوفية من مثل هذا[3]، وأما الزبيدي فقد وافق الحق وفسر المعية بالعلم[4].

والمعيــة معيتان خاصة وعامة، ولفظ (مع) لا يقتضي في لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر[5].

وجوابهم من وجوه:

أولهــا: أن الله ــ تعالى ــ بين غاية البيان أنه فوق سمواته مستو على عرشه، بائن من خلقه، وأن الملائكــة تعــرج إليه، وتنزل من عنده، وسبق الكلام على علوه واستوائه سبحانه، وذكر بعض النصوص الدالة على مباينته لخلقه وعلوه على عرشه، وهذه النصوص محكمة فيجب رد المتشابه إليها.

ثانياً: هذا القول فيه إيجاب المتناقضين، ومعلوم أن المتناقضين لا يرتفعان ولا يجتمعان، وهذا القــول قريب من قول الجهمية الأولى الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، لذلك لا يمكنهم الرد عليهم، أو على الطوائف الأخرى، ومرادهم محاولة الجمع بين قول الجهمية الذي أخذوه من ابن كلاب وبين قول السلف بإثبات نصوص المعية والعلو.

ثالثاً: أن لفظة (مع) لا تدل على أنه سبحانه مختلط بالمخلوقات ممتزج بها، ومعناها في لغة العــرب المصــاحبة، وتختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوباتها، كما سبق بيانه، ونصوص المعية في القرآن الكريم، كقوله تعالى : ﴿ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[6]،﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ

---

[1] سورة المجادلة الآية: ٧ .

[2] نفس المرجع ورقة ٢٢٩ .

[3] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٥/١٢٥-١٢٦ .

[4] انظر: جزء فيه الرد على من ألحد في الكتاب العزيز ورقة ٧ب.

[5] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١١/٢٤٩ .

[6] سورة البقرة الآية: ٤٣

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾[1]، ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾[2]وغيرها، لا تدل على مخالطة الذوات التصاقاً وامتزاجاً، فكيف تقتضي في حق الرب ــ تعالى ــ المخالطة والامتزاج؟[3].

رابعاً: لو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان لتناقض الخبر الخاص والخبر العام، كقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[4]، وقوله:﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[5]وغيرهما، والمعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك.

خامســاً: أجمــع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب ــ تعالى ــ بائن من مخلوقاته، وقول هؤلاء مخالف لإجماع الأمة[6].

ومن شبهاتهم استدلالهم بقوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾[7] ومعنى الآية هو إله من في السموات وإله من في الأرض، واستدلالهم بقوله تعالى:﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[8] وقوله:﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[9]، أي المعبود في السموات والأرض[10].

واعتقاد السلف أهل السنة والجماعة أن المعية في القرآن الكريم على وجوه: قال الإمام أحمد:« بيان ما ذكر الله في القرآن﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ وهذا على وجوه:قال الله ﷻ لموسى :

---

(١) سورة المؤمنون الآية: ٩٤

(٢) سورة آل عمران الآية: ٥٣.

(٣) انظر:مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم جـ٢/٣٩٤ .

(٤) سورة النحل الآية: ١٢٨ .

(٥) سورة طه الآية: ٤٦ .

(٦) انظـر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ت/ محمد محي الدين ٣٣٠ ، ط/ الأولى ١٤٠٩هـ الناشر المكتب الإسلامي – بيروت، والشريعة للآجري جـ٢/٨٢-٨٣ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١١/٢٤٩-٢٥٠ .

(٧) سورة الزخرف الآية: ٨٤ .

(٨) سورة الروم الآية: ٢٧ .

(٩) سورة الأنعام الآية: ٣ .

(١٠) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١١/٢٥٠ .

﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ ﴾[1]، يقول: في الدفع عنكما، وقال: ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾[2]، يقول في الدفع عنا، وقال : ﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[3]، يقول في النصر لهم على عدوهم. وقال:﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ ﴾[4] في النصر لكم على عدوكم،وقال:﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ ﴾[5]،يقول بعلمه»[6].

« فإن قيل: قد تأولتم قوله ﷻ:﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ﴾ وحملتموه على العلم، قلنا: ما تأولنا ذلك وإنما الآية دلت على أن المراد بذلك العلم لأنه قال في آخرها:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ »[7].

فهو سبحانه « يفتح الخبر بعلمه ويختمه بعلمه، ويقال للجهمي: إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه فقل له: هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟ فإن قال: نعم، فقد زعم أن الله بائن من خلقه دونه، وإن قال: لا، كفر، وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: أليس الله كان ولا شيء؟ فيقول: نعم، فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه، فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال لا بد له من واحد منها، إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه، وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا كفراً أيضاً »[8].

---

[1] سورة طه الآية: ٤٦ .

[2] سورة التوبة الآية: ٤٠ .

[3] سورة البقرة الآية: ٢٤٩ .

[4] سورة محمد الآية: ٣٥ .

[5] سورة النساء الآية: ١٠٨ .

[6] الرد على الجهمية والزنادقة ص١٤٠ .

[7] الحجة في بيان المحجة جـ٢/٢٩١-٢٩٢ .

[8] الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٨-١٣٩ ، ولم يذكر القول الثالث الذي يلزم الجهمي.

والخلاصة: أن المعية في كتاب الله نوعان:

١- المعيــة العامة: وهي المذكورة في آية الحديد والمجادلة، وتقتضي الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً وغير ذلك من معاني ربوبيته.

٢- المعيــة الخاصة بشخص أو وصف: مثل قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[١].

والمخصوصة بوصف: مثل:﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[٢]، تقتضي مع ذلك النصر والتأييد والتوفيق[٣].

وهذا المعنى يجوز في اللغة وليس فيه تأويل، أو صرف للكلام عن ظاهره[٤].

---

[١] سورة طه الآية: ٤٦ .

[٢] سورة الأنفال الآية: ٤٦ .

[٣] انظر: القواعد المثلى ص٩٤-٩٥ .

[٤] انظر: الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠١ .

المبحث السادس: باقي الصفات والأسماء الحسنى عند السالمية.

أولاً: باقي الصفات عند السالمية:

تقدم الكلام على بعض الصفات الذاتية مثل صفات العلو، والعلم، والقدرة، والإرادة وغيرها، وبعض الصفات الفعلية كالاستواء، وفي هذا الموضع اذكر قول السالمية في باقي الصفات سواء الذاتية والفعلية، والتي كثر إطلاق الصفات الخبرية عليها عند كثير من المتأخرين من الأشعرية وغيرهم، ويعرفونها: بأنها الصفات التي جاءت في الأخباركالوجه واليدين، والعين واليمين والقبضة، والساق، والقدم[1]، وغيرها، وهم ينازعون في تمييزها عن غيرها من الصفات وفي إثباتها بالعقل[2]، ولا خلاف في أن صفات الله ــ تعالى ــ كلها خبرية، والأقوال في بقية الصفات لا تخرج عن الأقوال في الصفات عموماً، وسبق ذكرها في أول الفصل، وهي:

١- نفي الصفات كلها وهو مذهب المعتزلة[3].

٢- نفي الصفات الخبرية وهو مذهب متأخري الأشاعرة، ومنهم من ينفي الصفات الحديثية فقط.

٣- إثبات الصفات الخبرية وهو مذهب الكلابية، وقدماء الأشعرية، والكرامية وبعض السالمية[4].

٤- الوقف في الصفات عموماً.

٥- إثبات الصفات كلها وهو مذهب السلف.

والسالمية على مذهب الكلابية ومتقدمي الأشعرية وهو إثباتها، قال شيخ الإسلام ــ عن

---

[1] انظر: الاعتقاد للبيهقي ص٣٦ ، والارشاد للجويني ص١٤٦ .

[2] انظر: بيان تلبيس الجهمية جـ١/٧٦ ، ٨٣ ، ودرء التعارض جـ٣/٣٨٢ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/ ١٢٢٤ ، ومعجم ألفاظ العقيدة للفالح ص٢٤٣ ، ط/ الأولى ١٤١٧هـ الناشر مكتبة العبيكان -الرياض.

[3] انظر: ما تقدم في ص٣٦٢ .

[4] أول من نفاها من الأشعرية الجويني (ت ٤٧٨هـ). انظر: الإرشاد له ص١٤٦ ، وشرح العقيدة الأصفهانية ص٢٤ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٥٢، وجـ١٢/٣٢، ودرء التعارض جـ٣/٣٨٢ .

هـذه الصفات ـ: « وأما أبو الحسن وقدماء أصحابه فهم من المثبتين لها،...ويسمون هذه الصفات ـ الزائدة على الثمانية ـ الصفات الخبرية، وكذلك غيرهم من أهل العلم والسنة مثل: محمد بن جرير الطبري وأمثاله، وهو قول أئمة أهل السنة والحديث من السلف وأتباعهم، وهو قول الكرامية والسالمية وغيرهم، وهذا القول هو القول المعروف عند متكلمة الصفاتية، لم يكن يظهر غيره، حتى جاء من وافق المعتزلة على نفيها، وفارق هؤلاء »[1].

لكن ذكر عبد الواحد الشيرازي الحنبلي (ت ٤٨٦هـ) أن السالمية ممن يؤول صفة اليد قال عن قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[2] : « وإن قال يد القدرة والنعمة، فهو أشعري سالمي»، وفي مختصر كتابه: « وإن تأوله وحمله على مقتضى اللغة، فهو معتزلي أو أشعري »[3].

وعلى هذا فما ذكر في المختصر يوافق ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، ولعل الشيرازي وقف على من أول منهم، فهو ينقل عن قوم من السالمية لا نعرف أعلامهم ولا كتبهم[4].

وهذه أقوال السالمية، فأبو علي الأهوازي ممن يثبت الصفات عموماً، وظاهر مذهب الزبيدي إثبات الصفات الخبرية[5]، يقول لم يكن للعقل:«مجال في نفي شيء مما ورد به الكتاب والسنة ولا في إثباته كمال لله[6]﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾[7]، والله ﷻ يجب أن يكون منزهاً عن مشابهة ذي يد وعين وغير ذلك، ويجب أن يكون منزهاً عن مشابهة...[8]وسائر ما ليس له يد ولا عين، والتسميات متداولة بين القديم والمحدث غير مشتركة، بل ترجع إلى القديم بحقيقة قديمة، وإلى المحدث بحقيقة محدثة، ومكيال

---

[1] درء التعارض جـ٣/٣٨٢ ، وانظر: شرح العقيدة الأصفهانية ص٢٤ .

[2] سورة ص الآية: ٧٥ .

[3] انظر: جزء فيه امتحان السني من البدعي للشيرازي ص١٧٧، وسيأتي الكلام على الكتاب ومختصره في ص٨٧٩ .

[4] فهو ينقل أقوالاً ذكرها ابن برجان (ت ٥٣٦هـ)، والشيرازي (ت ٤٨٦هـ).انظر: ما سيأتي في ص٨٨٣ .

[5] انظر: رسالة حفظ النبوة ورقة ٦ أ ، ب.

[6] غير مقروءة في الأصل ورسم الكلمة قريب من لفظ جلاله.

[7] سورة الأنعام الآية: ١٥٤ .

[8] الأصل (دود الخل) ولا معنى لها في السياق.

التنزيه وميزانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] »[2].

ثم ذكـــر بعدهــا نفي الصفات الاختيارية، وما ذكره الزبيدي حق، وهو يثبت التسميات الواردة في الكتاب والسنة على الحقيقة.

فكمـــا « أن للمولى ـــ جلّ وعلا ـــ قدرة حقيقية تليق بكماله وجلاله، ... فللمخلوقين قـــدرة حقيقيـــة مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم، وبين قدرة الخالق والمخلوق والمنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق وحسبك بونا بذلك » وكذلك باقي الصفات[3].

وأمـــا أبو طالب المكي فيذكر منهجه في الصفات فيقول: « نصفه بما ثبتت به الرواية وصـــحت عن رسول الله ﷺ، وأنه ليس كمثله شيء في كل شيء، بإثبات الأسماء والصفات، ونفـــي التمثيل والأدوات»[4]، ويقول في إحدى عقائده التي يدعي الإجماع عليها:« ثم تسليم أخـــبار الصـــفات فـــيما ثبتت به الروايات وصح به النقل،ولا يتأول ذلك ولا يشبه بالقياس والعقل، ولكن يعتقد إثبات الأسماء والصفات بمعانيها وحقائقها لله ـــ تعالى ـــ، وينفي التشبيه والتكييف عنها،...وفي رد أخبار الصفات بطلان الشرائع »[5]، وقال:« والله ـــ تعالى ـــ إنما يرى بنور اليقين، وفي هذا النور مشاهدة الصفات وهو حقيقة الإيمان، وأعز ما نزل من السماء هـــو الســـكينة المترلة في قلوب المؤمنين لمزيد الإيمان ولتعريف صفاته المؤمن معها بترك ضرب الأخـــبار بعضها ببعض، ومعارضة بعضها بعضاً، أو ترتيب بعضها على بعض، بل يؤمن بكل خـــبر ورد في الصفات والقدرة على حدته، كما يسلم جميعها على الجملة بإسلامه، وإلا أدى ذلك إلى نفي بعضها أو إبطال جميعها، لأنا أخذنا الإيمان بمنة الله تعالى ورحمته من قبل التصديق واليقـــين والـــنقل، لا مـــن قبل التقليد وحسن الظن والعقل، وأربعة أشياء تسلم ولاتعارض

---

[1] سورة الشورى الآية: ١١ .

[2] انظر: أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٤٠ أ ، ب .

[3] انظر: الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً للشنقيطي تصحيح/ حسن سويدان ص٥٦-٦٠ ، ط/ الأولى ١٤١١هـــ، الناشر دار القادري-بيروت.

[4] القوت جـــ٢/١٣٨ .

[5] نفس المرجع جـــ٢/٢٠٦ .

اعتراضـــا: أخبار الصفات وأصول العبادات وفضائل الأصحاب وفضائل الأعمال »[١]، لكن نـــاقض هذا بما تقدم من نفيه للصفات الاختيارية، وقد أثبت أبو طالب المكي بعض الصفات الذاتيـــة، فقـــال:« حكيم عادل بحكمة وعدل هما صفتاه، لا يشبه حكمته بحكمة خلقه، ولا يقاس عدله بعدل عباده »[٢].

وقـــال: « ولا يخلق بآلة فيستعين بسواه، ولا يعجزه قدرة فيحتاج إلى مباشرة يديه، يخلق بيده إذا شاء، وعن كلمته إن شاء »[٣]، ويظهر من هذا إثباته لصفات الحكمة، والعدل، واليد.

وأما ابن برجان فلم يذكر هذه الصفات، وقد ذكر أن من الصفات صفات ذات، وصفات أفعـــال، وتكـــلم عـــلى صفات الفعل،وسكت عن صفات الذات[٤] وهو يؤكد على نفي تكثر الصفات[٥]، غير أنه ذكر الضحك، فقال:« وأن له صفة الضحك، يضحك إلى أوليائه جل جلاله وتعالى علاه وشأنه، الضحك صفة من صفات الحق كغيره من الصفات...، وكل صفة حق موجودة في العالم على سنن الحكمة فهو أولى بها، وأهل لها، لكن على وصف الكمال الأقصى والتمام الأرفع، والســبحات المنـــزهة عما يليق به » ثم أطال في ذلك، وذكر أن منه ضحك العجب، وضحك الحـــنان، وضـــحك العـــزة[٦]، وقال: « الحكمة من صفات الذات، يظهرها الفعل، ويعبر عنها المحكمـــات »[٧]، وغالب كلامه في نفي الصفات الاختيارية، أما الصفات الأخرى فكلامه قليل جداً بالنسبة لحجم مؤلفاته.

وهـــذا التجاهل لبقية الصفات من أبي طالب المكي وابن برجان مع كثرة كتابتهما يشعر أنهمـــا يفوضان أو ممن يقف فيها، وكان « ظهور بذور القول بالتفويض في مطلع القرن الرابع، نتـــيجة لمحاولة عرض السنة وتقريرها بالمناهج الكلامية، والأصول العقلية الخاطئة، كالقول بأزلية

---

[١] القوت جـــ٢/١٤٨ .

[٢] نفس المرجع جـــ٢/١٣٨ .

[٣] نفس المرجع جـــ٢/١٤٤ .

[٤] شرح الأسماء الحسنى ورقة ٦٦ أ .

[٥] نفس المرجع ورقة ١٨ .

[٦] انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقه ٦٣ ب، ٦٤ أ .

[٧] نفس المرجع ورقه ١٠٦ أ.

جميـــع الصـــفات، وعدم التفريق بين الذاتية والفعلية، وعدم إثبات الصفات الاختيارية كما وقع للأشعري وغيره من أتباع ابن كلاب »[١].

وهذا منهج أبي طالب وابن برجان، ومن وافقهم.

والتفويض بدعة خطيرة وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة ترد هذا المذهب الخبيث، وهي أنواع كثيرة فمن أنواعها:

١- النصـــوص الدالة على البيان كقوله تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[٢].

٢- النصوص الدالة على تعقل القرآن الكريم كقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[٣].

٣- النصوص الدالة على وجوب تدبر القرآن الكريم كقوله تعالى:﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[٤].

٤- النصـــوص الدالة على ذم من لا يفهم القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾[٥].

وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة على إثبات الصفات عموماً، وعلى إثبات صفة معينة خصوصاً[٦].

وكما دلت النصوص على بطلان مذهب التفويض، فقد دل العقل على بطلانه أيضاً،

---

[١] مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات تأليف أحمد القاضي ص٢٣١ ، ط/ الأولى ١٤١٦هـــ الناشر دار العاصمة-الرياض.

[٢] سورة النحل الآية: ٨٩ .

[٣] سورة يوسف الآية: ٢ .

[٤] سورة ص الآية: ٢٩ .

[٥] سورة البقرة الآية: ١٧١ .

[٦] انظر: مذهب أهل التفويض ص٥١٨-٥٢٧ .

فيستحيل أن يترك النبي ﷺ تعليم أمته الركن الأعظم في التوحيد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين ــ وإن دقت ــ أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم، ويعتقدونه في قلوبهم، في ربهم ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة، أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام »[1].

وإذا ثبت هذا، فمحال أيضاً أن يكون أصحاب النبي ﷺ وخير القرون غير عارفين لهذا الباب وغير معتقدين له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: « ثم إذا كان قد وقع ذلك منه، فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب، زائدين فيه أو ناقصين عنه.

ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة ــ القرن الذي بعث فيه رسول الله ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين، لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق، وقول خلاف الصدق. وكلاهما ممتنع: أما الأول: فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم، أو نهمة في العبادة، يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه، ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه، أعني بيان ما ينبغي اعتقاده، لا معرفة كيفية الرب وصفاته.

وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي ــ الذي هو من أقوى المقتضيات ــ أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم؟! هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدهم إعراضاً عن الله، وأعظمهم إكباباً على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله ــ تعالى ــ، فكيف يقع في أولئك؟!، وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه: فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم »[2].

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٦ .

[2] مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٧-٨ .

وقد أطلق أبو طالب المكي عبارات على الرب ـ تعالى ـ، مثل قوله: « قديم بغير وقت، آخر بغير حد، كائن لم يزل ولا تزال الكينونة صفته، ...: والديمومة وصفه ... »[١].

وقال: « وهو محيط بكل شيء بحيطة هي نعته »[٢]، وقال: « لا يعقل بعقل لأنه عاقل العقل »[٣]، ووصفه بالتجلي[٤].

وابن برجان دار حول هذه العبارات و لم يصف الرب ـ تعالى ـ بها، سوى التجلي.

وعامة النظار يطلقون ما لا نص في إطلاقه ولا إجماع كلفظ القديم والذات ونحو ذلك، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعى بها، وبين ما يخبر به عنه للحاجة، فهو سبحانه إنما يدعى بالأسماء الحسنى.

وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها ونحو ذلك، فقيل في تحقيق الإثبات بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل ليس بشيء فقيل بل شيء، فهذا سائغ، وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على مدح[٥].

واعتقاد أهل السنة والجماعة أنه: « يجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[٦]، وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُواْ

---

[١] القوت جـ٢/١٣٧ .
[٢] نفس المرجع جـ٢/١٤١ .
[٣] نفس المرجع جـ٢/١٤٣ .
[٤] انظر: ما سيأتي في ص٧٦٤-٧٦٦ .
[٥] انظر: بدائع الفوائد لابن القيم جـ١/١٧٩ .
[٦] سورة الإسراء الآية: ٣٦ .

عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾[1]، ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص»[2].

ثانياً: الأسماء الحسنى عند السالمية:

لعل أنسب تعريف للأسماء الحسنى هو تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: « الأسماء الحسنى المعروفة: هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها »[3].

فاشتمل هذا التعريف على شرطين:

الأول: ورود النص من القرآن أو السنة بذلك الاسم.

الثاني: لا يطلق مما ورد إلا ما يتضمن المدح والثناء بنفسه.

والشرط الثاني هو الذي يميز باب الأسماء عن باب الصفات، وباب الإخبار، بخلاف الشرط الأول فإنه مشترك بين الأسماء والصفات فلا بد من ورود النص[4].

لذلك النصوص الواردة في هذا الشأن تنقسم على ثلاثة أبواب هي:

أ- باب الأسماء.

ب- باب الصفات.

ج- باب الأخبار.

١- وباب الأسماء هو أخص تلك الأبواب، فما صح اسماً صح صفة وصح خبراً، ولا يصح العكس.

---

[1] سورة الأعراف الآية: ٣٣ .

[2] القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ محمد العثيمين ت/ أشرف عبد المقصود ص١٦ ، ط/ الأولى لمكتبة السنة ١٤١١هـ الناشر مكتبة السنة – القاهرة.

[3] شرح العقيدة الأصفهانية ص١٩ ، وانظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى تأليف د.محمد الخليفة ص٤٠، ط/الأولى ١٤١٧هـ الناشر دار إيلاف الدولية الكويت.

[4] انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص٥٥ .

٢- وبـــاب الصفات أوسع من باب الأسماء، فما صح صفة فليس شرطاً أن يصح اسماً، فقد يصح وقد لا يصح، مع أن الأسماء جميعها مشتقة من صفاته.

٣- مـــا يدخل في باب الأخبار عن الرب ـــ تعالى ـــ أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته.

وعـــلى هذا فإذا كانت الصفة منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه، فهو ســـبحانه يوصـــف بصفات الكلام، والإرادة، والاستواء، والترول، والضحك، ولا يشتق له منها أسماء فلا يسمى بالمتكلم، والمريد، والمستوي، والنازل والضاحك[١].

وفي المقـــابل هناك صفات ورد إطلاق الأسماء منها كالعلو، والعلم والرحمة والقدرة« لأنها في نفسها صفات مدح والأسماء الدالة عليها أسماء مدح»[٢].

وجميـــع الفـــرق عـــلى إثبات الأسماء حتى المعتزلة نفاة الصفات يثبتون لله الأسماء دون ما تضمنته من الصفات[٣].

قـــال شيخ الإسلام ابن تيمية:« وقد اتفق جميع أهل الإثبات على أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، قدير حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، مريد حقيقة، متكلم حقيقة، حتى المعتزلة الـــنفاة للصفات قالوا: إن الله متكلم حقيقة، كما قالوا ـــ مع سائر المسلمين ـــ إن الله عليم حقيقة، قدير حقيقة، بل ذهب طائفة منهم كأبي العباس الناشي إلى أن هذه الأسماء حقيقة لله مجاز للخلق، وأما جمهور المعتزلة مع المتكلمة الصفاتية ـــ من الأشعرية الكلابية، والكرامية، والســـالمية، وأتباع الأئمة الأربعة من الحنفية، والمالكية والشافعية والحنبلية، وأهل الحديث، والصوفية ـــ فإنهم يقولون: إن هذه الأسماء حقيقة للخالق ـــ سبحانه وتعالى ـــ؛ وإن كانت تطـــلق على خلقه حقيقة أيضاً، ويقولون: إن له علماً حقيقة، وقدرة حقيقة، وسمعاً حقيقة، وبصراً حقيقة »[٤].

---

[١] انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص٥٨-٦٠ .

[٢] شرح الأصفهانية ص٥ .

[٣] انظر: لوامع الأنوار للسفاريني جـ١/١١٨ .

[٤] مجموع فتاوى ابن تيمية٥/١٩٦ .

أ- اشتقاق الأسماء الحسنى:

الاشتقاق في اللغة أخذ شق الشيء، والأخذ في الكلام، وأخذ الكلمة من الكلمة[١].

والاشتقاق اصطلاحاً: نزع لفظ من آخر شرط مناسبتهما معنى وتركيباً، ومغايرتهما في الصيغة[٢].

وأما الأقوال في الاشتقاق في أسماء الله ﷻ فهي:

الأول: منع الاشتقاق وذهب إليه ابن حزم فقال: إن أسماء الله ﷻ أعلام، غير مشتقة من صفة أصلاً، لذلك اقتصر على ما ورد بصورة الاسم فقط[٣].

وذهب بعض أهل اللغة إلى أن لفظ الجلالة الله فقط غير مشتق، واستدلوا بأن الله ـ تعالى ـ سبق الأشياء التي زعموا أنه مشتق منها[٤].

الثاني: قول الجمهور وهو أن أسماء الله ﷻ مشتقة من صفاته وأفعاله، قال ابن القيم: « أسماء الرب ـ تبارك وتعالى ـ دالة على صفات كماله، فهي مشتقة من الصفات، فهي أسماء وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان، وبالعكس،...

ولأنها لو لم تدل على معان وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها، لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها، وأثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾[٥] »[٦].

---

[١] انظر: القاموس المحيط ص١١٦٠ مادة شقق، ولسان العرب جـ١٠/١٨٤ مادة فصل الشين المعجمة، وبحث في علم الاشتقاق لعبد الله أفندي ـ ضمن مجلة مجمع اللغة العربية ـ جـ١/٣٨٠ عدد رجب سنة ١٣٥٣هـ، ط/ المطبعة الأميرية ببولاق - القاهرة.

[٢] انظر: التعريفات للجرجاني ص٢٧ .

[٣] انظر: الفصل في الملل والنحل جـ٢/٢٢٣ .

[٤] انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ت/ أحمد الدقاق ص٢٥ ، ط/ الخامسة ١٤٠٦هـ الناشر دار المأمون دمشق -بيروت، ومعالم التنزيل (تفسير البغوي) للبغوي ت/ محمد النمر وآخران جـ١/٥٠ ، ط/ الرابعة ١٤١٧هـ الناشر دار طيبة -الرياض.

[٥] سورة الذاريات الآية: ٥٨ .

[٦] انظر: مدارج السالكين جـ١/٣٦-٣٧ .

الثالث: الاشتقاق من الإخبار عن الرب ـ تعالى ـ بالفعل مقيداً، فيشتق له منه اسم مطلق، مثل من جعل من أسمائه الفاتن والماكر ـ تعالى الله ـ.

وهذه الأسماء لم يطلق على الرب ـ سبحانه وتعالى ـ إلا من أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها[1]، وذهب إلى هذا الاشتقاق بعض السالمية وغيرهم كأبي طالب المكي وابن برجان، لذلك يعد السالمية ومن وافقهم من المتوسعين في اشتقاق الأسماء الحسنى[2].

وقد ذهب ابن برجان إلى أن أسماء الله ـ تعالى ـ غير مشتقة من شيء فيقول: « فليكن الاشتقاق أن تكون الموجودات مشتقة من الأسماء، لا الأسماء مشتقة من الموجودات فافهم واعلم »[3].

وسيأتي إطلاقه لأسماء لا يصح إطلاقها.

وهذه نماذج للأسماء التي أطلقوها على الرب ـ تعالى ـ ولم ترد:

١- رمضان:

أطلق هذا الاسم أبو طالب المكي فقال: « وقد كان مجاهد[4] يقول: لا تقولوا رمضان فإنه اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ ولكن قولوا: شهر رمضان، وقد رفعه إسماعيل بن أبي زياد[5] فجاء به مسنداً »[6].

---

(١) انظر: بدائع الفوائد جـ١/١٦٩-١٧٠ .

(٢) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى د.محمد التميمي ص٣٨-٣٩ وذكر أن المناهج أربعة:

الأول: الاعتماد على العد الوارد في روايات حديث أبي هريرة في الأسماء، لاعتقادهم صحة الحديث.

الثاني: الاقتصار على ما ورد بصوره الاسم فقط.

الثالث: منهج المتوسعين وهو المذكور أعلاه.

الرابع: منهج المتوسطين وهو الصواب.

(٣) انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ٧ أ.

(٤) هو مجاهد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة، أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون سنة. انظر: السير جـ٤/٤٤٩-٤٥٧ ترجمة رقم ١٧٥ ، وتقريب التهذيب لابن حجر جـ٢/١٥٩ ترجمة رقم٦٥٠١.

(٥) هو إسماعيل بن زياد أو بن أبي زياد الكوفي، قاضي الموصل، متروك كذبوه. انظر: تقريب التهذيب جـ١/٩٤ ترجمة رقم٤٤٧.

(٦) القوت جـ٢/١٧٧ .

وقد أخرج هذا الأثر ابن جرير الطبري: « عن مجاهد: أنه كره أن يقال: رمضان، ويقول: لعله اسم من أسماء الله ﷻ لكن نقول كما قال الله:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾[1] »[2].

وقد روي مرفوعاً عن أبي هريرة ﷺ: « لا تقولوا رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله ﷻ لكن قولوا شهر رمضان »[3]، وضعفه ابن عدي[4] بأبي معشر، وقال ابن كثير بعد ذكره لهذا الأثـــر: « أبو معشر هو نجيح بن عبد الرحمن المدني إمام المغازي والسير، ولكن فيه ضعف، وقد رواه ابـــنه محمد عنه فجعله مرفوعاً عن أبي هريرة؛ وقد أنكره عليه الحافظ ابن عدي، وهو جدير بالإنكار فإنه متروك وقد وهم في رفع هذا الحديث»[5].

أمـــا مـــا روى عن مجاهد فقال الخطابي[6]:« ها هنا حرف يروى عن مجاهد، أنا مرتاب بصحته أبداً » وقال ـــ بعد ذكر لفظ الأثر ـــ: « وهذا شيء لا أعرف له وجهاً بحال وأنا راغب عنه ولا أقول به »[7].

وقد ضعفه ابن حجر فقال: « روى عن مجاهد والحسن من طريقين ضعيفين »[8].

---

[1] سورة البقرة الآية: ١٨٥ .

[2] تفسير الطبري جـــ٢/١٥٠ .

[3] أخـــرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال جـــ٧/٢٥١٥ (ط/ الأولى ١٤٠٤هـــ الناشر دار الفكر – بيروت)، والبيهقي في السنن (ط/ دار المعرفة، وفي الذيل الجوهر النقي) جـــ٢/٢٠١-٢٠٢ ، وضعفه بأبي معشر، وحكم بضعف جميع طرق الخبر.

[4] هو الإمام الكبير الثقة، أبو نعيم، عبد الملك بن محمد بن عدي الجرجاني الأستراباذي، الفقيه الشافعي، ولد سنة ٢٤٢هـــ، وتـــوفي في ذي الحجـــة سنة ٣٢٠هـــ(وقيل ٣٢٢)، عن نيف من ثمانين سنة. انظر: السير جـــ١٤/٥٤١-٥٤٧ ترجمة رقم ٣١٢ ، والأعلام جـــ٤/١٦٢ .

[5] تفسير ابن كثير جـــ١/٢١٦ ، وانظر: تفسير القرطبي جـــ٢/٢٩٢ ، وقد ذُكر هذا الحديث في الموضوعات، انظر: اللآلئ المصنوعة جـــ٢/٩٧، وتنزيه الشريعة جـــ٢/١٥٣ .

[6] هـــو الإمـــام الحـــافظ اللغوي، أبو سليمان، حمد ـــ بفتح الحاء وسكون الميم ـــ بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف. ولد سنة بضع عشرة وثلاث مائة، وتوفي في ربيع الآخر سنة ٣٨٨هـــ. انظر: السير جـــ١٧/٢٣-٢٨ ترجمة رقم ١٢ ، والأعلام جـــ٢/٢٧٣ .

[7] انظر: شأن الدعاء للخطابي ت/ أحمد الدقاق ص١٠٩-١١٠ ، ط/ الثالثة ١٤١٢هـــ الناشر دار الثقافة العربية – دمشق.

[8] فتح الباري جـــ٤/١٤٢ .

فعلى هذا لا يصح إطلاق هذا الاسم على الرب ــ تبارك وتعالى ــ، ومع ذلك فقد روى عن بعض السلف أنه كره أن يقال رمضان ولكن يقال شهر رمضان[١].

ونُقـل عن بعض المالكية الكراهة، وقال كثير من الشافعية إن كان هناك قرينة تصرفه إلى الشهر فلا يكره، والجمهور على الجواز[٢].

والصواب أن رمضان ليس من أسماء الله ﷻ ولا يصح فيه نقل، والأسماء توقيفية، ولم يرد دليل على أنه من الأسماء الحسنى[٣].

ويجوز إطلاق رمضان من دون إضافة كما ثبت في الأحاديث الصحيحة[٤].

ومنها ما أورده البخاري في كتاب الصوم « باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان، ومن رأى كله واسعا »[٥].

٢- الدهر، ديهور، ديهار:

وقـد أطلق هذا الاسم على الرب ــ تعالى ــ أبو طالب المكي فقال في الأدعية المختارة: « يا ديهور، يا ديهار »[٦] وتابعه ابن برجان[٧]، وذكر ابن برجان أن معناه هو: « ما لا أول له ولا آخر له؛ من الأبد »[٨].

وإطلاق هذا الاسم على الرب ــ تبارك وتعالى ــ اختلف فيه على قولين:

الأول: أن الدهـر من أسماء الله ــ عزّ وجلّ ــ، وقال به نعيم بن حماد وطائفة من أهل الحديـث والصوفية، ومعناه القديم الأزلي[٩]، ومن هؤلاء السالمية كأبي طالب المكي ومن وافقه،

---

[١] انظر: تفسير ابن كثير جـ١/٢١٦ .

[٢] انظر: الفتح جـ٤/١٤٢ ، وتفسير القرطبي جـ٢/٢٩٢ ، وتفسير ابن كثير جـ١/٢١٦ .

[٣] انظر: الحجة في بيان المحجة جـ١/١٦٦ .

[٤] انظر: تفسير القرطبي جـ٢/٢٩٢ وبقية المراجع السابقة.

[٥] انظر: صحيح البخاري جـ٢/٥٦٥ الأحاديث رقم ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ ، ١٩٠٠ .

[٦] القوت جـ١/٢٣ .

[٧] انظر: تفسير ابن برجان ورقة ٣٨٠ ب.

[٨] شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٥٠ ب، ١٥١ .

[٩] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٢/٤٩٤ .

واستدلوا بما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « قال الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار »[١]، وبما روي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر »[٢]، وبالأدعية التي ذكرها أبو طالب المكي[٣].

الثاني: أن الدهر ليس من أسماء الله ﷻ، وقال به أكثر العلماء[٤]، وقالوا: الكلام في هذه الأحاديث خرج ردا على العرب في جاهليتها، فإنهم كانوا يعتقدون أن الدهر هو الفاعل، ومعنى إن الله هو الدهر أي: أن الله هو الفاعل لهذه الأمور التي تضيفونها إلى الدهر فيرجع السب إليه سبحانه[٥]، ومعنى قوله «وأنا الدهر » أي: صاحب الدهر، ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر[٦].

وقد أجمع المسلمون ـــ وهو مما علم بالعقل الصريح ـــ أن الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ ليس هو الدهر الذي هو الزمان، أو ما يجري مجرى الزمان، فإن الناس متفقون على أن الزمان هو الليل والنهار[٧].

ولو كان الدهر من أسماء الله –عزوجلّ– لكان الذين قالوا ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾[٨] مصيبين[٩].

---

[١] أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب: قول الله تعالى:﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾) جـ٣/١٥٣١ حديث رقم٤٨٢٦.
ومسلم في (كتاب الألفاظ من الدب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر) جـ٤/١٧٦٢ حديث رقم٢٢٤٦.

[٢] أخرجه ومسلم في (كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر) جـ٤/١٧٦٣ حديث رقم٢٢٤٦.
الحديث الثالث منه.

[٣] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٢/٤٩٤ .

[٤] انظر: تفسير القرطبي جـ١٦/١٧١ ، وشأن الدعاء للخطابي ص١٠٧-١٠٩، ومجموع فتاوى ابن تيمية٢/٤٩٣ .

[٥] انظر: تفسير القرطبي جـ١٦/١٧١ ، وشأن الدعاء ص١٠٨ .

[٦] انظر: شأن الدعاء ص١٠٩ .

[٧] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/٤٩٤ .

[٨] سورة الجاثية آية: ٢٤ .

[٩] انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب ص٦٣٠ .

وبهذا تبين عدم صحة إطلاق اسم الدهر على الرب ـــ تبارك وتعالى ـــ[١]، وأما المعنى الذي ذكروه لهذا الاسم: القديم الأزلي، فهذا المعنى صحيح، لأن الله ـــ سبحانه ـــ هو الأول ليس قبله شيء، وهو الآخر ليس بعده شيء، وإنما التزاع في كونه يسمى دهرا بكل حال[٢].

ومـــن الأسمـــاء التي نسبها إليهم القاضي أبو يعلى إطلاق اسم الإيمان على الرب تعالى[٣]، وهذا لم أجده في كتبهم ولا دليل عليه.

وهناك أسماء كثيرة أخرى أطلقوها أذكر بعضها باختصار.

فمـــن ذلك ذكر أبو طالب من الأسماء الحسنى فقال ـــ في الأدعية المختارة ـــ:«يا أبد، يا أزل، يـــا من لم يزل ولا يزول، وهو يا هو، لا إله إلا هو، يا من لا هو إلا هو، يا من لا يعلم ما هو إلا هو، يا كان يا كينان يا روح، يا كائن قبل كل كون، يا كائن بعد كل كون، يا مكنون لكل كون، أهيا شر أهيا أدناي، أصباؤت[٤]، يا مجلى عظائم الأمور »[٥].

وقال أبو طالب أيضاً: « والأول ـــ سبحانه وتعالى ـــ هو المبلى والمريد والمبدئ والمعيد »[٦].

وقـــال ابـــن بـــرجان:«إن من أسمائه ـــ جلّ ذكره ـــ الباعث والمرسل والمنذر والمبتلى والممـــتحن والمـــترل»[٧]، وقال:« وكذلك من أسمائه المضل والفاتن والمؤخر والقابض، وشديد العقاب، وسريع الحساب، والمبتلي، والمنتقم والوارث ونحو هذا »[٨] وغالب ما ذكرا لم يرد.

وقـــال الســـمعاني: سمعـــت عـــلي بن عبد الملك يقول: زاد الزبيدي في أسماء الله أسامي « الزارع، والمتمم، والمبهم والمظهر »[٩].

---

[١] انظر: الحجة في بيان المحجة ١/١٦٥-١٦٦ .

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/٤٩٤ .

[٣] انظر: المعتمد ص٦٩ .

[٤] كذا في الأصل.

[٥] القوت جـــ١/٢٣ .

[٦] نفس المرجع جـــ١/٢٢٢ .

[٧] تفسير ابن برجان ورقة ٢٣٣ .

[٨] شرح الأسماء الحسنى ورقه ١٠٨ ب.

[٩] السير جـــ٢٠/٣١٨ .

وجميع هذه الأسماء لا تطلق على الرب ـ تبارك وتعالى ـ[١].

والسالمية ممن توسع في اشتقاق الأسماء من كل صفة وفعل بل ومن كل خبر، وقد توسع في ذلك أبو طالب المكي في كتابه "القوت"، وابن برجان في "شرح الأسماء الحسنى"، وتابعه ابن العربي المالكي[٢] في كتابه "الأمد الأقصى في شرح الأسماء الحسنى"، وغيره[٣]، وتابعهما القرطبي في كتابه "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"[٤]، وغيرهما[٥].

وهذه الأسماء ورد بعضها في حديث أبي هريرة في عد الأسماء، وهو لا يصح[٦]،وبعض

---

[١] انظر: الإنباء إلى ما ليس من أسماء الله تأليف صالح العصيمي ط/ الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار ابن خزيمة – الرياض، وهو كتيب صغير، ذكر فيه غالب هذه الأسماء.

[٢] هو الحافظ أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، صاحب التصانيف، ولد في سنة ٤٦٨هـ، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ٥٤٣هـ. انظر: السير جـ٢٠/١٩٧-٢٠٤ ، واسم كتابه كاملاً: "الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلا" مخطوط في الخزانة العامة بالرباط رقم ٦٢٧٥ في ١٨٠ ورقة، وهو على مذهب الأشعرية. انظر: مع القاضي أبي بكر بن العربي، تأليف سعيد أعراب ص ١٢٧-١٢٨ ، ط/ الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار الغرب الإسلامي -بيروت، وكتاب ابن العربي المالكي الإشبيلي وتفسيره أحكام القرآن، تأليف مصطفى المشيني ص٣٢ ، ط/ الأولى ١٤١١هـ الناشر دار الجيل -بيروت، ودار عمار -عمان.

[٣] انظر: الجامع لأحكام القرآن له جـ٢/٣٣٧-٣٥١ ت/ محمد عبد القادر عطا، ط/ ١٤١٦هـ الناشر دار الكتب العلمية – بيروت، في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

[٤] هو الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، يقع في ثلاثة أجزاء مخطوطة: الأول منها مفقود، والثالث في شرح بعض الصفات، وهو على مذهب الأشعرية، وفيه نزعة صوفية. انظر: أسماء الله الحسنى تأليف عبد الله الغصن ص ٢٨٥-٢٩٤ .

[٥] انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٧/٣٢٧-٣٢٨ .

[٦] حديث عد الأسماء الحسنى أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ في (كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في عقد التسبيح باليد) جـ٥/٥٣٠-٥٣٢ حديث رقم ٣٥٠٧، ولفظه: « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم... » وورد فيه سرد أسماء الله ـ عز وجل ـ، وابن ماجه في (أبواب الدعاء، باب: أسماء الله عزّ وجلّ) جـ٢/٣٤٨ حديث رقم ٣٩٠٧ ، وأخرجه غيرهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى جـ٦/٣٧٩-٣٨٠ ـ بعد أن ذكر رواية الترمذي وابن ماجه لهذا الحديث : « وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ وإنما كل منهما من كلام السلف، فالوليد ذكرها عن بعض==

الأسماء لم يذكرها أحد، مثل التي نسبت إلى الزبيدي، وغالب ما ذكره أبو طالب.

وكما سبق فإنه لا يشتق من كل فعل للرب ـــ تعالى ـــ اسم، ولا من كل خبر عنه تعالى، « وإذا كـــانت الصفة منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه ـــ تعالى ـــ بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد والفاعل والصانع فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولهذا غلط مـــن سمـــاه بالصانع عند الإطلاق،...كما غلط بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى "المضل" "الفـــاتن" ، "الماكر" ـــ تعالى عن قوله ـــ، فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينه، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة »[1].

=== شـــيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق الحديث ». ا.هـــ.، وقال ابن حجر في الفتح جـــ١١/٢٥٧-٢٦٠: « واختلف العلماء في سرد الأسماء هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة، فمشى بعضهم على الأول واستدلوا به على جواز تسمية الله ـــ تعالى ـــ بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم لأن كثيراً من هذه الأسماء كذلك، وذهب الآخرون إلى أن التعيين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه، ونقل عن أكثر العلماء والعلة في الحديث ليست تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه » ا.هـــ.

[1] انظر: لوامع الأنوار البهية جـــ١/١٢٥-١٢٦ .

المبحث السابع: الغلو في الإثبات عند السالمية.

هذا المبحث يعتبر خلاصة لمذهب السالمية في الأسماء والصفات، فقد سبق الإشارة إلى بعض مفرداته، وسيأتي تفصيل بعضها الآخر.

والسالمية مع أن منهم طائفة من المثبتة في الغالب، إلا أن بعض أعلامهم غلا في الإثبات حتى خالفوا الصواب، وبعضهم وإن كان من نفاة الصفات الاختيارية إلا أنه يغلو في بعض المسائل التي يثبتها.

ويتمثل هذا الغلو في مسائل وهي:

١- ذكر أحاديث موضوعة في الصفات.

٢- الغلو في إثبات صفة الكلام.

٣- الغلو في إثبات المعية.

٤- الغلو في إثبات الرؤية.

٥- الغلو في إثبات الأسماء.

أولاً: ذكر أحاديث موضوعة في الصفات:

وقع السالمية في رواية الموضوعات عموماً، وبنوا عليها مذهبهم في المسائل، ومما أخذ على بعض أعلام السالمية رواية بعض الأحاديث الموضوعة في الصفات، فمن ذلك ما رواه أبو علي الأهوازي من أحاديث موضوعة كأنه لم يعرف بوضعها مثل:

١- حديث « إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل فأجراها حتى عرقت، ثم خلق نفسه من ذلك العرق »، قال الذهبي: « وأطم ما للأهوازي في كتاب الصفات له حديث: " إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل فأجراها..." وهذا خبر مقطوع بوضعه لعن الله واضعه ومعتقده، مع أنه شيء مستحيل في العقول والبديهة »[1].

---

[1] تاريخ الإسلام حوادث ٤٤١-٤٦٠ ص١٢٨، وهو كما قال ابن عساكر والذهبي وغيرهما، وانظر: اللآلئ الموضوعة للسيوطي جـ١/٣، وتنزيه الشريعة لابن عراق جـ١/١٣٤، والمتهم بوضعه محمد بن شجاع الثلجي المعتزلي، وكان يضع أحاديث التشبيه وينسبها لأهل الحديث.

٢- حديث: « رأيت ربي على جمل أورق عليه جبة » قال الذهبي بعد ذكره لهذا الخبر: « هذا كذب على الله ورسوله، فقد اتهم ابن عساكر أبا علي الأهوازي كما ترى (سبق قول ابن عساكر هو متهم)، وهو عندي آثم ظالم لروايته مثل هذا الباطل »[1].

٣- حديث:«إذا كانت عشية عرفة، هبط الله ﷻ إلى السماء الدنيا فيطلع إلى أهل الموقف فيقول مرحبا بزواري والوافدين إلى بيتي، وعزتي لأنزلن إليكم، ولأساوي مجلسكم بنفسي فينزل إلى عرفة فيعمهم بمغفرته ويعطيهم ما يسألون إلا المظالم، ويقول:يا ملائكتي أشهدكم أني قد غفرت لهم، ولا يزال كذلك إلى أن تغيب الشمس،ويكون أمامهم إلى مزدلفة، ولا يعرج إلى السماء تلك الليلة،فإذا أسفر الصبح وقفوا عند المشعر الحرام غفر لهم حتى المظالم، ثم يعرج إلى السماء وينصرف الناس إلى منى»[2]، وهذا حديث موضوع وتتضمن هذه الأحاديث القول بتجلي الرب ﷻ لبعض الناس، ورؤيتهم له في هذه الحياة الدنيا، وقد أوردها ولم ينكرها أو شيئا منها.

ومن غلو السالمية في الصفات ما سبق ذكره، من وصف الرب ـ تعالى ـ بالديمومة، والكينونة، والتجلي، وسبق الرد عليهم.

ثانياً: الغلو في إثبات صفة الكلام:

سيأتي تفصيل مذهب السالمية في مسألة الكلام، وهم وإن وافقوا ابن كلاب في نفي

---

[1] تأريخ الإسلام حوادث ٤٤١-٤٦٠ ص١٢٨، وقد روى ابن الجوزي عن أبي علي الأهوازي بلفظ قريب من هذا اللفظ، وقال: « هذا حديث لا يشك أحد أنه موضوع، محال لإيضاح استحالته أن ينظر في رجاله،... وأكثر رجاله مجاهيل وفيهم ضعفاء » ا.هـ. انظر: الموضوعات من الأحاديث المرفوعات لابن الجوزي ت/ د.نور الدين شكري جـ١/١٨٠، ط/ الأولى ١٤١٨هـ الناشر مكتبة أضواء السلف – الرياض، وقد بين أنه موضوع شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٣٨٥-٣٨٦، وانظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي جـ١/٢٨، وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق جـ١/١٣٨.

[2] انظر تأريخ مدينة دمشق جـ١٣/١٤٥ وبقية مصادر الترجمة، وقد رواه ابن الجوزي عن أبي علي الأهوازي جـ١/١٧٩ رقم ٢٦٢ ، وتعقبه وما سبق بالحكم السابق في الهامش (١)، وتنزيه الشريعة جـ١/١٣٨ وغيرهم.

الصفات الاختيارية، ومنها صفة الكلام، فقد بالغوا في الإثبات حتى زعموا أن صوت القارئ هو صوت الرب ــ تعالى ــ، وأنهم لا يسمعون إلا صوت الرب ــ تعالى ــ، وهذه المسألة من خصائص المذهب، لذلك لم يذكرها الزاغوني لما وافقهم في بعض قولهم.

وقال بهذا أبو طالب المكي وابن برجان والزبيدي، كما ستأتي ألفاظهم.

ثالثاً: الغلو في إثبات القرب والمعية:

سبق الكلام على القرب والمعية، ومن غلو السالمية فيهما إثباتهما حتى زعموا أن الله ــ تعالى ــ في كل مكان وقريب من كل شيء، مع إثباتهم للاستواء والعلو، وزعمهم في القرب أنه ذاتي[١].

رابعاً: الغلو في إثبات مسألة الرؤية:

مسألة الرؤية من المسائل التي اشتهر بها السالمية، حتى قال ابن منده: وإذا رويت حديثاً في الرؤية قالوا سالمياً، وهم يثبتون ما يثبته أهل السنة والجماعة في مسألة رؤية الرب ــ تبارك وتعالى ــ في الآخرة، لكنهم يزيدون حتى يقولوا ببدعة شنيعة ذكرها أبو طالب المكي وابن برجان وهي رؤية الرب ــ تبارك وتعالى ــ في الدنيا بالأبصار[٢].

خامساً: الغلو في إثبات أسماء الله ــ تعالى ــ:

منهج السالمية كما سبق بيانه من المتوسعين في اشتقاق الأسماء الحسنى، من كل فعل للرب ــ تعالى ــ، وكل خبر، وقد أوردت جملة من الأسماء التي ذكروها وهي لا تثبت، ومما غلوا فيه، من الأسماء زعمهم أن الحروف المقطعة في أوائل السور من أسماء الرب ــ تعالى ــ:

أ- الحروف المقطعة:

ذهب بعض الناس إلى أن الحروف المقطعة في أوائل السور من أسماء الرب سبحانه وتعالى، ومن هؤلاء السالمية قال أبو طالب المكي في الأدعية المختارة في أسماء الرب تبارك وتعالى قال: « أنت الأول والآخر والظاهر والباطن، وسعت كل شيء رحمة وعلماً، كهيعص حم عسق »[٣].

---

[١] انظر: ما تقدم في ص٤٤٧-٤٤٨ .

[٢] انظر: ما سيأتي في ص٥٨١-٥٨٧ .

[٣] القوت جـ١/٢١ .

وقـــال ابن برجان عن الحروف المقطعة في أول سورة الرعد: « ... وتكون مع هذا معبرة عـــن أسمـــاء الله ﷻ، وقد ذكر ذلك عن ابن عباس ﷺ، وعن هذه الحقيقة وجدنا أسماء الله ﷻ معبرة عن جميع الموجودات هذا في دار الدنيا... »[١].

وقـــد ذكر البيهقي أن الحروف المقطعة في أوائل السور من الأسماء الحسنى قال: « باب ما جاء في حروف المقطعات في فواتح السور وأنها من أسماء الله ﷻ »[٢].

ثم ذكر روايات ضعيفة عن ابن عباس وغيره من السلف في أنها من أسماء الله ﷻ[٣].

وقد أظهر ابن برجان وغيره معرفته للغيب من تحليلها، بينما حقيقة أمره التنجيم[٤].

والصواب أن هذه الحروف المقطعة في فواتح السور مما استأثر الله به، قال ابن كثير بعد أن حكـــى الأقوال في تفسير الحروف المقطعة: « فمن ظهرله بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه، وإلا فـــالوقف حتى يتبين هذا »[٥]، وقال الزمخشري ـــ عن هذه الحروف ـــ إنها « كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى القرآن وبغرابة نظمه، وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه مـــن آخرهم، كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم »[٦]، وقال بهذا كثير من المحققين من أهل العلم، وحكاه الرازي والقرطبي، وذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، وأبو الحجاج المزي وابن كثير وغيرهم[٧].

« وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له، وطار في غير مطاره »[٨].

---

[١] تفسير ابن برجان ورقة ٣٤٣ أ ، وانظر: ورقة ١٨ أ .

[٢] الأسماء والصفات جـــ١/٢٣٠ ، وانظر: معالم التتريل للبغوي جـــ١/٥٨-٥٩ .

[٣] انظـــر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـــ١/٢٣٠-٢٣٣ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير جـــ١/٣٧، وانظر: حكم محقق الكتاب عبد الله الحاشدي في الهامش عليها.

[٤] انظر: ما تقدم في ص٢٥٣.

[٥] انظر: تفسير القرآن العظيم جـــ١/٣٧ .

[٦] الكشـــاف الزمخشري جـــ١/٩٦ ، ط/ الأولى ١٣٩٧هـــ الناشر دار الفكر، وبهامشه حاشية الجرجاني، والأنصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري.

[٧] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـــ١/٣٨ .

[٨] نفس المرجع جـــ١/٣٨ .

الفصل الثالث

صفة الكلام عند السالمية

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : الكلام في اللغة وأقوال الفرق في صفة الكلام.

المبحث الثاني : تفصيل مذهب السالمية في صفة الكلام ومناقشته.

المبحث الثالث : اعتقاد أهل السنة والجماعة في صفة الكلام وأدلتهم.

المبحث الرابع : الحرف والصوت والنداء عند السالمية.

المبحث الخامس : مسألة اللفظ بالقرآن عند السالمية.

المبحث السادس: أصوات القراء وحلول القرآن في المصاحف والصدور عند السالمية.

تمهيد:

مسـألة القـرآن الكـريم من المسائل الكبرى في التأريخ الإسلامي، وقد كثر فيها التزاع والافتراق، «حتى غلط فيها من أئمة الطوائف، المعروفين عند الناس بالعلم والدين، وغالبهم يقصد وجها من الحق فيتبعه، ويعزب عنه وجه آخر لا يحققه، فيبقى عارفاً ببعض الحق جاهلاً ببعضه، بل منكراً له»[(١)]، وحتى قيل مسألة الكلام حيرت الأنام[(٢)].

وحصل بسبب فروع هذه المسألة ــ وهي مسألة اللفظ ــ مخاصمات ومهاجرات، بين أهل الحديث والسنة[(٣)].

ولمسألة الكلام ارتباط وثيق بمسألة الصفات الاختيارية، وقيامها بالله ــ تعالى ــ.

وللسالمية قول مشهور في هذه المسألة، هو أشهر منها، يذكر عند ما تذكر الأقوال في هذه المسألة، وقد ألف الزبـيدي مؤلفات خاصة في مسألة الكلام؛ فمن تلك المؤلفات:

١- جزء فيه رد على من ألحد في الكتاب العزيز.

٢- مناصفة القشيري.

٣- رسالة في الرد على من زعم أن أهل السنة يعبدون الحروف[(٤)].

وممن وافق السالمية في هذه المسألة ابن الزاغوني، وقد تكلم في هذه المسألة في أكثر من خمسين ورقة.

وأما أبو طالب المكي وابن برجان فيذكران هذه المسألة عرضاً و لم يفرداها، وقد نسب الصوفية لسهل التستري بعض الأقوال الباطلة في مسألة الكلام[(٥)].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٢/١٨٠ .

(٢) انظر: نفس المرجع جـ١٢/١١٣ ، ٢١١ .

(٣) انظر: الاختلاف واللفظ لابن قتيبة ص٤٣، ط/ الأولى ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتب العلمية -بيروت، ومجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٣٣٣ .

(٤) انظر: تقدم الكلام على هذه المؤلفات في ص٢٤٣-٢٤٤.

(٥) انظر: ما تقدم في ص١١٩-١٢٠ .

وسيكون الكلام على هذه المسألة في المباحث التالية:

المبحث الأول : الكلام في اللغة وأقوال الناس في صفة الكلام.

المبحث الثاني : تفصيل مذهب السالمية في صفة الكلام ومن وافقهم ومناقشته.

المبحث الثالث : اعتقاد أهل السنة في صفة الكلام، وأدلتهم من الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

المبحث الرابع : الحرف والصوت والنداء عند السالمية.

المبحث الخامس : مسألة اللفظ بالقرآن عند السالمية.

المبحث السادس: أصوات القراء وحلول القرآن في المصاحف والصدور عند السالمية.

المبحث الأول: الكلام في اللغة وأقوال الفرق في صفة الكلام.

أولاً: الكلام في اللغة والاصطلاح:

الكلام في لغة العرب يدل على نطق مفهم، تقول: كلمته، أكلمه تكليما، وهو كليمي إذا كلمك أو كلمته[١].

وفي اصطلاح النحاة: هو الجملة المركبة المفيدة، مثل حل الربيع أو شبهها مما يكتفي بنفسه[٢].

والكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير، ولا يكون أقل من ثلاث كلمات، لأنه جمع كلمة[٣].

وأما الكلام عند المتكلمين فهو: المعنى القائم بالنفس الذي يعبر عنه بألفاظ[٤].

وهذا لا يصح قال سيبويه[٥]: « اعلم أن "قلت" إنما وقعت في كلام العرب على أن يحكي بها، وإنما تحكى بعد القول ما كان كلاما لا قول »[٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :« يقول أهل العربية ـ وهم أخبر بمشبهات الألفاظ من غيرهم ـ إن اسم الكلام لا يقال إلا على الجملة المفيدة كالمركبة من اسمين أو اسم وفعل، وقد ذكر ذلك سيبويه حكيم لسان العرب باب الحكاية بالقول، حيث ذكر أن القول يحكى به ما كان كلاماً، ولا يحكى به ما كان قولاً، والقول إنما تحكى به الجمل المفيدة فعلم أنها هي الكلام في لغة العرب »[٧].

---

[١] انظر: معجم مقاييس اللغة جـ٥/١٣١ ، باب الكاف واللام وما يثلثهما.

[٢] انظر: القاموس الجديد، تأليف علي بن هادية وآخرون ص٩١٢، ط/ الأولى، جويلية ١٩٧٩م، الناشر الشركة التونسية – تونس، والشركة الوطنية – الجزائر .

[٣] انظر: لسان العرب جـ١٢/٥٢٣ مادة (كلم).

[٤] انظر: القاموس الجديد ص٩١٢ .

[٥] هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري، الملقب سيبويه ومعناه بالفارسية رائحة التفاح، إمام النحو، وحجة العرب، قيل عن كتابه "الكتاب" لم يصنع قبله ولا بعده مثله، توفي سنة ١٨٠هـ عن ٤٠ سنة. انظر: السير جـ٨/ ٣٥١-٣٥٢ رقم الترجمة ٩٧ ، والأعلام جـ٥/٨١ .

[٦] انظر: كتاب سيبويه ت/ عبد السلام هارون جـ١/١٢٢، ط/ الأولى الناشر دار الجيل -بيروت.

[٧] مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٤٦٠ .

ولفظ الكلام شامل للألفاظ والمعاني جميعاً، وإذا سمي المعنى وحده كلاماً، أو اللفظ وحده كلاماً، فإنما ذاك مع قيد يدل على ذلك[1].

والمتكلم: اسم فاعل من التكلم وهو من قامت به صفة الكلام، فبها صار متكلماً.

فحين يرد على سمعك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] عقلت منه أن لله ــ تعالى ــ صفة السمع وصفة العلم، وكذلك حين يرد على سمعك ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ﴾[3] فإنك تعقل منه أن لله ــ تعالى ــ صفة الكلام، فدل هذا على أن الصفة إنما تقوم بالموصوف[4].

ثانياً: مذاهب الفرق في صفة الكلام:

أول من أظهر شيئاً من الكلام في القرآن الكريم بعد كفار قريش:الجعد بن درهم (ت ١١٨هـ) بالبصرة، والجهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ) بخراسان فقتلا ــ ولله الحمد ــ شر قتلة.

قال حبيب بن أبي حبيب: شهدت خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم الأضحى فقال: أيها الناس ارجعوا فضحوا تقبل الله منا ومنكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم الله موسى تكليماً، وتعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه[5]. وأما الجهم فقتله نصر بن سيار ــ من أمراء بني أمية ــ سنة ١٢٨هـ.

وقد افترق الناس في مسألة الكلام إلى ثمانية أقوال وهي كما يلي:

الأول: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني، من العقل الفعال عند بعضهم،

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٥٣٣ .

[2] سورة الأنفال الآية:١٧.

[3] سورة النساء الآية:١٦٤.

[4] انظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية تأليف عبد الله يوسف الجديع ص٤٧، ط/ الأولى ١٤٠٨هـ، الناشر دار السياسة – الكويت.

[5] انظر: خلق أفعال العباد تأليف البخاري ص٧ ، ط/ الأولى ١٤٠٤هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت، والردّ على الجهمية، تأليف الإمام عثمان بن سعيد الدارمي ص١٧ ، تقديم وتعليق بدر البدر، ط/ الأولى ١٤٠٥هـ الناشر الدار السلفية -الكويت.

أو من غيره[1]، وهذا قول الصابئة المتفلسفة أمثال ابن سينا والفارابي ومن تابعهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره لهذا القول: « وهذا القول أبعد عن الإسلام ممن يقول: القرآن مخلوق »[2].

الثاني: أن كل كلام في الوجود كلام الله، نظمه ونثره، وحقه وباطله، يقول إمامهم:

وكل كلام في الوجود كلامه　　　سواء علينا نثره ونظامه[3]

وهذا مبني على أصلهم، وهو أن الله ــ سبحانه ــ عين كل شيء وهو عين هذا الوجود وهذا قول متفلسفة الصوفية القائلين بوحدة الوجود والاتحاد مثل ابن عربي[4].

الثالث: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه، وهذا قول الجهمية والمعتزلة، اتفقوا في الأصل واختلفوا في الفروع على ستة أقوال:

أ ــ الفرقة الأولى: يزعمون أن كلام الله جسم، وأنه مخلوق، وأنه لا شيء إلا جسم.

ب ــ الفرقة الثانية: يزعمون أن كلام الله عرض، وهو حركة ــ لأنه لا عرض عندهم إلا الحركة ــ، وأن كلام الخالق جسم، وأن ذلك الجسم صوت مقطع مؤلف مسموع وهو فعل الله وخلقه وهذا قول النظّام[5] وأصحابه.

ج ــ الفرقة الثالثة: أن القرآن مخلوق لله، وهو عرض، وليس بجسم، وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد، وهذا قول أبي الهذيل وأصحابه.

د ــ الفرقة الرابعة: يزعمون أن كلام الله عرض، وأنه مخلوق، ويستحيل أن يوجد في

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٦٨ .

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية١٦٣/١٢.

(3) هذا البيت ينسب لابن عربي. انظر: الفتوحات المكية له جـ١٤/٤ .

(4) انظر: مختصر الصواعق جـ٤٠٨/٢ .

(5) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن سيار، مولى آل الحارث بن عباد الضبعي البصري، المعروف بالنظّام، صاحب التصانيف، من شيوخ المعتزلة، متكلم، تكلم في القدر وكفره جماعة وقال بعضهم أنه كان على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث، توفي سنة بضع وعشرين ومائتين. انظر: السير جـ١٠/٥٤١-٥٤٢ رقم الترجمة ١٧٢ ، والأعلام جـ٤٣/١ .

مكانين، وهذا قول جعفر بن حرب[1] وأكثر البغداديين من المعتزلة.

هـ ــ الفــرقة الخامسة: يزعمون أن القرآن عرض، ومحال أن يكون فعل لله في الحقيقة، بل زعموا أن القرآن فعل للمكان الذي يسمع منه، وهو قول معمّر[2] وأصحابه.

و ــ الفــرقة السادسة: يزعمون أن كلام الله عرض مخلوق، وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد، وهذا قول الإسكافي[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد إيراده لمقالتهم: « ففسروا المتكلم في اللغة بمعنى لا يعرف في لغة العرب ولا غيرهم، لا حقيقة ولا مجازاً »[4].

الــرابع: مذهــب الكلاّبية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاّب، وهو أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لا يسمع حقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهــي مخــلوقة، وهو أربعة معاني في نفسه: الأمر والنهي والخبر والاستفهام، ويقولون الحروف والأصــوات حادثــة فلا يمكن أن تقوم بذات الربّ ــ تعالى ــ، فهي مخلوقة منفصلة عن الرب، والقرآن اسم ذلك المعنى وهو غير مخلوق[5].

وزعموا أن صفة الكلام الثابتة لله ــ تعالى ــ، إنما هي الكلام النفسي.

---

[1] هو أبو الفضل، جعفر بن حرب، الهمداني، المعتزلي، من عباد المعتزلة، له تصانيف، توفي سنة ٢٣٦هـــ، وقد عمِّر نحوا من ستين سنة انظر: السير جـــ١٠/٥٤٩-٥٥٠ ترجمة رقم ١٨١ ، ومعجم المؤلفين جـــ٣/١٣٦ .

[2] هو أبو المعتمر معمّر بن عمرو ــ وقيل ابن عبّاد ــ البصري السُّلمي، مولاهم العطار، المعتزلي، كان يزعم أن الله لم يخــلق لوناً ولا طولاً ولا عرضاً ولا عمقاً ولا رائحةً ولا حسناً ولا قبحاً ولا سمعاً ولا بصراً بل ذلك فعل الأجسام بطابعها، طرده المعتزلة من البصرة ففرّ إلى بغداد، توفي سنة ٢٢٥هـــ. انظر: السير جـــ١٠/٥٤٦ ترجمة رقم ١٧٦ ، والأعلام جـــ٧/٢٧٢ .

[3] انظر: مقالات الإسلاميين جـــ٢/٢٦٧ ، وانظر: مختصر الصواعق لابن القيم جـــ٢/٤٠٩ ، والإسكافي هو أبو جعفر محمد ابن عبد الله السمرقندي، كان خياطا، وأعجوبة في الذكاء، نسب للتشيع، له تصانيف، هلك سنة ٢٤٠هـــ. انظر: السير جـــ١٠/٥٥٠-٥٥١ ترجمة رقم١٨٢ ، ومعجم المؤلفين جـــ١٠/٢٠٠ .

[4] مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٢٩-٣٠ .

[5] انظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم جـــ٢/٤١١ ، وانظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص٢٧٧ .

الخامس: مذهب الأشعرية ومن وافقهم، وقد وافقوا الكلابية في قولهم، لذلك جعلهم شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره[١] مذهباً واحداً، ولكنهم خالفوا الكلابية في:

أن كلام الله في الأزل أمر ونهي وخبر واستخبار، والله ـــ تعالى ـــ لم يزل آمراً ناهياً مخبراً، وأن هـــذه صـــفات للكلام لا أنواع له، وكلام الله القائم بذاته (الكلام النفسي) هو الأمر بكل مـــأمور، والـــنهي عن كل منهي عنه، والخبر عن كل مخبر عنه، وفي قول بعض الأشعرية هو عدة معان وليس معنى واحداً[٢]، وقد وافقهم الماتريدية، قال السجزي ـــ لما ذكر قولهم في القرآن ـــ: « يقول في الظاهر بقول أهل السنة مجملاً ثم عند التفسير والتفصيل يرجع لقول المعتزلة، فالجاهل يقبله بما يظهره، والعالم يجهره لما منه يخبره »[٣].

وقـــال شيخ الإسلام بعد إيراده لقولهم وقد جعل قول الكلابية والأشعرية قولاً واحداً:« وجمهور العقلاء من أهل السنة وأهل البدعة يقولون: إن فساد هذا القول معلوم بالضرورة»[٤].

الســـادس: مذهـــب الكرامية وهم يقولون كلام الله غير مخلوق، وهو مع حادث، وهو حـــروف وأصوات مسموعة، قائمة بذات الرب ـــ تعالى ـــ، متعلق بمشيئته وقدرته بعد أن كان الكـــلام ممتنعاً عليه، وهم قد خالفوا السلف في سلب الرب صفة الكلام في الأزل، وإثبات عجزه عنه وهو تحكم باطل[٥].

السابع: مذهب السالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث يقولون صفة الكـــلام صـــفة قديمة قائمة بذات الرب ـــ تعالى ـــ لم يزل ولا يزال، ولا تتعلق بمشيئته وقدرته، وكلامه حروف وأصوات قديمة أزلية غير مخلوقة، وحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضاً، بل هي

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٦٥/١٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص١٦٩ .

[٢] انظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص٢٧٩ ، وانظر مختصر الصواعق جـــ٤١١/٢ .

[٣] رسالة السجزي لأهل زبيد ص١٨١ .

[٤] مجموع فتاوى ابن تيمية١٦٦/١٢ .

[٥] انظر: العقيدة السلفية في كلام الرب البرية ص٢٨١ ، وانظر: مختصر الصواعق جـــ٤١١/٢ .

مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد[1].

وهذا القول نسبه الأشعري لطائفة لم يسمهم[2].

وأما زهير الأثري وأبو معاذ التومني اللذان وافقا السالمية في العلو، فيقول زهير: « كلام الله ــ سبحانه ــ ليس بجسم ولا عرض، ولا مخلوق، وهو محدث يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد ».

ويقول التومني: « إن كلام الله ــ سبحانه ــ ليس بعرض ولا جسم، وهو قائم بالله، ومحال أن يقوم كلام الله بغيره »[3]، فقولهم يخالف قول السالمية.

وقد وافق السالمية ابن الزاغوني وستأتي ألفاظهم.

واعتقاد أهل السنة والجماعة أن الله ــ تعالى ــ لم يزل متكلماً إذا شاء، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته، يتكلم بمشيئته وقدرته، كما سيأتي بيانه إن شاء الله ــ تعالى ــ.

---

[1] انظر: مختصر الصواعق المرسلة جـ٢/٤١٢ ، والعقيدة السلفية في كلا رب البرية ص٢٨٠ ، وانظر هذه المذاهب كلها في معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف الشيخ حافظ الحكمي عناية عمر بن محمود أبو عمر جـ١/ ٣٧٣ وما بعدها، ط/ الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار ابن القيم – الدمام.

[2] انظر: المقالات جـ٢/٢٣٤ .

[3] انظر: المقالات جـ٢/٢٦٤ ، والفتاوى الكبرى جـ٥/٦٣ .

المبحث الثاني: مذهب السالمية في صفة الكلام ومناقشته.

أولاً: تفصيل مذهب السالمية:

السالمية وافقوا ابن كلاب على أصله الذي ابتدعه؛ وهو أنه يتكلم سبحانه بغير مشيئته وقدرته بكلام قائم بذاته أزلاً وأبداً، ثم افترقوا فقالت الكلابية والأشعرية بقولهم السابق ذكره، وأنه ليس بحرف ولا صوت، وقالت السالمية ومن وافقهم، بل الكلام القديم هو حروف أو حروف وأصوات، لازمة لذات الرب أزلاً وأبداً، لا يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا يتكلم بها شيئاً بعد شيء.

وقد فرق بعضهم بين وجودها وماهيتها، فقال: الترتيب في ماهيتها، لا في وجودها[1].

فإنه لما قيل لهم: الحروف مسبوقة بعضها ببعض فالباء قبل السين والسين قبل الميم، والقديم لا يسبق بغيره، والصوت لا يتصور بقاؤه فضلاً عن قدمه،قالوا : الكلام له وجود وماهية كقول من فرق بين الوجود والماهية من المعتزلة وغيرهم، وقالوا: الكلام له ترتيب في وجوده، وترتيب ماهية الباء للسين بالزمان هي في وجوده، وهي مقارنة لها في ماهيتها، لم تتقدم عليها بالزمان، وإن كانت متقدمة بالمرتبة كتقدم بعض الحروف المكتوبة على بعض، فإن الكاتب قد يكتب آخر المصحف قبل أوله ومع هذا فإذا كتبه كان أوله متقدماً بالمرتبة على آخره[2].

ثم اختلفوا في الأصوات المسموعة من القراء:

فقال كثير منهم: الحروف القديمة والأصوات ليست هي الأصوات المسموعة من القراء ولا المداد الذي في المصحف.

ومنهم من قال: الصوت القديم هي الأصوات المسموعة من القراء.

ومنهم من قال: يسمع من القارئ شيئان: الصوت القديم، وهو ما لا بد منه في وجود الكلام، والصوت المحدث وهو ما زاد على ذلك[3].

---

(1) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٢/٤٨-٥١ .

(2) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٢/٣٢٠ .

(3) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٢/٣٢١ .

ويتضح بهذا أنهم « قالوا بقول المعتزلة وبقول الكلابية: وافقوا هؤلاء (أي الكلابية) على أنه قديم، ووافقوا أولئك في قولهم إنه حروف وأصوات، وأحدثوا قولاً مبتدعاً ــ كما أحدث غيرهم ــ...

واحتجوا على أنه قديم بحجج الكلابية، وعلى أنه حروف وأصوات بحجج المعتزلة »[١].

وأما ألفاظ السالمية في هذه المسألة فيقول أبو طالب المكي عندما ذكر عقود القلب التي هي السنة المجمع عليها ــ عنده ــ «وأن القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق، وعلمه القديم صفة من صفاته، وهو متكلم به بذاته »، ثم يذكر ما يؤيد أنه كلام الله غير مخلوق ويذكر بعض النقول عن السلف[٢]، وقد ذكر في اعتقاده في الصفات إثبات صفات الله قائمة به قديمة، وسبق ذكر ألفاظه[٣].

فأبو طالب المكي جعل الإيمان بأن القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق، إحدى خصال الإيمان، وأن الكلام صفة ذات وهذا ما ذكره عنهم ابن تيمية[٤]، وأنه قديم.

ويقول أبو محمد القاسم بن عبد الله البصري ــ بعد ما ذكر الإجماع ــ: « على أن عقيدة السنة أربع عشرة خصلة سبع متعلقة بالشهادة، وهي مما يدان بها في الدنيا... وذكر منها: وأن القرآن غير مخلوق »[٥] وذكر أنه سيتكلم على كل مسألة بذاتها ويقيم عليها الدليل من الكتاب والسنة والنظر[٦]، لكن الكتاب مفقود.

وقال ابن برجان: « الكلام من صفات الكمال، وكل صفة لا تخرج الباري ﷻ اتصافه بها عن صفة الكمال[٧]، الذي هو لها أهل، فهي لله ــ جلّ وعزّ ــ وهو أحق بها، وقد اتصف بالكلام وتمدح به، لا بل يستحيل عليه ضده، فإن كل كلام في العالم ظاهر أو باطن آية لكلامه

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣٢٠/١٢ ، وجـ ٥٥٦/٥ .

[٢] انظر: قوت القلوب جـ٢/٢٠٥-٢٠٦ .

[٣] انظر: ما تقدم في ص٣٦٥-٣٦٨ .

[٤] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢١٩/٦.

[٥] انظر: أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٥٠٣ .

[٦] انظر: نفس المرجع جـ٨/٥٠٣ .

[٧] كذا العبارة في الأصل، فيها ركاكة.

العزيـــز ودليل عليه من حيث أن النطق والبيان والكلام من صفات الحق التي جبل الله ـــ تعالى ـــ عليها العالم »[١].

ويقول: « وأبين الكلام هو القايم في نفس المتكلم الواقع في نفس المخاطب بواسطة السمع أو مـــا يقوم مقامه، والحروف أقسام، ... وعن مركبها تألف كلام البشر، ثم منها حروف باطنة هي حروف السر، وهو المشار إليه بقول القائل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل ... اللسان على الفؤاد دليلا[٢] »[٣].

ثم زعم أن « حروف السر هي حروف كلام الروح، وهو موضع الروع »[٤] « ثم هذه الحـــروف الـــتي هـــي لـــروح القدس هي واسطة بين كلام رب العالمين وبين من شاء الله تتريله إليـــه »[٥]، « وإنما هو تتريل يترل الله ﷻ كلامه إلى روح القدس ثم إلى الروح الأمين إلى قلب الـــنبي ﷺ ثم لذلك نبقى في كلام القرآن الظاهر، وكلام النبي المترل عليه الوحي تتريل بعد تتريل يترله الله ﷻ إلى قلوب العلماء وأفهامهم »[٦].

وقال: « والحروف الظاهرة يسمعها البر والفاجر ولكن الإيمان بما حملت وفهم ما تضمنت هو العزيز وجوده، فهم يسمعون تقطيع الحروف بواسطة الأصوات ولا يفقهون، وهو كله كلام الله،...ثم فوق هذا كله كلام هو له ﷻ وتعالى علاوه وشأنه من حيث ليس كمثله كلام،... متره عـــن الكيف والكم والشكل واللون، والوزن والمقادير، مترهة في أنفسها عن التقدم والتأخر إذ لا قبل هنالك ولا بعد »[٧].

ثم زعم أن المذهب في هذه الصفة وغيرها مذهبان التفويض أو التأويل[٨].

---

[١] شرح الأسماء الحسنى ورقه ٦١ أ.

[٢] هذا البيت ينسب للأخطل وسيأتي الكلام عليه في ص١٠٤٢ .

[٣] شرح الأسماء الحسنى ورقه ٦١ ب.

[٤] نفس المرجع ورقه ٦١ ب.

[٥] نفس المرجع ورقه ٦٢ أ.

[٦] نفس المرجع ورقه ٦٢ أ.

[٧] نفس المرجع ورقه ٦٢ أ، والعبارة فيها ركاكة.

[٨] انظر: نفس المرجع ورقه ٦٢ ب.

وما ذكره ابن برجان فيه ماهو مجمل، وفيه ما يدل على الحلول، وتقسيمه باطل.

وأما الزبيدي فقد اهتم بمسألة الكلام اهتماماً كبيراً، وأطال فيها، ورد على الفرق المخالفة، فيذكر اعتقاده فيقول: « مذهب الجماعة وأئمة السنة أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولا محدث مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب، مقروء بالألسنة، مسموع بالآذان، وأن المكتوب الذي في المصاحف كلام الله »[1].

ورد على القشيري فقال: « ولما بنى القشيري على وجود قرآن قديم وقرآن محدث، قال: القديم ليس بتلاوة والمحدث تلاوة، ...

وهذا قد انصف فيه من يقول معه بحدث التلاوة،ووافقه أن التلاوة التي هي القراءة التي هي القرآن تسميات في الأصل لمسمى محدث مخلوق، وهو الكتاب الذي أنزله على رسوله ﷺ ولا يعرف الخلق كلهم لله ــ سبحانه ــ قرآناً غيره،من حيث أن هذه الأمة جميعاً لا يعتقدون لله قرآناً إلا كتاب الله المنزل على رسوله ﷺ...»، إلى أن قال: إن القشيري موافق لخصمه: « القائل بخلق القرآن في الجملة، وهو موافق في الظاهر بالكلية مع انقطاع إلى قوله في الجملة »[2].

وقال في اعتقاده: « كلمات الله قديمة »[3]، ووافق القشيري في قوله: « بأن كلام الله ــ سبحانه ــ قديم أزلي صفة ذاتية »[4] ويقول بهذا بناءً على مذهبه في نفي الصفات الاختيارية، فيقول عن صفة الكلام للرب ــ تعالى ــ : « وكلامه تعالى صفة ذاته، لا هو هو، ولا هو غيره »[5]، ويقول: « وكلمات الله ﷻ من معاني ذاته، على أنه صفة واحدة تتنوع بتنوع إدراكها »[6].

---

[1] أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٤١ أ .

[2] انظر: مناصفة القشيري في التلاوة ورقة ٢٢ أ ،٢٣ ، وانظر: ورقة ٢٦ ب .

[3] أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٤١ ب.

[4] مناصفة القشيري في التلاوة ورقة ٢٥ أ ، وانظر: ورقة ٢٧ أ .

[5] رسالة في الرد على من زعم عبادة أهل السنة للحروف ورقة ٨٨ أ ، وانظر: مناصفة القشيري ورقة ٢٥ أ ، ٢٧ أ .

[6] الرد على من ألحد في الكتاب العزيز ورقة ٥ ب .

واستدل على أن الكلام قديم بقوله تعالى:﴿ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ﴾[١]، قال: « ولا يتصور التمام في كلمة مخلوقة »[٢].

وقال: « وفي قصة إبراهيم الطَّيْلا:﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾[٣] ولا يتصور أن تبقى كلمة مخلوق »[٤].

ويقول: « فمن لا يؤمن أن هذه الكلمات مترلة من عند الله فهو كافر، وكذلك من جحد أنها كانت من صفات الله ـــ سبحانه ـــ فيما لم تزل، وكذلك كلمات القرآن كلها من لا يعتقد أنها كلمات الله فهو كافر بالله ﷻ »[٥].

ومـــع أنه وافق الكلابية في أن القرآن الكريم صفة ذات قديمة، إلا أنه خالفهم في الصوت والحرف، فقال: « والله ـــ سبحانه ـــ متره عن هذه الأدوات كلها (أي الحلق واللسان والشفة) ولا يلزم هذا من يقول إن الكلام هو الحرف وهو الصوت »[٦]، ويقول: « وفي عرف العرب إذا سمع الكلام و لم يفهم فهو صوت، وإذا فهم بمعنى فهو كلام، وإذا تهجى فقيل بسم باء سين ميم، الله ألف لام لام هاء فهو عندهم حرف »[٧].

ويقول: « وليس في الكلام حرف إلا ما يتهجى من كلمات الله ـــ سبحانه ـــ، وليس في الكـــلام القديم صوت إلا ما يكون كلمة »[٨]، ويعرف الصوت بأنه « معنى يظهر من الذات ثم يعترض لإسماعه مقاطع[٩] تنوع إسماعه في السامع »[١٠].

---

(١) سورة الشورى الآية: ٢٤ .

(٢) الرد على من ألحد في الكتاب العزيز ورقة ٤ أ .

(٣) سورة الزخرف الآية: ٢٨

(٤) نفس المرجع ورقة ٤ أ .

(٥) نفس المرجع ورقة ٤ ب .

(٦) مناصفة القشيري في التلاوة ورقة ٣١ ب ، وانظر: ورقة ٣٠ أ ، ب.

(٧) نفس المرجع ورقة ٢٧ أ ،ب .

(٨) جزء فيه رد على من ألحد في الكتاب العزيز ورقة ٩ ب.

(٩) في الأصل (في) مشطوبة.

(١٠) جزء فيه رد على من ألحد في الكتاب العزيز ورقة ٩ أ .

والزبيدي لما خالف السلف في قوله إن صفة الكلام صفة ذاتية وأن القرآن قديم، وأثبت معنىً للصوت لا يعرف، قال بمقولة اشتهر بها السالمية وهي ترتيب الحروف فقال: « وأما الترتيب فنقول لو كانت الباء من بسم الله يوجد قبل وجود السين، ثم لا يوجد السين إلا بعد عدم الباء، كان هذا يقتضي أن ينطق بحرف واحد، وجاز أن يوقف على المتحرك؛ ويبتدأ بالساكن، وهذا لا يتصور أبداً، وأهل العلم كلهم مجموعون على امتناعه، ولو كان هذا بطل اجتماع حرفين ولم يفد قولهم لالتقاء الساكنين، ولم يفد استثقالهم لاجتماع أربعة أحرف متحركة من كلمة واحدة، ونحن نجد الكلمة تطبع في الشمع بالفص مرة واحدة ولا يسبق بعضها بعضاً، وهذا يدل[1] أن التعاقب مختص بالسماع والإسماع »[2].

وله آراء أخرى ستأتي في اللفظ، وسماع القرآن الكريم.

وممن وافق السالمية في مسألة القرآن ابن الزاغوني، وقد ذكر جميع القضايا التي ذكرها الزبيدي، وإن تميز بحسن الترتيب والتوسع في العرض والرد والدفاع عن هذه الآراء، ويصدق عليه وصف ابن القيم بأنه المتكلم عن الاقترانية، فيرى ابن الزاغوني أن الكلام صفة نفسية (ذاتية) وليست فعلية[3]، وأن كلام الله ــ تعالى ــ قديم غير محدث[4]، وأن كلام الله ــ تعالى ــ حرف وصوت[5]، وأما الترتيب الداخل على الكلام في الجملة فيجعله على ضربين:

الأول: ترتيب استحق لأجله أن يسمى كلاماً.

الثاني: ترتيب يستحق أن يكون الكلام به واصلاً إلى السمع مدركاً بالآلة المدركة.

فالأول: هو ترتيب الحروف بعضها على بعض بطريق الاقتران المفيد للمعنى.

والثاني: ينقسم إلى ضربين أيضاً أحدهما: ترتيب من جهة تعود إلى المتكلم، وثانيهما: ترتيب يعود إلى السامع، وينفي الترتيب العايد إلى الوجود في الباري ــ تعالى ــ[6].

---

[1] كذا في الأصل ولعل الصواب (يدل على أن).

[2] جزء فيه رد على من ألحد في الكتاب العزيز ورقة ٩ أ ، ب.

[3] انظر: الإيضاح في أصول الدين ورقة ٨٢ أ ، وورقة ٨٣ أ .

[4] انظر: نفس المرجع ورقة ٩٠ ب .

[5] انظر: نفس المرجع ورقة ١٠٠ أ .

[6] انظر: نفس المرجع ورقة ٨٧-٩٠ أ .

لكـــنه لا يقول بأن صوت القارئ، هو صوت الله ـــ تعالى ـــ وهذه المقولة مما يجمع عليه الذين وجدت لهم مؤلفات من السالمية.

فعـــلى هذا يغلب على مذهب السالمية محاولة نصر مذهب السلف؛ ولكن بمناهج كلامية، فيؤكدون كثيراً على أن القرآن غير مخلوق ويذكرون الأدلة، ويتابعون الكلابية؛ في أن صفة الكلام ذاتيـــة وليســـت فعـــلية، وأن القرآن قديم أزلي، ويحاولون نصر قول السلف في الحرف والصوت فيلجئون إلى أقوال مركبة، وإن كانوا في التفصيل يرجعون إلى أقوال باطلة.

ولهم ردود على الأشاعرة، مثل الزبيدي في كتابة مناصفة القشيري، وكذلك رد عليهم ابن الزاغوني، وإن كانت هذه الردود رد باطل بباطل.

وقد نسب بعض الأشعرية هذا المذهب للسلف والحنابلة، وهذه نسبة باطلة، وتابعهم بعض المعاصرين ممن زعم أن ابن تيمية يوافق السالمية؛ وإن كان يظهر الرد عليهم[1].

ثانياً: مناقشة مذهب السالمية:

عمدة الكلابية والسالمية ومن وافقهم، في مسألة القرآن: إذ قالوا: لم يتكلم بمشيئته وقدرته هي قولهم: إن ذلك يستلزم حلول الحوادث، وسبق الكلام عليه، بل الرازي[2] وهو ممن ينصر هذا، لـمـا عـــرف فســـاد هذا الأصل، لم يعتمد عليه في مسألة القرآن وذلك في آخر كتبه كالمطالب العالية[3].

وأما قولهم:« الكلام القديم هو حروف، أو حروف وأصوات لازمة لذات الرب أزلاً وأبداً لا يتكـــلم بها بمشيئته وقدرته، ولا يتكلم بها شيئاً بعد شيء، و لم يفرق هؤلاء بين جنس الحروف وجـــنس الكـــلام، وبين عين حروف قديمة أزلية، وهذا أيضاً مما يقول جمهور العقلاء أنه معلوم الفســـاد بالضرورة، فإن الحروف المتعاقبة شيئاً بعد شيء يمتنع أن يكون كل منها قديماً أزلياً، وإن

---

[1] انظر: ما سيأتي في ص٨٨٨-٨٨٩.

[2] هـــو فخـــر الدين محمد بن عمر بن الحسين، المعروف بـــ "الرازي"، التيمي، البكري، ويقال ابن خطيب الري، صاحب التصانيف، من كبار الأشعرية، رجع آخر عمره، وتوفي بهراة يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦هـــ. انظر: السير جـــ٢١/٥٠٠-٥٠١ ترجمة رقم ٢٦١ ، والأعلام جـــ٦/٣١٣ .

[3] المطـــالب العاليـــة: من آخر وأكبر كتب الرازي الكلامية، وسماه "نهاية العقول في دارية الأصول". انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـــ ٦/٢٢١ .

كان جنسها قديماً، لإمكان وجود كلمات لا نهاية لها، وحروف متعاقبة لا نهاية لها، وامتناع كون كل منها قديماً أزلياً، فإن المسبوق بغيره لا يكون أزلياً.

وقد فرق بعضهم بين وجودها وماهيتها فقال: الترتيب في ماهيتها لا في وجودها، وبطلان هذا القول معلوم بالاضطرار لمن تدبره، فإن ماهية الكلام الذي هو حروف لا يكون شيئاً بعد شيء، والصوت لا يكون إلا شيئاً بعد شيء، فامتنع أن يكون وجود الماهية المعينة أزلياً متقدماً عليها به، مع أن الفرق بينهما بين لو قدر الفرق بينهما، ويلزم من هذين الوجهين أن يكون وجودها أيضاً مترتباً ترتيباً متعاقباً »[1].

ويقال لهم الصوت لا يتصور بقاؤه، ودعوى وجود ماهية غير الموجود في الخارج دعوى فاسدة، والترتيب الذي في المصحف هو ترتيب للحروف المدادية والمداد أجسام، فهو كترتيب الدار والإنسان، وهذا أمر يوجد الجزء الأول منه مع الثاني بخلاف الصوت فإنه لا يوجد الجزء الثاني منه حتى يعدم الأول كالحركة، فقياس هذا بهذا قياس باطل[2].

وأما قولهم قديم فهذا اللفظ لم يعرف عند السلف وأول من قال به عبد الله بن كلاب، ولما كان المعتزلة والكلابية ليس عندهم إلا قديم أو مخلوق، فالرب قديم إما بدون الصفات عند المعتزلة، وإما بصفاته عند الكلابية، وما سوى ذلك مخلوق منفصل عن الله كائن بعد أن لم يكن.

فصار الكلابية والسالمية ومن وافقهم يعتقدون أن من قال: القرآن غير مخلوق، فمراده أنه قديم لازم لذات الله، ولا يتعلق بمشيئته وقدرته.

ولما اعتقد المعتزلة والكلابية ومن وافقهم أنه ليس هنا إلا قولان: قديم أو مخلوق طال النزاع في هذه المسألة[3]، وهذا ما ذكره الزبيدي كما تقدم.

ومن يطلق لفظ القديم قد لا يتصور معناه، ومنهم من يقول يعني بالقديم إنه بدأ من الله وأنه غير مخلوق، وهذا المعنى صحيح، فمن قال لهم: إنه قديم وأراد هذا المعنى فقد أراد معنى

---

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٢/٥١ .

(2) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٢/٣٢١ .

(3) انظر: الصفدية جـ٢/٨٦-٨٧ .

صحيحاً، لكنه جاهل بمقاصد الناس مضل لمن خاطبه بهذا الكلام، مبتدع في الشرع واللغة[١]، والقديم في اصطلاح المتكلمين ليس هو القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن، فإن القديم عند المتكلمين: هو ما لا أول لوجوده، وما لم يسبقه عدم، وتنازعوا: فيما تقدم على غيره: هل يسمى قديماً حقيقة أو مجازاً ؟ على قولين لهم.

والقديم في اللغة التي نزل بها القرآن هو خلاف المحدث، فالشيء المتقدم على غيره قديم بالنسبة إلى المحدث، والمتأخر محدث بالنسبة إلى ذلك القديم، وإن كان كلاهما محدثين بالنسبة إلى تقدمهما، وقديمين بالنسبة إلى من تقدماه، و لم يوجد في لغة القرآن لفظ القديم مستعملاً إلا فيما يقدم على غيره، وإن كان موجوداً بعدمه[٢].

وأيضاً قولهم قائماً به « فيقال: معنى قائم لفظ مجمل، فإن أريد أن نفس الكلام من حيث هو تكلم به، وتكلمنا به مبلغين له عنه، فكذلك هو، وإن أريد أن ما اختص به يقوم بنا، أو ما اختص بنا يقوم به، فهذا ممتنع، وإن أريد بالقيام أنا بلغنا كلامه، فهذا صحيح.

فكذلك إن أريد أن هذا الكلام، كلامه مسموعاً من المبلغ لا منه، وإن أريد بالقيام أن الشيء الذي اختص به هو بعينه قام بغيره مختصاً به فهذا ممتنع، وإن قيل: الصفة الواحدة تقوم بموضعين، قيل: هذا أيضاً مجمل، فإن أريد أن الشيء المختص بمحل يقوم بمحل آخر فهذا ممتنع، وإن أريد أن الكلام الذي يسمى صفة واحدة يقوم بالمتكلم به ويبلغه عنه كان هذا صحيحاً.

فهذه المواضع يجب أن تفسر الألفاظ المجملة بالألفاظ المفسرة المبينة، وكل لفظ يحتمل حقاً وباطلاً، فلا يطلق إلا مبيناً به المراد الحق دون الباطل، فقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وكثير من نزاع الناس في هذا الباب هو من جهة الألفاظ المجملة »[٣].

ومن تناقض السالمية في المسألة أنهم لما قالوا الكلام صفة ذات لزمهم ترك قولهم. إن الكلام هو الحرف والصوت، لأن الأصوات والحروف إنما تظهر عند الفعل، وهي من نتيجته ومتولدة عنه، فهم بين ترك مذهبهم وبين التزام المناقضة.

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣٢١/١٢ .

[٢] انظر: الصفدية جـ٢/٨٤ .

[٣] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٥٥١/١٢-٥٥٢ .

وقــد أجاب ابن الزاغوني عن هذا الإلزام فقال: « إن هذه الحروف والأصوات ليست من نــتائج الفعــل في حــق الآدمي، وإنما هي أمر يظهر عندما يوجد من الفعل المخصوص في المحل المخصوص »[١]، وهذا إنكار للأسباب.

وأمــا الصوت فهو: جنسٌ لكل ما وقر في أذن السامع[٢]، وصوت الرب ـــ تعالى ـــ لا يشبه أصوات المخلوقين.

« والواجب إثبات ذلك (أي الصوت) على الوجه اللائق بالله كسائر الصفات كما هو مذهب أهل السنة » [٣]، وسيأتي الكلام على الحرف والصوت عند السالمية.

وأما تقسيم الحروف إلى حروف السر وحروف ظاهرة، فهذا باطل، وهو من جنس تقسيم القرآن إلى ظاهر وباطن.

وكذلــك « اقتران حروفه بعضها ببعض بحيث لا يسبق شيء منها لغيره، لا يسيغه العقل ولا تقبله الفطرة »[٤].

ومــا ذكره أبو طالب وابن برجان من سماع العبد القرآن من الله ـــ تعالى ـــ ففيه ما يدل على الحلول، وسيأتي الكلام عليه.

« وجمهور العقلاء قالوا: تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه »[٥]، وببيان مذهب السلف يتبين بطلان مذهب السالمية.

---

[١] انظر: الإيضاح ورقة ٨٣ أ .

[٢] انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس جـ٣/٣١٨ باب الصاد والواو وما يثلثهما.

[٣] تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز على فتح الباري جـ١/٢٣١ .

[٤] مختصر الصواعق جـ٢/٤١٣ .

[٥] نفس المرجع جـ٢/٤١٢ .

المبحث الثالث: اعتقاد أهل السنة في صفة الكلام وأدلتهم.

أولاً: اعتقاد أهل السنة في صفة الكلام:

اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسألة: أن الله ـ تعالى ـ لم يزل متكلماً إذا شاء، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته، يتكلم بمشيئته وقدرته، فهو لم يزل ولا يزال متكلماً إذا شاء، وما تكلم الله به فهو قائم به، ليس مخلوقاً منفصلاً عنه كما تقول المعتزلة ولا لازماً لذاته لزوم الحياة كما تقول الكلابية وغيرهم بل هو تابع لمشيئته وقدرته[1].

وكلام الله ـ تعالى ـ قديم النوع حادث الآحاد[2]، فالكلام الذي خاطب الله به نوحاً عليه السلام، غير الكلام الذي خاطب به موسى عليه السلام، وهو غير الكلام الذي خاطب به عيسى عليه السلام، وهذا الكلام كله غير الكلام الذي خاطب به خاتم رسله وإمامهم ﷺ ليلة الإسراء والمعراج في شأن الصلاة، وهذا كله غير القرآن الذي أنزله وختم به كتبه[3].

وكلام الله لعباده نوعان:

الأول: بلا واسطة كما كلم موسى بن عمران عليه السلام وكما كلم الأبوين وكذا نادى نبينا ﷺ ليلة الإسراء.

الثاني: تكليمه سبحانه لعباده بواسطة، إما بالوحي الخاص للأنبياء، وإما بإرساله إليهم رسولاً يكلمهم من أمره بما شاء، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[4].

وصفة الكلام من صفاته الذاتية من حيث تعلقها بذاته واتصافه بها، ومن صفاته الفعلية حيث كانت متعلقة بقدرته ومشيئته.

---

(1) انظر: شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية تأليف د.محمد خليل هراس ص٩٦، ط/ ١٤٠٧هـ ولم يذكر الناشر، وانظر: العقيدة الطحاوية ص١٦٩ .

(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٦٩ ، وانظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية للرشيد ص١٤٥ ، ط/ الثانية ١٤٠٠هـ النشر مكتبة الرياض.

(3) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة تأليف محمد أمان الجامي ص٢٦٢ .

(4) سورة الشورى الآية: ٥١.

وقد جاء النداء في تسع آيات من القرآن الكريم[1]، والنداء: هو الصوت الرفيع وضده النجاء، وفيها إثبات أن الله ــ تعالى ــ يتكلم بحرف وصوت يليق بجلاله إذ لا يعقل النداء والنجاء إلا ما كان حرفاً وصوتاً، وقد استفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة بذلك[2].

قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ في نونيته:

« والله قد نادى الكليم وقبلــه ... سمع النداء في الجنة الأبــوان

وآتى النداء في تسع آيات لــه ... وصفاً فراجعها في القــرآن

أيصح في عقل وفي نقل نــداء ... وليس مسموعاً لنا بــأذان

أم اجمع العلماء والعقلاء مــن ... أهل اللسان وأهل كل لسان

أن النداء الصوت الرفيع وضده ... فهو النجاء كلاهما صوتان »[3]

وكلامه سبحانه لا يشبه كلام المخلوقين، وكذلك صوته لا يشبه صوت المخلوقين، وقول القائل إن الحروف والأصوات لا يكون إلا من مخارج باطل ومحال، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[4]، وكذلك قوله إخباراً عن السماء والأرض أنهما قالتا: ﴿ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾[5] فجعل القول لا من مخارج ولا أدوات[6].

---

(1) مثل قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ سورة الأعراف الآية: ٢٢ ، وقوله: ﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ سورة مريم الآية: ٥٢ ، وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ سورة القصص الآية: ٦٢.

(2) انظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص١٤٧ .

(3) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ص٧٥.

(4) سورة ق الآية: ٣٠ .

(5) سورة فصلت الآية ١١ .

(6) انظر: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، تأليف الصديق حسن خان تحقيق وتعليق عاصم القريوتي الناشر شركة الشرق الأوسط للطباعة – عمان – الأردن، ط/ الأولى ١٤٠٤هـ ص٨٠ .

وكلامه تعالى لا نهاية له قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[1]،وقال:﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[2].

والقرآن الذي نقرؤه هو كلام الله مبلغا لا مسموعا عنه، وإنما نقرؤه بحركاتنا وأصواتنا، الكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ،كما دل على ذلك الكتاب والسنة مع العقل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[3][4].

فالقرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به على الحقيقة فهو كلامه حقيقة لا كلام غيره، ليس شيء منه كلاماً لغيره لا جبريل ولا محمد ﷺ ولا غيرهما، وإذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرجه عن كونه كلام الله، فإن الكلام يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من بلغه مؤديا، والله تكلم بحروفه ومعانيه بلفظ نفسه، وكما أن القرآن كلام الله فكذلك هو كتابه، لأنه كتبه في اللوح المحفوظ ولأنه مكتوب في المصاحف[5].

وأما صوت القارئ والمداد والورق فهي مخلوقة، ليس منه شيء غير مخلوق، والصوت الذي يقرأ به الناس القرآن هو صوت العباد، لكن الكلام كلام الله ــ تعالى ــ[6]، وأما التلاوة نفسها التي هي حروف القرآن وألفاظه، فهي غير مخلوقة والعبد إنما يقرأ كلام الله بصوته، وليس للمخلوق فيه إلا تبليغه وتأديته وصوته، وما يخفى على لبيب الفرق بين التلاوة في نفسها، قبل أن يتكلم بها الخلق، وبعد أن يتكلموا بها، وبيّن ما للعبد في تلاوة القرآن من عمل وكسب، وإنما غلط

---

[1] سورة الكهف الآية: ١٠٩ .

[2] سورة لقمان الآية: ٢٧ .

[3] سورة التوبةالآية: ٦ .

[4] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٩٨/١٢ .

[5] انظر: شرح العقيدة الواسطية، تأليف د.محمد خليل هراس ص١٠٠، وانظر: التنبيهات السنية ص١٤٨.

[6] انظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص١٤٨ ، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٥٧٦/١٢ .

بعض الموافقين لأهل السنة والمخالفين، فجعلوا البابين باباً واحداً، وأرادوا أن يستدلوا على نفس حدوث حروف القرآن بما دل على حدوث أفعال العباد وما تولد عنها، وهذا من أقبح الغلط[1]، فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ، والقرآن سور وآيات وحروف وكلمات هو عين كلامه سبحانه حقاً، وحروفه ومعانيه عين كلامه سبحانه الذي تكلم به حقاً وبلغه جبريل إلى محمد ﷺ وبلغه محمد ﷺ فللرسولين منه مجرد التبليغ والأداء لا الوضع ولا الإنشاء[2].

هذا مجمل اعتقاد أهل السنة والسلف والله تعالى أعلم.

ثانياً: أدلة اعتقاد أهل السنة المثبتة لصفة الكلام:

١-أدلتهم من الكتاب والسنة:

دلت الأدلة من الكتاب والسنة أن الله ـ تعالى ـ كلم بعض عباده في الدنيا بوسائط وبدونها، كما يكلم سبحانه وتعالى عباده في الآخرة من غير وسائط بينه وبينهم، وكذلك يكلم عباده في الجنة تفضلاً منه سبحانه، وهذا كله يدل على أن صفة الكلام من الصفات الاختيارية.

ونذكر هذه الأنواع مع بعض أدلتها:

أ-التكليم في الدنيا:

وهو مراتب: قال تعالى:﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[3].

المرتبة الأولى:الوحي المجرد، ودليله قوله تعالى:﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾وهذه المرتبة ليست مرادة هنا.

المرتبة الثانية: التكليم الخاص من وراء حجاب بلا واسطة، ودليله تعالى:﴿ أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ ﴾ وهذا تكليم مباشر من الرب ـ تعالى ـ، بكلام يسمعه من شاء من رسله؛ من وراء

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/٥٧٤ .

[2] انظر: التنبيهات السنية ص١٤٩ .

[3] سورة الشورى الآية: ٥١ .

حجاب، والنداء لا يكون إلا بصوت، والأدلة على هذه المرتبة كثيرة، قال تعالى:﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾[١]، فبين أن موسى عليه السلام كلّمه ربه تكليماً وكذلك قوله:﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[٢] وقد بين الله ـــ تعالى ـــ بعض ما كلم به موسى، في ثلاث آيات، مما لا يجوز أن يكون من ألفاظ ملك مقرب ولا غير مقرب، فغير جائز أن يخاطب ملك مقرب موسى فيقول : ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٣]، أو يقول: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾[٤] [٥].

ولا يمكـــن حمل هذه الآية على المجاز أي قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ﴾ لأنه أكد بالمصدر لنفي المجاز، لأن العرب لا تؤكد بالمصدر إلا إذا أرادت الحقيقة[٦].

وعـــن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « احتج آدم وموسى فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة ؟ قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه، ثم تلومني على أمر قد قدر علي قبل أن أُخلق ؟ فحج آدم موسى »[٧].

المرتبة الثالثة: التكليم بواسطة الرسول، والدليل قوله تعالى:﴿ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا

---

(١) سورة النساء الآية: ١٦٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٤٣ .

(٣) سورة القصص الآية: ٣٠ .

(٤) سورة طه الآيات: ١٢ ــ ١٤ .

(٥) انظـــر: التوحيد تأليف الإمام أبي بكر بن خزيمة ت/ د.عبد العزيز الشهوان، جـــ١/٣٢٨-٣٣٣، ط/ الثالثة ١٤١٤هـــ، الناشر مكتبة الرشد ــ الرياض ــ المملكة.

(٦) انظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص١٤٥ ، و الصفات الإلهية في الكتاب والسنة ص٢٦٣ .

(٧) أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب: وكلم الله موسى تكليما) جـــ٥/٢٣٤٤ رقم الحديث ٧٥١٥ .

يَشَآءُ ﴾[1]، وبيانه: أن الرسول الملك ــ جبريل أو غيره ــ يسمع كلام الله من الله بغير واسطة، فيبلغه إلى الرسول البشرى، فهذا تكليم بالواسطة، قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[2].

ومـــن السنة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عـــبداً نادى جبريل: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويضع له القبول في أهل الأرض »[3].

ب- التكليم في الآخرة على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: للحساب والقضاء بين العباد في المحشر، قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[4].

وقـــال الإمام البخاري باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم: عن أنس ﷺ قـــال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا كان يوم القيامة شفعت، فقلت: يا رب أدخل الجنة من كـــان في قلبه خردلة، فيدخلون، ثم أقول: أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء » فقال أنس: كأني أنظر إلى أصابع رسول الله ﷺ[5].

كما يحرم أقوام من تكليم الله لهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا

---

[1] سورة الشورى الآية: ٥١ .

[2] سورة الشعراء الآيات: ١٩٢-١٩٥ .

[3] أخـــرجه الـــبخاري في (كتاب التوحيد، باب: كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة) جـــ٥/٢٣٣٦ رقم الحديث ٧٤٨٥.

[4] سورة القصص الآية: ٦٥ .

[5] أخـــرجه الـــبخاري في (كـــتاب التوحيد، باب: كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) جـــ٥/٢٣٤١ رقم الحديث ٧٥٠٩ .

يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾[1].

ج ـ تكليمه تعالى لأهل الجنة نعمة منه وفضلاً، ومن أدلته: ما رواه البخاري في باب كلام الرب مع أهل الجنة: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ:« إن الله يقول لأهل الجنة:يا أهل الجنة؛ فيقولون:لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول:هل رضيتم ؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك. فيقولون:يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك، فيقول:أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً »[2].

د ـ تكليمه تعالى لأهل النار توبيخاً وتقريعاً، قال تعال:﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[3].

وهذه الأوجه الثلاثة من التكليم لم يقع منها شيء بعد، وإنما تقع بعد نهاية الدنيا يوم تقوم الساعة، وبعدئذ، وقد صح عن النبي ﷺ أن الله ـ تعالى ـ كلم الشهيد عبد الله بن عمرو بن حرام، أحد شهداء أحد، كفاحاً من غير حجاب قال ﷺ لجابر بن عبد الله:«ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً[4]، فقال: عبدي، تمن علي أعطك، قال: يا رب، تحييني، فأقتل فيك ثانيه، فقال الرب ـ سبحانه ـ: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي »[5]، والأدلة الدالة على مذهب أهل السنة أكثر من أن تحصر.

---

[1] سورة البقرة الآية: ١٧٤ .

[2] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب: كلام الرب مع أهل الجنة) جـ٥/٢٣٤٦ رقم الحديث ٧٥١٨ .

[3] سورة المؤمنون الآية ١٠٨-١١١ .

[4] كفاحاً: أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولارسول. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ت/طاهر الزاوي ومحمود الطناحي جـ ٤/١٨٥ مادة (كفح) ط/ المكتبة العلمية -بيروت.

[5] أخرجه الترمذي في (كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران) جـ٥/٢٣٠ رقم الحديث ٣٠١٠ ، وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه، وابن ماجه في (كتاب أبواب الجهاد، باب: فضل الشهادة في سبيل الله)=

ب – أدلتهم من الإجماع:

أجمعت الأمة الإسلامية على أن أول من قال بخلق القرآن هو الجعد بن درهم، في أوائل المائة الثانية ولم تظهر هذه المقالة في عهد الصحابة ﷺ، ثم انتشرت على يد الجهمية في المائة الثالثة ولما ظهر هؤلاء تكلم السلف من التابعين وتابعيهم في تكفيرهم والردّ عليهم.

روى الإمام البخاري قال حدثنا سفيان بن عيينة قال: « أدركت مشائخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله وليس بمخلوق »[1].

وحكى الإمام أبي القاسم اللالكائي[2] الإجماع على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وذكر خمسمائة وخمسين من العلماء من شتى البلدان والأمصار القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق[3]، وحكى الإجماع الإمام الصابوني[4].

وقال ابن عقيل:« ووجدنا رواة أخبار الصفات أئمة المسلمين وصدورهم، والمرجع إليهم في الفتاوى، وجميع أئمة الإسلام كسفيان الثوري ومالك بن أنس،... (وذكر أسماء بعض الأئمة) حتى قال: وغير هؤلاء من الحفاظ الأثبات، هم والله سرج البلاد ونور العباد، وغير جائز أن يكون خبرهم إلا صحيحا، وأن الأشاعرة لا تخلوا من أن تقول صدقت النقلة فيما روته من أخبار

=جـ٢/١٣٦ رقم الحديث ٢٨٢٧ ، والإمام أحمد في المسند جـ٣/٣٦١ ، وقال ابن القيم في حادي الأرواح ص ٤٠١ إسناده صحيح.

(١) خلق أفعال العباد والرد على الجهمية له ص٧، وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ٢/٢٤١.

(٢) هو أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي، شافعي المذهب، الإمام الحافظ المجود، اعتنى بالحديث وصنف فيه، توفي سنة ٤١٨هـ. انظر: السير جـ١٧/٤١٩-٤٢٠ ترجمة رقم ٢٧٤ ، والأعلام جـ٨/٧١ .

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ٢/٢١٦ وما بعدها.

(٤) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث له ص٥ ، وعقيدة الحافظ تقي الدين المقدسي ص٦٦، ت/ عبد الله البصيري، ط/ الأولى ١٤١١هـ، الناشر الرئاسة العامة للإفتاء – الرياض. والصابوني هو الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل النيسابوري الصابوني، صاحب "عقيدة السلف وأهل الحديث"، قال البيهقي: « حدثنا إمام المسلمين حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً »، توفي في محرم سنة ٤٤٩هـ. انظر: السير جـ١٨/٤٠-٤٤ ترجمة رقم ١٧ ، والأعلام جـ١/٣١٧ .

الصفات أو كذبت، فإن كانت صدقت وجب المصير إلى ما قالته ونقلته وترك تأويله وأُمر كما جاء به ظاهره، وإن كانت النقلة كذبت وجب ترك ما قالت و لم يجب تأويله »[١].

ونكتفي بهذه النقول عن إجماع أهل السنة وهي كثيرة، مذكورة في كتب العقائد.

وقد اتضح من ألفاظهم أن قول الكلابية: قديم لم يعرف عند السلف، وأول من قال: إنه قديم عبد الله بن كلاب، ووافقه السالمية وغيرهم، وهذا من دقة السلف ـ رحمهم الله ـ في مسائل العقيدة، وخاصة ما يتعلق منها بالله وصفاته، حيث أنهم لا يبتدعون كلاماً جديداً[٢].

ج- أدلة السلف العقلية:

١- إثبات صفة الكلام إثبات للرسالة، فإذا انتفت صفة الكلام انتفت الرسالة، إذ حقيقة الرسالة تبليغ كلام المرسل، ومن ها هنا قال السلف: من أنكر كون الله متكلماً فقد أنكر رسالة الرسل كلهم، والرب ـ سبحانه وتعالى ـ يخلق بقوله وكلامه كما قال إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، فإذا انتفت حقيقة الكلام عنه فقد انتفى الخلق[٣].

٢- إن الكلام صفة كمال، وضدها صفة نقص، وهي البكم والخرس، وهذه الصفة إن وجدت في المخلوق العاجز الضعيف كانت نقصاً بيناً، فكيف يصلح إثباتها لمن له الكمال المطلق سبحانه؟ وكيف يصح ذلك وهو واهب الكمال للكاملين ؟ أفيصح أن يهب عبده ما هو عاجز عن الاتصاف به من صفات الكمال.

إن له سبحانه المثل الأعلى، والكمال من جميع وجوهه، وهو السلام الملك القدوس المتعالي عن المعايب والنقائص، فلما كان ضد الكلام نقصاً نزهناه عنه وأثبتنا له كمال ضده، ألا وهو الكلام الذي لا نظيرله، كسائر صفاته، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ

---

[١] مسألة القرآن تصنيف أبو الوفاء بن عقيل البغدادي، تحقيق د. سليمان العمير ص٨٣ ، ط/ الأولى ١٤١٣هـ، الناشر مكتبة دار السلام.

[٢] انظر: الصفدية جـ٢/٨٦-٨٧ وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/١٢٩٦ .

[٣] انظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص١٤٨ .

سَبِيلًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾[2] وغير ذلك.

---

[1] سورة الأعراف الآية: ١٤٨ .

[2] سورة طه الآية: ٨٩ .

المبحث الرابع: الحرف والصوت والنداء عند السالمية.

أولاً: الحرف والصوت عند السالمية:

الكلام في هذه المسألة حدث في حدود المائة الثالثة، وانتشر في المائة الرابعة، فإن ابن كلاب والأشعري لما ناظروا المعتزلة في إثبات الصفات، وأن القرآن ليس بمخلوق، ورأوا أن ذلك لا يتم إلا إذا كان القرآن قديماً، ثم زادوا أن الله لا يتكلم بصوت، ولا لغة، لا قديم ولا غير قديم، لما رأوه من امتناع قيام أمر حادث به، وخالفوا في ذلك جمهور المسلمين، من أهل الحديث والفقه والكلام والتصوف، وإن تنوعت مآخذهم[١].

والسالمية ممن يثبت الحرف والصوت[٢].

والمثبتون للصوت طوائف:

منهم المعتزلة الذين يقولون: القرآن مخلوق، وكلامه صوت قائم بغيره.

ومنهم الكرامية وطوائف من أهل الحديث من الحنبلية، ويقولون: يتكلم بصوت قائم به، لكن ليس الصوت بقديم.

ومنهم طائفة من متكلمة أهل السنة من الحنبلية وغيرهم يقولون: يتكلم بصوت قديم قائم به.

ومنهم طائفة من الفقهاء من الحنفية وغيرهم يقولون: يخاطب بصوت قائم بغيره، والمعنى قديم قائم به[٣].

والسالمية ممن يقول:يتكلم بصوت قديم قائم به، وقد نسب الكلاباذي القول بالحرف والصوت لطائفة من الصوفية منهم ابن سالم[٤]، ونقله عنه ابن تيمية[٥]، وسبق ذكر قول الزبيدي في الحرف والصوت.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٥٧٩ .

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٥٨٠ .

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٥٨٠-٥٨١ .

(٤) انظر: التعرف ص٤٢-٤٣ .

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٥٨٠ .

وقد جهم الإمام أحمد وغيره من أنكر الصوت، قال عبد الله بن أحمد قلت لأبي: إن أقواماً يقولــون إن الله لا يتكلم بصوت، فقال: هؤلاء جهمية، إنما يدورون على التعطيل[1]، وذكر نحو ذلك السجزي[2].

والسالمية وافقوا السلف في إثبات الحرف والصوت، وخالفوهم في قولهم إن الصوت قديم، والصوت لا يتصور بقاؤه، وسبق مناقشتهم والأدلة دلت على أنه تعالى ينادي ولا يعقل النداء إلا بصوت وهذا منه ما يكون في الدنيا، كما قال ﷺ: « إن الله ــ تبارك وتعالى ــ إذا أحب عبداً نــادى جبريل: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل »، ومنه غير ذلك، فهو سبحانه ينادي يــوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[3]، كما ينادي سبحانه أهل الجنة.

ولا يعقل أن يكون هذا النداء قديماً.

كما جاء إثبات الصوت فيما أخرجه البخاري معلقاً عن رسول الله ﷺ يقول: « يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان »[4].

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٥٧٩-٥٨٠ ، وقد نسبه إلى كتاب السنة لعبد الله بن أحمد في مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٨/١٢ ، ولم أجده فيه، وقدنقل عبدالله عن أبيه قوله في الصوت في السنة جـ١/٢٨٠-٢٨٢ ، ولم يذكر هذا القول، وقال الجديع في العقيدة السلفية ص١٦٣: لم أجده.

[2] انظر: رسالة السجزي لأهل زبيد ص١٨١ .

[3] سورة القصص الآية: ٦٥ .

[4] أخــرجه الــبخاري في (كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾) جــ٥/٢٣٣٥ معلقاً، وقال ابن حجــر في الفتح جــ١/٢٣١ : « إسناده حسن »، وقال عن جزم البخاري به في كتاب العلم، وتمريضه في كتاب التوحيد: « فإنه حيث ذكر الارتحال فقط جزم به، لأن الإسناد حسن، وقد اعتضد، وحيث ذكر طرفاً من المتن لم يجزم به لأن لفــظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب » ا.هــ، ولكنه في شرح كتاب التوحيد جــ١٣/٥٦٠-٥٦١ قال: « ويلزم منه (أي نفي الصوت) أن الله لم يسمع أحداً من ملائكته ورسله كلامه بل ألهمه إياه،... وإذا ثبت الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الإيمان به ثم إما التفويض وإما التأويل » ا.هــ، وهذا يؤيد قول من قال إن ابن حجر ــ رحمه الله ــ كان مؤولا في أول الشرح ثم رجع عن كثير من ذلك في آخر الفتح، ونقض بعض أصول الأشعرية وردها والحديث أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص١٨، والإمام أحمد في المسند ج٣/٤٩٥، وقال ابن القيم في مختصر الصواعق جــ٢/٤٠٣ : « هذا حديث حسن جليل » ا.هــ، وقال أيضا جــ٢/٥٠٤ : « ويكفي=

وأمــا قول الزبيدي: « إذا سمع الكلام و لم يفهم فهو صوت » [١]، فهو خطأ فإن الأدلة الســابقة دلت على أنه كلام مفهوم بصوت، وليس هذا معروفاً عند العرب، وقد عرّف الزبيدي الصوت بأنه : « معنى يظهر من الذات ثم تعترض لإسماعه مقاطع[٢] تنوع إسماعه في السامع »[٣]، وهذا خطأ،والصواب أن الصوت هو:"جنس لكل ما وقر في أذن السامع"[٤]،وكلامه تعالىبصوت، وهو كسائر صفاته تعالى، كما أنها لا تشبه صفات المخلوقين، والله ﷻ:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٥]، في ذاته وجميع صفاته[٦]، قال السجزي: « اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفاً، وكذلك شرحها لا يجوز إلا بتوقيف »[٧].

وأمــا ردّ الــزبيدي عــلى الأشعرية بأنه لا يلزم من يثبت الحرف والصوت إثبات الحلق واللسان والشفة[٨]، فهذا صحيح، ورد به السلف على الكلابية والأشعرية[٩].

« وقد روى في إثبات الحرف والصوت أحاديث تزيد على أربعين حديثا بعضها صحاح، وبعضها حسان، ويحتج بها »[١٠].

=رواية البخاري في صحيحه مستشهداً به، واحتج به في خلق أفعال العباد، ورواه أئمة الإسلام في كتب السنة، وما زال السلف يروونه، و لم يسمع عن أحد من أئمة السنة أنه أنكره، حتى جاءت الجهمية فأنكروه، ومضى على آثارهم مــن اتبعهم على ذلك » ا.هــ. وقد أطال في الرد عليهم، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص٣٧٢ رقم ٧٤٦ ط/ الثانية ١٤١٥هــ الناشر دار الصديق -الجبيل.

[١] انظر: مناصفة القشيري ورقة ٢٧ب.

[٢] في الأصل (في) مشطوبة.

[٣] جزء فيه الرد على من ألحد في الكتاب العزيز، ورقة ٩ب.

[٤] معجم مقاييس اللغة لابن فارس جــ٣/٣١٨ ، باب الصاد والواو وما يثلثهما.

[٥] سورة الشورى الآية ١١ .

[٦] انظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص١٦١.

[٧] رسالة السجزي إلى أهل الزبيد ص١٢١.

[٨] انظر: مناصفة القشيري ورقة ٣١ب، ٣٠أ،ب.

[٩] انظر: رسالة السجزي ص٨٤، وجزء في الأصول مسألة القرآن لابن عقيل ص١٠٩ .وغيرهم.

[١٠] توضيح المقاصد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم لابن عيسى جــ١/٢٢٩ .

ثانياً: النداء عند السالمية:

وافقت السالمية الكلابية في النداء، كما وافقوهم في أصل قولهم، فقالوا: إن النداء قائم بذات الله في الأزل، وهو لازم لذاته لم يزل ولا يزال منادياً له، لكنه لما أتى خلق فيه إدراكاً كان موجوداً في الأزل[1]، والكتاب والسنة ترد ذلك، كما ترد قولهم في صفة الكلام، ومن أثبت الحرف والصوت لزمه إثبات النداء، فإن النداء هو الصوت الرفيع، ولا يعقل نداء إلا ما كان حرفاً وصوتاً بإجماع أهل اللغة وسائر الناس، والله ـ تعالى ـ أخبر موسى أنه رب العالمين حين جاء الشجرة، فقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝﴾[2].

ومن قال: إنه لم يزل منادياً في الأزل إلى الأبد، فقد خالف القرآن والعقل، ومن قال: إنه بنفسه لم يناد، ولكن خلق نداء في شجرة أو غيرها، لزم أن تكون الشجرة هي القائلة: إني أنا الله. وليس هذا كقول الناس: نادى الأمير، إذ أمر منادياً فإن المنادي عن الأمير يقول: أمر الأمير بكذا، ورسم السلطان بكذا، لا يقول أنا أمرتكم، والمنادي قال لموسى: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝﴾[3]، وهذا لا يجوز أن يقوله ملك، والملائكة لما نادت زكريا قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[4][5].

ولم أجد ذكر لفظ النداء عند السالمية، وإن كان الزبيدي تكلم عن سماع موسى عليه السلام؛ لكن لم يذكر النداء، وسيأتي كلامه[6].

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٢٢٣ .
[2] سورة النمل الآية: ٨ .
[3] سورة القصص الآية: ٣٠ .
[4] سورة آل عمران الآية: ٣٩ .
[5] انظر: منهاج السنة جـ٥/٤٢٣-٤٢٥ .
[6] انظر: ماسيأتي في ص٥١٢.

المبحث الخامس: مسألة اللفظ بالقرآن عند السالمية.

اللفظ يراد به مصدر لفظ لفظاً، ومسمى هذا فعل العبد، وفعل العبد مخلوق، ويراد باللفظ القول الذي يلفظ به اللافظ، وذلك كلام الله، لا كلام القارئ، فمن قال: إنه مخلوق فقد قال إن الله لم يتكلم بهذا القرآن[١].

لـــذا اضطرب فيها أقوام لهم علم وفضل ودين وعقل، وجرت بسببها مخاصمات بين أهل الحديث والسنة[٢].

وهـــي مـــن القضايا التي حدثت في زمن الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ وأول من قال بها الحســين بـــن علي الكرابيسي[٣] المعاصر للإمام أحمد، فقد سأله سائل عن القرآن فقال: غير مخلوق، فقال: فما تقول: في لفظي بالقرآن؟ فقال: لفظك بالقرآن غير مخلوق، فذهب السائل إلى الإمـــام أحمد بن حنبل فأخبره بما قاله الكرابيسي، فقال: هذه بدعة، (أي الكلام فيها)، وقـــد نســـب هذا القول إلى غير واحد من المعروفين بالسنة والحديث، كالحسين الكرابيسي، ونعيم بن حماد، والحارث المحاسبي وغيرهم[٤].

وعند ظهور هذه البدعة افترق الناس إلى أربع فرق:

الأولى: الجهميـــة القائلون بخلق القرآن، تستروا بالقول: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، ومرادهم: أن كلام الله مخلوق اعتقاد أسلافهم[٥].

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٧٤ .

[٢] انظـــر: الاختلاف واللفظ ص٤٣ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٣٣٣ ، ومن هذه الخصومات ما وقع بين ابن منده وأبي نعيم، وأعظم ما وقعت فتنة اللفظ بخراسان، وتعصب فيها على البخاري ــ مع جلالته وإمامته ــ وإن كان الذين قاموا عليه أئمة أجلاء، فالبخاري ﷺ من أجل الناس، والحق مع أبي عبد الله البخاري في هذه المسألة. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٢٠٨-٢٠٩، ومختصر الصواعق جـــ٢/٤٢٣ .

[٣] هـــو أبـــو علي الحسين بن علي بن يزيد البغدادي الكرابيسي فقيه، أول من تكلم باللفظ، فهجره الإمام أحمد، ولعنه ابن معـــين، توفي سنة ٢٤٨هـــ وقيل ٢٤٥هـــ. انظر: السير جـــ١٢/ ٧٩-٨٢ ترجمة رقم ٢٣ ، وميزان الاعتدال جـــ١/ ٥٤٤ رقم٢٠٣٢ .

[٤] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٢٠٦-٢٠٧ .

[٥] انظر: الإبانة عن أصول الديانة تأليف الإمام أبي الحسن الأشعري ص٩٤، والعقيدة السلفية في كلام رب البرية ص٢٠١.

الثانية: الكلابية أطلقوا القول كالجهمية: ألفاظنا بالقول مخلوقة، ومرادهم: أن القرآن العربي الذي نزل به جبريل؛ الذي هو الألفاظ المؤلفة من الحروف؛ مخلوق، وأن الله ــ تعالى ــ لم يتكلم بحرف، ويسمون اللفظية النفاة.

الثالثة: طائفة من أهل الحديث، كأبي حاتم الرازي ومحمد بن يحي الذهلي وغيرهم، لما رأوا تضمن قول الجهمية والأشاعرة معنى باطلاً، أرادوا الرد عليهم، فأطلقوا القول بضد مقالتهم، فقالوا: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة، ومرادهم: أن الألفاظ المؤلفة من الحروف والتي هي القرآن العربي الذي نزل به جبريل من رب العالمين غير مخلوق ــ ومع صحة مرادهم ــ جاء بعدهم أقوام وافقوهم في إطلاق اللفظ وأدخلوا في ذلك فعل العبد وحركته وصوته ويسمى هؤلاء "اللفظة المثبتة".

فمنع الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ إطلاق هذا اللفظ لأمرين:

أولهما: أنه لفظ مبتدع لم يتكلم به السلف.

ثانيهما: لما يجر إليه من الوقوع في المحذور.

والرابعة: طائفة الأئمة الربانيين من أهل السنة كالإمام أحمد والإمام البخاري وغيرهما، منع الإمام أحمد إطلاق اللفظين السابقين، اللفظ بالقرآن مخلوق، أوغير مخلوق، وقالوا: القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، بألفاظه ومعانيه، ليس هو كلامه بألفاظه دون معانيه، ولا بمعانيه دون ألفاظه، وأفعال العباد وأصواتهم مخلوقة، بينما فصل الإمام البخاري[١].

ومن هذه المسألة حدثت بدعتان شنيعتان:

البدعة الأولى: القول بأن فعل القارئ الذي هو صوته وحركته بالقراءة غير مخلوقة فجعلوا ذلك كلام الله، وصوت القارئ صوت الله، وبها قال السالمية.

البدعة الثانية:أن قوماً جعلوا كلام الله مجرد الحروف، والأصوات والمعاني ليست داخلة في ذلك[٢]، وسيأتي الكلام على ما يخص السالمية منها في المبحث التالي.

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٢٠٢-٢١٥،ومختصر الصواعق جـ٢/٤٢٠،والعقيدة السلفية للجديع ص٢٢٥-٢٢٦.

[٢]نظر: هذه المسألة في العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص٢٠١ وما بعدها، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم جـ٢/ ٤٢٠ وما بعدها، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة جـ٢/٣٤٩ .

والسالمية ممن يقول بالقول الثالث ويوافقون طائفة من أهل الحديث، لكنهم أدخلوا في ذلك فعل العبد وحركته وصوته، وقد ذكر الزبيدي من السالمية أن التلاوة والمتلو، والقراءة والمقروء كلها شيء واحد، فلا يفصل ما يعود للخالق، وما يعود على المخلوق فيقول: « والقرآن هو القراءة، والقراءة هي التلاوة »[١]، ويقول: « وقد ثبت أن القراءة هي المقروء وأن المقروء هي القراءة في الأصل »[٢]، ويقول: « وكذلك التلاوة التي هي القراءة التي هي القرآن، لا تسمع إلا كلاماً وتدرك بحاسة السمع ضرورة »[٣]، ويوضح هذا ما سيأتي من مذهب السالمية في أن المسموع هو صوت الرب ــ تعالى ــ، فليس عندهم تفريق.

وقد وافقهم ابن الزاغوني فقال: « التلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقروء، والكتابة هي المكتوب »[٤].

ومذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة: أن التلاوة هي قراءتنا وتلفظنا بالقرآن، والمتلو هو القرآن العزيز المسموع بالأذان، والقرآن جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، وأصوات العباد وحركاتهم وأداؤهم وتلفظهم، كل ذلك مخلوق بائن، فهم يميزون بين ما قام بالعبد وما قام بالرب.

وهذا هو مذهب الإمام البخاري ومذهب الإمام أحمد وأصحابهما من سائر أهل السنة، فخفي تفريق البخاري وتمييزه على جماعة أهل السنة والحديث، ولم يفهم بعضهم مراده، وتعلقوا بالمنقول عن الإمام أحمد نقلاً مستفيضاً أنه قال: من قال لفظي القرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع. وبسبب هذا وقعت فتنة بين أهل الحديث.

والبخاري ــ رحمه الله ــ أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه، وكلامه أوضح وأمتن من كلام أبي عبد الله، فإن الإمام أحمد أراد سد الذريعة حيث منع إطلاق لفظ المخلوق نفياً وإثباتاً على اللفظ.

---

(١) مناصفة القشيري ورقة ٢٠ ب.

(٢) نفس المرجع ورقة ٢١ ب.

(٣) نفس المرجع ورقة ٢٤ ب، وانظر: ورقة ١٩ أ، ٢٣ ب.

(٤) الإيضاح ورقة ١١١ أ.

وهذا المنع في النفي والإثبات من كمال علمه باللغة والسنة وتحقيقه لهذا الباب، والبخاري ميــز وفصل وأشبع الكلام في ذلك وفرق بين ما قام بالرب وما قام بالعبد، وأوقع المخلوق على تلفظ العباد وأصواتهم وحركاتهم وأكسابهم، ونفى اسم الخلق عن الملفوظ وهو القرآن الكريم الذي سمعه جبرائيل من الله ـــ تعالى ـــ؛ وسمعه محمد ﷺ من جبرائيل عليه السلام[١].

فــإذا تبين هذا فإن اللفظية المثبتة، واللذين يوافقهم السالمية يحتجون بالإمام أحمد ويزعمون أنه كان يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق، وأنه على ذلك استقر أمره، وهذا قول من يقول التلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء والكتابة هي المكتوب.

وهؤلاء أصابوا في قولهم إن الله ـــ تعالى ـــ تكلم بهذا القرآن على الحقيقة حروفه ومعانيه منه بصوته وأسمعه من شاء من ملائكته.

وأخطاؤوا في قولهم: إن هذا الصوت المسموع من القارئ هو الصوت القائم بذات الرب ـــ تعالى ـــ وأنه غير مخلوق، وأن تلاوتهم وقراءتهم وألفاظهم القائمة بهم غير مخلوقة، فهذا غلو في الإثبات يجمع بين الحق والباطل[٢].

والــلفظية المبــتدعة المثبتة الذين أنكر عليهم الإمام أحمد وغيره إنما قالوا: لفظنا به غير مخــلوق، ولم يقولوا: قديم، فجاءت المغالطة لمذهبهم، فقالوا: لفظنا به قديم، ولفظنا به أصواتنا، فأصواتنا به قديمة.

والإمــام أحمــد وسائر الأئمة من أصحابه الذين صحبوه وغيرهم ومن بعدهم من الأئمة ينكرون هذه المراتب الأربع، فإنهم ينكرون أن يقال: لفظي به غير مخلوق، فكيف لفظي به قديم؟ فكيف صوتي به غير مخلوق؟ فكيف صوتي به قديم ؟ أو بعض الصوت المسموع ؟ ونحو ذلك[٣].

---

[١] انظر: مختصر الصواعق جـ٢/٤٢١-٤٢٤ .

[٢] انظر: مختصر الصواعق جـ٢/٤٢٤-٤٢٥ .

[٣] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٣٩٤-٣٩٥ .

المبحث السادس: أصوات القراء وحلول القرآن في المصاحف.

أولاً: أصوات القراء.

« المنتصرون للسنة من أهل الكلام والفقه كالأشعري، والقاضي أبي بكر بن الطيّب، والقاضي أبي يعلى وغيرهم، يوافقون أحمد على الإنكار على الطائفتين، على من يقول لفظي بالقرآن مخلوق، وعلى من يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، ولكن يجعلون سبب الكراهة كون القرآن لا يلفظ، لأن اللفظ الطرح والرمي.

ثم هؤلاء منهم: من ينكر تكلم الله بالصوت، ومنهم من يقر بذلك، بل منهم من يقول إن الصوت المسموع هو الصوت القديم »[1].

وقد اختلفوا في الأصوات المسموعة من القراء على أقوال:

الأول: أن الحروف القديمة والأصوات ليست هي الأصوات المسموعة من القراء ولا المداد الذي في المصحف وهذا قول أكثرهم.

الثاني: أن الصوت القديم هو الأصوات المسموعة من القراء.

الثالث: أن القارئ يُسمع منه شيئان: الصوت القديم، وهو ما لا بد منه في وجود الكلام، والصوت المحدث وهو ما زاد على ذلك[2].

وأما زعم من قال: إن صوت العبد قديم، أو أن المداد الذي في المصحف قديم، فقد أنكره جميع أئمة أصحاب الإمام أحمد وغيرهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:« وما علمت أن عالماً يقول ذلك إلاّ ما يبلغنا عن بعض الجهّال:من الأكراد ونحوهم »[3].

غير أن قوماً من أهل الكلام والحديث قابلوا بدعة الجهمية ـــ القول بخلق القرآن ـــ: « فزعموا أن ألفاظ العباد وأصوات العباد غير مخلوقة؛ أو ادعوا أن بعض أفعال العباد أو صفاتهم غير مخلوقة، أو أن ما يسمع من النّاس من القرآن هو مثل ما يسمع من الله تعالى من كل وجه،

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٢٠٩ .

[2] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٣٢١.

[3] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٢٣٨ .

ونحو ذلك، فأنكر الإمام أحمد وعامة أئمة وقته وأصحابه وغيرهم من العلماء ذلك »[1].

وبعـــض السالمية يقول بهذا، قال أبو طالب المكي: « وينبغي للعبد أن يشهد في التلاوة أن مـــولاه يخاطبه بالكلام لأنه سبحانه متكلم بكلام نفسه وليس للعبد في كلامه كلام، إنما جعل له حركة اللسان بوصفه وتيسير الذكر بلسانه، بحكم ربه ﷻ حداً للعبد ومكاناله، ... وقال جعفر بـــن محمد الصادق[2]: والله لقد تجلى الله ﷻ لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون، وقال أيضاً: وقد ســـألوه عن شيء لحقه في الصلاة حتى خر مغشياً عليه فلما سُري عنه قيل له في ذلك، فقال: ما زلـــت أردد الآيـــة عـــلى قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها،فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته تعالى. وكذلك الخصوص يرددون الآية بقلوبهم على قلوبهم ويتحققون بها في مشاهدتهم بمدد من شهيدهم وســـيدهم حتى يستغرقهم الفهم فيغرقون في بحر العلم، فإن قصرت مشاهدة التالي عن هذا المقام فيشـــهد أنه يناجيه بكلامه ويتملقه ويناجيه، فإن الله ﷻ إنما خاطبه بلسانه وكلمه بحركته وصوته ليفهـــم عنه بعلمه الذي جعل له ويعقل عنه بفهمه الذي قسم له حكمة منه ورحمة، إذ لو تكلم الجبار ﷻ بوصفه الذي يدركه سمعه لما ثبت للكلام عرش ولا ثرى لتلاشي ما بينها...»[3].

وقال: « قال بعض العلماء: كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رســـول الله ﷺ يتـــلوه على أصحابه، ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يـــلقيه على رسول الله ﷺ، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم عزّ من قائل، فعندها وجدت له نعيماً ولذة لا أصبر عنها»[4] وهذا القول نسبه السراج لأبي سعيد الخراز[5]، إلا

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٤١٧-٤١٨ .

[2] هـــو أبـــو عـــبد الله، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، الملقب الصادق، شيخ بني هاشم القرشي الهاشمي العلوي،أحد الأعلام، رأى بعض الصحابة، ولد سنة ٨٠هـــ، من جلة علماء المدينة، توفي سنة ١٤٨هـــ وله ٦٨ سنة، وقال الذهبي : « وقد كذب عليه الرافضة، ونسبت إليه أشياء لم يسمع بها » ا.هـــ، انظر: تأريخ الإسلام للذهبي حوادث ١٤١-١٦٠ ص٨٨-٩٣ ، والأعلام جـــ٢/١٢٦ .

[3] القوت جـــ١/٨٩-٩٠ .

[4] نفس المرجع جـــ١/٩٣ .

[5] انظر: اللمع ص١١٤ .

أن أبا طالب المكي نقله عن شيخ له لم يسمه قال له: اقرأ على ربك[1].

ونظـير هذا ما رواه أبو الحسن ابن سالم شيخ السالمية عن ابن مجاهد المقرئ يقول: رأيت رب العـزة في المنام، فختمت عليه ختمتين، فلحنت في موضعين فاغتممت، فقال: يا بن مجاهد، الكمال لي، الكمال لي[2].

وقـد تابع ابن برجان أبا طالب المكي في أول كلامه فقال: « ينبغي للعبد أن يشهد في تلاوتـه القرآن أن ربه يخاطبه بالكلام، وأنه سبحانه متكلم على لسان العبد بكلام نفسه ...، وعلى هذا فليس للعبد في كلام ربه كلام، وإنما جعل له حركة اللسان،... إلى أن قال: وكذلك القراءة حال للعبد ومكان له وهو في حاله تلك يُلقى المقروء من لدن حكيم عليم،... وهذه هي التلاوة العليا »[3].

وأما الزبيدي من السالمية فيرى أن الصوت الذي نسمعه صوت الرب ـ تعالى ـ فيقول: « ما اختص به موسى من سماع كلام الله يتميز عن سماعنا من وجهين:

أحدهما: أن موسى عليه السلام سمع بخرق العادة؛ ونحن نسمع بالعادة.

والثاني: أن موسى عليه السلام رسول؛ ونحن مرسل إلينا.

ومن سمعناه يقول لغيرنا: قل لهم، جاز أن نقول سمعناه يتكلم معرضاً عن خطابنا، وإن عـنانا لم يكن قد كلمنا، وعلى هذا سماع إبليس ـ لعنه الله ـ لكلام الله حين سمعه يقول: أخرج منها مع إعراضه عنه، ومخاطبته خطاب الغايب[4] فليس تكليماً،... وعلى هذا إذا قال للرسول:قل لهم، ونحن نسمع، سمعنا كلامه، ولم يكلمنا، ولم يكن معرضاً عنا،وعلى هذا نسمع كـلام الله من القارئ، وإن كان المسمع هو الباري »[5]، ويقول :« والمسمع من المصحف

---

(1) انظر: القوت جـ١/١١٠ .

(2) انظر: معجم الأدباء جـ٥/٧٠-٧١ ، وطبقات القراء جـ١/٣٣٦، لكن الرواة عنه لايعرفون، وابن مجاهد هو: أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي، المقرئ، ولدسنة ٢٤٥هـ، وتوفي سنة ٣٢٤هـ . انظر: المنتظم لابن الجوزي جـ١٣/٣٥٧-٣٥٨، وطبقات القراء للذهبي جـ١/٣٣٣-٣٣٧.

(3) انظر: تفسير ابن برجان ورقة ٥.

(4) كذا في الأصل، بدون همز، انظر ماتقدم في ص٢٩٦.

(5) جزء فيه رد على من أخذ في الكتاب العزيز ورقة ١٠ ب، ١١ أ.

ومـــن لسان القارئ هو الله، وكله كلام الله، والمبتدعة يتأولون هذا كله، ويزعمون أن ظاهره ينافي العقل »[١].

وأمـــا مانقله أبو طالب عن جعفر الصادق: فهو كذب عليه، كما كذب عليه غيره من الرافضـــة والصـــوفية[٢]، ومـــن عادة أبي طالب المكي أنه إذا أراد قولاً حكاه عن غيره وسكت وكذلك نقله عمن لم يسمه فمشكل، ويفهم منه الحلول.

وقد نسب هذا القول للسالمية القاضي أبو يعلى فقال: « ومن قولهم (أي السالمية): إن الله ـ تعـــالى ـ يقـــرأ على لسان كل قارئ، وأنهم إذا سمعوا القرآن من القارئ فإنهم يسمعونه من الله » وتابعه عبد القادر الجيلاني[٣]، وقد ردّوا عليهم هذا القول لما يلي:

١- لأنه يفضي إلى أن الله يلحن ويغلط.

٢- ولأنه يفضي إلى القول بالحلول.

ولهذا وصفوا بأنهم إتحادية حلولية في الصفات[٤].

وقـــد يكون ما ذكروه من جنس ما قالوه في رؤية الرب ﷻ في الدنيا: قال شيخ الإسلام ابـــن تـــيمية ـــ رحمـــه الله ـــ: «وهذا الغلط يقع كثيراً في السالكين، يقع لهم أشياء في بواطنهم فيظـــنونها في الخـــارج، فذلك بمنزلة الغالطين من نظار المتفلسفة ونحوهم، حيث يتصورون أشياء

---

[١] نفس المرجع ورقة ٤ ب.

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٧٨/٤ .

[٣] انظر: المعتمد في أصول الدين (المختصر) للقاضي أبي يعلى ص٢٢١ ، والغنية للشيخ عبد القادر الجيلاني جـ١٥٤/١ .

[٤] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧٤/١٢، وقد دافع بعض المتأخرين عن هذه الأقوال وحاول توجيهها فقال د.محمد كمال جعفـــر في كتابه من التراث الصوفي لسهل التستري ص٣٤٩-٣٥٠: « ولا تعدو المسألة أن تكون تعبيراً عن موقف عاطفي أكثر من أن تكون تعبيراً عن مذهب فلسفي نظري، لقد أُثر عن بعض الصوفية طريقتهم في إعداد أنفسهم لقراءة القرآن يتخيل أنهم يسمعونه من عالم تلقاه من تابعي ثم تابعي تلقاه من صحابي ...

وهذه الطريقة في التدرج في القراءة ...مما استتبع لونا آخر من التفسير بدأه التستري، وذاع من بعده لدى كثير من الصوفية كالسلمي والقشيري وغيره، وانتقل هذا التقليد من السالمية إلى بعض الفلاسفة »، وهذا قول باطل، فيجب الإيمان والتصديق أنه نقل إلينا هكذا.

بعقولهم كالكليات والمجردات ونحو ذلك فيظنونها ثابتة في الخارج، وإنما هي في أنفسهم، ولهذا يقول أبو القاسم السهيلي وغيره: نعوذ بالله من قياس فلسفي وخيال صوفي»[1].

لكن إطلاق هذا القول بدعة، لم يرد في الكتاب والسنة ولا عن الصحابة ﷺ ولاالتابعين.

وهذه العبارات التي أطلقوها مجملة، تحتمل باطلين أحدهما دون الآخر، وقد جاء المنع من إطلاق الألفاظ المجملة التي تعني حق وباطل، فما بالك هذه الألفاظ التي تعني الباطل فقط وليس فيها حق؟.

والبحث هنا: هل المراد الحلول كما فهمه الناس من قولهم ؟ أم خيالات صوفية فاسدة ؟.

والصواب أنه لا يعتذر لهم ولا كرامة، بل الحكم على ظاهر قولهم، وهذا القول ترده النصوص، قال الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾[2]، فدلت الآية على أن تحريك اللسان بحروفه مقدور داخل تحت النهي وقال ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم »[3].

فأضاف النبي ﷺ الأصوات إلى القراء، لأنها اكتسابهم وفعلهم، وفرق بينها وبين القرآن الذي هو كلام الله ووحيه وتنزيله، الذي لا يكون من التالي سوى قرائته وأدائه وتبليغه[4].

وقد أجمع السلف والأمة على خلاف ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: « من قال: إن شيئا من أصوات العباد وأفعالهم أو حركاتهم أو مدادهم قديم أو غير مخلوق فهو مبتدع ضال، مخالف لإجماع السلف والأمة »[5].

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٤٩١.

[2] سورة القيامة الآية:١٦.

[3] أخرجه البخاري معلقاً في (كتاب التوحيد، باب: قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة » و « زينوا القرآن بأصواتكم ») جـ٥/٢٣٥٨، وأبو داود في (كتاب الصلاة، باب: كيف يستحب الترتيل في القراءة) جـ٢/ ٢٧٥ حديث رقم ١٤٦٣ (ت/ محمد عوامة ط/ الأولى ١٤١٩هـ الناشر دار القبلة –جدة وغيرها)، والنسائي في (كتاب الصلاة، باب: تزيين القرآن بالصوت) جـ٢/١٧٩ حديث رقم ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، وابن ماجة في (أبواب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن) جـ١/٢٤٣ رقم الحديث ١٣٣٦ ، والإمام أحمد في المسند جـ ٤/ ٤٨٣، ٢٨٥ ، ٣٠٤ ، وصحح الحديث الجديع في العقيدة السلفية ص١٧٤ .

[4] انظر: العقيدة السلفية ص ١٧٤.

[5] مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/٢١١.

وقال أيضاً: « ومن ظن أن الأصوات المسموعة من القراء صوت الله فهو ضال مفتر، مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول، قائل قولا لم يقله أحد من أئمة المسلمين، بل أنكر الإمام أحمد وغيره على من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق وبدّعوه، كما جهّموا من قال لفظي بالقرآن مخلوق، وقالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق كيف تصرف، فكيف من قال لفظي به قديم أو صوتي قديم؟ فابتداع هذا وضلاله أوضح. فمن قال إن لفظه بالقرآن غير مخلوق أو صوته أو فعله أو شيئا من ذلك فهو ضال مبتدع.

وهؤلاء قد يحتجون بقوله﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[1]، ويقولون هذا كلام الله وكلام الله غير مخلوق فهذا غير مخلوق، ونحن لا نسمع إلا صوت القارئ، وهذا جهل منهم، فإن سماع كلام الله، بل وسماع كل كلام يكون تارة من المتكلم به بلا واسطة، ويكون بواسطة الرسول المبلغ له قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾[2].

ومن قال: إن الله كلمنا بالقرآن كما كلم موسى بن عمران، أو أنا نسمع كلامه كما سمعه موسى بن عمران فهو من أعظم الناس جهلا وضلالا، ولو قال قائل: أنا أسمع كلام النبي ﷺ كما سمعه الصحابة منه لكان ضلاله واضحا، فكيف من يقول أنا أسمع كلام الله منه كما سمعه موسى؟! وإن كان الله كلم موسى تكليماً بصوت سمعه موسى، فليس صوت المخلوقين صوتاً للخالق، وكذلك مناداته لعباده بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، وتكلمه بالوحي حتى يسمع أهل السموات والأرض صوته كجر السلسلة على الصفا، وأمثال ذلك مما جاءت به النصوص والآثار كلها ليس فيها أن صفة المخلوق هي صفة الخالق؛ بل ولا مثلها بل فيها الدلالة على الفرق بين صفة الخالق وبين صفة المخلوق فليس كلامه مثل كلامه، ولا معناه مثل معناه، ولا حرفه مثل حرفه، ولا صوته مثل صوته، كما أن علمه ليس كعلمه ولا قدرته مثل قدرته ولا سمعه مثل سمعه

---

[1] سورة التوبة الآية: ٦.

[2] سورة الشورى الآية: ٥١ .

ولا بصره مثل بصره، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله»[١].

ثانياً: حلول القرآن في المصاحف والصدور:

أول من تكلم في هذه المسألة موسى بن عقبة الصوري[٢]، قال: من زعم أن القرآن في صدره، فقد زعم أن في صدره شيئاً من الإلهية، ومن قال هذا فقد قال مثل ما قالت النصارى في عيسى أن كلمة الله فيه.

فأنكر هذا القول الإمام أحمد وقال: ما سمعت بهذا قط، هذا أكثر من الجهمية، واستعظم ذلك، وقال عن موسى: « ليس هذا صاحب حديث، وإنما هو صاحب كلام، لا يفلح صاحب كلام» وقال: « لا يكلم ويجفى ومن كلمه وقد علم فلا يُكلم »[٣].

وقد أجمع أهل السنة على « أن كلام الله لا يفارق ذات الله، وأنه لا يباينه كلامه، ولا شيء من صفاته، بل ليس شيء من صفة الموصوف تباين موصوفها، وتنتقل إلى غيره، فكيف يتوهم عاقل أن كلام الله يباينه وينتقل إلى غيره؟ »[٤] بناء على ما أجمع السلف عليه أن القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود، قال عمرو بن دينار المكي: « أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود »[٥].

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/٢٦٣-٢٦٤.

[٢] لم أجده ترجمة، وزاد ابن تيمية في مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٢/٣٨٩ الصوري أحد كتبة الحديث، وقال محقق الإبانة لم أعرفه.

[٣] انظر: الإبانة لابن بطة (الكتاب الثالث) جـ١/٣٥٥-٣٥٦ رقم٦٤ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٢/٣٨٩ .

[٤] مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٣٩٠ .

[٥] أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص١٦٣ رقم ٣٤٤ (ت/بدر البدر، ط/ الأولى ١٤٠٥هـ الناشر الدار السلفية – الكويت)، والطبري في صريح السنة ص١٩ ت/بدر المعتوق، ط/ الأولى ١٤٠٥هـ الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، والألكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة جـ٢/٢٦٠ رقم ٣٨١ ، وابن بطة في الإبانة (الكتاب الثالث) جـ٢/٧ رقم ١٨٣ ، وسنده صحيح. انظر: حاشية الرد على الجهمية للدارمي ص١٦٣ ، وقد رواه غيرهم لكن بدون قوله: « منه بدأ وإليه يعود » مثل البخاري في خلق أفعال العباد ص٧، والبيهقي في السنن الكبرى جـ١٠/٢٠٥ .

« وقد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب رسول الله ﷺ من البدريين والمهاجرين والأنصار، مثل جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير، وأجلة التابعين، وعلى هذا مضى صدر الأمة »[1].

وقال الإمام أحمد: « كلام الله ليس ببائن منه »[2].

ومعنى ذلك أنه هو المتكلم به لم يخرج من غيره، ولا يقتضي ذلك أنه باينه وانتقل عنه، فقد قال سبحانه في حق المخلوقين: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ ﴾[3]، ومعلوم أن كلام المخلوق لا يباين محله، وقد علم الناس جميعهم أن نقل الكلام وتحويله هو معنى تبليغه، كما قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾[6][7].

والسالمية ليس لهم قول واضح في هذه المقولة، لكن تقدم ما يفهم من أقوال أبي طالب وابن برجان حلوله في الصدور، وإن كانوا لم يصرحوا بلفظ الحلول، وبعض أقوالهما يفهم منها الحلول، في هذه المسألة أو غيرها.

وأما الزبيدي، فيقول: « وكلمات الله ﷻ من معاني ذاته على أنها في الأصل صفة واحدة تتنوع بتنوع إدراكها،...

---

[1] سنن البيهقي الكبرى جـ١٠/٢٠٥ رقم٢٠٦٦٠ ، وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة جـ٢/٢٦١ .

[2] أصول السنة للإمام أحمد ت/ الوليد سيف النصر تعليق/ محمد العباسي ص٤٩ ، ط/ الأولى ١٤١٦هـ الناشر مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

[3] سورة الكهف الآية: ٥ .

[4] سورة المائدة الآية: ٦٧ .

[5] سورة الأحزاب الآية: ٣٩ .

[6] سورة الجن الآية: ٢٨ .

[7] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٣٩٠ .

وبيـــان هـــذا أن الـــنور الواحد يدرك أنواراً كما يدرك القمر في الغدران الكثيرة أقماراً، وكلمات الله نور معنوي لدنّي، وقد شبه الله إدراكه بإدراك النور الشعشعاني »[1].

إلى أن قـــال: « وأمـــا الانفصال فنقول إذا ظهر النور في السماء كان نزوله إضاءته على الأرض دون انفصال،... ومن يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، وهو أقرب من حبل الوريد، لا يمتـــنع أن تكون كلماته معناً من غير انفصال، كما نقول في علمه من تفسير قوله تعالى:﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾[2]، والـــنور المعنوي إنما يدرك بحيث هو، وإن أضاء ما دونه، ولا يعتبر في كلمات الله أجـــزاء تتصل بإذن السامع، إنما يعتبر اتصال الإسماع بالسمع مع هدو[3] الجو، ولهذا يسمع الجم الغفير كلمة واحدة من أماكن مختلفة.

وأما الحلول فنقول إدراك النار في الماء لا يقتضي حلولها فيه،...ولا يجوز أن يحل شيء محلاً مع كونه حالاً في غيره، لأنه مع مفارقته المحل يخرج عن حلوله فيه »[4]، فالزبيدي هنا يدور حول هذه المسألة لكن يحاول تجنب لفظ الحلول.

وقـــد تـــنازع الـــناس في إثبات لفظ الحلول ونفيه هنا، هل يقال: إن كلام الله حال في المصـــحف أوحـــال في الصدور؟ وهل يقال: كلام الناس المكتوب حال في المصحف أو حال في قلوب حافظيه ونحو ذلك؟

١- فمنهم طائفة نفت الحلول كالقاضي أبي يعلى وأمثاله وقالوا: ظهر كلام الله في ذلك ولا نقول: حل؛ لأن حلول صفة الخالق في المخلوق، أو حلول القديم في الحديث ممتنع.

٢- وطائفـــة أطـــلقت القول بأن كلام الله حال في المصحف كأبي إسماعيل الأنصاري الهـــروي ـــ الملقب بشيخ الإسلام ـــ وغيره وقالوا: ليس هذا هو الحلول المحذور الذي نفيناه؛ بل نطلق القول بأن الكلام في الصحيفة ولا يقال بأن الله في الصحيفة أو صدر الإنسان، كذلك نطلق القول بأن كلامه حال في ذلك دون حلول ذاته.

---

[1] جزء فيه رد على من ألحد في الكتاب العزيز ورقة ٥ ب.

[2] سورة المجادلة الآية:٧ .

[3] كذا في الأصل، بدون همز، انظر ماتقدم في ص٢٩٦.

[4] نفس المرجع ورقة٧ ب، ٨ أ.

٣- وطائفة ثالثة كأبي علي بن أبي موسى وغيره قالوا: لا نطلق الحلول نفياً ولا إثباتاً لأن إثبات ذلك يوهم انتقال صفة الربّ إلى المخلوقات، ونفي ذلك يوهم نفي نزول القرآن إلى الخلق، فنطلق ما أطلقته النصوص ونمسك عما في إطلاقه محذور لما في ذلك من الإجمال[1].

والقائل بهذه المسألة لا يسمى قوله حلولاً، فإن الحلولية المشهورين بهذا الاسم من يقول بحلول الله في البشر، وهذا قد يفهم من قول أبي طالب وابن برجان في المسألة السابقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:«فأما قول القائل: إن كلام الله في قلوب أنبيائه وعباده المؤمنين وأن الرسل بلغت كلام الله، والذي بلغته هو كلام الله، وأن الكلام في الصحيفة ونحو ذلك، فهذا لا يسمى حلولاً،ومن سمّاه حلولاً لم يكن بتسميته لذلك مبطلاً للحقائق، وقد تقدم أن ذلك لا يقتضي مفارقة صفة المخلوق له وانتقالها إلى غيره،فكيف صفة الخالق تبارك وتعالى؟»[2].

وقد أخرج الإمام أحمد أحاديث في الرد على موسى بن عقبة، وفيها أن القرآن في صدور المسلمين وقلوبهم، ذكرها ابن بطة كاملة، قال: « وقد أتيت أنا بالأحاديث التي أخرجها أبو عبد الله »[3]، منها: ما رواه البخاري عن النبي ﷺ، وفيه: « ... واستذكروا القرآن، فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم »[4].

وما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: « تعاهدوا هذه المصاحف، وربما قال القرآن، فلهو أشد تفصياً[5]من صدور الرجال من النعم من عقله قال:وقال رسول الله ﷺ...»[6].

قال ابن بطة بعد ذكره للأحاديث: « ففي هذه الأحاديث بيان كذب من زعم أن القرآن لا يكون في صدور المسلمين وقلوبهم، فالمنكر لذلك، ضال مبتدع، وفي الباب أحاديث كثيرة تدل على صحة ما قلناه ورويناه، وتركتها خوفاً من الإكثار »[7].

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٢٩٣-٢٩٤ ، والإيضاح لابن الزاغوني ورقة ١٢٧ب.

[2] مجموع فتاوى ابن تيمية١٢/٢٩٣ .

[3] انظر: الإبانة (الكتاب الثالث) جـ١/٣٥٧-٣٧١ .

[4] أخرجه البخاري في (كتاب فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن) جـ٤/١٦٢١ حديث رقم٥٠٣٢ .

[5] تفصياً:أي اشد خروجاً. انظر:النهاية في غريب الحديث جـ٣/٤٥٢ مادة (فصا).

[6] أخرجه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضائل القرآن وما يتعلق به) جـ١/٥٤٤ ، تابع حديث رقم٧٩٠ .

[7] الإبانة (الكتاب الثالث) جـ١/٣٧١ .

وأما قول من قال: إن القرآن العربي كلام الله بلغه عنه رسول الله ﷺ، وأنه تارة يسمع من الله، وتـــارة من رسله مبلغين عنه، وهو كلام الله حيث تصرف، وكلام الله تكلم به لم يخلقه في غيره ولا يكون كلام الله مخلوقا، ولو قرأه الناس وكتبوه وسمعوه، وقال مع ذلك: إن أفعال العباد وأصواقم وسائر صفاقم مخلوقة فهذا لا ينكر عليه، وإذا نفى الحلول وأراد به أن صفة الموصوف لا تفارقـــه وتنتقل إلى غيره فقد أصاب في هذا المعنى؛ لكن عليه مع ذلك أن يؤمن أن القرآن العربي كـــلام الله تعـــالى وليس هو ولا شيء منه كلاماً لغيره، ولكن بلغته عنه رسله، وإذا كان كلام المخـــلوق يبلغ عنه مع العلم بأنه كلامه حروفه ومعانيه، ومع العلم بأن شيئاً من صفاته لم تفارق ذاته؛ فالعلم بمثل هذا في كلام الخالق أولى وأظهر والله أعلم[1].

* * *

وبعـــد هـــذا العرض لمذهب السالمية في مسألة الكلام نلاحظ محاولتهم تبني آراء السلف المشـــهورة، ولكن بمناهج مبتدعة؛ كلامية وصوفية، أدت إلى هذا التخبط، حتى قالوا بهذه الأقوال التي يعلم العقلاء بطلانها شرعاً وعقلاً.

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/٢٩٥ .

الفصل الرابع

الرؤية عند السالمية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : رؤية الله في الجنة عند السالمية

المبحث الثاني : رؤية الله في عرصات يوم القيامة عند السالمية

المبحث الثالث : رؤية الله في الدنيا عند السالمية

تمهيد:

رؤيـــة الـــرب ــ تــبارك وتعالى ــ من المسائل التي حصل فيها الخلاف بين أهل السنة والجماعـــة ومخالفيهم، ولما كان ارتباط هذه المسألة بالقول في صفات الرب ــ تبارك وتعالى ــ، تقـــدم الكلام عليها في هذا الموضع، وإلا موضعها في مسائل اليوم الآخر، لأن من أثبت الصفات للرب ــ تعالى ــ أثبت رؤية الله في الجنة، ومن نفاها لم يستطع إثباتها، حتى ولو حاول الجمع بين نفـــي الصفات أو بعضها وإثبات الرؤية لتناقض كما فعلت الأشعرية، وأيضاً ارتباط هذه المسألة بصـــفة الكلام، فمن أثبت التكلم أثبت الرؤية ومن أنكر التكليم أنكر الرؤية، وقد سبق بيان صفة الكلام، فحري أن يبين بعدها الرؤية.

وأهل السنة والجماعة في هذه المسألة وغيرهما هم وسط بين فرق الضلال، فهم وسط بين مـــن نفـــي الـــرؤية تماماً، وبين من زاد حتى أثبتها في الحياة الدنيا، وقد رد أهل السنة على كلتا الطائفتين.

والسالمية لهم آراء في الرؤية وافقوا في بعضها الحق، وخالفوا في أخرى، وقد اشتهروا بهذه المســـألة حتى قال الإمام عبد الرحمن بن منده عند ذكر حاله مع الفرق: « وإذا رويت حديثاً في الرؤية قالوا: سالميا»[1].

ويتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: رؤية الله ــ تعالى ــ في الجنة عند السالمية.

المبحث الثاني: رؤية الله ــ تعالى ــ في عرصات يوم القيامة عند السالمية.

المبحث الثالث: رؤية الله ــ تعالى ــ في الدنيا عند السالمية.

---

[1] ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب جـــ٣/٢٨-٢٩ ، وقد نقل هذا القول الشاطبي في الاعتصام جـــ١/١٤ ونسبه لعبد الرحمن بن بطة، وفي نسب ابن منده ابن بطة.

المبحث الأول: رؤية الرب ـ تبارك وتعالى ـ في الجنة.

أولاً: تعريف الرؤية لغة واصطلاحاً:

الرؤية في اللغة: هي النظر بالعين والقلب[١]، ورأيت الشيء رؤية: أبصرته بحاسة البصر[٢]، والرؤية إذا أضيفت إلى الأعيان كانت بالبصر، وقد يراد بها العلم بقرينة ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[٣]، والـرؤية مع الإحاطة تسمى إدراكاً، وهي المراد في قوله تعالى:﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[٤] [٥].

واصطلاحاً: يعرف المتكلمون الرؤية بتعريفات منها:

أن رؤية العين: هي انطباع صورة المرئي في القوة الباصرة.

ومنها: أن رؤية العين: هي اتصال الشعاع المنبسط من العين المتصل بالمرئي.

ومنهم من قال إنها: نوع كشف وعلم.

وهذه الأقوال عند كثير من المتكلمين[٦] ، ولا تخلو من خطأ وصواب، والحق شيء غيرها.

وما ذكروه من انطباع، ومقابلة وشعاع، ونسبة وإضافة: هو سبب وشرط، والمقتضى هو القوة القائمة بالمحل.

والصواب: أن رؤية العين هي: أن الله ـــ سبحانه ـــ جعل في العين قوة باصرة، كما جعل في الأذن قوة سامعة، وفي الأنف قوة شامة، ...فهذه قوى أودعها الله في هذه الأعضاء[٧].

---

[١] القاموس المحيط ص١٦٥٨ .

[٢] المصباح المنير ص٩٤ الراء مع الواو وما يثلثهما.

[٣] سورة الفرقان الآية: ٤٥ .

[٤] سورة الأنعام الآية: ١٠٣ .

[٥] انظر: الكليات لأبي البقاء الكفوى ت/ د. عدنان درويش ومحمد المصري ص٤٧٤ ط/ الثانية ١٤١٣هـ الناشر مؤسسة الرسالة-بيروت.

[٦] انظر: شرح صحيح مسلم جـ٣/١٩-٢٠ ، وفتح الباري جـ١٣/٥٢٣-٥٢٤ .

[٧] انظر: مدارج السالكين جـ٣/٢٥٧ .

ثانياً: أقوال الناس في رؤية الرب ــ تعالى ــ في الجنة:

اختلف الناس في رؤية الله ــ تعالى ــ في الجنة على ثلاثة أقوال، وهي:

أ ــ الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين قالوا: إن الله ــ تعالى ــ يُرى في الآخرة بالأبصار عياناً، وهذا قول أهل السنة والجماعة، والمنتسبين إلى السنة والجماعة من الكلابية، والأشعرية والسالمية والكرامية والصوفية وغيرهم[1].

إلا أن متأخري الأشعرية لما نفوا العلو تناقضوا في الرؤية، فقالوا: إن الله يرى لا في جهة، وأن المؤمن لا ينعم بنفس رؤية ربه، وصرح بعض محققيهم: أنها مزيد من العلم، وعليه استقر المذهب[2].

ب- الجهمية وجمهور المعتزلة، وبعض المرجئة، ومتأخروا الخوارج والزيدية والرافضة، يقولون: لا تجوز الرؤية على الله تعالى، وأنه تعالى لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة[3].

ج- ومن المعتزلة من أقر بالرؤية، وفسروها بزيادة كشف أو علم، أو جعلها بحاسة سادسة ونحو ذلك، وبهذا قال بشر المريسي وضرار بن عمرو.

والنزاع لفظي بين المعتزلة ومتأخري الأشعرية الذين أقروا بالرؤية ونزاعهم مع أهل السنة معنوي[4].

أما السالمية فليس هناك خلاف بينهم وبين أهل السنة والجماعة في إثبات الرؤية في الجنة، يقول أبو طالب المكي من السالمية في شرح عقود القلب التي هي السنة المجتمع عليها: « ويؤمن بالنظر إلى الله ﷻ عياناً بالأبصار كفاحاً مواجهة، تكشف الحجب والأستار بقدرة الله ومشيئته ونوره ورحمته كيف شاء »[5]، ثم ذكر دليل ذلك، وهي عند أبي طالب الخصلة الرابعة عشرة من

---

[1] انظر: التبصير في معالم الدين للطبري، ت/ علي الشبل ص٢١٩ ، ط/ الأولى ١٤١٦هـ الناشر دار العاصمة-الرياض، والفرق بين الفرق ص٣٣٥ ، والتعرف لمذهب أهل التصوف ص٤٤ ، ومنهاج السنة جـ٢/٣١٦ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢/٣٣٧ .

[2] انظر: شرح المقاصد جـ٤/١٩٧ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/١٣٧٧-١٣٧٨ .

[3] انظر: التبصير في معالم الدين ص٢١٥ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢/٣٣٨ .

[4] انظر: التبصير في معالم الدين ص٢١٦ ، والاستقامة جـ/٢٩٦-٩٧ ، ودرء التعارض جـ٧/٢٧٨ .

[5] القوت جـ٢/٢١٠ ، وانظر: جـ٢/١٤٣ .

الثمان الواقعات في الآخرة، وهو هنا لم يذكر الرؤية في جهة العلو وسبق ذكر مذهبه في العلو.

وقـال ابن عبد الله البصري المالكي، في عقيدة السنة التي ذكر أنه أجمع السلف والخلف عليها: «ورؤيـة الله ـ تعالى ـ» وجعلها الخصلة الثانية عشر من المتعلقة بالآخرة، وقد أفردها بالكلام، قال: « وسنتكلم على كل مسألة بذاها ونقيم الدليل على ذلك من كتاب وسنة ونظر »[1].

وابـن بـرجان يثبتها وقد ذكر قوله ﷺ: « ترون ربكم كما ترون الشمس صحوا...» قال: « أخبر عن هذه الرؤية أنها في الجنة إن شاء الله »[2]، وقد ذكر مسائل سيأتي بيانها.

ثالثاً: اعتقاد أهل السنة والجماعة إثبات رؤية الرب ـ تبارك وتعالى ـ في الجنة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن رؤيته سبحانه، هي أعلى مراتب النعيم، وغاية مطلوب الذين عبدوا الله مخلصين له الدين، وإن كانوا في الرؤية على درجات حسب قربهم من الله ومعرفتهم به[3].

والأدلة على ذلك كثيرة جداً، بلغت حد التواتر، أذكر طرفاً منها:

١- قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[4] قال أبو طالب المكي: « الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى الله تبارك وتعالى، وكذلك فسره رسول الله ﷺ »[5] وما ذكره صحيح، روى صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فمـا أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ثم تلا هذه الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ »[6].

وصحت الروايات عن جمع من الصحابة والتابعين بتفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الرب[7].

---

[1] انظر: أصول السنة والتوحيد ـ نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٥٠٣ .

[2] انظر: تفسير ابن برجان ورقة ٣٧١أ، والحديث قريب من لفظ حديث أبي سعيد الخدري وسيأتي.

[3] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٤٨٥ ، وحادي الأرواح ص٣٦١ .

[4] سورة يونس الآية: ٢٦ .

[5] القوت جـ٢/٢١٠ .

[6] أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ـ سبحانه وتعالى ـ) جـ١/١٦٣ رقم١٨١ .

[7] انظر: تفسير الطبري جـ٦/٥٤٩-٥٥٣ ، وحادي الأرواح لابن القيم ص٣٦٤-٣٦٨ .

٢- قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[١]، فأضيف النظر إلى الوجه الذي هو محله، وعُدي بـ "إلى" الصريحة في نظر العين، فدلت الآية على أن الله تعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب ﷻ[٢]،وهذا تفسير ابن عبّاس[٣].

٣- قوله تعالى:﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[٤]، والمزيد هو النظر إلى وجه الله ـ تبارك وتعالى ـ، قاله علي بن أبي طالب وأنس بن مالك وبعض التابعين[٥]، ومن الأدلة قوله تعالى:﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[٦]، قال الشافعي:« دلالة على أن أولياءه يرونه يوم القيامة بأبصار وجوههم »[٧].

وأما الأحاديث فكثيرة جداً بلغت حد التواتر، وردت عن سبعة وعشرين صحابيا، في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها[٨]، واكتفي بذكر بعض ما أورده الإمام البخاري

---

[١] سورة القيامة الآية: ٢٢ ،٢٣ .

[٢] انظر: حادي الأرواح ص٣٧٢ .

[٣] انظـر: تفسير الطبري جـ١٢/٣٤٤ ، وقد روى ابن جرير تفسير الآية عن النبي ﷺ. ولكن في السند ضعف، ففيه: ثوير بـن أبي فاختة، وهو: سعيد بن عِلاَقة الكوفي أبو الجهم، ضعيف رمي بالرفض. انظر: التقريب جـ١/١٥١ رقم ٨٦٤ ، ومصعب بن المِقْدام الخثعمي، مولاهم، أبو عبد الله الكوفي، صدوق له أوهام، مات سنة ٢٠٣هـ. انظر: التقريب جـ٢/ ١٨٧ رقم ٦٧١٨ لذا اكتفيت بتفسير ابن عبّاس وقد ورد بعدة طرق. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٦/ ٤٠٣: « وهذه الأحاديث عامتها إذا جرد إسناد الواحد منها لم يخل من مقال قريب أو شديد، لكن تعددها وكثرة طرقها يغلب على الظن ثبوتها في نفس الأمر، بل قد يقتضى القطع بها » ا.هـ. وقد ذكر هذا في رؤية الرب تعالى يوم الجمعة.

[٤] سورة ق الآية: ٣٥ .

[٥] انظر: تفسير الطبري جـ١١/٤٢٩ .

[٦] سورة المطففين الآية: ١٥.

[٧] الإبانة لابن بطة، الكتاب الثالث جـ١/٦٠ رقم ٥٥ قال محققه الوليد بن محمد بن سيف النصر: إسناده صحيح.

[٨] انظر: حادي الأرواح ص٣٧٣ ، وقد ذكر أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث الرؤية، ثم أورد أحاديثهم، وقال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٤: « قد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً ».

في صحيحه، في باب قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾، في كتاب التوحيد.

٤- منها: حديث جرير بن عبد الله البجلي ﷺ قال: كنّا جلوساً عند النبيّ ﷺ، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، قال: « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا »[١].

٥- وعنه ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر، فقال: « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته »[٢].

٦- وعن عبد الله بن قيس ﷺ، عن النبيّ ﷺ قال:« جنّتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاّ رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »[٣].

٧- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: « هل تضّارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً » قلنا: لا، قال: « فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤيتهما »[٤]، وسيأتي الحديث بتمامه.

فهذه بعض الأحاديث التي أخرجها البخاري في هذا الباب، وقد أجمع الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان على رؤية الربّ ﷻ في الآخرة[٥]، وقد نُقل إثبات الرؤية عن أئمة السلف وأهل اللغة وأئمة المذاهب الأربعة كأبي حنيفة والإمام مالك والشافعي وأحمد وغيرهم[٦].

---

[١] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد) في الباب المذكور أعلاه ج٥/٢٣١٩ رقم الحديث ٧٤٣٤ .

[٢] البخاري جـ٥/٢٣٢٠ رقم الحديث ٧٤٣٦ .

[٣] البخاري جـ٥/٢٣٢٥ رقم الحديث ٧٤٤٤ .

[٤] البخاري جـ٥/٢٣٢٢-٢٣٢٣ رقم الحديث ٧٤٣٩ .

[٥] انظر: الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة للبيهقي ص٦٣ ، وحادي الأرواح ص٣١٢ .

[٦] انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي جـ٣/٤٧٠ وما بعدها تحت عنوان "سياق ما روي عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين في رؤية المؤمنين الرب ﷻ"، وفي حادي الأرواح ص٤٠٩-٤٢٠.

رابعاً: مسائل ذكرها بعض أعلام السالمية:

أ ـــ لا يذكرون أن المؤمنين يرون ربهم من فوقهم، كما يقول أهل السنة والجماعة، وعبارتهم لا يذكرون فيهما هذه المسألة لا نفياً ولا إثباتاً، بل قد يفهم من بعض عباراتهم اعتقادهم خلاف ذلك، يقول أبو طالب: « ويؤمن بالنظر إلى الله ـــ جل جلاله ـــ عيانا بالأبصار كفاحاً مواجهة »[١]، وكفاحاً: "مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول"[٢]، وما ذكره أبو طالب معنىً صحيح[٣]، لكن بمقارنته بقوله في العلو قد يفهم منه نفي الرؤية من فوق.

وقال ابن برجان ـــ في الرؤية في الآخرة ـــ: « عدمت الناحية فيما هنالك والمقابلة والمحاذاة، والتلقاء و[الأمام][٤] والإحاطة والحدود والمسافة والتحيز وغير ذلك »[٥]، وهذا قول متأخري الأشاعرة كالغزالي وغيره[٦].

واعتقاد أهل السنة والجماعة أنهم يرونه من فوقهم، ولا « يمكن أن يروه إلا من فوقهم، لاستحالة أن يروه من أسفل منهم، أو خلفهم، أو أمامهم، أو عن يمينهم، أو عن شمالهم »[٧].

وجوابهم من وجوه:

١- لهذه المسألة ارتباط وثيق بمسألة العلو، فمن صفاته الذاتية العلو المطلق، علو الذات والقدر، والقهر، ويدل عليه تشبيه الرؤية برؤية القمر، أي من فوق، وليس في الحديث تشبيه الرب ـــ تعالى ـــ بالقمر حاشا وكلا، ودلت الأحاديث الصحيحة على أن عرش الرحمن سقف الجنة[٨]،

---

[١] القوت جـ٢/٢١٠ .

[٢] النهاية في غريب الحديث جـ٤/١٨٥ مادة (كفح).

[٣] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٦/٨٥ .

[٤] في الأصل (والاءمم)، ولعل الصواب ما أثبت أعلاه.

[٥] شرح الأسماء الحسنى ورقه ٦٠ ب.

[٦] انظر: الاقتصاد للغزالي ص٤١ .

[٧] انظر: حادي الأرواح ص٤٢٢ .

[٨] منها ما أخرجه البخاري في (كتاب الجهاد، باب: درجات المجاهدين) جـ٢/٨٦٤ حديث رقم٢٧٩٠ ، ولفظه: « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله ﷺ للمجاهدين... فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن... » وطرفه ٧٤٢٣ ، وقد ذكر الأحاديث ابن القيم في حادي الأرواح ص٢٣٨-٢٤٣ .

فيكون تجلى الرب ـــ تعالى ـــ لعباده وأوليائه من فوق.

٢- « ومن قال: يرى لا في جهة، فليراجع عقله، فإما أن يكون مكابراً لعقله، أو في عقله شـــيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره، ولا فوقه، ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة »[١].

٣- الـــرؤية مســـتلزمة لأن يكـــون الله ـــ تعالى ـــ بجهة العلو من الرائي، وقد ثبت هذا بالنصوص المتواترة[٢]، كما تقدم.

٤- معـــلوم أنه لما كانت رؤيته سبحانه مثل رؤية الشمس والقمر وجب أن يرى في جهة العـــلو من الرائي، كما أن الشمس والقمر كذلك، فإنه لو لم يكن كذلك لأخبرهم النبي ﷺ برؤية مطـــلقة، نـــتأولها على ما يتأول من يقول بالرؤية في غير جهة، أما بعد أن يستفسرهم عن رؤية الشـــمس صحواً، ورؤية البدر صحوا، ويقول: « إنكم ترون ربكم كذلك » فهذا لا يمكن أن يتأول على الرؤية التي يزعمونها[٣].

٥- مـــآل من أثبت الرؤية ونفى الجهة إلى نفيهما جميعاً، وإلا تناقض[٤]، وأبو طالب المكي وابن برجان اضطربا في العلو، وحقيقة قولهم نفيه.

ب ـــ ذكر ابن برجان مسائل أخرى في الرؤية، قال ابن برجان: « فصل: فأما القول على مـــا ورد مـــن ذكر الرؤية على الدوام الذي عبر عنه قول رسول الله ﷺ ترون ربكم كما ترون القمر...

ولم يكـــن رســـول الله ﷺ ليمـــثل رؤية الله ـــ جلّ جلاله وتعالى علاه وشأنه ـــ فأقول قـــد تـــبرأ منه خليله ومدحه على ذلك[٥]، فالمعتمد عليه أنها رؤية على الدوام لا أفول تعقبها ولا زوال يعتريها خلا مشيئته في الحجب والاحتجاب... ».

---

[١] شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٥ .

[٢] انظر: بيان تلبيس الجهمية جـــ٢/٤٠٩ .

[٣] انظر: نفس المرجع جـــ٢/٤١١ .

[٤] انظر: درء التعارض جـــ١/٢٥٠ .

[٥] يشير إلى قوله تعالى على لسان إبراهيم ﷺ: ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ سورة الأنعام الآية: ٧٦.

ثم ذكر الحديث: " وأن أعلاهم منزلة لمن ينظر إلى الله بكرة وعشية..." ثم قال: «وإنما ذلك ــ وهو أعلم ــ على قدر حضور المشاهدة ودوام حال المراقبة ورؤية الإيمان، كما أنه له ثواب رؤية أوقات الصلوات وقد نص عليها رسول الله ﷺ: " إذا صلى أحدكم فإن الله قبل وجهه إذا صلى".

ثم لــه رؤية الأوقات صلوات الجمعات وقد نص عليها رسول الله ﷺ بذكر الزيارة،... "وذلك مقدار انصرافكم من صلاة الجمعة" »[1].

وما ذكره مسائل:

١- رؤية الرب ــ تعالى ــ يوم الجمعة لأهل الجنة:

وردت فيه أحاديث وآثار، صحيحة بمجموع طرقها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كلامه على أحاديث الرؤية يوم الجمعة: « وهذه الأحاديث عامتها إذا جرد إسناد الواحد منها لم يخل من مقــال قريب، أو شديد، لكن تعددها وكثرة طرقها يغلب على الظن ثبوتها في نفس الأمر بل قد يقتضــى القطــع بها، وأيضاً فقد روي عن الصحابة والتابعين ما يوافق ذلك، ومثل هذا لا يقال بالرأي، وإنما يقال بالتوقيف »[2].

وأكثر من جمع هذا الباب أبو بكر الأجري[3]، وأبو نعيم الأصبهاني[4]، وابن كثير[5] وغيرهم.

وأجود أسانيد هذا الباب، إسناد حديث ابن مسعود ﷺ وفيه التصريح بالرؤية يوم الجمعة في جميع طرقه ــ مرفوعها وموقوفها ــ[6].

أخــرج ابــن ماجه عن ابن مسعود، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس

---

[1] تفسير ابن برجان ورقة ٢٣٠ ، وانظر: شرح الأسماء الحسنى ورقه ٦٧ أ.

[2] مجموع فتاوى ابن تيمية جــ٦/٤٠٣ .

[3] انظر: الشريعة جــ٢/٣١ وما بعدها.

[4] انظر: صفة الجنة لأبي نعيم ت/ علي رضا جــ٢/٢٢٥-٢٢٩ ، ط/ الثانية ١٤١٥هــ الناشر دار المأمون للتراث-دمشق، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جــ٦/٤٠١ .

[5] انظــر: صفة الجنة وما فيها من النعيم المقيم لابن كثير ت/ يوسف بدوي ص١٢٦-١٣٩ ، ط/ الأولى ١٤١٠هــ الناشر دار ابن كثير-دمشق.

[6] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جــ٦/٤٠١-٤٠٢ .

يجلســون من الله ﷻ يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعة، الأول والثاني والثالث » ثم قال: « رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد »[١].

وصحح بعض طرقه شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]، وقال: « وهذا الذي أخبر به ابن مسعود أمر لا يعرفه إلا نبي أو من أخذه عن نبي، فيعلم أن ابن مسعود أخذه عن النبي ﷺ »[٣].

وعــن أنــس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « أتاني جبريل وفي يده كالمرآة البيضاء فيها كالنكــتة السوداء، قلت يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة، قلت: وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير... قال: قلت وما هذه النكتة فيها؟ قال: هي الساعة، وهي تقوم يوم الجمعة، وهو عندنا خير الأيام، ونحن ندعوه يوم القيامة، ويوم المزيد، قلت: مما ذلك؟ قال: لأن ربك ــ تعالى ــ اتخذ في الجــنة وادياً من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه، ...ثم يتجلى لهم ربهم ــ تعالى ــ قال: وذلك مقدار انصرافكم من الجمعة،... قال: فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى الجمعة ليزدادوا إلى ربهم نظراً، أو يزدادوا منه كرامة »[٤]، وللحديث طرق كثيرة، وهوأشهر

---

[١] أخــرجه ابــن ماجة في (أبواب إقامة الصلاة، باب: ما جاء في التهجير إلى المسجد) جــ١/١٩٧ حديث رقم ١٠٨٠، مرفوعا واللفظ له، وسنده ضعيف. انظر ظلال الجنة للألباني ج١/٢٧٦ رقم٦٢٠ (مع السنة لابن أبي عاصم)، وأخرجه موقوفــا بألفاظ مختلفة جماعة منهم: عبد الله بن الإمام أحمد في السنة جــ١/٢٥٩ رقم٤٧٦ ، والدارقطني في الرؤية ص ٢٦٨،٢٦٩ رقــم١٦٧،١٦٦،١٦٥ ، والطبراني في المعجم الكبير جــ٩/٢٣٧-٢٣٨ رقم٩١٦٩ ، وابن بطة في المختار من الإبانة (الكتاب الثالث) جــ٣/٤٢-٤٣ رقم٣١ ، وقال محقق المختار من الإبانة/ الوليد سيف النصر جــ٣/٤٢ في الهامش: حسن لغيره.

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جــ٦/٤٠٣-٤٠٤ .

[٣] مجموع فتاوى ابن تيمية جــ٦/٤٠٥ .

[٤] أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة جــ١/٢٥٠ رقم٤٦٠ ، والآجري في الشريعة جــ٢/٣١-٣٤ رقم٦٥٤ ، وابن منده في التوحيد جــ٣/٤٠ رقم ٣٩٧ ورقم ٣٩٨ ، ت/ د.علي فقيهي، ط/ الثانية ١٤١٤هــ الناشر مكتبة الغرباء – المدينة، وأبو يعلى في مسنده جــ٧/٢٢٨ رقم ٤٢٢٨ ، والدارقطني في الرؤية ص١٧٢-١٨٣ أرقام من٥٩ إلى٦٩ ، والطــبراني في المعجــم الأوسط جــ٧/٣٦٧ رقم٦٧١٣ ط/ د. الطحان، وابن بطة في المختار من الإبانة (الكــتاب الثالث) جــ٣/٢٤-٢٩ رقم ٢٤ ، وقال محققه: صحيح لغيره، والبزار في مختصر الزوائد لابن حجر ت/صبري بن عبد الخالق جــ٢/٤٨٩ رقم ٢٢٧٢ ط/ الأولى ١٤١٢هــ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية -بيروت.

أحاديث هذه المسألة[١]، قال الذهبي بعد ذكره لبعض طرقه:«وهذه طرق يعضد بعضها بعضاً»[٢]، وقال ابن القيم:«هذا حديث كبير عظيم الشأن، رواه أئمة السنة، وتلقوه بالقبول»[٣]، وقال ابن كثير بعد أن ذكر بعض طرق الحديث: « فهذه طرق جيدة عن أنس »[٤].

ولكـــن حديث أنس قد يعارض بما أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قـــال: « إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال... »[٥]، فليس فيه إلا أنهم يأتون السوق وفيه يزدادون حسناً وجمالاً، ولم يذكر رؤية الرب ــ تبارك وتعالى ــ.

وعـــلى هذا فإذا كانت زيادة بعض الحديث على بعض غير مقبولة، بل يجعل نوع تعارض فينبغي أن لا يقبل في الباب حديث برؤية الله يوم الجمعة، لأنه ليس فيها شيء يقاوم حديث أنس هذا الذي في صحيح مسلم.

لكـــن الصواب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « إن ما في تلك الأحاديث من الزيادات لا ينافي هذا ــ وإن كان هذا أصح ــ فإن الترجيح إنما يكون عند التنافي، وأما إذا أخبر في أحد الحديثين بشيء، وأخبر في الآخر بزيادة أخرى لا تنافيها كانت تلك الزيادة بمنزلة خبر مستقل »[٦].

وجـــاء عن حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ[٧] نحو حديث أنس بزيادته على ما تقدم، وفيه ألفاظ أخرى[٨].

وعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: « إن أهل الجنة يرون ربهم ــ تعالى ــ في كل يوم

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٤٠٦ .

[٢] العلو للعلي العظيم للذهبي جـ١/٣٦٥ .

[٣] حادي الأرواح ص٣٩١ .

[٤] صفة الجنة لابن كثير ص١٣٤ .

[٥] أخرجه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: في سوق الجنة وما ينالون فيها) جـ٤/٢١٧٨ رقم الحديث ٢٨٣٣ .

[٦] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٤٠٦-٤٠٧ .

[٧] أخرجه البزار في مختصر الزوائد جـ٢/٤٧٨ رقم الحديث ٢٢٧١ ، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة ت/ عمرو سليم ص٢٢٣-٢٢٥ رقـم ٣٣٨ ، ط/ الأولى ١٤١٧هـ الناشر مكتبة ابن تيمية – القاهرة، وابن بطة في المختار من الإبانة (الكتاب الثالث) جـ٣/٣١-٣٦ رقم٢٦ ، وقال محققه: إسناده ضعيف.

[٨] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٤١٦ .

جمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة، وأبكرهم غدوا »[1].

قـــال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما حديث ابن عباس ﷺ فروي من غير وجه صحيح في كتاب الأجري وابن بطة وغيرهما »[2].

وأخرج الترمذي وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال: أخبرني رسول الله ﷺ: « إن أهل الجنة إذا دخـــلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم، ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، ...

قـــال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة، ... الحديث »[3].

فهـــذه أحاديث رؤية الرب ـــ تبارك وتعالى ـــ في يوم الجمعة قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية: « في بعضها ذكر الرؤية في الجمعة وليس فيه ذكر تقدير ذلك بصلاة الجمعة في الدنيا كما في حديـــث أبي هريرة حديث سوق الجنة، وفي بعضها أنهم يجلسون من الله يوم الجمعة في الآخرة على قدر رواحهم إلى الجمعة في الدنيا، وليس فيه ذكر الرؤية ـــ كما تقدم في حديث ابن مسعود

---

[1] أخرجه الأجري في الشريعة جـ٢/٣١ رقم ٦٥٣ ، وابن بطة في المختار من الإبانة (الكتاب الثالث) جـ٣/٤١-٤٢ رقم ٣٠ ، وقال محققه: حسن لغيره، واللفظ للأجري.

[2] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٤١٧ .

[3] أخـــرجه الـــترمذي في (كتاب صفة الجنة، باب: ما جاء في سوق الجنة) جـ٤/٦٨٥ رقم الحديث ٢٥٤٩، وقال: « حديـــث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد روى سويد بن عمرو وعن الأوزاعي شيئاً من هذا الحديث » ا.هـــ، وابن ماجه في (كتاب أبواب الزهد، باب: صفة الجنة) جـ٢/٤٥٦-٤٥٧ رقم ٤٣٩٢ ، وابن أبي عاصم في السنة جـ١/٢٥٨-٢٦٠ رقم٥٨٥ ،٥٨٦ ، ٥٨٧ ، وقد ضعفه الألباني في ظلال الجنة مع السنة بهشام ابن عمار ا.هـــ، وصححه د. بشار عواد معروف في هامش سنن ابن ماجه جـ٥/٦٩٧ (ط/ الأولى ١٤١٨هـــ الناشر دار الجيل – بيروت) وأجاب عن علل الحديث.

وقـــال شـــيخ الإســـلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى جـ٦/٤١٩: « قد روى هذا الحديث ابن بطة في الإبانة بأسانيد صـــحيحة عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج عن الأوزاعي، وعن محمد بن كثير عن الأوزاعي عن عبد الله بن صالح حدثني الهقل عن الأوزاعي قال: نبئت أنه لقي سعيد بن المسيب أبا هريرة... . وهذا يبين أن الحديث محفوظ عن الأوزاعي لكن تلك الروايات سمى من حدثه، وفي الروايات البواقي الثانية لم يسم فالله أعلم » ا.هـــ.

المرفوع ــ وفي بعضها ذكر الأمرين جميعاً، وهي أكثر الأحاديث.

وليست الأحاديث المتضمنة للرؤية المجردة عن تقدير ذلك بصلاة الجمعة بدون الأحاديث المتضمنة لذلك: لا في الكثرة ولا في قوة الأسانيد، بل المتضمنة لذلك أكثر منها وإسناد بعضها أجود من إسناد تلك، ولو كانت تلك أكثر، ورويت هذه الزيادة بإسناد واحد ــ من جنس تلك الأسانيد ــ لكان حكمها في القبول والرد كحكم المزيد؛ لعدم المنافاة »[1].

وقال:« لما كان الرجال قد شرع لهم في الدنيا الاجتماع لذكر الله ومناجاته، وترائيه بالقلوب، والتنعم بلقائه في الصلاة كل جمعة، جعل لهم في الآخرة اجتماعاً في كل جمعة لمناجاته ومعاينته، والتمتع بلقائه »[2].

وقال ابن كثير : « ذكر رؤية أهل الجنة ربهم ﷻ في مثل أيام الجمع في مجتمع معد لهم،... وهؤلاء يرونه تعالى أيضاً في المجمع الأعم الأشمل، وهو في مثل أيام الجمع حيث يجتمع أهل الجنة في واد أفيح، أي متسع من مسك أبيض، فيجلسون فيه على قدر منازلهم، ...

ويباشرون بأنواع الإكرام مما لا يخطر في بال أحد قبل ذلك، ثم يتجلى لهم الحق ــ سبحانه وتعالى ــ ويخاطبهم واحداً واحداً، كما دلّ على ذلك الأحاديث »[3].

وأحاديث الرؤية يوم الجمعة، والرؤية غدوة وعشياً لأعلى أهل الجنة، رواها السلف في كتب العقائد مستدلين بها كابن بطة[4] والآجري[5] وغيرهم.

٢- رؤية الرب ــ تعالى ــ بكرة وعشية:

ليس على هذه المسألة دليل صريح صحيح، ولكن يفهم من حديث جرير بن عبد الله البجلي ﷺ قال: قال النبي ﷺ:« إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس،وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا».

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٤٠٩ .

[2] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٤٢٠ .

[3] صفة الجنة لابن كثير ص١٢٦-١٢٧ .

[4] انظر: المختار من الإبانة جـ٣/٤٢ وما بعدها.

[5] انظر: الشريعة جـ٢/٣١ وما بعدها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « ورأيت أن النبي ﷺ أخبر المؤمنين بأنهم يرون ربهم، وعقبه بقوله : " فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا " ومعلوم أن تعقيب الحكم للوصف، أو الوصف للحكم بحرف الفاء يدل على أن الوصف علة للحكم، لا سيما ومجرد التعقيب هنا محال، فإن الرؤية قبل التحضيض على الصلاتين وهي موجودة في الآخرة، والتحضيض موجود قبلها في الدنيا.

والتعقيب الذي يقوله النحويون لا يعنون به أن اللفظ بالثاني يكون بعد الأول، فإن هذا موجود بالفاء وبدونها وبسائر حروف العطف، وإنما يعنون به معنى أن التلفظ الثاني يكون عقب الأول، فإذا قلت: قام زيد فعمرو، أفاد أن قيام عمرو موجود في نفسه عقب قيام زيد، لا أن مجرد تكلم المتكلم بالثاني عقب الأول، وهذا مما هو مستقر عند الفقهاء في أصول الفقه، وهو مفهوم من اللغة العربية »[1].

وقال:« فقوله ﷺ: " إنكم سترون ربكم... إلى فافعلوا "، يقتضي أن المحافظة عليها هنا لأجل ابتغاء هذه الرؤية، ويقتضي أن المحافظة سبب لهذه الرؤية، ولا يمنع أن تكون المحافظة توجب ثواباً آخر ويؤمر بها لأجله، وأن المحافظة عليها سبب لذلك الثواب، وأن للرؤية سبباً آخر، لأن تعليل الحكم الواحد بعلل واقتضاء العلة الواحدة لأحكام جائز، وهكذا غالب أحاديث الوعد »[2].

وقال: « ثم لما انضم إلى ذلك ما تقدم من أن صلاة الجمعة سبب للرؤية في وقتها، وكذلك صلاة العيد، ناسب أن تكون هاتان الصلاتان اللتان هما أفضل الصلوات وأوقاتها أفضل الأوقات، فناسب أن تكون الصلاة ــ التي هي أفضل الأعمال، ثم ما كان منها أفضل الصلوات في أفضل الأوقات ــ سبباً لأفضل الثوابات في أفضل الأوقات »[3].

وقال : « ويؤيد هذا المعنى أن الله ــ تعالى ــ قال:﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[4].

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٤٢١-٤٢٢ .

[2] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٤٢٣ .

[3] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٤٢٤ .

[4] سورة الأنعام الآية: ٥٢ .

وقد فسر هذا الدعاء بصلاتي الفجر والعصر[١]، ولما أخبر أنهم يريدون وجهه بهاتين الصلاتين، وأخبر في هذا الحديث " أنهم ينظرون إليه " فتحضيضهم على هاتين يناسب ذلك، أن من أراد وجهه نظر إلى وجهه تبارك وتعالى »[٢].

وأخرج الترمذي وغيره، عن ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: « إن أدنى أهل الجنة مترلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه، ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[٣] »[٤].

وقال ابن كثير ــ بعد ذكره لهذا الحديث ــ: « وله شاهد في الصحيحين[٥]،... ثم قال: وأرشد هذا السياق إلى أن الرؤية في مثل أوقات العبادة، وكأن المبرزين من الأخيار يرون الله ﷻ في مثل طرفي النهار، غدوة وعشية، وهذا مقام عال حتى إنهم يرون ربهم ﷻ على أرائكهم وسررهم كما يُرى القمر في الدنيا في مثل هذه الأحوال، وهؤلاء يرونه أيضاً في المجمع الأعم الأشمل، وهو في مثل أيام الجمع »[٦].

---

[١] انظر: تفسير الطبري جـ٥/٢٠١-٢٠٢ .

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٤٢٤ .

[٣] سورة القيامة الآيتان: ٢٢ ، ٢٣ .

[٤] أخرجه الترمذي في (كتاب صفة الجنة، باب: منه (أي من رؤية الرب تعالى)) جـ٤/٦٨٨ رقم الحديث ٢٥٥٣ ، واللفظ له، وذكر الترمذي: أنه روى مرفوعاً وموقوفاً على ابن عمر، وفي (كتاب التفسير، باب: ومن سورة القيامة) جـ٥/٤٣١ رقم الحديث ٣٣٣٠ ، وقال: حديث غريب، وأخرجه الإمام أحمد جـ٢/١٣ ، ٦٤ ، وأبو يعلى في مسنده جـ١٠/٧٦ رقم الحديث ٥٧١٢ وجـ١٠/٩٦ رقم ٥٧٢٩ ، والآجري في الشريعة جـ٢/٣٨ رقم الحديث ٧٧٢ و٦٦٣ ، والحاكم في المستدرك جـ٢/٥٠٩-٥١٠ ، والبغوي في شرح السنة جـ١٥/٢٣٢ رقم الحديث ٤٣٩٥ ، وابن بطة في المختار من الإبانة (الكتاب الثالث) جـ٣/١٥-١٦ رقم الحديث ١٤ ، وقال محققه: ضعيف.

[٥] ذكر حديث جرير بن عبد الله السابق.

[٦] صفة الجنة لابن كثير ص١٢٦-١٢٧ .

٣ـ ما ذكره ابن برجان أن الرؤية تكون في أوقات الصلوات كلها، لا دليل عليه، بل الرؤية غدوة وعشية لأعلى أهل الجنة لا دليل صحيح عليها، بل استنباط، وكذلك سبق ضعف أدلة الرؤية يوم الجمعة وإن كانت تصح بمجموع الطرق.

والأدلة في الرؤية دلت على أن أهل الجنة محجوبون عنه مثل قوله ﷺ: « وما بين القوم وما بين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه »[١].

وأحاديث الرؤية يوم الجمعة دلت على أنهم لا يرونه كل وقت، والحديث الذي فيه أنهم يرونه غدوة وعشية دل على أنه يراه المتميزون منهم فقط في هاتين الوقتين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « الرؤية لا تكون دائماً للمؤمنين »[٢].

وقال ابن منده: « بيان آخر يدل على أن الله محتجب بالكبرياء »[٣]، ثم ساق الأدلة، التي سبق ذكر بعضها، وقال: « بيان آخر يدل على ما تقدم، وأن الله ﷻ يتجلى لعباده كيف شاء »[٤] ثم ساق حديث أنس.

وما ذكره ابن برجان من قوله: « رؤية على الدوام لا أفول تعقبها ولا زوال يعتريها » إنما هرب من حلول الأعراض ــ عنده ــ بذات الرب ــ تبارك وتعالى ــ، وبناء على مذهبه في نفي الصفات الاختيارية، وسبق بيان ذلك ورده.

لذلك قال بعده: « خلا مشيئته في الحجب والاحتجاب » وأهل الكلام يستدلون بقول الخليل ــ عليهم السلام ــ: ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾[٥] على نفي أن يكون الله يأفل ويتغير ويزول، فيتحرك من مكان إلى مكان، وسبق الرد على هذه العبارات المجملة الباطلة[٦].

---

[١] سبق تخريجه في ص٥٢٧.

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٥٠١ .

[٣] التوحيد لابن منده حـ٣/٣٨ .

[٤] نفس المرجع جـ٣/٤٠ .

[٥] سورة الأنعام الآية: ٧٦ .

[٦] انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات جـ٢/٤٢٩-٤٥٢ ، وما تقدم في ص٣٧٠.

٤ـ اسـتدلال ابن برجان بقوله ﷺ: « إذا صلى أحدكم فإن الله قبل وجهه إذاصلى»[١] على الرؤية في كل وقت:

وقد ذهب الناس في هذا الحديث إلى ثلاثة أقوال:

الأول: ذهـب أهل الكلام إلى تأويل الحديث فقالوا: قوله ﷺ: "فإن الله قبل وجهه": أي الجهـة التي عظمها، وقيل: ثوابه ونحو هذا، فلا يقابل هذه الجهة بالبصاق، الذي هو الاستخفاف بمن يبزق إليه، وإهانته وتحقيره[٢].

وهـذا باطل، فلو لو كان المراد تعظيم القبلة أو الجهة التي عظمها الله، لكان المسلم منهياً عـن البصق جهة القبلة في غير الصلاة، ولما كان النهي في الصلاة فقط، دل على أنه حرم لأجل المخاطبة الإلهية في الصلاة.

الـثاني: ذهـب المعتزلة ومن وافقهم كابن برجان، إلى الاستدلال به، على أن الله في كل مكـان[٣]، و لم أجـد مـن استدل به على دوام الرؤية سوى ابن برجان، ولعل هذا تحقيق لقول الجهميـة "إنه في كل مكان"، فمن كان في كل مكان فرؤيته دائمة، وسبق الرد على هذا في العلو والمعية، وسيأتي في الحلول[٤].

الـثالث: مذهب أهل السنة والجماعة، حمل الحديث على ظاهره، قال شيخ الإسلام ابن تـيمية: « وهو أن العبد إذا قام إلى الصلاة، فإنه يستقبل ربه وهو فوقه، فيدعوه من تلقائه لا من شماله، ويدعوه من العلو لا من السفل، كما إذا قدر أن يخاطب القمر »[٥].

وقال: فإنه « من المعلوم أن من توجه إلى القمر وخاطبه ـ إذا قدر أن يخاطبه ـ لا يتوجه إليه إلا بوجهه مع كونه فوقه، فهو مستقبل له بوجهه مع كونه فوقه، ومن الممتنع في الفطرة أن يستدبره ويخاطبه

---

[١] أخـرجه الـبخاري في (كـتاب الصلاة، باب: حك البزاق باليد من المسجد) جـ١/١٤٧ حديث رقم ٤٠٥ ولفظه: « إذا كان أحدكم يصلى فلا يبصق قبل وجهه، فإن الله قبل وجهه إذا صلى »، ومسلم في (كتاب المساجد، باب: النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها) جـ١/٣٨٨ حديث رقم ٥٤٧ وأخرجه غيرهم.

[٢] انظر: شرح مسلم للنووي جـ٥/٤١-٤٣ ، وفتح الباري جـ١/٦٦٩ .

[٣] انظر: الرسالة العرشية ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٥٧٧ ، وفتح الباري جـ١/٦٦٩ .

[٤] انظر: ما سيأتي في ص٧٨٥.

[٥] انظر: الرسالة العرشية ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٥٧٧ .

مع قصده التام له، وإن كان ذلك ممكناً، وإنما يفعل ذلك من ليس مقصوده مخاطبته، كما يفعل من ليس مقصـــوده التوجه إلى شخص بخطاب، فيعرض عنه وجهه ويخاطب غيره، ليسمع هو الخطاب، فأما مع زوال المانع فإنما يتوجه إليه، فكذلك العبد إذ قام إلى الصلاة، فإنه يستقبل ربه وهو فوقه، فيدعوه من تلقائه لا من يمينه ولا من شماله »[1] فعلى هذا ليس في الحديث دلالة على ما ذكر.

---

[1] الرسالة العرشية ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٥٧٦-٥٧٧ .

المبحث الثاني: رؤية الله ــ تعالى ــ في عرصات يوم القيامة.

وهذا المبحث يتضمن مسألتين:

١- رؤية المؤمنين لربهم في عرصات يوم القيامة:

٢- رؤية الكفار للرب ــ تعالى ــ في عرصات يوم القيامة:

والمسألة الأولى مما لا خلاف فيها بين السنة والجماعة والطوائف المنتسبة إلى السنة، والخلاف فيها مع الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم كالخلاف في رؤية الله في الجنة.

أما المسألة الثانية وهي رؤية الكفار للرب ــ تعالى ــ فحصل فيها خلاف بين أهل السنة، ومخاصمات ومهاجرات، واشتهر قول السالمية فيها، وافقوا فيه بعض أئمة السنة.

أولاً: رؤية المؤمنين لربهم في عرصات يوم القيامة:

الأقوال في هذه المسألة كالأقوال في رؤية الله في الآخرة، فأهل السنة والجماعة ومن وافقهم كالكلابية وبعض الأشعرية والسالمية والكرامية والصوفية وغيرهم، يقولون إن المؤمنين يرون ربهم في عرصات يوم القيامة.

ومن نفى الرؤية في الجنة نفى الرؤية في الدنيا والآخرة كالجهمية ومن تابعهم[1]، أما متأخرو الأشعرية الذين تناقضوا فلا يتكلمون عن هذه المسألة[2].

ولما كانت أدلة المسألتين واحدة، أو متقاربة جداً، فاكتفي بذكرها أثناء ذكر الأقوال في مسألة رؤية الكفار للرب ــ تعالى ــ.

ثانياً: أقوال الناس في رؤية الكفار لربهم في عرصات يوم القيامة:

أول ما انتشر الكلام في هذه المسألة، « وتنازع الناس فيها بعد الثلاثمائة سنة من الهجرة، وأمسك عن الكلام فيها قوم من العلماء، وتكلم فيها آخرون، فاختلفوا فيها على ثلاثة أقوال مع أني ما علمت أن أولئك المختلفين فيها تلاعنوا ولا تهاجروا فيها، إذ في الفرق الثلاث قوم فيهم فضل وهم أصحاب سنة.

---

[1] انظر: ما تقدم في ص٥٢٤.

[2] انظر: على سبيل المثال شرح المقاصد جـ٣/١٨١-٢١١ .

والكلام فيها قريب من الكلام في مسألة محاسبة الكفار هل يحاسبون أم لا ؟، هي مسألة لا يكفـــر فيها بالاتفاق، والصحيح أيضاً أن لا يضيق فيها ولا يهجر، وقد حكى عن أبي الحسن بن بشـــار[١] أنـــه قال: لا يصلى خلف من يقول: إنهم يحاسبون، والصواب الذي عليه الجمهور أنه يصلى خلف الفريقين »[٢].

وقد أفردها شيخ الإسلام ابن تيمية بمصنف ، قال ابن القيم: « ولشيخنا في ذلك مصنف مفرد »[٣] وهي: « رسالته إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم »[٤].

قـــال في أولهـــا: « والذي أوجب هذا أن وفدكم حدثونا بأشياء من الفرقة والاختلاف بيـــنكم، حـــتى ذكروا أن الأمر آل إلى قريب المقاتلة، وذكروا أن سبب ذلك الاختلاف في رؤية الكفار ربهم، وما كنا نظن أن الأمر يبلغ بهذه المسألة إلى هذا الحد، فالأمر في ذلك خفيف.

وإنمـــا المهم الذي يجب على كل مسلم اعتقاده: أن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة في عرصة يوم القيامة وبعدما يدخلون الجنة »[٥].

وقال: « وإنما الغرض بيان أن هذه المسألة ليست من المهمات التي ينبغي كثرة الكلام فيها، وإيقاع ذلك إلى العامة والخاصة حتى يبقى شعاراً، ويوجب تفريق القلوب، وتشتت الأهواء.

وليست هذه المسألة فيما علمت مما يوجب المهاجرة والمقاطعة، فإن الذين تكلموا فيها قبلنا عامتهم أهل سنة واتباع »[٦].

وقال: « وهنا آداب تجب مراعاتها، منها:

١- أن من سكت عن الكلام في هذه المسألة و لم يدع إلى شيء فإنه لا يحل هجره، وإن كان يعتقد أحد الطرفين، فإن البدع التي هي أعظم منها لا يهجر فيها إلا الداعية، دون الساكت، فهذا أولى...

---

[١] لم أجد له ترجمة.

[٢] انظر: رسالة إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جـــ٦/٤٨٦ .

[٣] حادي الأرواح ص٣٦٤ .

[٤] طبعت ضمن مجموع الفتاوى ابن تيمية جـــ٦/٤٨٥-٥٠٧ .

[٥] انظر: رسالة إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جـــ٦/٤٨٥ .

[٦] مجموع فتاوى ابن تيمية جـــ٦/٥٠٢ .

ومن ذلك:

٢- أنه ليس لأحد أن يطلق القول بأن الكفار يرون ربهم من غير تقييد لوجهين:

أحدهما: أن الرؤية المطلقة قد صار يفهم منها الكرامة والثواب، ففي إطلاق ذلك إيهام وإيحاش...

الثاني: أن الحكم إذا كان عاماً [ففي][1] تخصيص بعضه باللفظ خروج عن القول الجميل فإنه يمنع من التخصيص... »[2]، فلايقال: على الإنفراد يراه الكفار.

وأما الأقوال في هذه المسألة فهي ثلاثة أقوال كما يلي:

الأول: أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر للكفر ولا المسر له، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيره، ونقل الكلاباذي إجماع الصوفية على هذا[3]، وفيه نظر فإن السالمية منهم وقد نسب لهم خلافه.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب وذلك في عرصة القيامة ثم يحتجب عن المنافقين، فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة ـ من أئمة أهل السنة ـ وغيره.

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب ـ كاللص إذا رأى السلطان ـ ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه السالمية، وقول غيرهم[4]، وهذه الأقوال الثلاثة متفقة على رؤية المؤمنين لربهم ـ تعالى ـ. وقد ذكر أبو طالب المكي مسألة محاسبة الكفار، و لم يذكر هذه المسألة[5].

---

[1] في الأصل (في) ولا يستقيم المعنى.

[2] انظر:رسالة إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٥٠٣-٥٠٤ .

[3] انظر: التعرف ص٤٥ .

[4] انظر: رسالة إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٤٨٧-٤٨٨ ، وبغية المرتاد لابن تيمية ت/ د. موسى الدويش ص٤٧١، والفرق بين الفرق ص٣٣٥-٣٣٦ ، وحادي الأرواح ص٤١٨ .

[5] انظر: القوت جـ٢/٢٦٤-٢٦٦ .

ولكـــن ورد في التفسير المنسوب لسهل التستري في تفسير قوله ــ تعالى ــ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝ ﴾[1]، قال: « هم في الدنيا محجوبون عن الآمر والزاجر...، وهم في الآخرة محجوبون عن الرحمة، والنظر إلى الله ﷻ، وعن نظره إليهم بالرضوان عند مناقشته إياهم كما قال: ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ۝ ﴾[2] عن الديانة فتلزمهم الحجة فيدخلهم النار... قـــال: وفيها دلالة بينة على إثبات الرؤية للمؤمنين خاصة »[3]، وسهل هو شيخ مشايخ السالمية، وظاهر قوله يدل على أن الكفار لا يرون ربهم، إلا أن قوله: « عند مناقشته إياهم » قد يكون فيه ما يشعر بأنه يرى أن الكفار يرون ربهم غير رؤية المؤمنين، ومثل هذا قد يفهم من كلام أبي طالب في مســـألة محاسبة الكفار، وأما ابن برجان فقد ذكر هذه المسألة، فقال في شرح الأسماء الحسنى : «ألا ترى إلى حديث رسول الله ﷺ حيث يقول في وصف الموقف يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعـــبد؛ فيكـــون ذلك حتى تبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فيأتيهم الله ﷻ في صورة غير التي يعرفونه عـــليها، فيقول: ما تنتظرون ؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا[4]،... وهذا الخطاب منه والترائي على ما ليس به إنما هو في المنافقين، تصديقا لقوله الحق:﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝ ﴾[5] في العاجلة وجاراهم على استهزائهم في الآجـــلة، ووافق بين الجزاءين عاجلا وآجلا، ... فانظر ــ وفقك الله ــ إلى كل مجيء وظهور وتجلي منه على ما ليس به فهو في حق المنافقين والمكذبين »[6].

وقـــال: « وإن لقاء الله حق، ... وهو لقاء يعم الكافر والمؤمن، وإنما يفترقان في الإكرام والإهانة »[7].

---

(1) سورة المطففين الآية: ١٥ .

(2) سورة الصافات الآية: ٢٤.

(3) تفسير سهل ص١١٧ .

(4) الحديث سيأتي بتمامه في ص٥٤٦.

(5) سورة البقرة الآية: ١٥ .

(6) شرح الأسماء الحسنى ورقة ٥٨ ب، ٥٩ أ.

(7) نفس المرجع ورقة ٣٦ أ، وقد ذكر في تفسيره ما قد يفهم منه ذلك. انظر: ورقة ٣٦١ أ.

وهـــذا النص يدل على أنه يقول برؤية الكفار لله تعالى، وقد نسب لهم هذا القول القاضي أبـــو يعـــلى فقال: « ومن قولهم: إن الكفار يرون الله ـــ تعالى ـــ ويحاسبهم »[١] وكذلك عبد القادر الجيلاني[٢]، وكثير ممن جاء بعد ذلك[٣].

وقد استدل أصحاب كل قول في هذه المسألة بأدلة، هذه أهمها:

١- استدل القائلون: إن الكفار لا يرون ربهم بحال، بأدلة منها:

أ ـــ قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾[٤]، وبه استدل بعض السلف على أن الكفار محجوبون عن رؤية الرب ـــ تعالى ـــ، وأنه لا يراه إلا المؤمنون فقط.

قـــال ابـــن جرير الطبري: « والصواب أن يقال: هم محجوبون عن رؤيته، وعن كرامته، إذ كـــان الخـــبر عاماً، لا دلالة له على خصوصه »، وقد ذكر في تفسير هذه الآية اختلاف أهل التفســـير فيها: فقال بعضهم: « معنى ذلك: أنهم محجوبون عن كرامته »، ثم ذكر بعض من قال ذلك، ثم قال: « وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم محجوبون عن رؤية ربهم »[٥].

ونقـــل اللالكائي عن الإمام مالك والحسن البصري ومحمد بن عبد الحكم قولهم في تفسير هذه الآية: « إنه لا يراه إلا المؤمنون والكفار لا يرونه »[٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « والعمدة (أي في هذه المسألة) قوله سبحانه:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ فإنه يعم حجبهم عن ربهم في جميع ذلك اليوم، وذلك اليوم

---

(١) المعتمد ص٣٩٥ .

(٢) انظر: الغنية جـ١/١٥٤.

(٣) انظـــر: الفرق بين الفرق ص٣٣٦ ، وجزء فيه امتحان السني من البدعي لأبي الفرج الشيرازي ت/ فهد المقرن ص٢١٠ ، وفتح الباري جـ١٣/٥٢٢ ، ويقول د.أحمد محمد عبد القادر في ملامح الفكر الإسلامي ص٦١٨ : « ويستطرد السالمية في آرائهـــم الخطيرة بصدد البعث والآخرة فيقررون أن الله ـــ تعالى ـــ يراه الكفار في الآخرة، وينظرون إليه ويحاسبهم » وهذه العبارة سبق تنبيه شيخ الإسلام ابن تيمية عليها.

(٤) سورة المطففين الآية: ١٥ .

(٥) انظر: تفسير الطبري جـ١٢/٤٩٢ .

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ٣/٤٦٧ .

يوم ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾[1]، وهو يوم القيامة، فلو قيل: إنه يحجبهم حال دون حال لكان تخصيصاً للفظ بغير موجب، ولكان فيه تسوية بينهم وبين المؤمنين، فإن الرؤية لا تكون دائمة للمؤمنين، والكلام خرج مخرج بيان عقوبتهم بالحجب وجزائهم به، فلا يجوز أن يساويهم المؤمنون في عقاب ولا جزاء سواه، فعلم أن الكافر محجوب على الإطلاق بخلاف المؤمن، وإذا كانوا في عرصة القيامة محجوبين، فمعلوم أنهم في النار أعظم حجباً...»[2].

فهذه الآية دليل من نفي رؤية الكفار لربهم ـ تبارك وتعالى ـ.

واستدلوا أيضاً بحديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما ونصهما:

ب ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارّون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً، قلنا: لا، قال: فإنكم لا تضارّون في رؤية ربكم إلا كما تضارّون في رؤيتهما. ثم قال: ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله، من برّ أو فاجر، وغُبَّرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم. ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون، حتى يبقى من كان يعبد الله، من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم، وإنّا سمعنا منادياً ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبّار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلّمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه، فيقولون: الساق،

---

[1] سورة المطففين الآية: ٦ .

[2] رسالة إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٥٠١-٥٠٢ .

فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً، ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم،... »[١].

ج ــ وعن أبي هريرة ﷺ: « أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارّون في القمر ليلة البدر، قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تضارّون في الشمس ليس دونها سحاب، قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتّبعه، فيتّبع من كان يعبد الشمس الشمس،ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتّبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها، أو منافقوها[٢] ــ شكّ إبراهيم ــ فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتّبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السَّعدان، هل رأيتم السَّعدان؟... »[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ عن حديث أبي سعيد الخدري ــ: « فهذا الحديث من أصح حديث على وجه الأرض، وقد اتفق أبو هريرة وأبو سعيد[٤]، وليس فيه ذكر رؤية إلا بعد أن تتبع كل أمة ما كانت تعبد »[٥].

ففي حديث أبي سعيد: « حتى يبقى من كان يعبد الله، من بر وفاجر،... ويبقى من كان

---

[١] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾) جـ٥/٢٣٢١-٢٣٢٢ رقم الحديث ٧٤٣٩ .

[٢] في صحيح مسلم منافقوها دون ذكر الشك، وسيأتي تخريجه من مسلم بعد صفحات.

[٣] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾) جـ٥/ ٢٣٢٠-٢٣٢١ رقم الحديث ٧٤٣٧ ، وهما من الأحاديث التي أوردها في باب الرؤية، واستدل بها أهل السنة على إثبات رؤية الرب ــ تبارك وتعالى ــ في الآخرة.

[٤] في هامش الأصل: بياض بالأصل.

[٥] انظر:رسالة إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٤٩٣ .

يسجد لله رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً ».

وأما حديث أبي هريرة ﷺ ففيه: « وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها، أو منافقوها ـــ شك إبراهيم ـــ » أي إبراهيم بن سعد[1]. وسيأتي الكلام عليها في استدلال القول الثاني.

٢ـــ استدل أصحاب القول الثاني ـــ القائلون يراه من أظهر التوحيد ـــ بأدلة، منها:

قال ابن خزيمة: « إن جميع أمة النبي ﷺ برهم وفاجرهم، مؤمنهم ومنافقهم، وبعض أهل الكتاب يرون الله ﷻ يوم القيامة.

يـــراه بعضـــهم رؤية امتحان، لا رؤية سرور وفرح، وتلذذ في وجه ربهم ﷻ ذي الجلال والإكـــرام، وهذه الرؤية قبل أن يوضع الجسر بين ظهري جهنم، ويخص الله ﷻ أهل ولايته من المؤمنين بالنظر إلى وجهه، نظر فرح وسرور وتلذذ »[2].

ومن أدلتهم من الكتاب العزيز:

أ- اســـتدلوا بآيـــات اللقاء وبه استدل ابن برجان من السالمية، كقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ ﴾[3]، وقوله : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ ﴾[4]، وقوله: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾[5]، وأن اللقاء يدل على الرؤية والمعاينة، قال ابن بطة: « سمعت أبا عمر صاحب اللغة يقول سمعت ثعلبا[6] يقول: أجمع أهل اللغة أن معنى

---

[1] هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي أبو إسحاق، نزيل بغداد، ثقة، حجة تكلم فيه بلا قـــادح، (ت بـــبغداد سنة ١٨٥هـــ، وقيل ١٨٣هـــ) . انظر: تهذيب التهذيب جـــ١/١٤٢-١٤٣ ترجمة رقم ٢١٦، والأعلام جـــ١/٤٠ .

[2] كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ لابن خزيمة ت/ د. عبد العزيز الشهوان جـــ٢/٤٢٠-٤٢١ .

[3] سورة العنكبوت الآية: ٥ .

[4] سورة البقرة الآية: ٢٤٩ .

[5] الأنعام الآية: ٣١ .

[6] هو أبو العباس أحمد بن يحي بن يزيد الشيباني، مولاهم، البغدادي، المعروف بثعلب، إمام الكوفة في النحو، مشهور بالحفظ والصدق، توفي سنة ٢٩١هـــ. انظر: السير جـــ١٤/٥-٧ رقم ترجمة ١، والأعلام جـــ١/٢٦٧ .

قوله: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾[١] أن اللقاء ها هنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار »[٢].

ويستدل بهذه الآيات القائلون بأن الكفار يرون ربهم، وبقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝ ﴾[٣] [٤]، وحديث ابن عباس قال: « كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال: اللهم ربنا لك الحمد،... ولقاؤك حق،... » الحديث[٥].

وقد رد عليهم أصحاب القول الأول، فقال بعضهم: ليس الدليل من القرآن على رؤية المؤمنين ربهم قوله:﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ وإنما الدليل آيات آخر، وقال ابن خزيمة اللقاء غير الرؤية والنظر[٦]، وكذلك القاضي أبو يعلى[٧].

وذهب بعض أهل التفسير إلى أن تفسير قوله تعالى:﴿ فَمُلَٰقِيهِ ۝ ﴾ أي: « ما عملت من خير أو شر » أو « فملاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك فيكافئك على سعيك »[٨].

ومن أدلة أصحاب القول الثاني من السنة:

ب- ما رواه أبو هريرة ﷺ: « أن أناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، يا رسول الله! قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، يا رسول الله! قال: فإنكم ترونه

---

[١] سورة الأحزاب الآية: ٤٤ .

[٢] المختار من الإبانة لابن بطة، الكتاب الثالث جـ٣/٦٢ رقم ٥٨ وجـ ٣/٧٥رقم ٦١،قال المحقق/ الوليد بن سيف النصر إسناده صحيح، وصحح إسناده ابن القيم في حادي الأرواح ص ٤٢٠ .

[٣] سورة الإنشقاق الآية: ٦ .

[٤] انظر:رسالة إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٤٨٨ .

[٥] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾)جـ٥/ ٢٣٢٤ رقم الحديث ٧٤٤٢ .

[٦] انظر: كتاب التوحيد جـ٢/٤٣٣ .

[٧] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٤٩١ .

[٨] انظر: تفسير ابن كثير جـ٤/٤٨٨ .

كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله ــ تبارك وتعالى ــ في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفونه، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه. ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ... » الحديث[١].

ج- وما رواه أيضاً أبو سعيد الخدري ﷺ بلفظ قريب، وفيه: « ... حتى إذا لم يبقى إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر من أهل الكتاب، ... نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً (مرتين أو ثلاثاً) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتّقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم ، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال:أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة» الحديث[٢].

د- ما رواه عدي بن حاتم قال: « قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب يحجبه »[٣].

وحديث أبي هريرة ﷺ من أقوى ما يتمسك به المثبتون[٤]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وهذا حديث صحيح، وفيه أن الكافر والمنافق يلقى ربه، ويقال: ظاهره أن الخلق جميعهم يرون ربهم فيلقى الله العبد عند ذلك »[٥] .

---

[١] سبق تخريجه من البخاري، وهذا اللفظ أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية) جـ١/١٦٣-١٦٧ حديث رقم ٢٩٩ .

[٢] أخرجه مسلم في نفس الكتاب والباب جـ١/١٦٧-١٧١ رقم ٣٠٢ .

[٣] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾)جـ٥/٢٣٢٥ رقم الحديث ٧٤٤٣ .

[٤] انظر: رسالة إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٤٨٩ .

[٥] رسالة إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٤٩١ .

واستدل ابن خزيمة بما رواه عن أبي سعيد الخدري من طريقه وفيه: « ... ويبقى المؤمنون ومنافقوهم بين أظهرهم، وبقايا من أهل الكتاب يقللهم بيده »[١].

وقال ابن خزيمة: « وفي هذه الأخبار دلالة على أن قوله جلّ وعلا: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[٢]، إنما أراد الكفار الذين كانوا يكذبون بيوم الدين بضمائرهم، فينكرون ذلك بألسنتهم، دون المنافقين الذين كانوا يكذبون بضمائرهم ويقرون بألسنتهم بيوم الدين؛رياء وسمعة »[٣].

وقد أورد ابن خزيمة في كتاب التوحيد أحاديث كثيرة استدل بها على ما يراه.

٣ـ وأما أدلة القول الثالث ـ قول السالمية ومن وافقهم ـ فقد تقدم قولهم في آيات اللقاء، ومن أدلتهم:

أ ـ استدلوا بقوله تعالى: ﴿ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ فهو يشعر أنهم عاينوا ثم حجبوا، وقوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يشعر أيضاً بأنه يختص بذلك اليوم وذلك إنما هو في الحجب بعد الرؤية[٤].

ب ـ حديث أبي سعيد الخدري الذي سبق ذكره، وفيه أنهم رأوه أول مرة قبل أن يقول: ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون، وهي الرؤية الأولى العامة لجميع الخلق، ويؤيد هذه الرؤية العامة قوله في الحديث بعدما يذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، ويبقى من يعبد الله من بر أو فاجر، « فيأتهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة »، ومن أثبت الرؤية للكفار أثبتها مرة واحدة ثم يحتجب عنهم فلا يرونه بعدها[٥].

وأما تعليلهم للحجب بعد الرؤية، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية:« وقول من قال: إنما يرى نفسه عقوبة لهم تحسيراً على فوات دوام رؤيته، ومنعهم من ذلك ـ بعد علمهم بما فيها من

---

[١] انظر: التوحيد جـ٢/٤٢١-٤٢٢ رقم ٢٤٦ وسبق تخريجه في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

[٢] سورة المطففين الآية: ١٥ .

[٣] التوحيد لابن خزيمة جـ٢/٤٢٩-٤٣٠ .

[٤] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٤٦٦، وبغية المرتاد ص٤٧١.

[٥] انظر: بغية المرتاد ص ٤٧١، وفتح الباري جـ١٣/٥٢٢-٥٢٣ ، ورؤية الله ـ تعالى ـ تأليف د.أحمد آل حمد ص١٨٧ ط/ الأولى ١٤١١هـ الناشر: جامعة أم القرى -مكة المكرمة.

الكرامة والسرور ــ يوجب أن يدخل الجنة الكفار، ويريهم ما فيها من الحور والولدان، ويطعمهم مــن ثمارها ويسقيهم من شرابها، ثم يمنعهم من ذلك؛ ليعرفهم قدر ما منعوا منه، ويكثر تحسرهم وتلهفهم على منع ذلك بعد العلم بفضيلته »[١].

والخــلاف في آيــات اللقاء هل تدل على النظر والمعاينة بالأبصار كما قال ثعلب، أما أن اللقاء غير الرؤية والنظر كما قال ابن خزيمة وغيره، وثعلب ذكر هذا المعنى في آية الأحزاب في أهل الجــنة، وقال: « اللقاء هنا لا يكون إلا معاينة، ونظراً بالأبصار »[٢] ونقله عنه ابن بطة وقال عن تفسير اللقاء بغير الرؤية: « تقول: "لقيت منك" و "لقيت من فلان خيراً" فإذا دخلت "من" جاز أن تكــون كما تأولوه، فإذا أردت لقاء النظر لم يجز أن يكون فيها "من"، فإذا قلت: لقيت فلانا ولقيتك كان ذلك بمعنى اللقاء والنظر لا غير »[٣]، وقد نقل قول ثعلب ابن القيم واحتج به[٤].

وهنا أصلان:

١- النصوص صريحة في أن المنافقين يكونون مع المؤمنين في عرصات يوم القيامة، وعلى الصــراط، ولا يظهر نفاقهم إلا بعدم قدرتهم على السجود، وأما على الصراط فتأخذهم كلاليب جهنم، كما في حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، وحديث جابر بن عبد الله ﷺ ــ لما سئل عــن الورود ــ قال: نحن يوم القيامة على كذا وكذا انظر أي ذلك فوق الناس، قال: « فتدعى الأمــم بأوثــانهم أو ما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا ﷻ، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك، قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً، ثم يتبعونه؛ وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون... »[٥].

---

[١] رسالة إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٥٠١ .

[٢] المختار من الإبانة الكتاب الثالث جــ٣/٦٢ رقم ٥٨ ، جــ٣/٧٥ رقم٦١ .

[٣] نفس المرجع جــ٣/٧٥ .

[٤] انظر: حادي الأرواح ص٤٢٠ .

[٥] أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منــزلة فيها) جــ١/١٧٧-١٧٨ رقم ١٩١ ، وقد أخرجه غيره.

قال ابن حجر: « ولا يلزم من كونه يتجلى للمؤمنين ومن معهم، ممن أدخل نفسه فيهم، أن تعمهم الرؤية لأنه أعلم بهم، فينعم على المؤمنين برؤيته دون المنافقين كما يمنعهم من السجود »[1].

٢- النصوص صريحة أن الكفار محجوبون كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « والعمدة قوله سبحانه ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥﴾[2] »[3]، وأن رؤية المؤمنين للرب ـ تعالى ـ في عرصات يوم القيامة، بعد سقوط الكفار في جهنم، ويبقى المؤمنون ومعهم منافقوا هذه الأمة، وغبرات من أهل الكتاب.

مما سبق نجد شيخ الإسلام ابن تيمية لما ذكر هذه المسألة ذكر قوة دليل من يرى أن الكفار لا يرون ربهم لا المظهر للكفر ولا المسر، وذكر كثرة القائلين به، وصحة الأحاديث التي يستدل بها من قال إن المنافقين يرون ربهم، وذكر قول من يرى أن الكفار يرون ربهم، ولم يقطع بشيء، وإن كان يقوي أدلة القول الأول والثاني، وذكر ـ رحمه الله ـ : « آداب تجب مراعاتها، منها:

أنه ليس لأحد أن يطلق القول بأن الكفار يرون ربهم من غير تقييد لوجهين:

أحدهما: أن الرؤية المطلقة قد صار يفهم منها الكرامة والثواب، ففي إطلاق ذلك إيهام وإيحاش...

الثاني: أن الحكم إذا كان عاماً [ففي][4] تخصيص بعضه باللفظ خروج عن القول الجميل فإنه يمنع من التخصيص،فإن الله خالق كل شيء ومريد لكل حادث؛ ومع هذا يمنع الإنسان أن يخص مايستقذر من المخلوقات، ... بأن يقول على الانفراد: ياخالق الكلاب،...فكذلك هنا، ... فلايخرجن أحد عن الألفاظ المأثورة »[5]. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

[1] فتح الباري جـ١٣/٥٢٣ .

[2] سورة المطففين الآية: ١٥ .

[3] رسالة إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٥٠١ .

[4] في الأصل (في) ولا يستقيم المعنى.

[5] انظر:رسالة إلى أهل البحرين في رؤية الكفار ربهم ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٥٠٣-٥٠٤ .

المبحث الثالث: رؤية الرب ـ تبارك وتعالى ـ في الدنيا.

وفي هذا المبحث أربع مسائل:

١- رؤية النبي ﷺ للرب ـ تعالى ـ في الدنيا.

٢- رؤية الله ـ تعالى ـ بالقلب.

٣- رؤية الله ـ تعالى ـ في المنام.

٤- رؤية الله ـ تعالى ـ في الدنيا لغير النبي ﷺ.

والمسألة الأولى تدل على الثانية، وعلى الرابعة، وبين مسائل هذا المبحث ارتباط وثيق.

أولاً: رؤية النبي ﷺ للرب ـ تعالى ـ في الدنيا.

اختلف أصحاب النبي ﷺ في رؤيته لربه ـ تعالى ـ بعين رأسه في ليلة المعراج على قولين:

١- منهم من قال: إنه رأى ربه كابن عباس وأنس ومالك رضي الله عنهم.

٢- ومنهم من نفى ذلك وعلى رأسهم عائشة ـ رضي الله عنها ـ وابن مسعود رضي الله عنه وغيرهما.

٣- ومنهم من لم يرد عنه شيء في هذه المسألة.

وسيأتي ذكر هذه الروايات، وبناءً على هذا اختلف الناس على ثلاثة أقوال:

الأول: إثبات الرؤية البصرية، وهو قول أصحاب ابن عباس وأبو الحسن الأشعري وغيرهم.

الثاني: نفي الرؤية البصرية وإثبات الرؤية القلبية، وبه قال جماعات من الصحابة والتابعين، وهو قول المحققين من أهل العلم، كالإمام مسلم صاحب الصحيح وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن كثير وغيرهم[1].

الثالث: التوقف، وقال به طائفة من أهل العلم[2].

ومدار النزاع على الروايات الواردة عن ابن عباس رضي الله عنه على النحو التالي:

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٧/٥٥-٥٦، وتفسير ابن كثير جـ٤/٢٥١، وأضواء البيان للشنقيطي جـ٣/٢٩٦.

[2] انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام أحمد القرطبي ت/ محي الدين ديب وآخرون جـ١/٤٠٢، ط/ الأولى ١٤١٧هـ الناشر دار ابن كثير- ودار الكلم الطيب-دمشق. ورجح هذا القول صاحب المفهم والقاضي عياض وغيرهم.

النوع الأول من الروايات: إثبات رؤية مطلقة:

وهـــذه الرؤية ثبت النقل فيها عن ابن عباس ﷺ، وأثبتها العلماء، وأصح ما ورد فيها عن عكـــرمة عن ابن عباس قال: « أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ »[١]، وعنه روايات أخرى[٢] وقد روى إثبات هذه الرؤية عن غير ابن عباس[٣].

النوع الثاني: إثبات رؤيته بعيني رأسه:

وهـــذه مـــدار النزاع والاختلاف، وليس فيها إلا ما ذكر ابن حجر قال: « وروى ابن مـــردويه[٤] في تفسيره عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس: أن النبي ﷺ رأى ربه بعينه » قال ابن حجر: وإسناده صحيح[٥]، وليس الأمر كذلك، ففيه ابن جريج يرسل ويدلس[٦].

---

[١] أخـــرجه ابـــن أبي عاصم في السنة جـــ١/١٩٢ رقم٤٤٢، وابن خزيمة في التوحيد جـــ٢/٤٧٩ رقم ٢٧٢، واللفظ له، وعـــبد الله بـــن الإمـــام أحمد في السنة جـــ١/٢٩٩ رقم ٥٧٩، والآجري في الشريعة جـــ٢/٣١٤ رقم١٠٩٠ ، وقال الألباني: سنده صحيح على شرط البخاري. انظر: ظلال الجنة في تخريج السنة جـــ١/١٩٢ مع السنة لابن أبي عاصم.

[٢] في سنن الترمذي في (كتاب تفسير القرآن، باب: ومن تفسير سورة "والنجم") جـــ٥/٣٩٥-٣٩٦ حديث رقم ٣٢٧٩، ٣٢٨٠ ، ٣٢٨١ ، وحسنها، وابن أبي عاصم في السنة جـــ١/١٨٩ رقم ٤٣٦ ، جـــ١/١٩١ رقم ٤٣٨ ، ورقم٤٣٩، ورقم ٤٤٠ ، وجـــ١/١٨٨ رقم ٤٣٣ ، والآجري في الشريعة جـــ٢/٣١٤-٣١٩ أرقام من ١٩١-١٩٤ ، وابن خزيمة في التوحيد جـــ٢/٤٨٣-٤٨٤ رقم ٢٧٥ ، والغنية في مسألة الرؤية (رؤية النبي ﷺ) لابن حجر ت/ د. محمد التركي ص٣٧-٤٣ ، ط/ ١٤١٩هـــ الناشر دار اللواء —الرياض.

[٣] أخرجه الترمذي في (كتاب التفسير القرآن، باب: ومن تفسير سورة "والنجم") جـــ٥/٣٩٤ حديث رقم ٣٢٧٨ ، وابن خزيمة في التوحيد جـــ٢/٤٩٦ جميعها عن كعب، وابن أبي عاصم في السنة جـــ١/١٨٨ رقم ٤٣٢ وابن خزيمة في التوحيد جـــ٢/٤٨٧ رقم ٢٨٠ عن أنس بن مالك، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة جـــ٣/٥١٦ رقم ٩٠٨ عن أبي هريرة، وجـــ٣/٥١٤ رقم ٩٠١ ، ٩٠٢ عن ابن الحضرمي، والآجري في الشريعة جـــ٢/٣٢١ عن ابن الحضرمي.

[٤] هـــو: أبو بكر، أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الأصبهاني، الحافظ صاحب "التفسير الكبير"، كان من فرسان الحديث مكثر جداً، توفي سنة ٤١٠هـــ عن ٧٨ سنة. انظر: السير جـــ١٧/٣٠٨-٣١١ ترجمة رقم ١٨٨ ، والأعلام جـــ١/٢٦١.

[٥] الغنية في مسألة الرؤية ص٤٤ .

[٦] هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم، المكي، قال ابن حجر عنه: كان يرسل ويدلس، توفي سنة ١٥٠ هـــ تقريباً. انظر: تهذيب التهذيب جـــ٣/٤٧٦-٤٧٧ رقم ٤٩٠٢ ، وتقريبه جـــ١/٦١٧ رقم ٤٢٠٧ .

وهـــذه الـــرواية لم يذكرها ابن حجر في فتح الباري[1]، فإنه ذكر عن ابن عباس التصريح بالـــرؤية القلـــبية، وحمـــل المطلقة على الرؤية القلبية، و لم يذكر هذه، و لم يذكرها غيره ممن ألف في الرؤية، بل القائلون بالرؤية البصرية لم يذكروا هذه الرواية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل »[2].

وقال ابن كثير ــ لما ذكر الروايات عن ابن عباس ــ: « وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية، وهـــي محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم »[3].

وقـــال الشنقيطي: « التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع أنه ﷺ لم يره بعين رأسه، وما جاء عن بعض السلف من أنه رآه، فالمراد به الرؤية القلبية »[4].

وقد جاءت رواية ضعيفة عن ابن عباس: « أن محمداً رأى ربه مرتين: مرة ببصره، ومرة بفؤاده »[5]،

---

[1] انظر: فتح الباري جــ٦/٧٨٢ .

[2] مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٥٠٩ ، ووافقه ابن أبي العز في شرح الطحاوية جــ١/٢٢٤ .

[3] تفسير ابن كثير جــ٤/٢٥٠ .

[4] أضواء البيان جــ٣/٢٩٦ .

[5] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ت/ حمدي السلفي جــ١٢/٧١ رقم ١٢٥٦٤ (ط/ الثانية الناشر دار إحياء التراث العربي)، وفي الأوسط جــ٦/٣٥٦ رقم ٥٧٥٧ كلاهما من طريق مجالد، وقال الهيثمي جــ١/٧٩ : « رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح خلا جهور بن منصور الكوفي، وجهور بن منصور ذكره ابن حبان في الثقات » ا.هــ. انظر الثقات لابن حبان جــ٨/١٦٧ (ط/ دائرة المعارف العثمانية، إشراف/ شرف الدين أحمد مدير الدائرة)، وذكر اسمه فقط، وقال في الهامش لم نظفر به، قلت: في الحديث علة أخرى، وهو مجالد كما سيأتي، وأما جهور بن منصور الكوفي فلم أجد من ذكره غير ابن حبان، لكن ذكر ابن حبان له في الثقات لا يعتبر توثيقاً فإنه « يدرج فيهم مـــن زالـــت جهالة عينه، بل ومن لم يرو عنه إلا واحد، و لم يظهر فيه جرح، ... وذلك غير كاف في التوثيق عند الجمهور، وربما يذكر فيهم من أدخله في الضعفاء إما سهواً أو غير ذلك » ا.هــ. انظر: فتح المغيث للسخاوي ت/ علي حسين جــ٤/٣٥٣.

وفي هذه الرواية مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني: وهو سيئ الحفظ، وكان الإمام أحمد لا يراه شيئاً[١].

النوع الثالث: أنه رآه بقلبه:

وهـــذه أيضاً ثابتة بالنقل الصحيح، بل لم يرد أصح منها، ومن أصح ما ورد فيها، ما رواه مسلم عن ابن عباس في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾[٢] قال: « رآه بقلبه »[٣] وفي رواية:« رآه بفؤاده مرتين »[٤]، وجاءت روايات أخرى[٥].

فهـــذه أهـــم الروايات عن ابن عباس ﷺ، **فالقسم الأول:** الرؤية مطلقة، **والقسم الثاني:** صرح بالرؤية بعينه ولا تصح، **والقسم الثالث:** أنه رآه بقلبه وهي من أصح الروايات، فإذا لم يبق إلا الأولى والثالثة أمكن الجمع بينهما.

وقـــد ذكر هذه المسألة أبو طالب المكي، وأسرف فقارن بين موسى عليه السلام ونبينا محمد ﷺ فقال: « ومثل المحبوب من المحب مثل مقام المصطفى ﷺ من مقام موسى عليه السلام ...».

إلى أن قـــال: « وقال موسى عليه السلام: رب أرني أنظر إليك أي في محل العبودية؟ وقال لمحمد عليه السلام ما زاغ البصر وما طغى، فكان قاب قوسين أو أدنى، أي مكان الربوبية، فبين المحب والمحبوب في [الـــتقريب][٦]، كما بين موسى ومحمد عليهما السلام في التقريب، فبين من رأى ما رأى عند نفسه في مكانه وبين من رأى ربه في علوه، كم بين من عجل إليه شوقاً منه ليرضى عنه، وبين من

---

[١] انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر جـــ٥/٣٥٠ ترجمة رقم ٧٦٤٦، وقال ابن حجر في التقريب جـــ٢/١٥٩ رقم ٦٤٩٨: « ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره ».

[٢] سورة النجم الآية: ١٣ .

[٣] أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان، باب معنى قوله تعالى: ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾) جـــ١/١٥٨ حديث رقم ١٧٦ ،واللفظ له وأخرجه غيره.

[٤] أخرجه مسلم في نفس الموضع السابق تابع رقم ١٧٦ .

[٥] أخرجه الترمذي في (كتاب التفسير، باب: ومن تفسير سورة "والنجم") جـــ٥/٣٩٧ حديث رقم ٣٢٨١ ، وابن خزيمة في التوحيد جـــ٢/٤٩٥ ، وقد أخرجه غيرهم، ويكفي تخريج مسلم للخبر.

[٦] في الأصل (التقليب) ولا يستقيم المعنى، وسبق في أول الكلام وبعدها التقريب.

عجـــل بـــه شوقاً إليه ليرضاه إليه لرضاه عنه، كم بين من رأى ما رأى فلم يثبت، ففاضت عليه الأنوار لضيقه، وبين من رأى ما رأى فثبت له وغاضت[1] فيه الأنوار لسعته »[2]، وفي هذا القول من الغلو ما فيه، بل فيه ما يشبه الحلول بعد هذا القول[3].

والمقصـــود هنا أنه يرى أن النبي ﷺ رأى ربه ــ تبارك وتعالى ــ في مكان الربوبية، ومكـــان الربوبية عند أبي طالب هو العرش[4]، وأنه ﷺ ثبت لما رأى ربه وغاصت فيه الأنوار لســـعته، ويرى هنا كذلك أن موسى عليه السلام رأى ربه، وقد سبق بيان عدم رؤيته وإجماع الأمة وأهل السنة وغيرهم على أنه لم ير ربه، وحجابه تبارك وتعالى النور، وليس الجبل، وإنما ذكر ذلك بناء على قوله في الحلول.

وعلى هذا فأبو طالب المكي يوافق أصحاب ابن عباس، والحسن البصري ــ وهو يعظمه كثيرا[5] ــ، ومن وافقهم الذين يقولون: إن النبي ﷺ رأى ربه بعيني رأسه، ويستدلون بما ورد عن ابن عباس وغيره من الرؤية المطلقة ويحملونها على الرؤية البصرية، ويستدلون بقوله تعالى:﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ ﴾[6]، وقوله:﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ ﴾[7] كما ذكر ذلك أبو طالب[8].

ولا يصح هذا الاستدلال، فسيأتي تفسير هذه الآيات في الصحيحين بأنه جبريل،كذلك يستدلون بحديث أنس بن مالك في الصحيحين عن شريك بن عبد الله أنه قال: سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة،... إلى أن قال فيه :« ثم علا به فوق

---

[1] كذا بالأصل ولعل الصواب (غاصت) بالصاد.

[2] القوت جـــ١٠٩/٢ .

[3] انظر: ما سيأتي في ص٧٨٧-٧٩٥ .

[4] انظر: القوت جـــ١٠٩/٢ .

[5] انظر: ما سيأتي في ص٨٠٩-٨١٠ .

[6] سورة النجم الآيات: ٩ ، ١٠ ، ١١ .

[7] سورة النجم الآية: ١٧ .

[8] انظر: القوت جـــ١٠٩/٢ ، والجامع لأحكام القرآن جـــ٥٦/٧ .

ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى إليه... »[1].

وقد فهم بعض أصحاب القول الأول من هذه الألفاظ الرؤية البصرية، وليس فيها دلالة.

وقال الإمام مسلم عند ذكر رواية شريك: « وقدم فيه شيئاً وأخر، وزاد ونقص » وقال ابـــن حجر بعد قوله: « ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى »، قال: « كذا في رواية شريك، وهو مما خالف فيه غيره »[2] وقد تكلم بعضهم في شريك من أجل هذا الحديث، وذكروا أوهام شريك في هذه الرواية[3].

وعلى كلٍ فليس في هذه الألفاظ دلالة على الرؤية.

واســـتدلوا أيضاً بحديث جابر بن عبد الله قال له النبي ﷺ: « ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً »، وليس في هذا الحديث دلالة أصلاً.

أدلة القول الثاني: نفاة رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا بعيني رأسه:

وعلى رأس القائلين بهذا القول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وهو المشهور عن أبي هريرة، وأبي ذر ﵄، وتابعهم جماعات من المحدثين والفقهاء والمتكلمين.

من أدلتهم:

١- عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: « يا أبا عائشة! ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. قلت: ما هن ؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئاً فجلست. فقلت: يا أم المؤمنين!

---

[1] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قوله: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾) جـ٥/٢٣٤٤-٢٣٤٦ رقم ٧٥١٧ ، ومسلم مختصراً في (كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ) جـ١/١٤٨ رقم ٢٦٢ .

[2] فتح الباري جـ١٣/٥٩٠ ، وقد تكلم الخطابي في هذا الحديث فقال: « ليس في صحيح البخاري حديث أشنع ظاهراً، ولا أشنع مذاقاً » وزعم أنه فيه تشبيه. انظر: الفتح جـ١٣/٥٩١ . قلت: وهذا لقوله بمذهب الكلابية.

[3] انظر: فتح الباري جـ١٣/٥٩٢-٥٩٤ ، وتكلم عليه ابن القيم باختصار في زاد المعاد إلى هدي خير العباد ت/ شعيب وعبد القادر الأرناؤوط جـ١/٩٩-١٠٠ ط/ الخامسة والعشرون ١٤١٢هـ ، الناشر مؤسسة الرسالة-بيروت.

أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله ﷻ:﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾[1]،﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[2]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال:"إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء، سادًّا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض "، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [3]، أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[4]، قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية... » الحديث[5].

٢- ومن أوضح الأدلة على هذا أن أبا ذر ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال:«نور أنى أراه»[6]، والحديث دل على أن حجابه نور فكيف يراه، وأن النور هو الذي منع من الرؤية، كما جرت العادة بإغشاء أنوار الأبصار ومنعها من الرؤية، وقد رد أهل العلم محاولة من حاول ضبطه بما يوافق القول الأول بجعل الكلمتين الأولين واحدة "نوراني أراه" بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء، وهذا الضبط خطأ لفظاً ومعنى[7].

٣- وعن أبي موسى ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: « إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار،

[1] سورة التكوير الآية: ٢٣ .

[2] سورة النجم الآية: ١٣ .

[3] سورة الأنعام الآية: ١٠٣ .

[4] سورة الشورى الآية: ٥١ .

[5] أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾) جـ١/١٥٩ رقم ٢٨٧ .

[6] أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: نور أنى أراه) جـ١/١٦١ رقم ٢٩١ .

[7] انظر: شرح صحيح مسلم للنووي جـ٣/١٥ ، وأضواء البيان جـ٣/٢٩٧ .

وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه نور، (وفي رواية أبي بكر: النار) لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »[١].

واستدلوا أيضاً بأن المراد من قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝ ﴾[٢]، وقوله : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝ ﴾[٣] بأن محمداً ﷺ رأى جبريل عليه السلام في صورته له ستمائة جناح[٤].

وكذلك المراد بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ ﴾[٥] أنه ﷺ «رأى جبريل»[٦].

قال البيهقي عن تفسير الآية بهذا المعنى إنه « أصح، والقائلون به أكبر وأكثر، وفي رواية عائشة وابن مسعود ـــ رضي الله عنهما ـــ عن النبي ﷺ ما دلّ على صحتها »[٧].

والصواب: أن النبي ﷺ لم ير ربه ﷻ بعيني رأسه، وإنما رآه بفؤاده لما يلي:

أولاً: لم يصح عن أحد من أصحاب النبي ﷺ القول بأنه ﷺ رأى ربه بعيني رأسه.

ثانياً: صح عن أصحاب النبي ﷺ أنه رآه بقلبه، وأنه رآه مطلقاً، فيجب حمل المطلق على المقيد؛ كما رجح ذلك ابن حجر[٨] وغيره، فتحمل الرؤية المطلقة على الرؤية القلبية.

---

[١] أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه نور) جـ١/١٦١-١٦٢ رقم ٢٩٣ وأخرجه غيره.

[٢] سورة النجم الآيات: ٩ ، ١٠ ، ١١ .

[٣] سورة النجم الآية: ١٨ .

[٤] أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب: ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾) جـ٣/١٥٤٤ رقم ٤٨٥٦، ٤٨٥٧، ٤٨٥٨، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب: ذكر سدرة المنتهى) جـ١/١٥٨ رقم ١٧٤ واللفظ لمسلم.

[٥] سورة النجم الآية: ١٣ .

[٦] أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾) جـ١/١٥٨ رقم ١٧٥ واللفظ له، وانظر: في تفسير الآيات الغنية في مسألة الرؤية لابن حجر ص٧١ .

[٧] الأسماء والصفات (ط/ حيدر) جـ٢/١٨٤ .

[٨] انظر: فتح الباري جـ٦/٧٨٢ .

ثالثاً: إن من نفى الرؤية فمرادهم الرؤية البصرية، وعليه « يحمل نفي عائشة ــ رضي الله عــنها ــ عــلى رؤية البصر، وإثبات ابن عباس على رؤية القلب »[١]، وذهب إلى هذا ابن كثير والشنقيطي وغيرهم.

رابعــاً: إن أدلة القائلين بالمنع أصرح وأقوى، وتفسيرهم لآيات سورة النجم مرفوع للنبي ﷺ، وتفسيره ﷺ يقدم على تفسير غيره كائناً من كان، والرواية المقيدة بالفؤاد عن ابن عباس من أصح الروايات[٢].

خامســاً: إن القول بأن الجمهور يرون أن النبي ﷺ رأى ربه بعيني رأسه، « مجرد دعوى خالية من الدليل، فأكثر العلماء على خلافه، وحديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ صريح في النفي فــلا مجال للاجتهاد »[٣]، بل « جماهير الأئمة على أنه لم يره بعينه في الدنيا،... وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ والصحابة وأئمة المسلمين.

ولم يثبت عن ابن عباس، ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما: أنهم قالوا محمداً رأى ربه بعينه، بل الثابت عنهم إما إطلاق الرؤية وإما تقييدها بالفؤاد »[٤].

سادساً: الأصل في الرؤية المنع، فلا يصار إليها إلا بدليل قطعي، لأن الأصل عدمها، فهي لم تثبت لأحد من الأنبياء ولا الملائكة ولا غيرهم، فقد قال الله ــ تعالى ــ لموسى: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾[٥] وحديث: « حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » وقد سبق بتمامه.

---

[١] فتح الباري جـ٦/٧٨٢ ، ولكن ابن حجر مال إلى ضد ذلك وإثبات قول ابن عباس في الرؤية البصرية في الغنية في مسألة الرؤية ص٨٦-٩٨ .

[٢] انظر: ظلال السنة في تخريج السنة للألباني بهامش السنة لابن أبي عاصم جـ١/١٩١ .

[٣] انظر: رؤية الله ــ تعالى ــ د.أحمد آل محمد ص١٦١ .

[٤] مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/٣٣٥ ، وانظر: الجامع لأحكام القرآن جـ٧/٥٦ ، وتفسير ابن كثير جـ٤/٢٥١ .

[٥] سورة الأعراف الآية: ١٤٣ .

سابعاً: إن أقوى أدلة المثبتين للرؤية البصرية حديث أنس من طريق شريك، وقد تكلم فيه العـلماء، قال عبد الحق الإشبيلي[1]: « هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنـس، وقد زاد فيه زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة، وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كمثل ابن شهاب[2]، وثابت البناني[3]، وقتادة[4]، فلم يأت أحـد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث »[5] وتابعه كثير من أهل العلم[6].

ثامـناً: بعض الطوائف المثبتة للرؤية البصرية من أهل التصوف ممن يغلون في النبي ﷺ خـلاف المشروع، وهم يقولون بأقوال لم يرد فيها دليل أصلاً لا ضعيف ولا صحيح، فكيف بهـذه المسألة، لذلك يجب أن لا يذكر هؤلاء مع السلف القائلين بإثبات الرؤية البصرية، ولا يستكثر بهم.

---

(١) هـو أبو محمد، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي الأندلسي الإشبيلي المعروف بابن الخـرّاط، كان فقيها حافظاً، عالماً بالحديث وعلله عارفا بالرجال، صاحب التصانيف، توفي سنة ٥٨١هـ . انظر السير جـ٢١/١٩٨-٢٠٢ ترجمة رقم٩٩ ، والأعلام جـ٣/٢٨١.

(٢) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري، أبو بكر المدني، الحافظ الفقيه، أحد أئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام، تابعي، روى عن الصحابة ﷺ (ت ١٢٥هـ). انظر: السير جـ٥/٣٢٦-٣٥٠ رقم الترجمة١٦٠ ، وتهذيب التهذيب جـ٥/٢٦٦-٢٦٩ رقم ٧٤٢٦ .

(٣) هو ثابت بن أسلم البناني، أبو محمد البصري، روى عن أنس وابن الزبير وغيرهم، ثقة (ت ١٢٧هـ)، أخرج له الجماعة. انظر: السير جـ٥/٢٢٠-٢٢٥ رقم الترجمة ٩١ ،وتهذيب التهذيب جـ١/٣٨٤ رقم٩٦٤ .

(٤) هـو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، أبو الخطاب، تابعي، ثقة مأمون، من أحفظ الناس، نسب إليه شيء من القول بالقدر (ت ١١٧هـ أو ١١٨هـ). انظر: السير جـ٥/٢٦٩-٢٨٣ رقم الترجمة ١٣٢ ، وتهذيب التهذيب جـ٤/٥١٧-٥١٩ رقم٦٤٩٢ .

(٥) انظـر: الجمـع بين الصحيحين لأبي محمد الإشبيلي عناية/ حمد الغماس تقديم الشيخ بكر أبو زيد جـ١/١٢٧-١٢٨ ، ط/ الأولى ١٤١٩هـ الناشر دار المحقق-الرياض.

(٦) انظـر: زاد المعاد في هدي خير العباد جـ١/٩٩-١٠٠ ، وشرح مسلم للنووي جـ٢/٢٠٩-٢١٠ ، وفتح الباري جـ١٣/٥٩٢-٥٩٤ .

تاسعاً: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾[1]، ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

فعلى هذا يكون الراجح أن رؤية النبي ﷺ بفؤاده، ويحمل ما ورد عن السلف من الرؤية المطلقة على الرؤية القلبية، كما ورد عن ابن عباس وغيره من السلف، وأن المرئي الرؤية البصرية هو جبريل عليه السلام كما ثبت في الصحيحين.

---

[1] سورة الإسراء الآية: ١ .

ثانياً: رؤية الرب ــ تبارك وتعالى ــ بالقلب:

سبق فيما مضى ذكر أدلة هذه الرؤية وترجيح أن الرؤية المطلقة المراد بها رؤيته بالفؤاد، فهذه الرؤية ثابتة للنبي ﷺ، كما في الأحاديث الصحيحة، ولم ينازع في ذلك أحد من أهل العلم.

لكن أهل الكلام يرون في الرؤية القلبية « أن الله ــ تعالى ــ جعل بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصراً حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين »[١]، وهذا القول عودة للقول برؤيته بعينه، ولا دليل عليه.

وينفون أن « يراد بالرؤية هنا: العلم، فإنه عليه الصلاة والسلام كان عالماً بالله على الدوام، وإنما أراد: أن الرؤية التي تخلق في العين خلقت للنبي ﷺ في القلب، وهذا على ما يقوله أئمتنا: إن الرؤية لا يشترط لها محل مخصوص عقلاً، بل يجوز أن يخلق في أي محل كان »[٢].

وهذه الأقوال لأهل الكلام، حقيقتها هي القول بالرؤية البصرية، وهذا ليس بصحيح، وليس هناك حاجة لهذه التأويلات.

قال ابن القيم: « معاينة القلب: هي انكشاف صورة المعلوم له، بحيث تكون نسبته إلى القلب كنسبة المرئي إلى العين، وقد جعل الله ــ سبحانه ــ القلب يبصر ويعمى، كما تبصر العين وكما تعمى، قال الله ــ تعالى ــ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[٣] فالقلب يرى ويسمع، ويعمى ويصم، وعماه وصممه أبلغ من عمي البصر وصممه »[٤].

أما هذه الرؤية فيعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية: هي « "أن القلب ترفع جميع الحجب بينه وبين الله حتى تكافح الروح ذات الله ــ تعالى ــ، كما يرى هو نفسه" وهذا لا يمكن لأحد في الدنيا، ومن جوز ذلك إنما جوزه للنبي ﷺ، كقول ابن عباس: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين »[٥].

---

[١] شرح صحيح مسلم للنووي جـ٣/٦ .

[٢] المفهم جـ١/٤٠٨ .

[٣] سورة الحج الآية: ٤٦ .

[٤] انظر: مدارج السالكين جـ٣/٢٥٧ .

[٥] انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٤٩٢.

وقال السراج الطوسي عن الرؤية القلبية: « وهذا خصوص للنبي ﷺ ليس لأحد غيره »[1].

وأما رؤية غير النبي ﷺ لربه بالقلب فليس عليها دليل لا من الكتاب ولا السنة.

وهنا مسألة لابد من تحريرها، وهي الفرق بين الرؤية القلبية والرؤية المنامية، هل هناك من رأى الله بقلبه؟، وبذكر الاختلاف فيها يتبين الفرق.

وقد اختلف أهل العلم في رؤية الرب ـــ تعالى ـــ بالقلب على قولين:

الأول: قال بها بعض الصوفية ممن يرى بعضهم أن الله ـــ تعالى ـــ يرى بالأبصار يقظة في الدنيا لغير نبينا محمد ﷺ[2]، ومنهم بعض السالمية.

وقد استدلوا بما روي عن علي ﷺ حين سئل: « هل ترى ربنا؟ فقال: وكيف نعبد من لم نره، ثم قال: لم تره العيون يعني في الدنيا بكشف العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ».

وقوله تعالى:﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ ﴾[3]، فأثبت الرؤية بالقلب في الدنيا.

وقول النبي ﷺ: « أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[4] [5].

وقال السراج الطوسي: « بلغني عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب في دار الدنيا، كالرؤية في دار الآخرة، ولم آر أحداً منهم، ولا بلغني عن إنسان أنه رأى منهم رجلاً له محصول »[6]، ولعل هؤلاء هم الحلولية، ومنهم بعض عباد البصرة كما سيأتي في الرد عليهم.

الثاني: منع الرؤية القلبية وحملها على اليقين، وذهب إليه الكلاباذي، وابن خفيف وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم، وقد نقل الكلاباذي إجماع الصوفية على ذلك فقال:

---

[1] اللمع ص٥٤٦ .

[2] انظر: اللمع ص٤٢٦؛ وهو يقول بضد ذلك ولكن نقله عن جماعة، وكشف المحجوب ص٤٧٥ .

[3] سورة النجم الآية:١١.

[4] أخرجه البخاري في (كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان) جـ١/٤١ رقم ٥٠ .

[5] انظر: اللمع ص٤٢٦ وسيأتي رده عليهم.

[6] اللمع ص٥٤٤ وسيأتي مزيد كلام على هؤلاء في ص٧٨٧.

« وأجمعــوا (أي الصوفية) أنه لا يرى في الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب إلا من جهة الإيقان »[١] وقال ابن خفيف: « ولكن رؤية القلوب بتحقيق الإيقان،... ثم قال: هذا قولنا وقول أئمتنا، دون الجهّال وأهل الغباوة فينا »[٢].

ونقــل الســراج عــن أبي سعيد الخراز:« والذي قال أهل الحق والإصابة في هذا المعنى، وأشــاروا إلى رؤية القلوب: إنما أشاروا إلى التصديق والمشاهدة بالإيمان، وحقيقة اليقين »، وقد ذكــر ردود شيوخ الصوفية على هذه الطائفة، القائلين بالرؤية القلبية، في باب ذكر من غلط في الرؤية في القلوب، وقال: « رؤية القلوب بمشاهدة الإيمان وحقيقة اليقين والتصديق »[٣].

وقال ابن القيم: « فمن ادعى كشف العيان البصري عن الحقيقة الإلهية فقد وهم وأخطأ، وإن قــال: إنما هو كشف العيان القلبي، بحيث يصير الرب ــ سبحانه ــ كأنه مرئي للعبد، كما قال ﷺ:"اعبد الله كأنك تراه" فهذا حق، وهو قوة يقين، ومزيد علم فقط »[٤].

وفصــل هــذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية فقال عند ذكر إجماع الأمة على رؤية الله ــ تعالى ــ في الآخرة، وأنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه « ولكن يرى في المنام، ويحصل في القلوب من المكاشفات والمشاهدات ما يناسب حالها.

ومن الناس من تقوى مشاهدة قلبه، حتى يظن أنه رأى ذلك بعينه، وهو غالط، ومشاهدات القلوب تحصل بحسب إيمان العبد؛ ومعرفته في صورة مثالية »[٥].

ولما ذكر أقوال الصوفية في رؤية القلب قال: « فهذا كله وما أشبهه لم يريدوا به أن القلب ترفع جميع الحجب بينه وبين الله حتى تكافح الروح ذات الله كما يرى هو نفسه، فإن هذا لا يمكن

---

[١] التعرف لمذهب أهل التصوف ص٤٦ .

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٧٩ .

[٣] انظر: اللمع ص٥٤٤ ، ٥٤٥ .

[٤] مدارج السالكين جـ٣/٢٣٩ .

[٥] مجموع فتاوى ابن تيمية٢/٣٣٦-٣٣٧ .

لأحـــد في الدنيـــا، ومن جوز ذلك إنما جوزه للنبي ﷺ كقول ابن عباس: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين »[1].

فـــإذاً الـــرؤية القلبية هي: أن ترفع جميع الحجب بين القلب وبين الرب ــ تعالى ــ حتى تكافح الروح ذات الله كما يرى هو نفسه، فهذه الرؤية حصلت للنبي ﷺ، و لم تحصل لغيره، ومن أراد شـــيئاً آخر وهو مراد كثير من الصوفية فليعبر عنه بغير هذه العبارة، وعلى هذا فالرؤية القلبية خاصة بالنبي ﷺ، أما الرؤية المنامية فليست خاصة كما سيأتي.

وممن نفى هذه الرؤية المعتزلة بناء على أصلهم أن الله ــ تعالى ــ لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخـــرة، وأولوا هذه الرؤية بالعلم والمعرفة[2]، وهم وإن وافقوا الحق في نفي هذه المسألة فإن أصلهم باطل.

وبعـــض الســـالمية يقـــول بأكـــثر من هذا، فأبو طالب المكي وابن برجان يريان أن الله ــ تعالى ــ يرى بالأبصار في الدنيا لغير نبينا محمد ﷺ، وسيأتي ذكر ألفاظهم[3].

وأمـــا الرؤية القلبية فيقول أبو طالب المكي عن خصوص الأولياء المقربين: « وهم المنظور إلى قـــلوبهم كفاحاً،والمقصودون بالمزيد »[4]، ويقول: « وأهل المشاهدات [يزورونه][5] وهو في قلوبهم يزورهم »[6].

وأما أدلة المثبتين للرؤية القلبية فمنها، قوله تعالى:﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ فصح أن الـــنبي ﷺ رأى جـــبريل على صورته كما تقدم، وإن ادعوا غير ذلك، فهذا خاص بالنبي ﷺ،

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٤٩٢.

[2] انظـــر: رؤيـــة الله د.أحمـــد آل حمد ص١٧٣ ، وقد زعم د. أحمد في هذا الموضع، أنه لم يخالف في نفي الرؤية القلبية إلا المعتزلة، وهذا غير صحيح، فلم يقل بها إلا بعض الصوفية، وأهل السنة وكثير من الصوفية حملوها على اليقين.

[3] انظر: ما سيأتي في ص٥٨١.

[4] القوت جـــ١/٢٠٥ .

[5] في الأصل (يزورنه) سقطت الواو.

[6] القوت جـــ١/١١٧ .

ولا يجوز قياس حال النبي ﷺ بغيره إلا بدليل.

وأما ما رووه عن علي بن أبي طالب فلا يعرف إسناده، وهو شبيه بما يروونه عن جعفر بن محمد لما سئل: « هل رأيت الله حين عبدته؟ قال: رأيت الله ثم عبدته، فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم تره الأبصار بتحديد الأعيان، ولكن رؤية القلوب بتحقيق الإيقان »[1]، وليس فيه إلا « رأته القلوب بحقائق الإيمان » فالمراد به اليقين.

وأما الحديث فليس لهم فيه حجة، وقد احتج به بعض هؤلاء على إثبات رؤية الله ـ تعالى ـ بالأبصار، وسيأتي بيان بطلان شبهة الجميع، وسيأتي استدلال الصوفية به على منع هذه الرؤية ومن هؤلاء « من يظهرله نور عظيم، فيتوهم أن ذلك نور الحقيقة الإلهية، وأنها تجلت له، وذلك غلط أيضاً، فإن نور الرب ـ تعالى ـ لا يقوم له شيء، ولما ظهر للجبل منه أدنى شيء ساخ الجبل وتدكدك،... وهذا النور الذي يظهر للصادق هو نور الإيمان، الذي أخبر الله عنه في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ﴾[2] قال أبي بن كعب: « مثل نوره في قلب المؤمن »[3]، فهذا نور يضاف إلى الرب، ويقال: نورالله، كما أضافه الله سبحانه إلى نفسه، والمراد: نور الإيمان الذي جعله الله له خلقاً وتكويناً، كما قال تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[4]، فهذا النور إذا تمكن من القلب، وأشرق فيه: فاض على الجوارح، فيرى أثره في الوجه والعين، ويظهر في القول والعمل، وقد يقوى حتى يشاهده صاحبه عياناً، وذلك لاستيلاء أحكام القلب عليه، وغيبة أحكام النفس.

والعين شديدة الارتباط بالقلب تظهر ما فيه، فتقوى مادة النور في القلب ويغيب صاحبه بما في قلبه عن أحكام حسه، بل وعن أحكام العلم، فينتقل من أحكام العلم إلى أحكام العيان.

وسر المسألة: أن أحكام الطبيعة والنفس شيء، وأحكام القلب شيء، وأحكام الروح

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٧٩ .

(٢) سورة النور الآية ٣٥ .

(٣) انظر: تفسير الطبري جـ٩/٣٢١ ، ونصره. انظر: جـ٩/٣٢٥ .

(٤) سورة النور الآية: ٤٠ .

شـــيء، وأنوار العبادات شيء، وأنوار استيلاء معاني الصفات والأسماء على القلب شيء، وأنوار الذات المقدسة شيء وراء ذلك كله »[١].

فما يراه هؤلاء أو كثير منهم أنوار يظنونها نور الحقيقة الإلهية، والأنوار أنواع كما ذكر ابن القيم، فأي هذه الأنوار رأوا.

« وليـــس مـــع القوم إلا الشواهد والأمثلة العلمية، والرقائق التي هي ثمرة قرب القلب من الـــرب وأنســـه بـــه، واستغراقه في محبته وذكره، واستيلاء سلطان معرفته عليه، والرب ـــ تبارك وتعـــالى ـــ وراء ذلك كله، متره مقدس عن اطلاع البشر على ذاته، أو أنوار ذاته، أو صفاته، أو أنوار صفاته، وإنما الشواهد التي تقوم بقلب العبد »[٢].

« ويجب التنبه والتنبيه هاهنا على أمر، وهو: أن المشاهدة نتائج العقائد، فمن كان معتقده ثابـــتاً في أمـــر من الأمور، فإنه إذا صفت نفسه وارتاضت، وفارقت الشهوات والرذائل، صارت روحانيـــة: تجـــلت لها صورة معتقدها كما اعتقده، وربما قوى ذلك التجلي حتى يصير كالعيان، وليس به فيقع الغلط من وجهين:

أحدهما: ظن أن ذلك ثابت في الخارج، وإنما هو في الذهن، ...

ولعمـــرالله أنا لا نكذبه فيما أخبر به عن رؤيته، ولكن نوقن أنه إنما رأى صورة معتقده في ذاته ونفسه، لا الحقيقة في الخارج، فهذا أحد الغلطين.

وســـببه: قوة ارتباط حاسة البصر بالقلب، فالعين مرآة القلب شديدة الاتصال به، وتنضم إلى ذلك قوة الاعتقاد، وضعف التمييز، وغلبة حكم الهوى، والحال على العلم،...

والغـــلط الثاني: ظن أن الأمر كما اعتقده، وأن ما في الخارج مطابق لاعتقاده، فيتولد من هذين الغلطين مثل هذا الكشف والشهود.

ولقد أخبر صادق الملاحدة، القائلين بوحدة الوجود: أنهم كُشف لهم أن الأمر كما قالوه، وشـــهدوه في الخـــارج كذلـــك عيانـــاً، وهذا الكشف والشهود: ثمرة اعتقادهم ونتيجته »[٣].

---

[١] مدارج السالكين جـــ٣/٢٤٠ .

[٢] نفس المرجع جـــ٣/٢٦٠ .

[٣] نفس المرجع جـــ٣/٢٤٦-٢٤٧ .

فهؤلاء لما اعتقدوا أن الله مع الخلق بذاته، وأنه قريب بذاته، ولم يثبتوا علوه ومباينته لخلقه، ظنوا أنه معهم أو في قلوبهم، أو يحل في بعض الأجسام، ومن كان إلهه كذلك فلا بد أن يراه عياناً أو بقلبه، أو رؤية منامية.

ومسألة الرؤية القلبية، ورؤية الرب ــ تعالى ــ بالأبصار في الدنيا، والرؤية المنامية، أسرف فيها الصوفية عموماً، وجعلوها من مصادر تلقي الدين[1]، فيجب التوسع في بحثها، حتى يتضح الصواب، ولما كان السالمية من الصوفية أذكر رد الصوفية عليهم. فقد سبق نقل إجماع الصوفية من ثلاثة من أعلامهم على منع الرؤية القلبية، وأنه لا يقول بها إلا جهالهم.

وكما سبق فقد نسب السراج الطوسي هذا القول لطائفتين، الأولى: من أهل الشام، والثانية: من أهل البصرة[2].

فالأولى: أهل الشام ممن ظهر فيهم القول بالحلول ويقال لهم الحلمانية[3].

والثانية: من أهل البصرة، ولعلهم سلف لبعض السالمية، يقول السراج: « والذي تاه وتوسوس في هذا المعنى قوم من أصحاب الصبيحي[4] من أهل البصرة، كما بلغني، وقد رأيت جماعة منهم وذلك: أنهم حملوا على أنفسهم المجاهدة والسهر، وترك الطعام والشراب والانفراد والخلوة، وكثرة التوكل، وصحبهم الإعجاب مع ذلك بما هم فيه، فاصطادهم إبليس ــ لعنه الله ــ، فخُيل إليهم: كأنه على عرش أو سرير وله أنوار تتشعشع، فمنهم من ألقى إلى بعض الأستاذين الذين يعرفون مكايد العدو، فعرفوهم ذلك ودلوهم وردوهم إلى الاستقامة »، ثم ذكر حكاية عن سهل التستري ثم قال: « ومن لم يقع إلى الأستاذين[5]، فيدفع ذلك، ويتكلم بالهوس، وينسلخ عن دينه بالظنون الكاذبة إلى آخر عمره.

---

[1] انظر: ماسيأتي في ص٥٧٢،٥٨١ . وانظر: ما تقدم في ص١٧٤-١٧٦ .

[2] اللمع ص٥٤٤ .

[3] الحلمانية هم المنسوبون لأبي حلمان الدمشقي، وسيأتي الكلام عليه في الحلول ص٧٨٦.

[4] هو أبو عبد الله، الحسين بن عبد الله بن بكر الصبيحي، من أهل البصرة، أخرجه أهلها منها، فخرج إلى السوس فمات بها، صنف للصوفية، في بعض أقواله ما يشعر بالحلول، فيقول: « المبقي في أوصافه يحوم حول الشرك »، ويذكر هيبة المشهد. انظر: طبقات السلمي ص٣٢٩-٣٣١ ، وما ذكره السراج عنهم قد يفهم منه بأنهم حلولية.

[5] أي: سهل التستري، وعبد الواحد بن زيد.

وبلغني أيضاً أن جماعة هربوا من عبد الواحد بن زيد، حيث كان يأمرهم بالمجاهدة والعبادة وأكل الحلال والزهد في الدنيا.

وبـــلغني أن عبد الواحد رأى واحداً منهم بعد مدة، فسأله عن خبره وخبر أصحابه، فقال: يـــا أستاذ، نحن كل ليلة ندخل الجنة، ونأكل من ثمارها، قال: فقال له: خذوني الليلة معكم، قال: فأخرجوه معهم إلى الصحراء، فلما جنّهم الليل فإذا بقوم عليهم ثياب خُضر، وإذا بساتين وفواكه، قال: فنظر عبد الواحد إلى أرجُل هؤلاء الذين عليهم الثياب الخضر، فإذا هو مثل حوافر الدواب، فعـــلم أنهم شياطين، فلما أرادوا أن يتفرقوا قال لهم: إلى أين تذهبون ؟ أليس إدريس النبي ﷺ، لما دخل الجنة لم يخرج منها؟ قال: فلما أصبحوا فإذا هم على مزابل بين روث الدواب وبعر الحمار، فتابوا ورجعوا إلى صحبة عبد الواحد بن زيد، رحمه الله!

وينـــبغي أن يعلم العبد أن كل شيء رأته العيون في دار الدنيا: من الأنوار، أن ذلك مخلوق ليس بينه وبين الله ـــ تعالى ـــ شبه وليس ذلك صفة من صفاته، بل جميع ذلك خلق مخلوق.

ورؤية القلوب، بمشاهدة الإيمان وحقيقة اليقين والتصديق حق »[1].

وذكر قصة تشبه قصة عبد الواحد مع أصحابه، بين الجنيد وأحد تلاميذه[2].

---

[1] اللمع ص٥٤٤-٥٤٦ .

[2] انظر: كشف المحجوب جـ٢/٥٨٥ .

ثالثا: رؤية الربّ ـ تبارك وتعالى ـ في المنام:

هذه الرؤية محل اتفاق عند الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، ولا يخالف فيها إلا من يقول إن الله ـ تعالى ـ لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، ومرادهم تعطيل الرب ـ تبارك وتعالى ـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار عياناً، وأن أحداً لا يراه في الدنيا بعينيه، لكن يرى في المنام »[١].

وقال الذهبي: « فأما رؤية المنام، فجاءت من وجوه مستفيضة »[٢] وأقوال أهل العلم كثيرة ولا خلاف فيها بين الطوائف المنتسبة للسنة[٣].

وثبتت رؤية النبي ﷺ لربه ـ تبارك وتعالى ـ في المنام، عن ابن عباس قال: « قال رسول الله ﷺ: أتاني الليلة ربي ـ تبارك وتعالى ـ في أحسن صورة، قال: أحسبه في المنام، فقال: يا محمد، هل تدري فيما يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي، أو قال: نحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض... »[٤].

قال أبو عيسى وقد ذكروا بين أبي قلابة وبين ابن عباس رجلاً، وقد رواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد اللجلاج عن ابن عباس.

ثم ذكر لفظه: « أتاني ربي في أحسن صورة... » قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، قال: وفي الباب عن معاذ بن جبل وعبد الرحمن بن عائش عن النبي ﷺ، وقد روى هذا الحديث عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ بطوله، وقال: « إني نعست فاستثقلت نوماً فرأيت ربي في أحسن صورة » ثم ذكر الحديث، ثم قال: هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد ابن إسماعيل عن هذا الحديث فقال هذا حديث حسن صحيح، وقال: هذا أصح من حديث الوليد

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية٢/٣٣٦ .

[٢] السير جـ٢/١٦٧ .

[٣] انظر: سنن الدارمي (كتاب الرؤيا، باب: في رؤية الرب ـ تعالى ـ في النوم) جـ٢/١٧٠ حديث رقم٢٠٧٣، وتفسير ابن كثير جـ٤/٢٥٠ .

[٤] أخرجه الترمذي في (كتاب التفسير، باب ومن سورة ص) جـ٥/٣٦٦-٣٦٩ رقم ٣٢٣٣ ، ٣٢٣٤ ، ٣٢٣٥ ، والإمام أحمد في المسند جـ١/٣٦٨ ، ٤/٦٦ ، وابن أبي يعلى في مسنده جـ٤/٤٧٥ (ت/ حسين سليم أحمد، ط/ الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار المأمون للتراث-دمشق)، وقد صححه الترمذي أعلاه، وكذلك الإمام البخاري.

ابن مسلم، أي عن عبد الرحمن بن عائش، وكأن الترمذي ــ رحمه الله ــ يريد أن يثبت أن هذه الرؤية منامية حتى لا يظن غير ذلك.

وهذا الحديث رواه أحمد بن محمد بن سالم المخرمي وهو شيخ السالمية بلفظ قريب من هذا اللفظ[1]، وقد نسب الشيرازي إلى السالمية إنكاره، فقال: يسأل وذكر الحديث ثم قال: « وإن أنكره، فهو دهري سالمي »[2]، والسالمية ليسوا دهرية، وأقوالهم خلاف ذلك، بل منهم من يبالغ حتى يدعى الرؤية عياناً، وشيخ السالمية روى هذا الحديث، وروى عنه أيضاً كما سيأتي رؤية غير النبي ﷺ لربه في المنام، لذلك لا تصح هذه النسبة إليهم.

وأما غير النبي ﷺ فلا تحصل له هذه المترلة، وإنما يرى الرب ــ تعالى ــ في المنام كل إنسان بحسب إيمانه، ويرى في صور متنوعة[3]، فإن رؤيا الأنبياء وحي[4].

والرؤية عموماً تنقسم إلى ثلاثة أقسام: رؤيا من الله، ورؤيا من حديث النفس، ورؤيا من الشيطان، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: « الرؤيا ثلاث: فرؤيا حق، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان... »[5].

فلما كانت رؤية غير النبي ﷺ للربّ ــ تعالى ــ حسب إيمانه، فإنها تنقسم لهذه الأقسام الثلاثة.

ويروى عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم الزاهد ــ شيخ السالمية ــ قصة في رؤيا المنام، قال الحموي: سمعت الإمام أبا المظفر بن شيت المقرئ يقول: سمعت أحمد بن منصور المذكر يقول: سمعت أبا الحسن بن سالم البصري الصوفي يقول ــ وهو صاحب سهل بن عبد الله

---

(١) انظر: الرؤية للدارقطني جـ١/١٧٩ ط/ مبروك إسماعيل، وفي ط/ إبراهيم العلى وأحمد الرفاعي ص٣٣٥ رقم ٢٥٠ .

(٢) انظر: جزء فيه امتحان السني من البدعي ص٤٣٩ .

(٣) انظر: رسالة إلى أهل البحرين ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٤٩٢ ومنهاج السنة جـ٢/٦٢٣ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية١٠/٦١٢ .

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٣/٣٨٧ .

(٥) أخرجه مسلم في (كتاب الرؤيا) لم يبوب، جـ٤/١٧٧٣ حديث رقم ٢٢٦٣ ، والترمذي في (كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا وما يستحب منها وما يكره) جـ٤/٥٣٧ رقم ٢٢٨٠ ، وقال: « هذا حديث حسن صحيح »، واللفظ للترمذي.

التستري ــ قال: سمعت أبا بكر [أحمد][1] بن مجاهد يقول: « رأيت رب العزة في المنام، فختمت عليه ختمتين، فلحنت في موضعين، فاغتممت، فقال: يا بن مجاهد، الكمال لي، الكمال لي »[2].

ونقل أبو طالب المكي عن بعض شيوخه أنه أمره أن يقرأ على الله ــ تعالى ــ.

وقد أسرف في ذكر هذه المنامات، وذكر فيها طوام وبلايا لم يعقب عليها، بل يستدل بها، فمن ذلك ــ نقله عمن لم يسمه، أنه « ربما رأيته (أي الرب تعالى) ــ في ليلة سبع مرار »، وذكر عن آخر أنه « رأى الله ــ عز وجل ــ مائة وعشرين مرة، وسأله عن سبعين مسألة، أظهر منها أربعة، فأنكرها الناس فأخفى الباقي »[3].

ومثل هذه الترهات كثيرة عنده، وعند غيره من الصوفية، فمن ذلك ما ذكره القشيري قال: « وقيل: رأى أحمد بن خضروية[4] ربه في المنام، فقال: يا أحمد، كل الناس يطلبون مني، إلا أبا يزيد فإنه يطلبني »[5] نعوذ بالله من الضلال، فالأسانيد منقطعة، والنقلة كذبة، والممدوح من الزنادقة.

وهذه المنامات من الشيطان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وكثير من هؤلاء يتمثل له الشيطان، ويرى نوراً أو عرشاً أو نوراً على العرش، ويقول أنا ربك، ومنهم من يقول: أنا نبيك، وهذا وقع لغير واحد، ومن هؤلاء من تخاطبه الهواتف بخطاب على لسان الإلهية أو غير ذلك»[6]، « ولهذا كثير من أهل الزهد والعبادة يكون من أعوان الكفار ويزعم أنه مأمور بذلك، ويخاطب به، ويظن أن الله هو الذي أمره بذلك، والله منزه عن ذلك، وإنما الآمرله بذلك النفس والشيطان، وما في نفسه من الشرك، إذ لو كان مخلصاً لله الدين لما عرض له شيء من ذلك، فإن

---

[1] كذا في طبقات القراء للذهبي جـ١/٣٣٦ ، وفي الأصل محمد مع أنه سماه في أول الترجمة أحمد.

[2] انظر: معجم الأدباء جـ٥/٧٠-٧١ ط/إحياء التراث، وطبقات القراء للذهبي جـ١/٣٣٦ ، والرواة عن أبي الحسن بن سالم لا يعرفون.

[3] انظر: القوت جـ٢/١١١، وأربعة كذا في الأصل.

[4] هو أبو حامد أحمد بن خضروية البلخي، توفي سنة ٢٤٠هـ، من أصحاب أبي يزيد البسطامي. انظر: الرسالة القشيرية ص ٤١٠ رقم ٣٢ .

[5] الرسالة القشيرية ص٣٦٩ .

[6] منهاج السنة جـ٢/٦٢٥ .

هــذا لا يكون إلا لمن فيه شرك في عبادته، أو عنده بدعة، ولا يقع هذا لمخلص متمسك بالسنة البتة »[١].

« وقــد يخاطــبون بأشياء حسنة رشوة منه لهم، ولا يخاطبون بما يعرفون أنه باطل، لئلا ينفرون منه، بل الشيطان يخاطب أحدهم بما يرى أنه الحق، والراهب إذا راض نفسه فمرة يرى في نفسه صورة التثليث، وربما خوطب منها، لأنه كان يتمثلها قبل ذلك »[٢].

ومن أمثلة ذلك: ما « حُكي عن سهل بن عبد الله ــ رحمه الله ــ أن بعض تلاميذه، قال لــه يوماً: يا أستاذ، أنا في كل ليلة أرى الله بعيني رأسي، فعلم سهل ــ رحمه الله ــ أن ذلك من كيد العدو، فقال له: يا حبيبي، إذا رأيته الليلة فابزق عليه، قال: فلما رآه من ليلته بزق عليه، قال فطار عرشه، وأظلمت أنواره، وتخلص الرجل من ذلك، ولم ير شيئاً بعد ذلك »[٣].

وقــال شــيخ الإسلام ابن تيمية: « كثير من العباد يرى الكعبة تطوف به، ويرى عرشاً عظــيماً وعليه صورة عظيمة، ويرى أشخاصاً تصعد وتنزل فيظنها الملائكة ويظن أن تلك الصورة هي الله ــ تعالى وتقدس ــ ويكون ذلك شيطاناً.

وقــد جرت هذه القصة لغير واحد من الناس، فمنهم من عصمه الله وعرف أنه الشيطان، كالشــيخ عــبد القادر في حكايته المشهورة حيث قال: كنت مرة في العبادة فرأيت عرشاً عظيماً وعــليه نور، فقال لي: يا عبد القادر! أنا ربك وقد حللت لك ما حرمت على غيرك، قال: فقلت له: أنت الله الذي لا إله إلا هو؟ اخسأ يا عدو الله. قال: فتمزق ذلك النور وصار ظلمة، وقال: يا عــبد القــادر نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك بمنازلاتك في أحوالك، لقد فتنت بهذه القصة سـبعين رجــلاً، فقيل له: كيف علمت أنه الشيطان؟ قال: بقوله لي "حللت لك ما حرمت على غيرك" وقد علمت أن شريعة محمد ﷺ لا تنسخ ولا تبدل، ولأنه قال أنا ربك، ولم يقدر أن يقول أنا الله الذي لا إله إلا أنا[٤].

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية ٦١٢/١٠ .

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية ٦١٢/١٠ .

[٣] اللمع ص٥٤٤ .

[٤] انظر: القصة في ذيل طبقات الحنابلة جـ٢٩٤/٣، وذكر أنها مشهورة، وذكرها الشطنوفي ولم يكن عليه الاعتماد وحده.

ومن هؤلاء من اعتقد أن المرئي هو الله ، وصار هو وأصحابه يعتقدون أنهم يرون الله ــ تعالى ــ في اليقظة، ومستندهم ما شهدوه، وهم صادقون فيما يخبرون به ولكن لم يعلموا أن ذلك هو الشيطان.

وهذا قد وقع كثيراً لطوائف من جهال العباد، يظن أحدهم أنه يرى الله ــ تعالى ــ بعينه في الدنيا لأن كثيراً منهم رأى ما ظن أنه الله وإنما هو شيطان.

وكثير منهم رأى من ظن أنه نبي أو رجل صالح أو الخضر وكان شيطاناً »[١].

وسبق ذكر ما قاله السراج عن تلاعب الشيطان بجماعة من العباد من أهل البصرة، وذكر بعض ما يرون[٢].

وأما ما يكون من النفس، فقد سبق ذكر شيء من ذلك، وهو أن المشاهدة من نتائج العقائد، فمن كان معتقده ثابتاً في أمر من الأمور، فإنه إذ صفت نفسه وارتاضت، وفارقت الشهوات والرذائل، صارت روحانية، تجلت لها صورة معتقدها كما اعتقدته[٣].

رابعاً: رؤية الرب ــ تبارك وتعالى ــ في الدنيا بالأبصار لغير النبي ﷺ:

هذه المسألة ليست من مسائل النزاع، بل المخالف فيها ضال، ومذهب أهل السنة والجماعة ومن وافقهم أن الله ــ تعالى ــ لا يراه أحد بعينيه في الدنيا، وأجمعوا على ذلك، والخلاف بينهم في رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج، وسبق الكلام على هذه المسألة والراجح فيها أنه ﷺ لم ير ربه بعيني رأسه. وأدلة أهل السنة من الكتاب العزيز منها:

١- قوله تعالى جواباً لموسى عليه السلام لما سأل:﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾[٤] فـ "لن" تقتضي نفي الرؤية في الدنيا، ولا تدل على دوام النفي في الآخرة أيضاً[٥]، فمحال أن يمنعها كليمه موسى عليه السلام، ثم تكون لغيره من سائر البشر.

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية ١/١٧٢ .

[٢] انظر: اللمع ص٥٤٤-٥٤٦ .

[٣] انظر: الرؤية القلبية، ومدارج السالكين جـ٣/٢٦٠ .

[٤] سورة الأعراف الآية: ١٤٣ .

[٥] انظر: حادي الأرواح ص٣٦٣ .

٢- ومن أدلتهم على نفي رؤية الرب ــ تعالى ــ في الدنيا قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾[١].

فلما حصر تبارك وتعالى تكليمه للبشر في الدنيا بهذه الوسائل، وحتى مع تكليمه من غير واسطة يكون من وراء حجاب، ولا تحصل لهم الرؤية فمن باب أولى غيرهم[٢].

ومن أدلتهم من السنة:

٣- ما أخرجه الإمام مسلم في خبر الدجال عن عمر بن ثابت الأنصاري عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ، عن النبي ﷺ وفيه أنه قال ﷺ: « تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه ﷻ حتى يموت »[٣].

٤- وما أخرجه مسلم أيضاً عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات وفيه « حجابه النور (وفي رواية: النار) لو كشف لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ».

٥- وما أخرجه البخاري من حديث جبريل وفيه: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ».

٦- ما أخرجه مسلم عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: قال النبي ﷺ: « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، والموت قبل لقاء الله »[٤].

واللقاء أعم من الرؤية فإذا انتفى اللقاء انتفت الرؤية[٥].

والأدلة أكثر من ذلك بكثير وفيما ذكر كفاية.

---

[١] سورة الشورى الآية: ٥١ .

[٢] انظر: رؤية الله د. أحمد آل حمد ص١٣٣ .

[٣] أخرجه مسلم في (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد) جـ٤/٢٢٤٥ رقم ٢٩٣٠ وقد أخرجه غيره.

[٤] أخرجه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) جـ٤/٢٠٦٦ رقم ٢٦٨٤ ، وقد أخرجه البخاري دون « الموت قبل لقاء الله » في (كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) جـ٤/ ٢٠٤٠ رقم ٦٥٠٧.

[٥] انظر: فتح الباري جـ١١/٤٣٩ .

وقـــد أجمع سلف الأمة وأئمتها على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم، و لم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ[1]، والراجح أنه لم يره بعيني رأسه ﷺ وقد نقل الكلاباذي إجماع الصوفية على منع رؤية الرب ـــ تعالى ـــ في الدنيا بالأبصار فقال: « وأجمعوا أنه لا يرى في الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب إلا مـــن جهـــة الإيقـــان لأنه غاية الكرامة وأفضل النعم، ولا يجوز أن يكون ذلك إلا في أفضل المكـــان،...ولما منع الله ـــ سبحانه ـــ كليمه موسى عليه السلام ذلك في الدنيا، وكان من هو من دونه أحرى » وقد نقل هذا الإجماع غيره[2]، وقال ابن أبي العز: « واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينيه، و لم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة »[3].

ونقل الإجماع ابن القيم[4] والسفاريني[5] وسيأتي كلامه.

وعلـــلوا سبب عدم الرؤية بضعف قوى البشر في هذه الدنيا عن رؤية الرب ـــ تعالى ـــ، ولـــذا لم نـــره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع ذات المرئي بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته[6].

وأمـــا من ادعى رؤية الله ـــ تعالى ـــ في الدنيا فهو مبتدع ضال، يستتاب فإن تاب وإلا قتل[7]، قال السفاريني: « من ادعى الرؤية في الدنيا يقظة لغير نبينا ﷺ فهو ضال، بل الكواشي في تفسيره[8]، في سورة النجم قال : ومعتقد رؤية الله هنا ـــ يعني في الدنيا بالعين ـــ لغير نبينا محمد ﷺ فزنديق،

---

(1) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/٥١٢ .

(2) التعرف لمذهب أهل التصوف ص٤٦ ، ونقل هذا الإجماع أيضاً ابن خفيف. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٧٩ .

(3) شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٦ .

(4) انظر: حادي الأرواح ص٤٢٢ .

(5) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية جـ١/٢٨٥ .

(6) انظر: حادي الأرواح ص٣٦٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص١٩٥ .

(7) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٦/٥١٢ .

(8) هو موفق الدين أبو العباس، أحمد بن يوسف بن حسن الكواشي، ثم الموصلي الشافعي، وكواشة قلعة من أعمال الموصل، له تفســير بعنوان "تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر"، ثم لخصه في مجلد سماه "التلخيص"، من التبصرة قطعة في مدرسة النواب بالمشهد الرضوي، توفي سنة ٧٨٠هـ. انظر: طبقات القراء للذهبي جـ٣/١١٨١-١١٨٣ ترجمة رقم ١١٠٨ ، ومعجم المفسرين، تأليف عادل نويهض جـ١/٨٣-٨٤ ، ط/ الثالثة ١٤٠٩هـ الناشر مؤسسة نويهض الثقافية.

فلو قال إني أرى الله عياناً في الدنيا ويكلمني شفاهاً كفر »[١].

فإذا علم هذا فقد انحرف طائفة من الصوفية والملاحدة فادعوا رؤية الله ـــ تعالى ـــ في هذه الدنيا يقظة بالأبصار، وهؤلاء يمكن أن نقسمهم إلى ثلاث طوائف:

الأولى: ابن عربي الزنديق وأمثاله، فإنهم يقولون: إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، وأنه يـــرى في الدنيـــا والآخـــرة، لأن الوجود المطلق الساري في الكائنات لا يرى، وهو وجود الحق عـــندهم، ثم من أثبت الذات قال: يُرى متجلياً فيها، ومن فرق بين المطلق والمعين قال: لا يرى إلا مقيداً بصورة.

وهـــؤلاء قولهم دائر بين أمرين: إنكار رؤية الله، وإثبات رؤية المخلوقات، ويجعلون الرؤية عياناً في الدنيا المخلوق هو الخالق، أو يجعلون الخالق حالاً في المخلوق[٢].

الـــثانية: جهـــلة النساك الذين يزعمون أنه جائز على الله ـــ تعالى ـــ الحلول في الأجسام الحسنة الجميلة، ومنهم من يقول إنه يرى الله في الدنيا على قدر عمله، فمن كان عمله أحسن رأى معـــبوده أحســـن، ومنهم من يقول: إنهم يرون الله ـــ تعالى ـــ في صور مختلفة، ولا يعين الصور الجميـــلة، وهـــؤلاء مـــن الحلولية[٣]، وفيهم ممن تتمثل له الشياطين، وفيهم من يظن ذلك بسبب عبادتهم وذكرهم[٤].

وقد نسب هذا القول ابن جرير الطبري لجماعة متصوفة مثل بكر بن أخت عبد الواحد بن زيـــد: ونقل عنهم قولهم: إن الله ﷻ يُرى في الدنيا والآخرة، وزعموا أنهم قد رأوه، وأنهم يرونه كلما شاءوا، إلا إنهم زعموا أنه يراه أولياؤه دون أعدائه.

ومـــنهم مـــن يقول: يراه الولي والعدو في الدنيا والآخرة، إلا أن الولي يثبته إذا رآه، لأنه

---

[١] لوامع الأنوار جـ٢/٢٨٥ .

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٢/٣٣٧ .

[٣] انظر: المقالات جـ١/٣٤٤ ومنهاج السنة جـ٢/٦٢٢-٦٢٣ ، وبغية المرتاد ص٤٧٢ ، وانظر: ما سيأتي في ص٧٨٦.

[٤] انظر: منهاج السنة جـ٢/٦٢٣-٦٢٥ .

يتراءى في صورة إذا رآه بها عرفه، وأن العدو لا يثبته إذا رآه[1].

وقد تعقبه ابن خفيف في النسبة فقال: « ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة، فبين أن ذلك على جهالة منه بأقوال المخلصين منهم، وكان من نسب إليه ذلك القول ــ بعد أن ادعى على الطائفة ــ ابن أخت عبد الواحد بن زيد، والله أعلم محله عند المخلصين، فكيف بابن أخته، وليس إذا أحدث الزائغ في نحلته قولاً نسب إلى الجملة »[2].

وعبد الواحد بن زيد أنشأ بعض أصحابه أول دويرة للصوفية[3]، وهو من المعظمين عند أبي طالب المكي ــ من السالمية ــ ونقل عنه كثيراً[4]، وابن أخته اسمه بكر بن زياد الباهلي دجال يضع الحديث[5]، نُسب إليه البكرية، من أقوالهم أن مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة عابد للشيطان، مخلد في النار[6] وأن ذنوب علي وطلحة والزبير ﷺ كانت كفراً وشركاً، غير أنهم كانوا مغفوراً لهم[7]، وقد اختلف كتاب الفرق في تصنيفهم فمنهم من جعلهم مع الجهمية[8]، وهناك من صنفهم من الخوارج[9].

وقد نسب هذا القول ابن حزم للمجسمة[10]، ونسبه ابن حجر لغلاة الصوفية[11].

والثالث: قول بعض أهل النظر والكلام.

---

[1] انظر: التبصير في معالم الدين ص٢١٧-٢١٩ .

[2] مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٧٩ .

[3] انظر: ماسيأتي في ص٨١٣ .

[4] انظر: ماسيأتي في ص٨١١-٨١٤ .

[5] انظر: ميزان الاعتدال للذهبي جـ١/٣٤٥ رقم١٢٨١ .

[6] انظر: المقالات جـ١/٣٤٢ .

[7] انظر: الفرق بين الفرق ص٢١٢-٢١٣ .

[8] كالأشعري في المقالات جـ١/٣٤٢ ، والبغدادي في الفرق ص٢١٢ .

[9] انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٣٠ .

[10] انظر: الفصل في الملل والأهواء جـ٣/٧ .

[11] انظر: فتح الباري جـ١/١٦٠ .

قـــالوا في رؤية الله ــ تعالى ــ بالأبصار في الدنيا على جهة الكرامة ؟ قولان: أحدهما: وقوعها، والثاني: لا تقع[١].

والقـــول بجواز وقوعها، بسبب أقوال الصوفية السابقة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ في تعـــليقه عـــلى القول بوقوعها في الدنيا ــ: « حتى أورث مما يدعيه هؤلاء شكاً عند أهل النظر والكـــلام الذين يجوزون رؤية الله في الجملة، وليس لهم من المعرفة بالسنة ما يعرفون به هل يقع في الدنيا أو لا يقع؟ فمنهم من يذكر في وقوعها في الدنيا على قولين، ومنهم من يجوز ذلك.

وهـــذا كلـــه ضلال، فإن أئمة السنة والجماعة متفقون على أن الله لا يراه أحد بعينيه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في نبينا ﷺ خاصة »[٢].

وعـــلى هـــذا فهذا القول لا دليل عليه، وأصله قول الصوفية، فنعود للكلام على أصحاب القول الثاني.

وأما السالمية فلهم أقوال قريبة للقول الثاني، فإن أبا طالب المكي ممن يعظمون عبد الواحد بن زيـــد فـــيرى أنه إمام الزاهدين[٣] لذا تأثر به أو بأتباعه، وأبو طالب المكي عُرف منهجه بالمراوغة، ومحاولـــة إخفاء بعض أقواله وحقيقة آرائه، وهذا منهج كثير من الصوفية، فنجد عنده أقوالاً كثيرة تشـــعر بالحلول ومشاهدة الرب ــ تبارك وتعالى ــ بالأبصار، أو بالقلوب، فيقول: « وروينا في حديث ابن عمر قال: قيل:يا رسول الله، أين الله في الأرض؟ قال: "في قلوب المؤمنين"[٤]، وفي الخبر المأثور عن الله ــ تعالى ــ: "لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن"[٥] »[٦].

---

[١] انظر: الرسالة القشيرية ص٣٦٠ ، وشرح صحيح مسلم للنووي جـ٣/١٩، وبغية المرتاد ص٤٧٢ .

[٢] رسالة إلى أهل البحرين ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٥/٤٨٩ .

[٣] انظر: القوت جـ١/٤٠ .

[٤] قال العراقي في تخريج الإحياء جـ٢/٧١٢ رقم ٢٥٩٨ : « لم أجده بهذا اللفظ »، قلت: لم أجده في كتب الموضوعات ولا غيرها.

[٥] قال شيخ الإسلام ابن تيمية عنه في مجموع الفتاوى جـ١٨/١٢٢ ، ٣٧٦ : « هذا مذكور في الإسرائيليات، ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ » وقال العراقي في تخريج الإحياء جـ٢/٧١٣ رقم ٢٥٩٩ : « لم أر له أصلاً » وهذا يدل على أن الغزالي نقلهما عن أبي طالب المكي.

[٦] القوت جـ١/٢١٥ .

وهذان حديثان موضوعان.

وقال عن خصوص الأولياء المقربين: « استحضرهم (أي الرب ـ تعالى ـ) فحضروا، واستحفظهم العلم فحفظوا، واستشهدهم عليه فشهدوا...، وهم المنظور إلى قلوبهم كفاحاً، والمقصودون بالمزيد، والتحف مساء وصباحاً، وحجبوا بالظواهر عن الباطن واغتبطوا بالحجاب »[1].

وحكى عن بعض من يعظم فقال: « وقال بعض العارفين ممن يكشف عن مشاهدته: ... فذكر أشياء من مكاشفات السموات »[2].

وذكر عن آخر أن الله ـ تعالى ـ أدخله الفلك الأسفل فدوره فيه، ثم أدخله في الفلك العلوي فطوف به في السموات، وأراه ما فيها من الجنان إلى العرش، ثم أوقفه بين يديه، فقال لي: سلني أي شيء،... ثم ذكر حكاية عن أبي تراب النخشبي أنه قال لأحد المريدين: « لو رأيت أبا يزيد، فقال المريد إني عنه مشغول، فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد، هاج وجد المريد، فقال: ويحك ما أصنع بأبي يزيد، قد رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد، فقال أبو تراب: فهاج طبعي و لم أملك نفسي، فقلت له: ويلك لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة، كان أنفع لك من أن ترى الله ﷻ سبعين مرة »[3].

وهذه الحكايات لم يذكر أنها في منام بل ظاهر كلامه يدل على أنه في اليقظة، ويدل عليه قوله بعد ذلك: « أهل المقامات يشتاقون إليه وهو يشتاق إليهم، وأهل القرب ينظرون إليه وهو ينظر إليهم، وأهل المحبة يحبون أن يسمعوا كلامه وهو يحب أن يسمع كلامهم، وأهل الأحوال يسألونه وهو حسبهم ويحب أن يسألوه، وأهل المشاهدات [يزورونه][4] وهو في قلوبهم يزورهم »[5].

ويحذر من إنكار ذلك فيقول: « فلا تنكرن من جميع ما ذكرناه شيئاً، فتخسر أقل أنصبة المؤمنين من علم القدرة واليقين، لأن للمؤمنين أنصبة من هذا العلم، منها المشاهدة لما وصفناه،

---

[1] القوت جـ١/٢٠٥ .

[2] نفس المرجع جـ٢/١١٢ .

[3] نفس المرجع جـ٢/١١٦ ، ونقلها عنه الغزالي في الإحياء جـ٤/٥١٤ ، ونسبها لأبي يزيد البسطامي والأمر كله كذب، لا النقل، ولا النسبة، لكنه يحكي اعتقادهم.

[4] في الأصل (يزورنه) سقطت الواو.

[5] القوت جـ٢/١١٧ .

والإدراك لما رمزناه، ومنها الوجود والحال، ... وآخرها التصديق والقبول، فأقل النصيب من علم المعرفة إن لم يشهد فلا يجحد، وإن لم يعرف فليتعرف »[١].

فمـــراده مما ذكر حلول الرب ـــ تعالى ـــ في قلوب الأولياء، وأنه ينظر إليهم، وينظرون إليه، ولو كان يقصد غير ذلك لم يحذر من إنكار ما ذكر، فإن هذا مما أنكره الناس عليه وأمثاله.

وقد نسب شيخ الإسلام ابن تيمية القول برؤية الله في الدنيا لبعض المتكلمين وجهال الصوفية، ثم قال: « وقد ذكر ذلك أبو طالب المكي عن بعض الصوفية ورد عليه »[٢]، و لم أقف على رد لأبي طالب في هـــذه المسألة، وهو في كل باب يذكر القول وما يناقضه، وقد نقد أبو طالب الصوفية في مواضع[٣]، فلعل الشيخ أراده، والقصص الذي ذكرها أبو طالب غالبها في فصل المحبة التي هي دين القوم.

وليتضح مراده، فقد قال في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ ﴾[٤]: « أي بالجبل كان الجبل حجاباً لموسى فكشفه عنه فتجلى به »[٥].

وقال أيضاً: « وقال موسى عليه السلام ربي أرني أنظر إليك أي في محل العبودية... ».

وقـــال عن موسى ومحمد ـــ عليهما السلام ـــ: « كم بين من رأى ما رأى عند نفسه في مكانه، وبين من رأى ربه في علوه »[٦].

وعـــلق شيخ الإسلام ابن تيمية على ما ذكره فقال: « هؤلاء منهم من يقول: إن موسى رآه وأن الجبل كان حجابه، فلما جعل الجبل دكاً رآه، وهذا يوجد في كلام أبي طالب ونحوه، ومنهم من يجعل الرائي هو المرئي، فما رآه عندهم موسى، بل رأى نفسه بنفسه، وهذا يدعونه لأنفسهم »[٧].

---

[١] نفس المرجع جـ٢/١٢٣ .

[٢] بغية المرتاد ص٤٧٢ .

[٣] انظر: القوت جـ١/٢٦٣ ، ٣٣٩ .

[٤] سورة الأعراف الآية: ١٤٣ .

[٥] القوت جـ١/٩٩ .

[٦] نفس المرجع جـ٢/ ١٠٩ .

[٧] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٥/٤٩٠-٤٩١ .

وذكر هذا أيضاً ابن برجان ــ من السالمية ــ فقال: « الوصف لله ــ جلّ ذكره ــ بالتجلي والظهـور صحيح شايع وجوده ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[1]، والحجب فعله ومقدوره في مشـيئته، إذا شاء جلّ ذكره وتعالى علاه[2] وجده حجبهم عنه، وإذا شاء آراهم نفسه بوعده الكريم وفضله العظيم، فلذلك جاز أن يوصف بأنه مكان كذا، فهو الغني عن كل شيء بكل معنى وعلى كل وجـه، وعـلى ذلك فهو الله في السموات وفي الأرض، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[3]، وهو الموصوف المعلوم بأنه معكم﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[4]، وأنه ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾[5]... »[6]، وقال: « لا يخلو منه مكان »[7].

وقـال: « ثم قـد يكشف الله ــ جلّ جلاله ــ لبصاير بعض عباده المؤمنين فيرون بها ما غاب عن أبصار رؤوسهم، وذلك أنهم لما علموا أن سبب الحجب لهم عن ربهم ﷻ إمراج قلوبهم فيما لا يعني، وصرفها عن الاشتغال بمعرفته والازدياد من العلم واليقين »[8].

وقال: « ثم قد يرون أيضاً ما ليس كالأجسام المعهودة ولا كالمرائي الظاهرة المعتادة، فما كـان من هذا زايد[9] بصايرهم مرأى روحانية بصور يا مصور العقل في باطن الذكر بإذن باريه فتبصرها البصيرة على ذلك »[10].

---

[1] سورة الزمر الآية: ٦٩ .

[2] في الأصل رسمت علاوه.

[3] سورة الأعراف الآية: ٥٤ .

[4] الحديد الآية: ٤ .

[5] سورة المجادلة الآية: ٧ .

[6] تفسير ابن برجان ورقه٢٢٩ .

[7] نفس المرجع ورقه٢٣٠ .

[8] نفس المرجع ورقه ٣ .

[9] كذا في الأصل وما بعدها فيه ركاكه.

[10] نفس المرجع ورقة٤ .

غير أنه يقول في موضع آخر ما يخالف هذا فيقول: « فرؤيته اليوم بالإيمان والبصائر ورؤيته في الآخرة بالعيان ورؤيته في حال البرزخ من ذلك »[1]، فكلامه السابق صريح في الرؤية، وهذا يجعلها بالبصائر فما مراده به؟.

وهذا يقول به كثير من الصوفية، أو قريب منه[2].

وهذه المسألة لها ارتباط بالقول بالحلول، لذا يقول برؤية الرب ـــ تبارك وتعالى ـــ عياناً في الدنيا من قال بالحلول من الصوفية[3]، ومنهم من يصرح بذلك، ومنهم من يورى كأبي طالب المكي، والسالمية الصوفية نُسب إليها القول بالحلول وسيأتي بيانه إن شاء الله[4].

وقد وصف الغزالي ما يراه المريد فقال: « ومن أول الطريق تبتدئ المشاهدات والمكاشفات، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال في مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه، وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول، وطائفة الاتحاد، وطائفة الوصول، وكل ذلك خطأ »[5]، وهذا بسبب الجوع والسهر.

وهؤلاء أصحاب القول الثاني منهم من يظن أنه يرى الله ـــ تعالى ـــ لما يغلب على قلوبهم من المعرفة والذكر والمحبة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ: « وهذا الموضع مما يقع الغلط فيه لكثير من السالكين، يشهدون أشياء بقلوبهم فيظنون أنها موجودة في الخارج هكذا، حتى إن فيهم خلقاً منهم من المتقدمين والمتأخرين يظنون أنهم يرون الله بعيونهم، لما يغلب على قلوبهم من المعرفة والذكر والمحبة يغيب بشهوده فيما حصل لقلوبهم ويحصل لهم فناء واصطلام، فيظنون أن

---

(1) نفس المرجع ق٢٣١ .

(2) انظر: مدارج السالكين جـ٣/٢٥٦ باب المعاينة وأنواعها للهروي، ومظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية جـ١/٣٢٥-٣٤٩ .

(3) انظر: مظاهر لانحرافات العقدية عند الصوفية جـ١/٣٢٥-٣٤٩ ، وانظر: ما سيأتي في ص٧٨٦.

(4) انظر: ما سيأتي في ص٧٨٧.

(5) طرق الصوفية لأبي حامد الغزالي ص٦٣-٦٤ ضمن مجموعة رسائل الغزالي.

هذا هو أمر مشهود بعيونهم، ولا يكون ذلك إلا في القلب، ولهذا ظن كثير منهم أنه يرى الله بعينه في الدنيا، وهذا مما وقع لجماعة من المتقدمين والمتأخرين، وهو غلط محض »[١].

ومنهم أهل الخيالات الصوفية الفاسدة قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: « وهذا الغلط يقع كثيراً في السالكين، يقع لهم أشياء في بواطنهم فيظنونها في الخارج، في ذلك بمترلة الغالطين، من نظار المتفلسفة ونحوهم، حيث يتصورون أشياء بعقولهم كالكليات والمجردات ونحو ذلك فيظنونها ثابتة في الخارج، وإنما هي في نفوسهم، ولهذا يقول أبو القاسم السهيلي وغيره: نعوذ بالله من قياس فلسفي، وخيال صوفي.

ولهذا يوجد التناقض الكثير في كلام هؤلاء وهؤلاء، وأما الذين جمعوا الآراء الفلسفية الفاسدة والخيالات الصوفية الكاسدة كابن عربي وأمثاله، فهم من أضل أهل الأرض، ولهذا كان الجنيد ﷺ سيد الطائفة إمام هدى، فكان قد عرف ما يعرض لبعض السالكين، فلما سئل عن التوحيد قال: التوحيد إفراد الحدوث عن القدم.

فبين أنه يميز المحدث عن القديم تحذيراً عن الحلول والاتحاد، فجاءت الملاحدة كابن عربي ونحوه فأنكروا هذا الكلام على الجنيد، لأنه يبطل مذهبهم الفاسد،والجنيد وأمثاله أئمة هدى، ومن خالفه في ذلك فهو ضال، وكذلك غير الجنيد من الشيوخ تكلموا فيما يعرض للسالكين وفيما يرونه في قلوبهم من الأنوار وغير ذلك، وحذروهم أن يظنوا أن ذلك هو ذات الله ـ تعالى ـ.

وقد خطب عروة بن الزبير[٢] من عبد الله بن عمر ابنته، وهو في الطواف، فقال: أتحدثني في النساء، ونحن نتراءى الله في طوافنا؟ فهذا كله وما أشبه لم يريدوا به أن القلب ترفع جميع الحجب بينه وبين الله حتى تكافح الروح ذات الله كما يرى هو نفسه، فإن هذا لا يمكن لأحد في الدنيا، ومن يجوز ذلك إنما جوزه للنبي ﷺ كقول ابن عباس: "رأى محمد ربه بفؤاده مرتين"، ولكن هذا التجلي يحصل بوسائط بحسب إيمان العبد ومعرفته وحبه، ولهذا تتنوع

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية٥/٣٨٩-٤٩٠ .

[٢] هو أبو عبد الله، عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، المدني، تابعي، روى عن أبيه وأمه أسماء، وأخيه عبد الله، وغيرهم، ثقة كثير الحديث، فقيهاً عالماً، لم يدخل في شيء من الفتن، من فقهاء المدينة السبعة (ت ٩١هـ أو ٩٢هـ أو ٩٤هـ) وقيل غير ذلك. انظر: السير جـ٤/٤٢١-٤٣٧ رقم الترجمة ١٦٨ ، وتهذيب التهذيب جـ/١١٣-١١٤ رقم ٥٣٤٧ .

أحوال الناس في ذلك كما تتنوع رؤيتهم لله ــ تعالى ــ في المنام، فيراه كل إنسان بحسب إيمانه، ويرى في صور متنوعة. فهذا الذي قاله أبو طالب وهؤلاء: إذا قيل مثله فيما يحصل في القلوب، كان مقارباً مع أن في بعض ذلك نظراً، وأما أن يقال: إن الرب ــ تعالى ــ في نفسه هو كذلك، فليس الأمر كذلك »[١].

وقال ابن القيم ــ رحمه الله ــ: « ومن ظن من القوم أن كشف العين ظهور الذات المقدسة لعباده حقيقة فقد غلط أقبح الغلط، وأحسن أحواله: أن يكون صادقاً ملبوساً عليه، فإن هذا لم يقع في الدنيا لبشر قط، وقد منع منه كليم الرحمن ﷺ.

... فمن ادعى كشف العيان البصري عن الحقيقة الإلهية فقد وهم وأخطأ وإن قال: إنما هو كشف العيان القلبي، بحيث يصير الرب ــ سبحانه ــ كأنه مرئي للعبد، كما قال النبي ﷺ: « اعبد الله كأنك تراه » فهذا حق، وهو قوة يقين ومزيد علم فقط.

نعم قد يظهر نور عظيم فيتوهم أن ذلك نور الحقيقة الإلهية، وأنها قد تجلت له، وذلك غلط أيضاً فإن نور الرب ــ تعالى ــ لا يقوم له شيء[٢].

وقال: « فهذا الباب يغلط فيه رجلان:

أحدهما: غليظ الحجاب كثيف الطبع.

والآخر: قليل العلم يلتبس عليه ما في الذهن بما في الخارج، ونور المعاملات بنور رب الأرض والسموات »[٣].

وخطأ هؤلاء في هذه المسألة، مرتبط بخطئهم في مسألة القرب والمعية، والعلو، كما سبق بيانه.

والرد عليهم من وجوه:

أولاً: لو كان عندهم أنه سبحانه مستو على عرشه بائن من خلقه، وأنه مع خلقه بالعلم والقدرة والسلطان، ويخص أوليائهم بالإعانة والنصر والتأييد، لم يقولوا بهذا القول.

---

[١] انظر: رسالة إلى أهل البحرين ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٥/٤٩١-٤٩٢ .

[٢] انظر: مدارج السالكين جـ٣/٢٣٩ .

[٣] نفس المرجع جـ٣/٢٤٠ .

ثانيـــاً: هـــذا القـــول من السالمية الصوفية ومن وافقهم في هذه المسألة يؤكد نسبة القول بالحلول إليهم، وسيأتي الرد عليهم.

ثالـــثاً: أن مـــا يرونه سببه الجوع والسهر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « ومن أهل هذه الخـــلوات مـــن لهـــم أذكار معينة وقوت معين، ولهم تنـــزلات معروفة، وقد بسط الكلام عليها ابـــن عربي ومن سلك سبيله كالتلمساني وهي تنـــزلات شيطانية وقد عرفتها وخبرت ذلك من وجوه متعددة...

وممـــا يأمـــرون به الجوع والسهر والصمت مع الخلوة بلا حدود شرعية، بل سهر مطلق، وجـــوع مطـــلق، وصمت مطلق مع الخلوة، كما ذكر ذلك ابن عربي وغيره، وهي تولد أحوالاً شيطانية وأبو طالب قد ذكر بعض ذلك »[1].

رابعاً: يلزمهم أن يكونوا أفضل من كليم الرحمن موسى عليه السلام فقد سأل الرؤية فقال تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾[2]، ومن زعم ذلك فقد كفر[3].

خامساً: ويلزمهم أيضاً أن يكونوا أفضل من خاتم الرسل ــ عليهم السلام ــ محمد ﷺ[4]، والـــذي هو على قول أنه رأى ربه مرة واحدة ليلة المعراج، وهؤلاء يرونه كثيراً، وكلما شاءوا، ولذلك زعم من زعم من الصوفية أن النبي ﷺ رأى ربه عشر مرات[5]، وهذا قول باطل.

وعلى ذلك فالذي يرى ربه كلما أراد وهو على الأرض أفضل ممن لم يره إلا مرة واحدة.

سادســـاً: ويـــلزمهم أيضاً أنهم أفضل من العشرة المبشرين بالجنة من أصحاب النبي ﷺ، وكذلـــك جميـــع أصحاب النبي ﷺ، فلم يرد عن أحد منهم أنه رأى ربه، وهؤلاء طمعت فيهم الشـــياطين وتلاعبت بهم، ولقوة إيمان أصحاب رسول الله ﷺ وسادة الأمة وعلمائها لم تظهر لهم الشياطين ويزعمون هذه المزاعم.

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٠٣/١٠ .

[2] سورة الأعراف الآية: ١٤٣ .

[3] انظر: مدارج السالكين جـ٢٣٩/٣ .

[4] انظر: نفس المرجع جـ٢٣٩/٣ .

[5] انظر: الغنية للجيلاني جـ١١٢/١ .

وأيضاً هؤلاء أفضل من شيوخهم الذين يعظمونهم وينتسبون إليهم ويرتسمون خطاهم، فهم لم يدعوا هذه الدعوى.

سابعاً: أعظم نعيم الجنة رؤية الرب ـ تبارك وتعالى ـ ولا يحصل لأهل الجنة في كل وقت، وهؤلاء حصل لهم هذا النعيم في الدنيا وفي كل وقت، فما قيمة هذا الوعد.

ثامناً: هناك من الطوائف من أنكرت الرؤية في الدنيا والآخرة، وهناك من أولها، وهذه الطوائف سبقت هؤلاء ولم يحصل النزاع إلا في الرؤية في الآخرة، مما يدل على الإجماع من أهل السنة وأهل البدعة على امتناع الرؤية في الدنيا.

تاسعا: إجماع الصوفية التي ينتسب إليها هؤلاء على منع رؤية الرب ـ تبارك وتعالى ـ في الدنيا، كما نقله الكلاباذي، وابن خفيف وسبق ذكر عباراتهم.

وقد تبرأ أئمة الصوفية من القائلين بهذا القول[1]، فكيف وقد أجمعت الأئمة بكل طوائفها أهل السنة وأهل البدعة على ذلك.

عاشراً: أن ما دون هذه الرؤية من رؤية القلب لا تصح لغير النبي ﷺ، وكذلك رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج فيها خلاف كبير، فكيف تثبت هذه الرؤية والتي لا أدلة عليها، مع ترجيح جماهير العلماء على عدم رؤية النبي ﷺ للرب تعالى.

الحادي عشر: أن اليهود والنصارى لم يقولوا بهذا القول، وقد رد الله عليهم في القرآن الكريم، ولم يذكر هذه الدعوى منهم أو من غيرهم، فهؤلاء خلاف أهل الإسلام وأهل الكتاب.

وعلى كل فقد سبق ذكر بعض الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل على امتناع هذه الرؤية، والمخالف في هذه المسألة ضال، يستتاب فإن تاب وإلا قتل والله تعالى أعلم.

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٥/٧٩ .

الباب الرابع

منهج السالمية وآراؤهم في باقي مسائل العقيدة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : منهج السالمية وآراؤهم في النبوة.

الفصل الثاني : منهج السالمية وآراؤهم في اليوم الآخر.

الفصل الثالث : آراء السالمية في القضاء والقدر.

الفصل الأول

منهج السالمية وآراؤهم في النبوة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : النبوة عند السالمية.

المبحث الثاني : فضائل النبي ﷺ عند السالمية.

المبحث الثالث : كرامات الأولياء عند السالمية.

تمهيد:

أقوال السالمية في النبوة قليلة، وفي بعضها ضلال، ومبادئ للزنادقة، وإن كان لبعضهم ردود جيدة على هؤلاء وغيرهم، مثل الزبيدي فله مؤلفات في النبوة "رسالة حفظ النبوة"[١]، قال في سبب تأليفها : « خشيت أن يأتي أقوام ينتمون إلى العلم ويمضي قولهم في الناس وهم كما أخبر الله ﷻ إذ قال : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[٢]، وقد لاحت لي بروق أخشى منها أن يرخص الناس في دعوى النبوة فيجيزون أن يكون بعد خاتم الأنبياء من يجوز أن يسمى نبياً مجازاً، وقالوا في القارئ إذا حفظ الختمة أنه ورد فيه من السنة كأنما ختم ما بين جنبيه بخاتم النبوة، وهذا لا يقتضي أنه يصير نبياً لا حقيقة ولا مجازاً »[٣]، وأما وابن برجان فتجوز في دعوى النبوة، فذهب إلى أن النبوة منها خاص ممنوع؛ وغير خاص غير ممنوع، مع أنه جعل القرآن سبعة فصول رابعها بعد الإلهية والوحدانية والربوبية فصل النبوة، وهذه الفصول السبعة ... ترجع كلها إلى فصلين، فصل الإلهية وفصل للنبوة[٤]، وأبو طالب المكي ذكر بعض مسائل النبوة في مواضع متفرقة، في بعضها شطح وطوام، وأما القاسم ابن عبد الله البصري فلم يفرد فصلاً عن النبوة[٥]، أما أبو الحسن ابن سالم فلم يرد عنه سوى نقل واحد في الكرامات[٦]، والبحث هنا معهم فيما خالفوا فيه السنة، أو رد بعضهم على بعض، وفي هذا الفصل ثلاثة مباحث هي كما يلي:

المبحث الأول: النبوة عند السالمية.

وفيه مسائل:

أولاً : حكم النبوة عند السالمية.

---

[١] من ورقة ٤٨ إلى ٦١ .

[٢] سورة الزخرف الآية: ٣٧ .

[٣] رسالة في حفظ النبوة ورقة ٤٨ب، ٤٩أ.

[٤] انظر: تفسير ابن برجان ورقة ١٢ .

[٥] انظر: أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٥٠٣ .

[٦] انظر: اللمع ص٣٩٠ .

ثانياً : تسمية العقل نبياً.

ثالثاً : تسمية من حفظ الختمة نبياً.

رابعاً : عصمة الأنبياء عند السالمية.

خامساً : آيات الأنبياء وبراهينهم (المعجزة) عند السالمية.

المبحث الثاني: فضائل النبي ﷺ عند السالمية.

وفيه مسائل:

أولاً : علامات محبة النبي ﷺ عند السالمية.

ثانياً : فضائل مزعومة للنبي ﷺ عند السالمية.

ثالثاً : قعود النبي ﷺ على العرش عند السالمية.

رابعاً : نبوة النبي ﷺ بعد موته عند السالمية.

خامساً : ختم النبوة عند السالمية.

المبحث الثالث: كرامات الأولياء عند السالمية.

وفيه ثلاث مسائل:

أولاً : الأولياء عند السالمية.

ثانياً : تعريف الكرامة عند السالمية.

ثالثاً : نماذج من كرامات الأولياء عند السالمية.

المبحث الأول: النبوة عند السالمية.

النبوة: أصلها "النّبوة" أو "النباوَة" من الارتفاع ومنها (أي من النباوة) أخذ النبي بمعنى أنه مرتفع على الخلق أي أشرفهم.

وقيل: إن النبيء بالهمز، مأخوذ من الفعل أنبأ أي أخبر، ومنه النبأ أي الخبر، والنبئ هو المخبر عن الله ـ تعالى ـ[1].

وقد يجتمع هذان المعنيان في تعريف النبي: فهو مخبر عن الله ـ تعالى ـ، وهو مرتفع المكانة وله الشرف والفضل[2].

والرسول في اللغة مأخوذ من الفعل أرسل، ومصدره الرسالة.

والنبي اصطلاحاً: هو المبعوث لتقرير شرع من قبله، أو لقوم موافقين.

والرسول: هو من أوحي إليه شرع جديد، أو أرسل لقوم كفار[3].

وعرف الزبيدي النبي فقال: « تسمية النبي وقف على المبلغين عن الله ﷻ بوساطة الخطاب المترل عليهم المختص بهم فيمن أرسلوا إليه »[4]، ومراده تعريف الرسول.

والإيمان بالأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ أصل من أصول الإيمان قال تعالى:﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ

---

[1] انظر: رسالة حفظ النبوة للزبيدي ورقة ٥٠أ، وشرح الأسماء الحسنى ورقة ٤٢ ب ، ولسان العرب جـ١٥/٣٠٢ مادة (نبا).

[2] انظر: لسان العرب جـ١٥/٣٠٢ مادة (نبا).

[3] انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للألوسي جـ١٧/١٧٣ ، ط/ الرابعة ١٤٠٥هـ الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت، والإيمان بالأنبياء بجملتهم للشيخ عبد الله آل محمود ص٤ ، ط/ الثالثة ١٤٠٧هـ الناشر المكتب الإسلامي – بيروت، والرسل والرسالات للأشقر ص١٤ ، ط/ السابعة ١٤١٨هـ الناشر دار النفاش – الأردن، والتعريف المشهور هو: « أن الرسول أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي لم يؤمر »، انظر: شرح الطحاوية ص١٥٨ ، وهذا التعريف فيه نظر، فالإرسال يقتضي البلاغ وترك البلاغ كتمان للوحي.

[4] انظر: رسالة حفظ النبوة ورقة ٤٩أ .

وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[1]، وقال ﷺ في حديث جبريل : « والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله»، ومن كفر بالرسل أو بأحدهم فقد كفر، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ ﴾[2].

ولايخالف السالمية أهل السنة في الإيمان بالرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ، لكن ابن برجان ذهب إلى أن النبوة منها خاص ممنوع، وغير خاص غير ممنوع، فيقول: « أردنا أن نبين المعنى الخاص منها الممنوع؛ من سوى الخاص غير الممنوع، وهو المعنى المبثوث في العالم منها، فنقول والله الموفق للرشاد، النبوة الكبرى ممنوعة من سوى النبي الحق،... فالفروق بين النبوة المحجورة الممنوعة وبين ما هو آية عليها الذي هو المبثوث منها في العالم، أن الكبرى الممنوعة في نزول الملك بأمر الله على قلب العبد النبي المراد بذلك النبي عليه السلام إنباءً له بذلك وتبليغا عن ربه جل جلاله »[3].

ويقول: « صفة النبوة في سبيلها خص منها رفيعها للمخصوصين بها، وجعل ما عدا ذلك في العالم مبثوثاً ليدل به عليها، وليقرب العقول من فهمها، ولو لم يكن من جنس النبوة في جبلة العقول أثارة ولا معنى من معانيها لما عرفتها ولا آمنت بها »[4] ثم ذكر من خصائص النبوة المخصوصة، ثم قال: « وما كان من صفات النبوة في العالم مبثوثاً فهو من صفات الحق كما تقدم ذكره،...[5]حتى يبدوا في الحيوان ثم يظهر في الإنسان ثم يستعلن في المؤمن ثم في الموقن ثم يقوى في الصديق، وكي يكون هذا النوع في أهل هذا المقام الرفيع أعني الصديقية، أن يضرب الحق على قلوبهم وأفئدهم، ويظهر شاهد الحق على ألسنتهم وأعمالهم، وكثيراً ما يكفيهم الله

---

[1] سورة البقرة الآية: ١٣٦ .

[2] سورة النساء الآيات: ١٥٠-١٥١ .

[3] شرح الأسماء الحسنى ورقه ٤١ أ.

[4] نفس المرجع ورقه ٤١ ب.

[5] خمس كلمات غير واضحة.

ـ تعـالى ـ بضروب الكفايات؛ وإجابة الدعوات؛ وقضاء الحاجات، وقد تخرق لهم العادات لأنهم في مكان الوصل بين الأنبياء وغيرهم »[1].

ويظهر من هذا أن مراد ابن برجان بالنبوة الكبرى وهي الممنوعة النبوة المعروفة المرادة في الشرع، ويـريد بالنـبوة غير الخاصة وغير الممنوعة الولاية، وأيامًا كرامات الأولياء، وتسمية الولاية بالنبوة غير الخاصة باطل لغة وشرعاً وعقلاً وسيأتي بيانه في كرامات الأولياء، وأداه إلى هذا القول تصوفه وتفلسفه.

وقد رد عليه الزبيدي وكفر من قال بهذا القول، كما سيأتي.

وللسالمية كلام في بعض مسائل النبوة منها:

أولاً: حكم النبوة عند السالمية:

قـال الزبيدي ـ راداً على المعتزلة في زعمهم أن في العقل معنى النبوة والرسالة ـ قال: « فـاحذروا معشر المسلمين أن تقعوا في هذه الزلة التي مدخلها المجاز ولا يزل بها غالباً إلا أحد ثلاثـة: منهم المغالي في إيثار العقل يزيد على المعتزلة بهذه التسمية ولا يعلم أنهم مُنِعوها، وآخر يقول بالمكاشفة والوصول ويدعى أن معنى النبوة يكتسب بالمعاملة مع الله، فيستجيزون أن يسمى مـن وصـل نبياً مجازاً أوحقيقة لأنه عندهم فيه معنى النبوة، وعلى هذا أحرق كتاب الغزالي في المغـرب بجـامع قرطبة الرين[2] على رؤوس الأشهاد، أخبرني من حضر[3]، وقيل: وجد فيه ما يقتضي أن النبوة مكتسبة، فاقتضى ذلك ونحوه إحراقه.

والنـبوة عند أهل الحق ولاية ليست ضرورة ولا مكتسبة، بل هي حكم من الله سبحانه وهبة منه ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾[4]،

---

[1] نفس المرجع ورقه ٤١ ب، ٤٢ أ.

[2] كذا في الأصل.

[3] أحرقه ابن تاشفين ملك المرابطين بالمغرب وجميع كتب الغزالي. انظر: السير جـ٢٠/١٢٤ ، وقد أشار قاضي الجماعة الإمام القرطبي إلى ما ذكره الزبيدي من قول الغزالي في النبوة في فتواه عن الإحياء. انظر: السير جـ١٩/٣٣٣ ، وللتوسع انظر: العقيـدة السلفية في مسيرتها التاريخية، تأليف محمد المغراوي ص٣١-٧٨ القسم الخامس، ط/ الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار المنار – الرياض، فجميع المجلد عن الإحياء، وفجر الساهد وعون الساجد في الرد على الغزالي أبي حامد، تأليف عبد السلام علوش، ط/ الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار النبوة الجديدة - بيروت، وكل المجلد أيضاً عن الإحياء.

[4] سورة الأنعام الآية: ٨٩ .

فهـــي جميعـــاً موهبة من الله ـــ سبحانه ـــ، ليست ضرورة ولا مكتسبة، ولهذا تقع مختصة، ولا تنقطع بوفاة الأنبياء، والله لم يسم أحداً من الملائكة المقربين نبياً ولا يجوز أن يسمى بهذه التسمية أحد منهم »[١]، وابن برجان يسمي الأولياء أنبياء كما تقدم قوله.

وهذا الذي ذكر الزبيدي أنه في الأحياء هو في قوت القلوب لأبي طالب المكي[٢].

وما ذكره الزبيدي صحيح، فإن النبوة عند أهل السنة هبة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾[٣] وقد اصطفى الله الأنبياء والرسل واجتباهم لنفسه ورسم حياتهم قبل ميلادهم فاختار لهم النسب الشريف الذي يميزهم عن غيرهم ويصنعهم على عينه، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٤].

وهذه الهبة لا يتعرض لها أي إنسان كيفما اتفق، فإن في هذا مجافاة للعقل والمنطق، لذلك الذي عليه جمهور الأمة وسلفها وأئمتها أن النبي يختص بصفات ميزه الله بها على غيره، لأن يخصه الله بفضـــله ورحمته وهبته، وهذا القول يوضح حقيقة هامة هي أن النبوة هبة من الله، وأن هذه الهبة إنما تكون لمن يختاره الله ـــ تعالى ـــ.

وهـــبة تعـــني اختيارية من واهبها إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعل، ولم يرسل نبياً،قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴾[٥]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[٦]، لذا فإن الإله من حيث هو إله مختار في فعله بحيث لا يجب عليه شـــيء، إن شاء فعل وإن شاء ترك، فأفعاله اختيارية بحيث تتحقق له الإرادة التامة والقدرة التامة والعلم التام[٧]، فبهذا يعلم أن إرسال الرسل مما يدخل في عموم قدرة الله ـــ تعالى ـــ، وتقتضيه حكمته،

---

[١] رسالة في حفظ النبوة ورقة ٥٣ أ.

[٢] انظر: ما سيأتي عن القوت في ص٦٢٤ ، وعن الإحياء في ص١٠٢٤-١٠٢٦.

[٣] سورة إبراهيم الآية: ١١ .

[٤] سورة آل عمران الآية: ٣٣ .

[٥] سورة يونس الآية: ١٦ .

[٦] سورة الأنعام الآية: ١٢٤ .

[٧] انظر: دراسات في النبوة والرسالة، تأليف د.عبد العزيز العسكر ص١٣٥ ، ط/ الأولى ١٤٠٤هـ الناشر مكتبة المعارف - الرياض.

فضلاً منه ورحمة[١].

أمـــا حاجة العباد للرسالة فضرورية، ولا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرســـالة، وينالِه من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[٢][٣].

ثانياً: تسمية العقل نبياً:

تســـمية العقـــل نـــبياً، نسبه الزبيدي للمعتزلة، فقال: « وقد كنت أخشى من المعتزلة ــ لعـــنهم الله ــ أن يسمّوا العقل نبياً ورسولاً، لخبث اعتقادهم فيه، ويخرجون هذا مخرج الذّين يسمّون العقل الإله الثاني[٤]، ولا حجة لما يدّعي المبطلون »[٥].

وهذا القول لم يذكره المعتزلة، ولكنه لازم لقولهم ــ عند بعض أهل الكلام ــ، فإنهم لما قالوا بالتحسين والتقبيح العقليين، ظن الزبيدي وبعض أهل الكلام من الماتريدية وغيرهم أن هذا القـــول لازم لهم، يقول الزبيدي: « ومن زعم أن العقل يوجب ويحسن ويقبح ويوافق التزيل في المـــدح والـــذم فهو مع هذا المذهب الخبيث »[٦]، لذلك يقول: « وقد فهمنا من المعتزلة أنهم يدعون في العقل معنى النبوة والرسالة وهذا محض الكفر »[٧].

---

[١] انظر: الحكمة من إرسال الرسل، تأليف عبد الرزاق عفيفي ص٥٩ ، ط/ الأولى ١٤١٦هـــ وقف لله ــ تعالى ــ.

[٢] سورة الأنعام الآية: ١٢٢ .

[٣] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٩٣/١٩ ، ومفتاح دار السعادة لابن القيم جـــ٢/٢ وما بعدها، ط/ مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، والحكمة في إرسال الرسل للشيخ عفيفي ص ٥٨-٦٠ .

[٤] وهـــم الفلاسفة: الذين يسمون أول موجود اخترعه الباري ﷻ عقلاً. انظر: موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب د.جير ارجهامي ص٤٥٩-٤٦٠ ، ط/ الأولى ١٩٩٨م الناشر مكتبة لبنان – بيروت.

[٥] رسالة النبوة ورقة ٥١أ .

[٦] نفس المرجع ورقة ٥١أ.

[٧] نفس المرجع ٥٢ أ،ب .

وينسب الزبيدي هذه المقولة إلى كتاب المحيط من المخالفين[١].

وأما هذه الشبهة التي يشير إليها الزبيدي فهي للبراهمة ومن وافقهم ممن ينكر النبوات وهي زعمهم « أن ما يأتي به الأنبياء لا يخلو إما أن يكون موافقا للعقل؛ ففي العقل غنية عنه وكفاية، أو مخالفا له وذلك يوجب أن يرد عليهم وأن لا يقبل منهم »[٢].

والمنكرون للنبوة« آحاد أوباش من الطوائف،لا طائفة معينة يكون لها ملة ونحلة »[٣]، ومن هؤلاء الماديون في هذا الزمن، وتبنى هذه الدعوى الإلحاد الشيوعي[٤] الذي أذله الله ﷻ.

وقد بين الزبيدي حكم تسمية العقل نبيا فيقول:« ومن صرف الرسول ها هنا عن المرسل بالخطاب إلى عقل ونحوه فهو كافر ملعون »[٥].

ويحكي الاتفاق على منع ذلك فيقول: « فاختصت هذه الولاية لمن أرسله الله بالكتاب ونحوه، من الخطاب المترل، وهذا المنع من هذه التسمية متفق عليه، فلا يكون نبياً إلا من هو بهذه الصفة، وهو أن يكون أولى بالمؤمنين من أنفسهم عموماً، ولا تكون هذه الصفة إلا لمن هو نبي الله ــ سبحانه ــ »[٦]، وقد وافقه غيره على منع التسمية بنبي[٧].

---

[١] انظر: نفس المرجع ٥٠ أ، والكتاب هو: المحيط بالتكليف في العقائد للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٣١٥هـ)، جمعه الحسن بن أحمد بن متويه (ت ٦٨٣هـ)، ولعل له جامعاً غير ابن متويه، فإن الزبيدي اطلع عليه وقد توفي سنة ٥٥٥ هـ، وقد لا تصح نسبة جميع ما في الكتاب للقاضي عبد الجبار، بل قد يكون ليس من إملائه. انظر: ص٨، ٩ ، ويقع في أربعة مجلدات كبار طبع بتحقيق عمر السيد عزمي ومراجعة د.أحمد الأهواني ونشرته الدار المصرية للتأليف والترجمة، والموضع الذي ذكره الزبيدي لعل مراده "باب في إبطال قولهم في وجوه التحسين والتقبيح". انظر: المحيط بالتكليف جـ١/٢٥١ وما بعدها، والزبيدي ذكر لازم القول.

[٢] شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص٥٦٣ ، وانظر: الإرشاد للجويني ص٢٥٧ .

[٣] انظر: شرح المقاصد للتفتازاني جـ٥/٩ .

[٤] انظر: دراسات في النبوة والرسالة ص٢٨٥ .

[٥] رسالة حفظ النبوة ورقة ٥٠ب.

[٦] رسالة حفظ النبوة ورقة ٥١أ.

[٧] انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٢/٨٠.

وقال: « ومن أجاز هذا فهو عدو[1] عرفناه منهم مبتدع ضال، يفتري على الأمم كلها مـــا لم يقل به أحد منهم، وبيان هذا أن العقل خفي لا يتصور فيه معنى النبوة الذي هو الظهور، وليس خطاباً فيتصور فيه معنى النباء الذي هو الخبر »[2].

ويـــبين حكم مجرد التسمي بالنبي أو سمى به غيره « فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت رقبـــته، ومـــات مرتداً، وليست هذه المسألة من مسائل الظنون بل يجب علمها على العامة، ولا يخفى على من لم يكن غافلاً عنها، ومن شك فيها فهو كافر، ومن بالغ في وصف رجل صالح إلى حد أن يقول: "والله ما هو إلا نبي"، قلنا: هذا من جهلك بالنبوة والجاهل بالنبوة كافر مرتد إن كان مولوداً في الإسلام، وإن كان قبل اليوم مولوداً بمثل عانة[3] أو دار حرب فهو كافر أصلي، ومن ذكر اسم المتنبي الشاعر[4] فهو بالهمز من النباء، وقد أخطأ في هذه التسمية، ولسنا نتبع كل نـــاعق »[5]، وقال: « يجب على إمام العصر شيد الله مجده استتابته أو قتله »[6]، وهذا رد على ابن برجان.

أمـــا دور العقـــل فـــيحدده الـــزبيدي فيقول: « ومع هذا فإن العقل لا يحيط بالنبوة وهو في [الأصل][7] مختص بدلالة الفهم دون المقالة، فهو دلالة غير جامعة لأنها لا تتناول السمعيات، وبخلافها الكتاب فإنه يستفاد منه دلالة العقل ودلالة السمع، لأنه معجز ومعلم وشاهد »[8]، ويقول: « والعقل إنما يشهد للشرع بأنه كما قال، والعقل طريق إلى فهم الشرع لا طريق لابتداء التشريع »[9].

---

[1] غير واضحة في الأصل.

[2] رسالة حفظ النبوة ورقة ٥٠أ.

[3] كذا في الأصل.

[4] هـــو أبـــو الطيب، أحمد بن حسين بن حسن، الجعفي الكوفي الشاعر، الشهير بالمتنبي، قيل: تنبأ فافتضح وحبس دهرا، وأشـــرف على القتل، ثم تاب، بلغ الذروة في النظم، ونال به مالاً جليلاً، وفيه عجب وتيه، توفي سنة ٣٤٥هـــ. انظر: السير جـــ١٦/١٩٩-٢٠١ ترجمة رقم ١٣٩ ، والأعلام جـــ١/١١٥ .

[5] رسالة حفظ النبوة ٥٥ب.

[6] نفس المرجع ورقة ٥٨ب.

[7] في الأصل (الأصيلة) ولا يستقيم الكلام.

[8] رسالة حفظ النبوة ورقة ٥٩أ.

[9] نفس المرجع ٦١أ.

وهـــذا صـــحيح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ: « العقل شرط في معرفة العـــلوم، وكمـــال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك؛ لكنه غريـــزة في الـــنفس، وقوة فيها، بمترلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كـــان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق، كما قد يحصل بالبهيمة.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة »[1].

وإذا « انقاد العقل العادي للشرع، وامتثل هداه، واستضاء بنوره، فقد أمن ما يخشى من قصور »[2]، والمراد بالعقل العادي أي العقل الذي لم يعرف الكلام والفلسفة[3].

ويورد الزبيدي على من يسمى العقل نبياً عدة إلزامات، أهمها:

١- أن النبوة من أعم الولايات وأكدها، ولا تكون هذه الصفة إلا لمن هو نبي الله[4].

٢- أن من زعم أن العقل نبي ـــ وكل عاقل له عقل يختص به ـــ فقد لزمه أنه وجد بعد خاتم الرسل محمد ﷺ أنبياء بعدد كل من وجد من جميع العقلاء.

٣- أن رسول الله ﷺ بعث في قوم مع كل واحد منهم نبي[5].

٤- أن يقـــال إن مسيلمة الكذاب وافقه جماعة أنبياء، فإن معه جماعة عقلاء لكل واحد منهم عقل[6].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمة٣/٣٣٨-٣٣٩ .

(٢) انظر: القائد إلى تصحيح العقائد، تأليف العلامة عبد الرحمن المعلمي، تعليق الألباني ص٣٩ ، ط/ الثالثة ١٤٠٤هـــ الناشر المكتب الإسلامي – بيروت، وللتوسع انظر: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل، تأليف جابر إدريس جـــ١ /٩٥-١١٦، ط/ الأولى ١٤١٩هـــ الناشر مكتبة أضواء السلف، الرياض، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، تأليف سليمان الغصن جـــ١/٢٦١-٢٩١ ، ط/ الأولى ١٤١٦هـــ الناشر دار العاصمة – الرياض.

(٣) انظر: القائدإلى تصحيح العقائد ص٣٩.

(٤) انظر: رسالة حفظ النبوة ورقة ٥٠ب، ٥١أ.

(٥) انظر: نفس المرجع ٥١ب.

(٦) انظر: نفس المرجع ٥٤أ.

ثالثاً: تسمية من حفظ الختمة نبياً:

ومـــن الشبهات التي ردها الزبيدي في مسائل النبوة تسمية من حفظ الختمة نبياً، يقول: « وقالوا في القارئ إذا حفظ الختمة أنه ورد فيه من السنة كأنما ختم ما بين جنبيه بخاتم النبوة، وهذا لا يقتضي أنه يصير نبياً لا حقيقة ولا مجازاً، لأن العلماء ورثة الأنبياء وليسوا بنبيين »[١].

وهـــذه المقولـــة بهذا اللفظ لم أجد من ذكرها، ولعل الزبيدي ظن ثبوت شيء في هذه المسألة، وهكذا رواية السالمية للأحاديث الضعيفة أوقعهم في هذه المزالق.

وقد ورد حديث بلفظ: « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليـــه... الخ »[٢]، وورد بلفظ « من قرأ ثلث القرآن أعطي ثلث النبوة، ومن قرأ نصف القرآن أعطـــي نصف النبوة، ومن قرأ ثلثي القرآن أعطي ثلثي النبوة، ومن قرأ القرآن كله أعطي النبوة كـــلها،... الخ »[٣]، والحديث بهاذين اللفظين لم يصححه سوى الحاكم وقال الذهبي صحيح، وقـــد خالفهم أهل العلم، فقال ابن الجوزي عن اللفظ الثاني: « هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ »[٤]، وقـــال الذهبي عن الثاني أيضاً: « رواه خلف البزار عن بشر بن نمير، وهو متروك باتفاق، فقد اتهم »[٥].

وقـــد أورد الحديث باللفظ الثاني الخطيب في ترجمة القاسم بن إبراهيم بن أحمد الملطي، ومن روايته، وقال عنه: « كان كذاباً أفاكاً يضع الحديث »[٦].

---

[١] رسالة النبوة ورقة ٤٩أ .

[٢] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان جـ٢/٥٢٢ رقم ٢٥٩٠ ، ٢٥٩١ ، والحاكم في المستدرك جـ١/٥٥٢ وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وقال الذهبي في هامشه: صحيح.

[٣] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان جـ٢/٥٢٢ ، ٥٢٣ رقم ٢٥٨٩ ، ٢٥٩٢ ، والخطيب في تأريخ بغداد جـ١٢/٤٤١ في ترجمة رقم ٦٩٢١ .

[٤] انظر: الموضوعات لابن الجوزي جـ١/٤١٣ رقم ٤٩١، وانظر: تنزيه الشريعة لابن عراق الكناني جـ١/٢٩٢-٢٩٣ رقم ١٩.

[٥] تـــلخيص الموضـــوعات لابن الجوزي تلخيص الذهبي، ت/ د. عبد الرحمن الفريوائي ص١١٠ رقم ١٩٦ ، ط/ الأولى ١٤١٩هـ الناشر دار الفرقان – الرياض.

[٦] انظر: تأريخ بغداد جـ١٢/٤٤١ ترجمة رقم ٦٩٢١ .

وللحديث ثلاث طرق فيها كذابون[١].

وأما تصحيح الحاكم فلا يعتبر فإنه متساهل في التصحيح، قال السخاوي[٢] عن الحاكم: « هو معروف عند أهل العلم بالتساهل في التصحيح، والمشاهدة تدل عليه »[٣]، وقال: « إن السبب في تخصيص الحاكم عن غيره ممن ذكر بالتصريح بذلك مزيد تساهله »[٤]، وعلى كل سواء صح الخبر أم لم يصح ـ مع أنه تبين عدم صحته ـ فإنه لا يدل على تسمية حافظ القرآن نبياً، قال البيهقي ـ بعد روايته للحديث ـ: « ويحتمل أن يكون معنى أوتى النبوة أي جمع في صدره ما أنزل على النبي ﷺ غير أنه لا يوحى إليه [فيدعى][٥] لأجله نبياً »[٦]، فهذا هو المراد.

رابعاً: عصمة الأنبياء عند السالمية:

اتفقت الأمة على أن الرسل معصومون في تبليغ الرسالة، وأهم معصومون من كبائر الذنوب كالكفر، والزنا، والمخادعة وغير ذلك، فلا يمكن أن تقع من أنبياء الله ورسله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ[٧]، والسالمية يقولون بهذا الأصل، قال الزبيدي: « مذهب الجماعة أئمة السنة أن الله ﷻ لا يجب عليه عصمة الأنبياء والأئمة، وهم مع هذا معصومون من الكبائر فضلا من الله، ليس فيهم من كفر بعد إيمان ولا من زنا بعد احصان، ولا من قتل نفساً

---

[١] انظر: الموضوعات لابن الجوزي جـ١/٤١٣ ، وتنزيه الشريعة جـ١/٢٩٢-٢٩٣ ، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي جـ١/٢٢١-٢٢٢ .

[٢] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر، السخاوي الأصل، القاهري الشافعي، لازم ابن حجر وتخرج به، واختص به، من كتبه: "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، توفي بالمدينة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ سنة ٩٠٢هـ. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني جـ٢/١٨٤-١٨٦ الترجمة ٤٥٧ ، ط/ مكتبة ابن تيمية - القاهرة، وشذرات الذهب جـ١٠/٢٣-٢٥ .

[٣] انظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث جـ١/٤١ .

[٤] نفس المرجع جـ١/٤٢ .

[٥] كذا في الشعب، ط/ د.عبد العلي عبد الحميد حامد الأولى ١٤٠٨هـ الناشر دار السلفية، وفي الأصل (فيه عن).

[٦] شعب الإيمان جـ٢/٥٢٣ .

[٧] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمة ١٠/٢٩١ ، ولوامع الأنوار البهية جـ٢/٣٠٤ ، والرسل والرسالات د. الأشقر ص٩٧، ط/ السابعة ١٤١٨هـ الناشر دار النفاش – الأردن. .

حرمها الله ﷻ ولا من ارتكب شيئا نحو هذا، وقد وجد ما عوتبوا عليه واستغفروا منه، والعدالة معتبرة في صدق أخبارهم، وصحة شهادتهم، ونفاذ أحكامهم، لا يجوز أن تخلو سنة مع النبوة، والعدالـــة أن لا يأتي العبد بكبيرة، ولا يصر على صغيرة »[١]، وقوله: « لا يجب على الله » هو مذهب كثير من أهل الكلام ومنهم الماتريدية الذين يوافقهم كثيراً[٢]، وأما ذكره للأئمة فلا يصح فهم غير معصومين، و لم يقل بعصمة الأئمة إلا الرافضة، ولعل فيه خطأ من الناسخ.

وأما ما ذكره عن الأنبياء أنهم معصومون من الكبائر دون الصغائر فهذا صحيح وهو قول أكـــثر العـــلماء قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنّه قول أكثر أهل الكلام،...بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلاّ ما يوافق هذا القول »[٣].

لكن لما كان من مسلمات منهج السالمية رواية الموضوعات[٤]، لذلك روى بعض السالمية كأبي طالب المكي بعض الروايات الإسرائيلية مستدلاً بها على صحة ما يذهب إليه، وإن كان في بعضها الحط على أنبياء الله ــ عليهم الصلاة والسلام ــ من ذلك قوله: « حكي لنا أن موسى والخضر ــ عليهما السلام ــ اجتمعا في فلاة من الأرض، فشكا موسى إلى الخضر الجوع، فقال له الخضر: اجلس بنا حتى ندعو، فتكلم الخضر بشيء، فأقبل ظبي حتى وقع بينهما نصفين: نصفه إلى الخضـــر مشوياً ونصفه إلى موسى نيئاً، فقال له الخضر: قم فاحمل هموماً كما حملت همومها، وأوقد ناراً واشو نصيبك وكل، قال: فقدح موسى ناراً وأشعل حطباً وسوى نصيبه، فلما فرغ، قال للخضر: كيف وقع نصفه إليك مشوياً؟ قال: إنه لم يبق لي في الدنيا أمل. وقيل عنه أيضاً مرة أخرى: إنه ليس لي في هذه الخلق حاجة »[٥].

---

[١] أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٤٥ ب، ٤٦ أ.

[٢] انظر: الماتريدية دراسة وتقويم ص١٥١ .

[٣] مجموع فتاوى ابن تيمة ٣١٩/٤ ، والرسل والرسالات د. الأشقر ص١٠٧ .

[٤] انظر: ما تقدم في ص١٧٢.

[٥] القوت جـ٢/٣٨ .

وقـــد استدل بهذه القصة على ما يراه في التوكل، والقصة تدل على تفضيل الخضر على موسى ـــ عليهما السلام ـــ مع أن الخضر عندهم ولي، والصواب أنه نبي ﷺ.

وهـــذه القصة من الإسرائيليات التي لا سند لها ولا دليل يعضدها، وأدلة الكتاب والسنة تدل على وجوب الكسب والعمل والبحث عن الرزق.

وموسى ﷺ من أولي العزم من الرسل ﷺ قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[1]، وقوله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾[2].

والرسل ـــ عليهم السلام ـــ متفاضلون، وأفضلهم أولو العزم، قال الله ـــ تعالى ـــ: ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ﴾[3]، وقد فضل الله موسى ﷺ برسالاته وبكلامه، قال الله ـــ تعالى ـــ: ﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾[4] واصطنعه لنفسه، قال تعالى: ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ﴾[5].

لذلـــك لا يجوز تفضيل الخضر على موسى ـــ عليهما السلام ـــ لأجل حكايات أفضل حالاتها أنها إسرائيليات.

ومثل هذا قوله: « ذكرنا في قصة داود الملك الرسول، إذ أرسله الملك الجليل إلى أحبائه الأربعـــة عشـــر الأوليـــاء أن يسألهم أن يسألوه حاجة، فلما رأوه نفروا منه لئلا يشغلهم عنه، فذكـــرناها قبل هذا فلا تنكر من هذا شيئاً، فإنه يعطى المحبوب في الدنيا أول عطاء أهل الجنة في الآخـــرة، وهو كن »[6] ثم ذكر أن الله أعطى الأولياء كلمة"كن" وهذا مثل سابقه ضلال عظيم

---

[1] سورة الأحقاف الآية: ٣٥ .

[2] سورة الشورى الآية: ١٣ .

[3] سورة البقرة الآية: ٢٥٣ .

[4] سورة الأعراف الآية: ١٤٤ .

[5] سورة طه الآية: ٤١ .

[6] انظر: القوت جـ٢/١١٧

في تفضيل الأولياء على الأنبياء، قال الطحاوي[1] في عقيدته: « ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء » قال الشارح: « يشير الشيخ ــ رحمه الله ــ إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة »[2].

ثم ذكر الشارح أقوال غلاة الصوفية في تفضيل الأولياء على الأنبياء ثم قال:« وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين،...والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة »[3].

ومما روى أبو طالب المكي عن الأنبياء ــ عليهم السلام ــ روى عن عيسى عليه السلام فقال: « وضع تحت رأسه حجراً فكأنه لما ارتفع رأسه عن الأرض استراح بذلك، فعارضه إبليس؛ فقال: يا ابن مريم ألست تزعم أنك زهدت في الدنيا؟ قال: نعم، قال: فهذا الذي وطأته تحت رأسك من أي شيء هو؟ قال: فرمى عيسى عليه السلام بالحجر وقال: هذا لك مع ما تركت ومثله »[4].

واستدل به على أن « نهاية الزهد أن تزهد في كل شيء وتتورع عن كل شيء للنفس فيه متعة وبه راحة »[5].

وأدلة الكتاب والسنة دلت على النهي عن تعذيب النفس وإيلامها، وتقدم بطلان مذهبه في الزهد[6].

ومثل هذا ما رواه عن يحي بن زكريا ــ عليهما السلام ــ فقال: « روينا عن يحي ابن زكريا عليهما السلام أنه لبس المسوح حتى نقب جلده؛ فسألته أمه أن يترع مدرعة الشعر

---

[1] هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، الإمام الحافظ الحنفي، ولد سنة ٢٣٩هـ، له "معاني الآثار" و"مشكل الآثار"، و "العقيدة الطحاوية"، توفي سنة ٣٢١هـ بمصر. انظر: السير جـ١٥/٢٧ ترجمة رقم ١٥ ، والأعلام جـ١/٢٠٦ .

[2] شرح العقيدة الطحاوية ص٤٩٢ .

[3] انظر: نفس المرجع ص٤٩٣ .

[4] القوت جـ١/٤٦٥ .

[5] نفس المرجع جـ١/٤٦٥ .

[6] انظر: ما تقدم في ص١٥٢.

ويلبس مكانها جبة من صوف ففعل، فأوحى الله تعالى إليه: يا يحي آثرت علي الدنيا، قال: فبكى ونزع الصوف ورد مدرعة الشعر على جسده »[١].

وبمثل هذه القصص والروايات المكذوبة يستدل الصوفية على مذهبهم الباطل في لبس المرقعات، وقد جاء في ديننا ما يخالف هذا، والأمر بضده.

وطامة هذه القصص ما نسبه أبو طالب المكي لنبي الله سليمان عليه السلام فقال: « وروينا أن سليمان نبي الله عليه السلام لما عوقب على خطيئته من أجل التمثال الذي عبد في داره أربعين يوماً وقيل: إن المرأة سألته أن يكون الحكم لأبيها على خصمه، فقال: نعم ولم يفعل، وقيل: بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمكانها؛ فسلب ملكه أربعين يوماً فهرب تائهاً على وجهه، وكان يسأل بكفه فلا يطعم، فإذا قال: أطعموني فإني سليمان بن داود شج وضرب، ولقد بلغني أنه استطعم من بيت فطرد وبزقت امرأة في وجهه، وفي رواية قال: فأخرجت إليه عجوز جرة فيها بول فصبته على رأسه، إلى أن خرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الأربعين وهي أيام العقوبة، قال: فجاءت الطير فعكفت عليه وجاءت الجنّ والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله، فلما عرفه الصيادون عقروا بين يديه واعتذروا إليه مما كانوا طردوه وشجوه»[٢]، وهذا حاصل قصتان خلط بينهما، ولا سند لهما، ولايصح منهماشيء[٣]، وقد ذكرت لها بعض الوجوه التي تجوز، مثل قوله: نعم في الحكم لأبيها، وعبادة التمثال دون علمه[٤].

---

[١] القوت جـ١/٤٦٥ .

[٢] نفس المرجع جـ١/٣٢٦ ، وانظر: الكتاب المقدس (عندهم) العهد القديم ص٥٥٣-٥٥٤ سفر الملوك الأول الأصحاح الحادي عشر، ففيه ما قد يكون أصل ما ذكر أبو طالب، والله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، تأليف د. محمد البار ص ٤٢٣-٤٢٤، ط/ الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار القلم -دمشق، والدار الشامية -بيروت.

[٣] انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٥/٢٠٠، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي جـ ١٩٩/٢٣ ، ط/ الرابعة ١٤٠٥هـ الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت.

[٤] انظر: تنـزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء لأبي الحسن السبتي ت/ د. محمد رضوان ص٤٩-٥٢ ، ط/ الثانية ١٤٢٠هـ الناشر دار الفكر المعاصر -بيروت.

وقد أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء ــ عليهم السلام ــ عن مثل هذا ، قال الرازي: « وأجمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة »[١]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم، وتبليغهم عن الله ــ تعالى ــ فهم متفقون على تنـزيههم عنه »[٢]، ولم يخالف هذا الإجماع إلا من لا يعتد بخلافهم، مثل الأزارقة من الخوارج[٣]، والذي يعول عليه في قصص الأنبياء ما جاء به الكتاب العزيز، أو ما صح عن الرسول ﷺ من الخبر، وما سوى ذلك فيطرح هو ومختلقه وراويه[٤]، وقد ذكر أبو طالب المكي نقولاً كثيرة فيها حط على أنبياء الله ورسله كلها باطلة[٥].

خامساً: آيات الأنبياء وبراهينهم (المعجزة) عند السالمية:

المعجزة لغة: واحدة معجزات الأنبياء، وهي ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة[٦]، واسم المعجزة في اللغة يعم كل خرق للعادة[٧].

لكن لفظ المعجزة لم يرد عن النبي ﷺ والصدر الأول.

لذا الصواب أن يسمى ما يدل على النبوة آية أو برهاناً[٨].

فإن « الله ــ تعالى ــ سماها برهاناً في قوله لموسى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾[٩] وهي العصا واليد، وسماها برهاناً وآيات في مواضع كثيرة من القرآن، فحدها حد الدليل

---

[١] عصمة الأنبياء ص١٨ .

[٢] منهاج السنة جـ١/١٣٠ .

[٣] انظر: المواقف للأيجي ص٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ط/عالم الكتب بيروت، وانظر: حقوق النبي ﷺ على أمته تأليف د.محمد التميمي جـ١/١٤٥-١٤٦ ، ط/ الأولى ١٤١٨هـ الناشر مكتبة أضواء السلف – الرياض.

[٤] انظر: تنـزيه الأنبياء ص ٣٨ .

[٥] انظر على سبيل المثال: القوت جـ١/٣٣٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٤٠٦ ، وكلها تدور على تفضيل الأولياء على الأنبياء.

[٦] انظر: القاموس المحيط ص٦٦٣ (عجز).

[٧] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/٣١١ .

[٨] انظر: النبوات ص٨ ، ١٩ .

[٩] سورة القصص الآية: ٣٢ .

والبرهان، وهي أن تكون مستلزمة لصدق النبي »[١].

وقد غلط كثير من الناس « في مسمى المعجزة، ولهذا لم يسمها الله في كتابه إلا آيات وبراهين، فإن ذلك اسم يدل على مقصودها، ويختص بها؛ لا يقع على غيرها، لم يسمها معجزة ولا خرق عادة وإن كان ذلك من بعض صفاتها، فهي لا تكون آية وبرهاناً حتى تكون قد خرقت العادة، وعجز الناس عن الإتيان بمثلها، لكن هذا بعض صفاتها وشرط فيها وهو من لوازمها، لكن شرط الشيء ولازمه قد يكون أعم منه »[٢].

وتعـريفها: آيـات الأنبياء وبراهينهم: هي الأدلة والعلامات المستلزم لصدقهم[٣]، والتي ليست معتادة لغيرهم من الناس[٤].

لكن طوائف أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية وبعض أعلام السالمية وغيرهم، يعرفون المعجزة بأنها: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، يظهر على يد نبي سالم من المعارضة[٥].

وسـيأتي ذكر كلام الزبيدي، أما غيره من أعلام السالمية فلم أجد من عرفها، وإن كان لازم قولهم موافقة أهل الكلام في هذا التعريف.

وهذا التعريف باطل من وجوه:

١- لفظ المعجزة لم يرد في الكتاب والسنة كما سبق إيضاحه.

٢- هذه الشروط الثلاثة باطلة، ليس لها دليل من الكتاب أو السنة، ومعجزات النبي ﷺ لا تجتمع فيها هذه الشروط.

٣- « كون الآية خارقة للعادة... وصف لا ينضبط، وهو عديم التأثير، فإن نفس النبوة معـتادة للأنبياء خارقة للعادة بالنسبة إلى غيرهم،... »، و« الكهانة والسحر هو معتاد للسحرة والكهـان، وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم، كما أن ما يعرفه أهل الطب والنجوم والفقه والنحو

---

[١] النبوات ص٢٨٧ .

[٢] النبوات ص٣١٠-٣١١ .

[٣] انظر: نفس المرجع ص٤٤ .

[٤] انظر: نفس المرجع ص٦٩ .

[٥] انظر: شرح الأصول الخمسة ص٥٦٩-٥٧٠ ، والإرشاد للجويني ص٢٦٢ ، والتعريفات للجرجاني ص٢١٩ ، والنبوات لابن تيمية ص٥ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/١٣٧٩ ، والماتريدية لأحمد الحربي ص٣٨٨ .

هو معتاد لنظرائهم، وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم...

فكونه خارقاً للعادة ليس أمراً مضبوطاً، فإنه إن أريد به أنه لم يوجد له نظير في العالم فهذا باطل، فإن آيات الأنبياء بعضها نظير بعض، بل النوع منه كإحياء الموتى هو آية لغير واحد من الأنبياء، وإن قيل إن بعض الأنبياء كانت آيته لا نظير لها كالقرآن والعصا والناقة، لم يلزم ذلك في سائر الآيات »[1].

٤- وأيضاً فإن عامة معجزات الرسول لم يكن يتحدى بها، ويقول ائتوا بمثلها، والقرآن إنما تحداهم لما قالوا إنه افتراه لم يتحدهم به ابتداء، وسائر المعجزات لم يتحد بها، وليس فيما نقل تحد إلا بالقرآن، لكن قد علم أنهم لا يأتون بمثل آيات الأنبياء، فهذا لازم لها، لكن ليس من شرط ذلك أن يقارن خبره، وأيضاً فمن آيات الأنبياء ما كان قبل ولادتهم، وقبل إنبائهم وما يكون بعد موتهم، فإن الآية دليل على صدق الخبر بأنه رسول الله، وهذا الدليل لا يختص لا بمكان ولا زمان، ولا يكون هذا الدليل إلا من جنس لا يقدر عليه الإنس كلهم، ولا الجن، فلا بد أن يكون جنسه معجزاً أعجز الإنس والجن[2].

٥- « وأما قولهم خاصة المعجز عدم المعارضة؟ فهذا باطل، وإن كان عدم المعارضة لازماً له، فإن هذا العدم لا يعلم إذ يمكن أن يعارضه من ليس هناك إذا كان مما يعلم أنه معتاد مثل خوارق السحرة، والكهان، فإنه وإن لم يكن أن يعارض في هذا الموضع ففي السحرة والكهان من يفعل مثلها مع أنه ليس بنبي، ودليل النبوة يمتنع ثبوته بدون النبوة، وإذا قالوا: الدليل هو مجموع الدعوى، والدليل: تبين خطؤهم، وأن القوم لم يعرفوا دلائل النبوة، ولا أقاموا دليلاً على نبوة الأنبياء، كما لم يقيموا دليلاً على وجود الرب، فليس في كتبهم ما يدل على الرب تعالى، ولا على رسوله، مع أن هذا هو المقصود من أصول الدين، وأيضاً فمسيلمة والعنسي لم يكن عندهما من يعارضهما »[3].

٦- لم يفرقوا بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء من جهة، ولا عجائب السحرة والكهان، « وقالوا: لو ادعى الساحر والكاهن النبوة، لكان الله ينسيه الكهانة والسحر، ولكان

---

[1] انظر: النبوات ص١٩-٢١ .

[2] نفس المرجع ص٢٩٣ .

[3] نفس المرجع ص٢٩٣ .

لـــه مـــن يعارضه لأن السحر والكهانة هي معجزة عندهم، وفي هذه الأقوال من الفساد عقلاً وشـــرعاً ومن المناقضة لدين الإسلام وللحق ما يطول وصفه، ولا ريب أن قول من أنكر وجود هذه الخوارق أقل فساداً من هذا »[١].

« ومـــا يأتي به السحرة والكهان يمتنع أن يكون آية لنبي بل هو آية على الكفر، فكيف يكـــون آية للنبوة، وهو مقصود للشياطين، وآيات الأنبياء لا يقدر عليها جن ولا إنس، وآيات الأنبياء آيات لجنسها فحيث كانت آية لله تدل على مثل ما أخبرت به الأنبياء، وإن شئت قلت: هي آيات الله يدل بها على صدق الأنبياء تارة، وعلى غير ذلك تارة، وما يكون للسحرة والكهان لا يكون من آيات الأنبياء، بل آيات الأنبياء مختصة بهم.

وأما كرامات الأولياء فهي أيضاً من آيات الأنبياء فإنها إنما تكون لمن تشهد لهم بالرسالة فهـــي دليـــل على صدق الشاهد لهم بالنبوة، وأيضاً فإن كرامات الأولياء معتادة من الصالحين ومعجزات الأنبياء فوق ذلك »[٢].

والخلاصـــة أن « كلامهـــم في هذا الباب منتهاه التعطيل، ولهذا عدل الغزالي وغيره عن طـــريقهم في الاســـتدلال بالمعجزات لكون المعجزات على أصلهم لا تدل على نبوة نبي، وليس عـــندهم في نفـــس الأمـــر معجزات، وإنما يقولون المعجزات علم الصدق، لأنها في نفس الأمر كذلك، وهم صادقون في هذا لكن على أصلهم ليست دليلاً على الصدق »[٣].

« ولهذا يقيم أكابر فضلائهم مدة يطلبون الفرق بين المعجزات والسحر فلا يجدون فرقاً، إذ لا فرق عندهم في نفس الأمر »[٤].

ويرتبط بتعريف المعجزة أقوال الفرق في دلائل النبوة، وللناس في دلائل النبوة قولان:

الأول: حصر دلائل النبوة في المعجزات فقط، وقال به المعتزلة والأشاعرة وبعض السالمية ومن وافقهم.

---

[١] النبوات ص٢٩٥ .

[٢] نفس المرجع ص ٢٩٦ .

[٣] نفس المرجع ص ٢٩٧ .

[٤] نفس المرجع ص ٢٩٥ .

الثاني: أن دلائل ثبوت نبوة الأنبياء كثيرة، ومنها المعجزات[١].

وبعض السالمية ممن قال بالقول الأول، قال الزبيدي:«والنبوة لا تصح صفة لمن يوصف بها إلا مع معجزة، وقد رد مشايخنا على من زعم أن في العقل ما يقتضي الاطلاع على صدق المدعي للنبوة، فقالوا: لا بد أن يكون ما اعتبروا مألوفاً أو خارقاً للعادة، ولا يصح أن يكون مألوفاً لوجود الاختلاف فيه والخارق لا يصح أن يكون معجزة إلا مع مقارنة الدعوى،فابتداء التحدي ومطابقة الصدق، وهذا لا يكون إلا في معجزة العيان، أو إعجاز القرآن، ولا يجوز إثبات المعجزة إلا مع المعجزة المتداولة بين المدعوين في جميع الأمة»[٢]، وقال القاسم بن عبد الله البصري:«ولو لا ما ظهرت من الآيات والمعجزات التي أظهرها على أيدي الرسل، بحقائق معانيها التي يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها، لم نعرف رسله »[٣]، فهؤلاء من السالمية يوافقون أهل الكلام في حصر دلالة النبوة في المعجزة فقط، وأما ابن برجان فيقول : « فإن كانت نبوة فسيظهرها الله بالمعجزات وخرق العادات وهذا مفروض في غير هذا الشرع»[٤]، ويقول:«ومن خاصتها أن المخصوص بها عليه السلام يأتي بما ليس في طاقة الإنسان الإتيان به، تفرد الله جل جلاله بفعله، من الإنباء بالغيوب وخرق العادات، والإتيان بالمعجزات، ليكون ذلك دليلاً على صدقهم وموجبا اتباعهم»[٥]، وقد تقدم أنه يقسم النبوة إلى خاصة وهي المرادة هنا،وغير خاصة ويقصد بها الولاية، فيجعل النبوة الخاصة ــ كما يسميها ــ أن أدلتها المعجزات فقط.

وأما رد الزبيدي على من قال إن في العقل ما يقتضي الاطلاع صدق المدعي للنبوة، فهذا بناء على نفيه للتحسين والتقبيح العقلي[٦]، وهذا سبب اختلاف بين المعتزلة من جهة والأشاعرة والماتريدية من جهة أخرى في كيفية دلالة المعجزة على صدق النبوة، فقال المعتزلة: صدق

---

[١] انظر: درء التعارض جـ٩/٤٠ .

[٢] رسالة حفظ النبوة ورقة ٥٨ أ، ب.

[٣] في أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٥٢٩ .

[٤] تفسير ابن برجان ورقة ٣٥٦ ب.

[٥] شرح الأسماء الحسنى ورقة ٤١ ب.

[٦] انظر:ما سيأتي في ص٧٢٠-٧٢٤ .

الرسـول موقـوف على قيام المعجزة الدالة على صدقه، وقيام المعجزة موقوف على العلم أنه لا يؤيد الكاذب بالمعجزة، والعلم بذلك موقوف على الصحة بقبحه وعلى أن الله لا يفعل القبيح.

وأمـا الأشاعرة فاختلفوا، فقال بعضهم: إن المعجزة تدل على صدق النبي لئلا يفضي إلى تعجيـز الرب، لأنه لا دليل على الصدق إلا خلق المعجز، فلو لم يكن دليلاً لزم أن يكون الرب غير قادر على تصديق الرسول الصادق.

وقـال آخـرون: العلم بصدق المعجز ضرورة، وأن الله لا يظهرها على يد كاذب لئلا يفضي ذلك إلى تعجيز الرب على إثبات صدق أنبيائه[1].

والسالمية قالوا بقول الماتريدية والأشاعرة، إلا أنهم لم يذكروا إلى أي قوليهم يذهبون.

والصواب: أن دلائل النبوة كثيرة جداً، وقد « استدل كثير من العقلاء على النبوة بنفس الشريعة، واستغنوا بها عن طلب المعجزة، وهذا من أحسن الاستدلال فإن دعوة الرسل من أكبر شـواهد صـدقهم، وكل من له خبرة بنوع من أنواع العلوم إذا رأى حاذقاً قد صنف فيه كتاباً جـليلاً عـرف أنه من أهل ذلك العلم بنظره في كتابه، وهكذا كل من له عقل وفطرة سليمة وخـبرة بأقوال الرسل ودعوتهم إذا نظر في هذه الشريعة قطع قطعاً نظير القطع بالمحسوسات أن الذي جاء بهذه الشريعة رسول صادق، وأن الذي شرعها أحكم الحاكمين، ولقد شهد لها عقلاء الفلاسفة بالكمال والتمام »[2].

وقد استدل القيصر ــ عظيم الروم ــ على صدق النبي ﷺ فقال لأبي سفيان:«سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب عـلى الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم

---

(1) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/١٣٧٩ .

(2) شفاء العليل جـ٢/١٦٤ .

أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه »[1].

وكذلك خديجة ــ رضي الله عنها ــ لما جاء النبي ﷺ من الغار بعد نزول الوحي عليه، وأخبرها الخبر، وقال ﷺ:لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة:«كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق» فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة:يا بن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة:هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ:أو مخرجي هم ؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرا »[2].

فهؤلاء استدلوا على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ ولم يروا معجزة ولا طلبوها.

لذلك الأدلة على صدق الأنبياء كثيرة جداً منها ما سبق ولادتهم ونبوتهم، ومنها ما يكون في حياتهم، ومنها ما يكون بعد وفاتهم[3].

---

[1] أخرجه البخاري في (كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ) جـ١/٢٤-٢٥ حديث رقم ٧ بسياق طويل.

[2] أخرجه البخاري في نفس الكتاب والباب جـ١/٢٢ رقم الحديث ٣ .

[3] انظر: النبوات ص٣٧-٤١ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص١٥٠-١٥٦ .

المبحث الثاني: فضائل النبي ﷺ عند السالمية.

الإيمان بنبوة نبينا محمد ﷺ مقتضى الشهادة، ولا خلاف في ذلك بين الطوائف، لذا تتفق السالمية في هذا، قال أبو طالب المكي تحت عنوان: "ذكر فرض شهادة الرسول ﷺ": « ... ففرض شهادة الرسول ﷺ أن تشهد أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء لا نبي بعده، وكتابه خاتم الكتب لا كتاب بعده، وهو مهيمن على كل الكتب، ومصدق لما سلف من الكتب قبله، وأن شريعته ناسخة للشرائع قاضية عليها إلا ما أقره كتابه ووافقه، وكتابه شاهد على الكتب وخاتم عليها، وأنه هو الذي بشر به عيسى عليه السلام أمته، وهو الذي أخبر به موسى عليه السلام أمته، وهو المذكور في التوراة والإنجيل وسائر كتب الله عز وجل المنزلة، وهو الذي أخذ الله ميثاق النبيين أن يؤمنوا به وينصروه لو أدركوه، فأقروا بذلك وشهد الله ــ تعالى ــ على شهادتهم، وهو الذي أخذت الأنبياء شهادة الأمم على الإيمان به وأمرتهم بتصديقه وأخبرتهم بظهوره؛ وأن موسى وعيسى ــ عليهما السلام ــ لو أدركاه لزمهما الدخول في شريعته؛ وأن بقية بني إسرائيل من اليهود والنصارى كفروا بالله لجحودهم رسالته، وأن إيمانهم بكتابه مفترض عليهم مأمور به في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم، وأن طاعته ومحبته فريضة واجبة على الكافة كطاعة الله ــ تعالى ــ، واتباع أمره واجتناب نهيه مفترضة على الأمة إيجاباً أوجبه الله تعالى له، وفرضاً افترضه على خلقه متصل بفرائضه »[1].

وقال ابن برجان: « أنزل القرآن العزيز على عبده إلى شهادتين، شهادة ألوهية وشهادة رسالة قال الله جلّ من قائل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[2] فأخبر جلاله أن يحمل ما أرسل من الرسل وأنزل من الكتب، شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بالرسالة والشهادة بالرسول والإقتداء به فيما يأمرهم به وينهاهم عنه»[3].

وما ذكروه صحيح وموضع اتفاق، ودلت عليه الأدلة الصحيحة.

---

[1] القوت جـ٢/١٣٨-١٣٩ .

[2] سورة الأنبياء الآية: ٢٥ .

[3] تفسير ابن برجان ورقة ١١ ، وانظر: انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ٤٠ أ-٤٢ ب .

لكن أبا طالب أدخل في مقتضى الشهادة وفضائلها مسائل باطلة، منها:

أولاً: علامات محبة النبي ﷺ عند السالمية الصوفية.

محـــبة النبي ﷺ، لا خلاف فيها، وقد ذكر أبو طالب فيها كلاماً حسناً، شابه بشيء من الباطل[١]، وجعل منها ما يلي:

أ- اتباع الرسول ﷺ في الظاهر والباطن، ولا شك في وجوب اتباعه ﷺ، لكن أبا طالب المكي قد يذكر بعض العبارات ويريد بها أمراً آخر، فمثلاً فرق بين اتباع ظاهر النبي ﷺ واتباع حالــه ﷺ في الــباطن، وذلــك لأنــه يرى التفريق بين الظاهر والباطن، ويفضل الباطن على الظاهــر[٢]، وتقسيم أبي طالب الشرع إلى باطن وظاهر مخالف لما ادعاه من محبته ﷺ وطاعته، وابتداع في الشرع بما لم يأذن به الله ولا رسوله ﷺ قال رسول الله ﷺ: « من أحدث في أمرنا هــذا ما ليس منه فهو ردّ »[٣]، فهذه الدعوى لا حقيقة لها، وقد جعل أبو طالب في الباطن ما تقــدم الــرد عليه فيه، والصواب أنه يجب اتباع الرسول في جميع ما ذكر دون تفريق، والظاهر دليــل عــلى الــباطن، وهذا تقسيم مبتدع لا أصل له، وقدم أبو طالب محبة الرسول ﷺ على الطاعـــة، لمغالاتهم في المحبة[٤]، وطاعة النبي ﷺ واجبة قال الآجري: « فرض على الخلق طاعته ﷺ في نيّف وثلاثين موضعاً من كتابه ﷻ »[٥].

ب- جعل أبو طالب من علامات محبة الرسول ﷺ الزهد الصوفي، ومحبة الفقر، ولا يقصد زهد الرسول ﷺ المشروع المأثور، والزهد في الدنيا والتقلل منها سنته ﷺ، وقد كان من أزهد الــناس في أمــور الدنيا، ويحب الكفاف من العيش، قال ﷺ: « ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل

---

[١] انظر: القوت جــ٢/١٣٩-١٤٠ .

[٢] انظر: ما تقدم في ص١٦٩.

[٣] أخــرجه الــبخاري في (كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على جور) جــ٢/٨١٩ حديث رقم٢٦٩٧ ، ومسلم في (كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطنة) جــ٣/١٣٤٣ حديث رقم ١٧١٨ .

[٤] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جــ٨/٣٦٠ ، ٣٦٦ ، وانظر: حقوق النبي ﷺ على أمته جــ١/٢٨٤ ، ١٨٩ .

[٥] الشريعة جــ٢/٢٣٨ ، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٩/١٠٣، وحقوق النبي ﷺ على أمته جــ١/١٧٣-٢٠٦ .

الدنيـــا كراكب سار في صائف فاستظل تحت شجرة ثم راح وتركها »[١]، وقد تعوذ النبي ﷺ مـــن الفقر[٢]، لكن الزهد الذي ذكره أبو طالب المكي هو زهد الصوفية غير المشروع من ترك الكسب، وترك الأسباب، ورهبانية نهى عنها النبي ﷺ، وهذا الذي أراده أبو طالب المكي ليس من علامات المحبة[٣].

وأبـــو طـــالب المكـــي وكثير من المتأخرين من الصوفية انبسطوا في دعوى المحبة، حتى أخـــرجهم ذلك إلى نوع من الرعونة، وسبب ذلك ضعف تحقيق العبودية، وترك متابعة الرسول ﷺ، ومخالفة الأمر والنهي[٤]، ومن أحب الرسول ﷺ ولم يطعه لم ينفعه ذلك، ومعنى شهادة أن محمـــداً رسول الله: « طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع »[٥].

ثانياً: فضائل مزعومة للنبي ﷺ عند السالمية.

أ- ذكـــر بعض الفضائل الباطلة تحت "ذكر فضائل شهادة الرسول ﷺ"، مثل نقله خبر إســـرائيلي عن مغفرة الربّ تعالى لرجل عصاه مأتي سنة لأنه « فتح التوراة فنظر إلى اسم حبيبي محمـــد مكتوباً فقبله ووضعه على عينه » فغفر له لأجل ذلك، وتخفيف العذاب عن أبي لهب ليلة

---

[١] أخـــرجه الـــترمذي في سننه في (كتاب الزهد، باب: ٤٤) جـــ٤/٥٨٨-٥٨٩ حديث رقم ٢٣٧٧ ، وقال الترمذي حديـــث حســـن صحيح، وابن ماجه في (كتاب الزهد، باب: مثل الدنيا) جـــ٢/٤٠٩ حديث رقم ٤١٦١ ، والإمام أحرجه في مسنده جـــ١/٤٤١ ، وفي الزهد ص ١٣ ، وصحح الحديث شعيب الأرنؤوط في حاشية المسند جـــ٧/٢٥٩ رقم ٤٢٠٨ .

[٢] أخرجه أبو داود في (كتاب الصلاة، باب: في الاستعاذة) جـــ٣/٧٣-٧٤ رقم ١٣٤٧ ، والإمام أحمد جـــ٥/٣٦، ٣٩، ٤٢، ٤٤، ولفظ أحمد: « أن النبي ﷺ كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر » ا.هـــ، وقال شعيب في حاشية المسند جـــ٣٤/١٧ رقم ٢٠٣٨١ إسناده قوي على شرط مسلم. ا.هـــ.

[٣] انظر: حقوق النبي ﷺ على أمته جـــ١/٣٦٢-٣٦٦ .

[٤] انظر: ما تقدم في ص٣٣١.

[٥] الأصـــول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب مع شرحها لابن باز عناية/ علي المرى وأحمد بن باز ص٥٩ ، ط/ الأولى ١٤١٦هـــ الناشر دار الفتح – المدينة، وحقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة د.محمد التميمي جـــ١/٣٧، وشهادة الإسلام محمد جمال زينو ص٥٩ ، ط/ الأولى ١٤١٧هـــ الناشر دار المحمدي – جدة – المملكة.

الاثنين لفرحه بمولد النبي ﷺ[١]، وما ذكره أبو طالب في التوسل وفضل ليلة المولد إنما هو بدايات الضـــلال في هـــذه المسألة فلم يرتب عليها حكماً، وإنما أوردها فقط، حتى جاء من جاء بعده بقـــرون وقـــرر هذه المسائل ونافح عنها، وهكذا البدع تكون في أولها شبراً ثم تكون في الاتباع أذرعاً وأميالاً وفراسخ.

وجوابه من وجوه:

١- القصـــة في الـــبخاري عـــن عروة قال: ثويبه مولاة لأبي لهب، كان أبو لهب اعتقها فارضـــعت النبي ﷺ، فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة[٢]، قال له: ماذا لقيت؟ قال: أبو لهب: لم ألق بعدكم، غير أني سقيت في هذه[٣] بعتاقتي ثويبة »[٤].

وليس فيها ما ذكر أن تخفيف العذاب يوم الأثنين، فليس فيها دلالة على المولد.

٢- الخبر مرسل أرسله عروة، ولم يذكر من حدثه به.

٣- على تقدير وصله فالخبر رؤيا منام لا حجة فيه، ولعل الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد فلا يحتج به[٥].

٤-عتق ثويبة هنا لا علاقة له بمولد النبي ﷺ، فظاهر النص أنها اعتقت قبل مولده ﷺ[٦].

---

[١] انظر: القوت جـ٢/١٣٩ .

[٢] بشر حيبة بكسر المهملة وسكون التحتانية بعدها موحدة: أي سوء حال، وأصلها الحوبة، وهي المسكنة والحاجة. انظر: فتح الباري جـ٩/١٨٠ .

[٣] أشـــار إلى النقرة التي تحت إبهامه، كما في رواية الإسماعيلي، وفيه إشارة إلى حقارة ما سقي. انظر: فتح الباري جـ٩/ ١٨٠ .

[٤] أخرجها البخاري في (كتاب النكاح، باب: ﴿ وأمهاتكم التي أرضعنكم ﴾) جـ٤/١٦٤٢ رقم ٥١٠١ .

[٥] انظر: فتح الباري جـ٩/١٨١ ، والرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي للشيخ حمود التوجري ص١٢٢ ضـــمن رســـائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي ط/ الأولى ١٤١٩هـ الناشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

[٦] انظر: فتح الباري جـ٩/١٨٠ ، والرد القوي ص١٢٢ .

د- الكافـــر لا ينفعه عمل ولا يثاب عليه؛ قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

وأبو طالب لم يذكر المولد، لأنه لم يعرف في زمنه، لكنه وضع أصلاً لأهل الضلالة، وأول من ابتدع المولد مع أعياد أخرى هم الرافضة العبيديون في مصر[2]، وقد تسربت هذه البدعة إلى الصـــوفية بعد ذلك في القرن السابع الهجري أو أواخر القرن السادس الهجري[3]، ومجرد الحب والفرح لا ينفع بدون طاعة.

ب- ممـــا ذكر الحقيقة المحمدية والنور المحمدي، وأن أول هذا العالم، ومن خلق، وسيأتي بيان بطلانه إن شاء الله[4].

وهذا الغلو في حقه ﷺ يستحق فاعله العذاب في الآخرة والعقوبة في الدنيا.

ثالثاً: جلوس النبي ﷺ على العرش يوم القيامة عند السالمية:

قـــال أبـــو طالب المكي: « هذا ما رويناه عن ليث عن مجاهد في قوله ﷻ: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[5] قال: "يقعده على العرش"[6]، فكان العرش مكان الربوبية

---

[1] سورة الفرقان الآية: ٢٣ .

[2] انظـــر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط للمقريزي عناية خليل المنصور جـــ٢/٤٣٦ ط/ الأولى ١٤١٨هـــ الناشر دار الكتب العلمية – بيروت، وصبح الأعشى للنلقشندي جـــ٣/٤٩٨-٤٩٩ مصورة عن الطبعة الأميرية الناشر وزارة الثقافة والإرشاد – مصر.

[3] انظـــر: الموالد تأليف عمرو عبد النعيم ص١٢ ط/ الأولى ١٤١٣هـــ الناشر دار الصحابة للتراث طنطا – مصر، وانظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ت/ مشهور حسن ص٩٥-٩٦ ، ط/ الأولى ١٤١٠هـــ الناشر دار الراية – الـــرياض، والحـــاوي للفتاوي للسيوطي ت/ محمد محي الدين جـــ١/٢٩٢ ط/١٤١١هـــ الناشر المكتبة العصرية – بيروت، والقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل للشيخ إسماعيل الأنصاري ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد جـــ٢/٥٠٠ .

[4] انظر: ما سيأتي في ص٨٣٢.

[5] سورة الإسراء الآية: ٧٩ .

[6] أخـــرجه ابـــن أبي شيبة في المصنف جـــ١١/٤٣٦ رقم ١١٦٩٨، وابن جرير في تفسيره جـــ٨/١٣٢ رقم ٢٢٦٣٣، والخلال في السنة جـــ١/٢١٢-٢١٩ الأرقام ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٢، ===

بمشيئة في الدنيا وهو مستغني عنه بقدرته، فوهبه لحبيبه في الآخرة، فجهة مكانه تفضلاً له وتشريفاً ليكون هناك فوق المرسلين في الجلالة، كما كان ههنا آخرهم في الرسالة ››[(١)].

والأثر الذي ذكره أبو طالب واحتج به، روى مرفوعاً من طرق كلها موضوعة، قال أبو بكر الباغندي[(٢)]: ‹‹ كل هذه الأحاديث باطلة ليست بمحفوظة، غير حديث مجاهد ››، ونقل عن جماعة أنهم كتبوا بأيديهم ‹‹ إن هذه الأحاديث لا أصل لها إلا ما رواه ابن فضيل عن ليث عن مجاهد ››[(٣)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ‹‹ حديث قعود النبي ﷺ على العرش رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة، وهي كلها موضوعة، وإنما الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف ››[(٤)].

وقال الذهبي عن هذا الخبر:‹‹هذا مشهور من قول مجاهد، ويروى مرفوعاً وهوباطل››[(٥)].

فهذا الخبر الذي احتج به أبو طالب المكي لا يصح مرفوعاً، ولا موقوفاً على مجاهد ـ رحمه الله ـ، وقد أثبته بعض السلف ظناً منهم ثبوت الخبر عن مجاهد، ولكن في السند ضعف، إلا أن يكون وصل لهم بطرق لا نعرفها اليوم، ومهما يكن فلا يصح إثبات شيء في الدين إلا بدليل من الكتاب والسنة.

وأما ما بناه أبو طالب المكي على هذا الأثر وزعمه أن الله ـ تعالى ـ يهب للنبي ﷺ العرش في الآخرة، فلم يرد هذا عن، وهذا القول يؤكد ما سبق من اضطرابه في العلو والاستواء[(٦)].

=== جميعهم عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد، وليث قد اختلط أخيراً، و لم يتميز حديثه فترك. انظر: تحفة الأحوذي جـ٩ /٦٩-٧٠، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب جـ٢/٤٨ رقم ٥٧٠٣: ‹‹ الليث بن أبي سليم بن زنيم، صدوق اختلط جداً، و لم يتميز حديثه فترك ››.

(١) القوت جـ٢/١٠٩ .

(٢) هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن سليمان الأزدي الواسطي الباغندي، محدث العراق، جمع وصنّف، وعمّر وتفرد، توفي سنة ٣١٢هـ. انظر: السير جـ ١٤/٣٨٣-٣٨٨ ترجمة رقم ٢١٥ ، والأعلام جـ ١٩/٧ .

(٣) انظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى جـ٢/٤٩٠ .

(٤) درء التعارض جـ٥/٢٣٧ .

(٥) العلو للعلي العظيم جـ٢/٩٢٣-٩٢٤ .

(٦) انظر: ما تقدم في ص٤١٦-٤٢٩،٤١٧

والصـــواب في تفسير هذه الآية ما صح عن النبي ﷺ، قال ابن جرير لما ذكر القولين في تفسير الآية: « وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ »[١].

وقـــد أورد الإمام البخاري في تفسير هذه الآية الأحاديث الصحاح عن النبي ﷺ قال: « باب ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ ».

عن ابن عمر ـــ رضي الله عنهما ـــ يقول: « إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتـــبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود »[٢]، وأخرج في الباب عن جابر ﷺ.

وقد ثبت عن مجاهد أنه قال: المقام المحمود شفاعة محمد ﷺ[٣]،ولم يذكر هذا القول في تفسيره.

رابعاً: نبوة النبي ﷺ بعد موته عند السالمية:

نـــبوة نبيـــنا محمد ﷺ لا خلاف فيها بين المسلمين، لكن لما تابعت بعض الفرق المناهج الكلاميـــة قعـــدوا قواعـــد، والتزموا لوازمها، فمن هذه القواعد دعواهم أن الروح عرض من الأعـــراض؛ والأعراض لا تبقى زمانين، ولا تقوم بنفسها فعلى هذا يلزمهم القول بفناء الروح، فلما التزموا هذا اللازم وقالوا بفنائها، رتبوا عليه القول بأن الرسول ﷺ ليس رسولاً الآن، ولكنه كـــان رسولاً، قال ابن حزم: « حديث فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ ليس هو الآن رسول الله ﷺ، ولكنه كان رسول الله ﷺ، وهذا قول ذهب إليه الأشعرية ... وهـــذا مقالـــة خبيثة مخالفة لله تعالى ولرسوله ﷺ، ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام مذ كان الإسلام إلى يوم القيامة، وإنما حملهم على هذا قولهم الفاسد إن الروح عرض، والعرض يفنى أبداً، ويحدث ولا يبقى وقتين، فروح النبي ﷺ عندهم قد فنيت وبطلت، ولا روح له الآن عند الله

---

[١] تفسير الطبري جـــ٨/١٣٣ .

[٢] أخـــرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾) جـــ ١٤٦١/٣-١٤٦٢ حديث رقم ٤٧١٨ ، وحديث جابر ﷺ رقم ٤٧١٩ .

[٣] انظر: تفسير مجاهد ت/عبد الرحمن السورتي جـــ٣٦٩/١ ، ط/ المنشورات، وتفسير الطبري جـــ١٣٢/٨ رقم ٢٢٦٢٦ ورقم ٢٢٦٢٧ .

ـ تعالى ـ، وأما جسده ففي قبره موات، فبطلت نبوته بذلك ورسالته »[١].

والسالمية لم يذكر أحد منهم هذه المقولة، ولكن الزبيدي نفىهذه المقولة؛ فقال:«مذهب الجماعة أئمة السنة أن المصطفى صلوات الله عليه وسلامه هو رسول الله ﷺ لم يزل كان رسولاً، وحين مات كان الرسول بالعهد، وبعد الموت قبل الدفن كان الرسول بالعهد، وبعد الدفن كان الرسول، وهو اليوم بعد الموت هو الرسول »[٢]، وقال: « لا يقال إن الله أرسله ميتاً بل هو الرسول حياً وميتاً، لا تبطل رسالته، ولا تعطل نبوته ويجب اتباعه »[٣].

وقد نُسب هذا القول للأشعرية كما ذكر ابن حزم، ونفاه القشيري[٤]، وأدى نفي هذا القول إلى قول باطل آخر وهو أن الرسول ﷺ حي في قبره حياة حقيقية[٥].

والزبيدي من السالمية أثبت رسالة النبي ﷺ، بعد وفاته، و لم يذكر أنه ﷺ حي حياة حقيقية، لكن نسب إليه مترجموه أن الأموات أحياء في قبورهم يأكلون ويشربون وينكحون، فلعلهم نسبوا إليه لازم قوله، وسيأتي مناقشة هذه المقولة إن شاء الله[٦].

وأصل هذه المقولة وهو قولهم: إن الروح عرض من الأعراض قول باطل، قال ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ: « والذي عليه يدل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأدلة العقل: أن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد »[٧].

---

[١] الفصل جـ١/١٦٢-١٦٣ .

[٢] أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٤١ ب، ٤٢ أ.

[٣] نفس المرجع ورقة ٤٢ ب.

[٤] انظر: شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة للقشيري ضمن طبقات السبكي جـ٣/٤٠٦-٤١٣ .

[٥] انظر: نفس المرجع جـ٦/٤١١ ، والاعتقاد للبيهقي ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، وحياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم له أيضاً ت/ د.أحمد الغامدي ص ١١١ ، ط/ الأولى ١٤١٤هـ الناشر مكتبة العلوم والحكم - المدينة.

[٦] انظر: ماسيأتي في ص٦٧٥-٦٧٧ .

[٧] شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٣ .

والصواب: أن الله ﷻ سماهم رسلا وقد ماتوا فقال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[1]، وسماهم نبيين ورسلاً وهم في يوم القيامة فقال الله تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾[2]، وقال: ﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾[3]، ويقول كل مصل فرضاً أو نافلة: « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته »[4] فلو لم يكن روحه عليه الصلاة والسلام موجوداً قائماً لكان السلام على العدم هذراً، وهذا مما أجمع عليه الناس[5].

وأما حياته ﷺ التي وردت في بعض النصوص إنما هي حياة برزخية، ليست كحياة الدنيا.

خامساً: ختم النبوة عند السالمية.

ختم النبوة بالنبي ﷺ معلوم من الدين بالضرورة، ولا يخالف السالمية في هذا صراحة، قال أبـو طـالب: « فقرض الشهادة أن شهد أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء لا نبي بعده، وكتابه خاتم الكتب لا كتاب بعده »[6]، وذكر ابن برجان أن النبوة الكبرى ممنوعة كما تقدم قوله.

لكن خلافهم في أمرين:

أ- تسمية ابن برجان الولاية بالنبوة العامة.

ب- ذكـر أبو طالب أقوالاً تضمنت التلقي عن الله ــ تعالى ــ والعروج إليه سبحانه، وخطابه، والمكاشفة.

قال ابن برجان: « النبوة الكبرى ممنوعة عن سوى النبي الحق »، وقال: « النبوة الكبرى الممنوعة في نزول الملك بأمر الله على قلب العبد، المراد بذلك النبي ﷺ، إنباء له بذلك وتبليغاً

---

(1) سورة النساء الآية: ١٦٤ .

(2) سورة المائدة الآية: ١٠٩ .

(3) سورة الزمر الآية: ٦٩ .

(4) أخرجه البخاري في (كتاب الأذان، باب: التشهد في الآخرة) جـ١/٢٥٣ حديث رقم ٨٣١ .

(5) انظر: الفصل لابن حزم جـ١/١٦٣ .

(6) القوت جـ٢/١٣٨ .

عن ربه ﷻ »[١].

وتخصيص النبوة بنزول الملك فقط باطل، فالوحي له عدة طرق، لكن ابن برجان يجعل بعضها للأولياء، قال: « يضرب الحق على قلوبهم وأفئدتهم »[٢]، وهذا ما ذكره شيخه أبو طالب المكي قال:« كان أبو يزيد وغيره يقولون: ليس العلم الذي يحفظ كتاب الله، فإذا نسي ما حفظ صار جاهلاً، إنما العلم الذي يأخذ علمه من ربه ﷻ أي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس، فهذا لعمري لا ينسى علمه، وهو ذاكر أبداً لا يحتاج إلى كتاب،وهو العالم الرباني، وهذا هو وصف قلوب الأبدال من الموقنين، ليسوا واقفين مع حفظ، إنما هم قائمون بحافظ.

وقد روينا في الخبر:"إن من أمتي محدثين ومكلمين، وإن عمر منهم"[٣]، وقرأ ابن عباس: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾[٤] ولا محدث يعني الصديقين، وكان هذا طريق السلف من الصحابة وخيار التابعين »[٥].

وقال:« فهذه الخواطر تبدو في القلوب عن هذه الأواسط التي هي خزائن الله تعالى»[٦].

---

[١] انظر:شرح الأسماء الحسنى ورقة ٤١ أ، وقد تقدم النص بتمامه.

[٢] نفس المرجع ورقة ٤١ ب.

[٣] لم أجده بهذا اللفظ، والعراقي في تخريج الإحياء جـ٣/٣٩ (ط/ سيد إبراهيم)، ذكر أن البخاري أخرجه، وفي ط/ دار الهادي جـ٣/٣٩ وضع المحققون نص الإمام البخاري، وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر » (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب عمر بن الخطاب ﷺ) جـ٣/١١٣٤ رقم الحديث ٣٦٨٩ ، ففي هذا النص: جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا، وعلق وجودهم في هذه الأمة بـ "أن" الشرطية، بينما نص أبي طالب جزم بوجودهم وكثرتهم. انظر: المدارج جـ١/٤٩ .

[٤] سورة الحج الآية: ٥٢ ، وقرآءة ابن عباس أخرجها البخاري معلقة في (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب عمر بن الخطاب جـ٣/١١٣٤ تابع الحديث رقم ٣٦٨٩ ، وقال ابن حجر في الفتح جـ٧/٦٣ : « وإسنادها إلى ابن عباس صحيح » ا.هـ.

[٥] القوت جـ٢/٢٢٠ .

[٦] القوت جـ٢/٢٢٠ .

وقـــال: « وإذا أراد الله ـــ تعالى ـــ إظهار خير وإلهام تقوى من خزائن الملكوت حرك الـــروح بخفى اللطف فتحركت بأمره جلت قدرته فقدح من جوهرها نور سطع في القلب همة عاليـــة، وهمة للخير »[١]، وقال: « وقال بعض المكاشفين ظهر لي الملك: فسألني أن أملي عليه شـــيئاً مـــن ذكرى الخفي »[٢]، فهذا يكاشف، والملك يسأله، وتقدم ذكر بعض القصص التي تضمنت الأخذ عن الله مباشرة، بل ورؤيته[٣].

وقـــد نقـــل أهـــل العـــلم هذه الأقوال، فقال ابن الجوزي: « وصنف أبو طالب قوت القلوب... وردد فيه قول "قال بعض المكاشفين" وهذا كلام فارغ »[٤].

وســـبب هـــذه المكاشـــفات عـــند أبي طالب هو « الجوع، ثم السهر، ثم الصمت، ثم الخـــلوة »[٥]، ونقل عن علمائه قولهم: « من سهر أربعين ليلة خالصاً كوشف بملكوت السماء، وكان يقول: اجتمع الخير في أربع... وأعلم أن نوم العلماء عن غلبة المنام بعد طول السهر بالقيام مكاشـــفة لهم وشهود وتقريب لهم منه وورود »[٦]، وهذه المكاشفات من الشياطين إن صدقوا، قـــال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وقد جرب أن من سلك هذه العبادات البدعية آتته الشياطين، وحصل له تنزل شيطاني، وخطاب شيطاني، وبعضهم يطير به شيطانه، وأعرف من هؤلاء عدداً طلبوا أن يحصل لهم من جنس ما حصل للأنبياء من التنزيل، فنزلت عليهم الشياطين لأنهم خرجوا عن شريعة النبي ﷺ »[٧].

---

[١] القوت جـــ٢/٢٢٣ .

[٢] نفس المرجع جـــ٢/٢١٩ ، وانظر: جـــ٢/١١٢ .

[٣] انظر: القوت جـــ٢/١١٦ وتقدمت في ص٥٨١-٥٨٣، وقد نقل هذه القصص الغزالي في الإحياء جـــ٤/٥١٣-٥١٦ .

[٤] تلبيس إبليس ص١٦٩ .

[٥] القوت جـــ١/١٧٤ .

[٦] نفس المرجع جـــ١/١٧٥ .

[٧] مجموع فتاوى ابن تيمية جـــ١١/٣٩٥ .

ولا شك أن هذه الدعاوي عند أبي طالب تضمنت الأخذ عن الله ــ تعالى ــ ومشابهة أنبياء الله ورسله، واستمرار الوحي، وهم لم يصرحوا بالنبوة، لكن صرح بها من جاء بعدهم بل ادعى بعضهم ما هو أعظم من النبوة كابن عربي والسهروردي[١].

والنبوة قد بين الله ــ تعالى ــ انقطاعها وختمها بالنبي ﷺ قال تعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[٢]، وهذه الآية نص عند علماء الأمة سلفا وخلفا على العموم التام مقتضية أنه لا نبي بعده ﷺ، فهو كالخاتم والطابع لهم[٣].

وجوابهم من وجوه:

١- المنع من التسمية بنبي متفق عليه، فلا يكون نبياً إلا من أرسله الله، وقد شدد في هذا الزبيدي من السالمية وغيره[٤].

٢- المحدث لا يسمى نبياً ولا رسولاً، وعلق النبي ﷺ وجودهم على إن الشرطية، قال ابن القيم: « سمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ــ رحمه الله ــ يقول: جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا، وعلق وجودهم في هذه الأمة بـ "إن" الشرطية، مع أنها أفضل الأمم، لاحتياج الأمم قبلنا إليهم، واستغناء هذه الأمة عنهم؛ بكمال نبيها ورسالته، فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدث ولا ملهم، ولا صاحب كشف ولا منام، فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها »[٥].

٣- المحدث: هو الذي يحدث في سره وقلبه الشيء فيكون كما يحدث به[٦]، وهؤلاء جعلوا المحدث يتلقى الوحي عن الله، ويأخذ عن الله كما يشأ.

٤-مراتب الهداية كثيرة، لكن تكليم الله ﷻ لعبده يقظة؛ والوحي؛ وإرسال الرسول الملكي

---

[١] انظر: ما سيأتي في المبحث التالي، وفي ص١٠٣٥، ١٠٤٠.

[٢] سورة الأحزاب الآية: ٤٠ .

[٣] انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٤/١٩٦ .

[٤] تقدم قوله في ص٥٩٧، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٢/٨٠ .

[٥] المدارج جـ١/٤٩ .

[٦] انظر: المدارج جـ١/٤٩ .

خاصة بالأنبياء، ولا تكون لغيرهم[١]،وقصص هؤلاء الصوفية غالبها يدور حول هذه المراتب.

٥- الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان، وأما التحديث فهو أخص منه[٢].

٦- ما يجعله الله في القلوب تارة يكون بواسطة الملائكة إن كان حقاً، وتارة بواسطة الشياطين إذا كان باطلاً، والملائكة والشياطين أحياء ناطقون كما دلت على ذلك الدلائل الكثيرة من جهة الأنبياء، وهؤلاء لما دخلت عليهم الفلسفة زعموا أن الملائكة والشياطين صفات لنفس الإنسان فقط[٣].

فمن أين للمخاطب أن هذا الخطاب ملكي؟ بأي برهان؟، ولذلك ما يقوله أصحاب الخيالات الفاسدة "حدثني قلبي عن ربي" صحيح، لكن قلبه حدثه عن شيطانه[٤]، وقد علم بالسمع والعقل أنه إذا فرغ القلب من كل شيء حلت فيه الشياطين، ثم تنزلت عليه الشياطين، كما كانت تنزل على الكهان، وإنما يمنع الشيطان من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله ــ تعالى ــ[٥].

٧- من زعم أن لأحد من الأولياء طريقاً إلى الله ــ تعالى ــ لا يحتاج فيه النبي ﷺ فهو كافر ملحد، وإن زعم أنه محتاج إلى النبي ﷺ في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة فهو شر من اليهود والنصارى وأكفر من أولئك، وقد نص جمع من أهل على وجوب قتله[٦]، منهم الزبيدي كما تقدم.

---

[١] انظر:بغية المرتاد ص٣٨٥، المدارج جـ١/٤٩ .

[٢] انظر: نفس المرجع جـ١/٥٨ .

[٣] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٠/٣٩٨-٣٩٩ .

[٤] انظر: المدارج جـ١/٥٠ ، ٥٦ .

[٥] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٠/٣٩٩ .

[٦] انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١١/٤٠-٤١ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية جـ١١/٢٢٥-٢٢٦ ، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد/ عثمان علي حسن جـ٢/٦٦٨-٦٦٩ .

٨- أن الذوق والوجد والكشف وغيرها يرجع إلى ما يحبه الإنسان واعتقاده، فإن المشاهدة نتائج العقائد، وهؤلاء يعتقدون أنهم يرون الله، وأنه سبحانه وتعالى يكلمهم، وأن حال في خلقه كما تقدم بعضه[1].

٩- أن طريقة الصوفية التي ذكرها هؤلاء للوصول للمكاشفات ـ لو كانت حقا ـ فإنما تكون في حق من لم يأته رسول، فأما من أتاه رسول وأمر بسلوك طريقة فمن خالفه ضل، وخاتم الرسل ﷺ هو أمر أمته بعبادات شرعية، ولو قدر أنها طريق لبعض الأنبياء قبلنا لكانت منسوخة بشرع محمد ﷺ[2].

والكتاب العزيز والسنة النبوية وكتب أهل العلم كلها رد على هؤلاء، وسيأتي مزيد رد لضلالهم.

---

[1] انظر: ما تقدم في ص٥١١-٥١٣، وص٥٨١-٥٨٣، وما سيأتي في ص٧٨٧-٧٩٥.

[2] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٠/٤٠٠ .

المبحث الثالث: الأولياء وكراماتهم عند السالمية.

أولاً: الأولياء عند السالمية:

الولي: هو الصديق والنصير، والمحب التابع، والقريب[١].

والولي اصطلاحاً: هو الذين آمن واتقى[٢]، لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[٣]، فـ « ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه »[٤]، وللولي تعريفات أخرى كثيرة هذا أرجحها[٥].

وأفضـــل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل الأنبياء هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم من الرسل ـــ عليهم الصلاة والسلام ـــ.

والصوفية ـــ ومنهم السالمية ـــ غلو في الأولياء، وجعلوهم من مصادر تلقي الدين، وقد وصف أبو الحسن بن سالم الأولياء بالقدرة الخارقة، وأطال في ذكرهم أبوطالب المكي وذكر أقسامهم ومراتبهم ودرجـــاتهم[٦]، فيقـــول: « القطـــب[٧] اليـــوم الـــذي هو إمام الأثافي الثلاثة، والأوتاد[٨] السبعة،

---

[١] انظر: لسان العرب جـــ١٥/٤١١ ، والقاموس المحيط ص١٧٣٢ مادة (ولي).

[٢] انظر: تفسير الطبري جـــ٦/٥٧٦، والإنصاف في حقيقة الأولياء للصنعاني ت/ عبد الرزاق البدر ص٦٧-٦٨، ط/ الأولى ١٤١٨ الناشر دار ابن عفان – الخبر، المملكة.

[٣] سورة يونس الآية: ٦٢-٦٣ .

[٤] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/١٦١ ، وانظر: التصديق بكرامات الأولياء تأليف أبو بكر الحنبلي ص١٣ ، ط/ ١٤١٠هـــ الناشر دار عمار – الأردن.

[٥] انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/١٦١ .

[٦] انظر: ما تقدم في ص ١٧٧-١٧٩ .

[٧] تقدم تعريفه في ص١٦٦ .

[٨] الأوتـــاد ـــ عـــند الصـــوفية ـــ: هم أربعة رجال منازلهم على منازل الأربعة الأركان من العالم: شرق وغرب وشمال وجـــنوب. انظر: التعريفات للجرجاني ص٣٩ ، واصطلاحات الصوفية ص١٧ ، وأبو طالب جعلهم سبعة وهذا العدد للأبـــدال عند بعضهم. انظر: الصوفية في نظر الإسلام/ سميح عاطف ص١٧٤ ، وهؤلاء الصوفية جعلوا هؤلاء مضاهاة لقول المنجمين في أوتاد الأرض. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـــ١١/٤٤٠ .

والأبدال[1] الأربعين، والسبعين إلى ثلاثمائة، كلهم في ميزانه، وإيمان جميعهم كإيمانه، إنما هو بدل أبي بكر، والأثافي الثلاثة بعده إنما هم أبدال الخلفاء الثلاثة بعده، والسبعة هم أبدال البدريين من الأنصار والمهاجرين »[2]، ويقول: « الأبدال عددهم في كل الدنيا ثلاثمائة »[3]، ولم يذكر أبو طالب المكي على هذا دليلاً.

وذكر من كراماتهم ما فيه دعوى الإلهية والربوبية، وما فيه دعوى القدرة المطلقة، وفضل بعضهم على الأنبياء، أما تعريفهم فلم يذكره، لكن ليس من ميزاتهم عنده موافقة الله ــ تعالى ــ فيما يحب ويرضى، وفيما يبغض، فهذا الأصل أخطأ فيه أبو طالب نفسه وكثير من الصوفية.

وأما ابن برجان فيسمى الولاية النبوة غير الممنوعة وغير الخاصة، ويسمى الكرامات آيات النبوة، لكنها مبثوثة في العالم، ويجعل شرط الولاية الصديقية فيقول:«أهل هذا المقام الرفيع ــ أعني الصديقية ــ أن يضرب الحق على قلوبهم وأفئدتهم، ويظهر شاهد الحق على ألسنتهم وأعمالهم، وكثيراً ما يكفيهم الله ــ تعالى ــ بضروب الكفايات، وإجابة الدعوات، وقضاء الحاجات، وقد تخرق لهم العادات لأنهم في مكان الوصل بين الأنبياء وغيرهم»[4].

وتقييد ابن برجان للولاية بالصديقية غير صحيح، فقد وصف الله الأولياء بالإيمان والتقوى، ووصفهم بالنبوة غير الخاصة أو غير الممنوعة لا يصح، فلا يطلق اسم نبي إلا على من سماه الله بذلك، والأولياء ليس لهم شيء من صفات النبوة، وليس للأولياء طبقة خاصة بهم، يتميزون بها، بل هم مع المؤمنين.

---

[1] الأبدال ــ عند الصوفية ــ: هم سبعة رجال يسافر أحدهم عن موضع ويترك جسداً على صورته فيه بحيث لا يعرف أحد أنه فقد. انظر: التعريفات ص ٤٣ ، واصطلاحات الصوفية ص ١٨ ، وبعض الصوفية يجعلهم أربعين شيخاً. انظر: الصوفية في نظر الإسلام ص ١٧٤ ، وعلى كل الصفات التي أطلقوها على هؤلاء لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر، ولا بأهل بقعة من الأرض. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١١/٤٤٢ .

[2] القوت جـ٢/١٢٩ .

[3] نفس المرجع جـ٢/١٢٩ ، وانظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٥٥ أ.

[4] شرح الأسماء الحسنى ورقة ٤٢ أ.

وقد تأثر ابن برجان في هذه الدعوى بالحكيم الترمذي، الذي جعل النبوة حظاً من الولاية، فيقول: « الفرق بين النبوة والولاية أن النبوة كلام ينفصل من الله وحياً،... والولاية لمن ولي الله حديثه على طريق أخرى »[١].

ونقل قول ابن برجان ابن عربي وزاد عليه، فقال ابن عربي: « اعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام، ولهذا لم تنقطع، ولها الإنباء العام، وأما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة، وفي محمد ﷺ قد انقطعت، فلا نبي بعده يعني مشرعاً له، ولا رسول وهو المشرع،...إلا أن الله لطف بعباده، فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها »[٢]، وذهب غالب متأخري الصوفية إلى تفضيل الولي على النبي وليس هذا موضع البحث، زعموا أن الأولياء يتلقون من الله ــ تعالى ــ[٣].

وجواب هذه الضلالة من وجوه:

١- قال الشوكاني ــ في الرد على ابن عربي الذي نقل كلام ابن برجان ــ:«فالرجل[٤] وأهل نحلته مصرحون بأنهم أنبياء تصريحاً لا شك فيه، بل لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا أنفسهم أعظم من الأنبياء »[٥].

والنبوة اجتباء واصطفاء من الله ــ تعالى ــ لمن يشاء ويختار من عباده، فلا يمكن أن تكتسب، أو تنال، بينما الولاية يمكن أن تنال وتكتسب، بل يجب على الإنسان السعي لنيلها.

٢- هؤلاء الصوفية جعلوا الولاية قسيمة للنبوة، كأن الولي غير داخل تحت الدعوة النبوية، ولا من الأمة الإسلامية، وجعلوا للولي رتبة جديدة، غير معروفة في الإسلام[٦]، وإن كان

---

[١] ختم الأولياء له ت/ عثمان إسماعيل يحي ص٣٤٦ ، ط/ المطبعة الكاثوليكية – بيروت، وانظر أيضاً: ص٣٤٩ ، ٤٠٩ ، ٤١٥-٤١٦ ، وكتاب الحكيم الترمذي تأليف/ د. محمد الجيوش ص٢١٧ ، ٢١٨ ، ط/ دار العربية – القاهرة، ومن قضايا التصوف د. الجليند ص٢١١ .

[٢] فصوص الحكم ص ١٣٤-١٣٥ الفص العزيري.

[٣] انظر: الصوفية/ ظهير ص١٨٨-١٩٠ .

[٤] أي ابن عربي.

[٥] الصوارم الحداد القاطعة ص ١٣١ .

[٦] انظر: الإنصاف في حقيقة الأولياء/ للصنعاني ت/ عبد الرزاق البدر ص٦٨ .

ابن برجان ذكر أوائل دعواهم.

٣- المصطلحات التي ذكرها ابن برجان وغيره من الصوفية مثل"نبوة التشريع"، و"النبوة غـير الممـنوعة، أو العامة، أو غير الخاصة"، و"يضرب الحق على قلوبهم وأفئدتهم" وغيرها، هي مصـطلحات مبتدعة لم تعرف في الكتاب أو السنة، ولم تؤثر عن أحد من السلف، وكل عبارة منها تكفي لتكفير صاحبها وإخراجه من دين الإسلام لأنها تعارض الأصول التي تعرف من دين الإسلام بالضرورة[١].

٤- لا يحكم لمعين بالولاية، والكرامة لا تدل على الولاية، قال القرطبي: « قال علماؤنا ــ رحمة الله عليهم ــ: ومن أظهر الله على يديه ممن ليس بنبي كرامات وخوارق للعادات؛ فليس ذلك دالاً على ولايته، خلافاً لبعض الصوفية والرافضة،... »[٢]، كما لا تدل على العصمة، بل هـي من جملة آيات الأنبياء، بل قد تكون الخوارق، وبعض المكاشفات بسبب ما اقترن به من الشياطين[٣].

٥- الإخـبار بالمغيبات انسد بموت النبي ﷺ، والإلهام من غيره ﷺ ممنوعا لمن تكلم به، لأنـه مـن رجم الغيب، لعدم تيقنه منه، وعدم عصمته، فلا يحل للولي أن يتكلم في الغيب عن مسـتقبل، ولو تكلم به عن قصد ثبت فسقه، وخرج عن دائرة التقوى، فضلاً عن الولاية، كما أخبر جل ذكره: ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[٤] أي فتفحصوا ثبوت خبره، وهذا الخبر أصله من رجم الغيب، فيثبت به فسقه ابتداءً، لأنه ليس من علم محقق، وإن اعتقد حقيقته كفر بما رده النصوص القاطعة، ومن اعتقد فيه أشرك بالله[٥].

---

[١] انظر: عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية تأليف أحمد بن سعد حمدان ص١٦٥-١٦٦ ، ط/ الأولى ١٤٠٥هـ الناشر دار طيبة – الرياض.

[٢] الجامع لأحكام القرآن جـ١/٢٩٧ ، ومعالم النبوة في الكتاب والسنة تأليف خالد العك ص١٧٣ ط/ الأولى ١٤١٥هـ الناشر دار النفائس – بيروت، وسيأتي تعريف الكرامة.

[٣] انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٥١٠ .

[٤] سورة الحجرات الآية: ٦ .

[٥] انظر: سيف الله على من كذب على أولياء الله، تأليف صنع الله الحنفي ت/ علي رضا، تقديم الشيخ صالح الفوزان ص٥٨-٥٩ ط/ الأولى ١٤٢٠هـ الناشر دار الوطن – الرياض.

٦- المصطلحات التي ذكرها الصوفية للأولياء مثل: القطب، والأوتاد، والأبدال، ليست موجودة في كتاب الله ولا هي مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح، ولا توجد في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب، ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً[1]،وما روى بلفظ الأبدال فكلها باطلة،ولا هي من كلام النبي ﷺ[2].

« وهـؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه، بل هذا الترتيب والأعداد تشبه من بعض الوجوه ترتيب الإسماعيلية، والنصيرية ونحوهم»[3].

وهناك من يرد هذه المراتب للوثنية الفرعونية[4].

٧- زعم ابن برجان أن الأولياء في مكان الوصل بين الأنبياء وغيرهم، وهذا باطل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « من زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم، ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة، والثلاثمائة إلى السبعين، والسبعون إلى الأربعين، والأربعون إلى السبعة، والسبعة إلى الأربعة، والأربعة إلى الغوث، فهو كاذب ضال مشرك »[5].

وما يذكره الصوفية عن الولي والكرامة يصادم نصوص الشريعة، وقد ابتدع الحكيم الترمذي نظرية الولاية الصوفية، وأخذها بعده الصوفية، ومنهم من أضاف إليها من وحي الشياطين، كابن عربي وغيره، ومنهم من اكتفى بشرح أقوال الترمذي، ومنهم من لم يصرح بكل ما ذكره الترمذي كابن برجان.

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١١/٤٣٣-٤٣٤ .

[2] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١١/٤٤١ ، والمنار المنيف لابن القيم ت/ عبد الفتاح أبو غده ص١٣٦ ، ط/ السادسة ١٤١٤هـ الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، سوريا، والأسرار المرفوعة ص٤٧٠ ، والمقاصد الحسنة ص٢٦ رقم الحديث ٨ . وسيف الله على من كذب على أولياء الله ص٦٥ ، وراجع طرق الحديث في تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، تأليف محمد لوح جـ١/١٠١-١٠٤ ، ط/ الأولى ١٤١٦هـ الناشر دار الهجرة – الرياض.

[3] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١١/٤٣٩ .

[4] انظر: الصوفية في نظر الإسلام ص١٧٤ .

[5] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١١/٤٣٧-٤٣٨ .

ثانياً: تعريف الكرامة:

الكرامة في اللغة اسم يوضع للإكرام، كما وضعت الغارة موضع الإغارة[1].

وقد اختلف الناس في الكرامة، فمنهم من ينكرها، ومنهم من يجعلها قوى نفسانية[2]، وأثبت الكرامة أهل السنة والجماعة وكثير من أهل الكلام من الأشعرية والماتريدية والسالمية وغيرهم، واختلفوا في تعريفها: فعرفها أهل الكلام بأنها:« أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً،وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة»[3]،وزاد بعضهم على الأمر الخارق:وقد يكون من الشيطان[4].

أما أهل السنة والجماعة فعرفوها بأنها: « من جملة آيات الأنبياء، لأنها مستلزمة لنبوتهم، ولصدق الخبر بنبوتهم »[5].

والسالمية ممن يذهب إلى تعريف أهل الكلام، وإن كان لم يذكر أحد منهم هذا التعريف، إلا أن أبا طالب المكي يرى هذا الرأي ككثير من الصوفية، وكذلك الزبيدي ــ كما سبق في تعريف المعجزة ــ وافق أهل الكلام في تعريف المعجزة.

وتعريف المتكلمين ــ ومنهم السالمية ــ للكرامة لا يصح من وجوه:

١- عدم التفريق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء، وكذلك بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء وبين خوارق السحرة والكهان.

٢- أن كثيراً من آيات النبي ﷺ غير مقرونة بالتحدي، وبعض كرامات الأولياء مقرونة بالتحدي.

---

[1] انظر:لسان العرب جـ١٢/٥١٢ مادة (كرم).

[2] انظر: الصفدية جـ١/٧ ، ١٤٢ ، وأولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني تأليف عبد الرحمن دمشقية ص١٢٠ ، ط/ الأولى ١٤١٣هـ الناشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي – الرياض.

[3] التعريفات للجرجاني ص١٨٤ باب الكاف.

[4] انظر: مهمات التعريف ص٢٨١ باب الكاف فصل الراء.

[5] النبوات ص٢٠٥ ، وأولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني ص١٤٠ .

٣- أن بعض عجائب السحرة والكهان خارقة عند بعض الناس[١]، فهل تكون معجزة أو كرامة إذا قارنها كذب بادعاء النبوة أو الولاية؟

٤- زعم أهل الكلام ــ ومنهم السالمية ــ بناء على هذا التعريف أنه ما جاز أن يكون آية لنبي جاز أن يكون كرامة لولي[٢]، قال ابن برجان ــ عن معجزات الأنبياء ــ: « وسلام الحجر على رسول الله ﷺ وكذلك الشجر وحنين الجذع وكلام الجمل وإعلام الذراع المسمومة، ونحو هذا، ولأولياء الله ﷻ من هذه وهذه من ذلك درجات جعلها لهم دلالات على تكليم يكلمون، وإلهام يلهمون وأمور صادقة يطلعون عليها خارجة عن جريان العوايد »[٣].

لذا ادعى بعض الصوفية ما هو أعظم من آيات الأنبياء، والصواب أن كرامة الولي لا يجوز أن تساوي آية النبي، ولا يحصل للولي كما يحصل للنبي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « ومعجزات الأنبياء فوق ذلك (أي كرامات الأولياء) فانشقاق القمر والإتيان بالقرآن، وانقلاب العصا حية، وخروج الدابة من صخرة لم يكن مثله للأولياء، وكذلك خلق الطير من الطين، ولكن آياتهم صغار وكبار، كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[٤]، فلله ــ تعالى ــ آية كبيرة وصغيرة، وقال عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[٥] فالآيات الكبرى مختصة بالأنبياء، وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين مثل تكثير الطعام، فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين، لكن لم يوجد كما وجد للنبي ﷺ أنه أطعم الجيش من شيء يسير، فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم لكن لا يماثلون في قدره.

فهم مختصون:

أ- إما بجنس الآيات، فلا يكون لمثلهم كالإتيان بالقرآن، وانشقاق القمر، وقلب العصا حية.

---

[١] انظر: النبوات ص٢٥٨ ، وأولياء الله ص١٢٣ .

[٢] انظر: أولياء الله ص١٣٦ .

[٣] تفسير ابن برجان ورقة ٤٠٤ ب، وانظر: انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ٤٢ أ .

[٤] سورة النازعات الآية: ٢٠.

[٥] سورة النجم الآية: ١٨ .

ب- وإمـــا بقدرهـــا وكيفيتها كنار الخليل، فإن أبا مسلم الخولاني وغيره صارت النار عليهم برداً وسلاماً، لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها فهو مشارك للخليل في جنس الآية كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده »[1].

لذا لا يصح تعريف أهل الكلام للكرامة والصواب ما عرفه بها أهل السنة والجماعة وهو أن الكـــرامة « مـــن جملة آيات الأنبياء لأنها مستلزمة لنبوتهم، ولصدق الخبر بنبوتهم »، وبهذا التعريف يتم تجنب الخطأ الذي وقع فيه أهل الكلام، ويتميز بما يلي:

١- رفع آيات الأنبياء فوق خوارق الجميع.

٢- الـــتفريق بـــين آيات الأنبياء وبين الكرامات، وأن الثانية تبع للأولى ودليل من أدلة صحة النبوة.

٣- رفع الكرامة عن أن تكون من جنس مخاريق السحرة والكهان.

٤- معرفة السبب الذي من أجله تحصل الكرامة وأن لله فيها حكمة[2].

ثالثاً: نماذج من الكرامات عند السالمية:

الســـالمية كغيرها من المتصوفة ذكروا كثيراً من الكرامات التي فيها مغالاة وكذب، وقد روى بعـــض هذه الكرامات عن أبي الحسن أحمد بن سالم شيخ السالمية، وأبي طالب المكي وابن برجان وغيرهم، لكن بعض السالمية الآخرين كالزبيدي لم يذكر منها شيئاً، وأما سهل التستري شيخ مشايخ السالمية فتروى عنه كثير من الكرامات.

ويمكن أن نقسم هذه النماذج إلى ثلاثة أنواع:

الأول: كرامات فيها ادعاء المشاركة في الألوهية والربوبية.

الثاني: كرامات فيها ادعاء القدرة المطلقة للأولياء وعلم الغيب.

الثالث: كرامات فيها ادعاء رؤية الرب ــ تبارك وتعالى ــ في الدنيا، وسبق ذكر هذا النوع في مسألة رؤية الرب ــ تعالى ــ في الدنيا مما يغني عن الإعادة هنا[3].

---

[1] النبوات ص٢٩٦ .

[2] انظر: أولياء الله / دمشقية ص١٤٠ .

[3] انظر: ما تقدم في ص٥٨١-٥٨٣.

وهـــذه الأنـــواع تلاعبت بهم الشيطان فيها، ويظهر هذا التلاعب في النوع الثالث أكثر وضوحاً باعتراف شيوخ التصوف أنفسهم.

وســـبب هذا الضلال يعود في أصله إلى متابعة الصوفية لأهل الكلام في تعريف الكرامة، وإلى مجاهداتهم ورياضاتهم، والجوع والنصب والإجهاد، حتى يرون ما لا حقيقة له، ويسمعون ما لا حقيقة له.

وإلى ترك الرواية بالإسناد، والانصراف عن العلم، ومحاولة تأييد مذهبهم بهذه الحكايات الباطلة شرعاً وعقلاً وحساً.

أ ــ نماذج من الكرامات التي فيها ادعاء المشاركة في الألوهية:

أبو طالب المكي من السالمية ككثير من الصوفية في الغلو في كرامات الأولياء، حتى ذكر جملة منها فيها منازعة للألوهية، والنبوة وغير ذلك وهذه نماذج منها:

١- قـــال أبو طالب المكي: « وهذه المقامات من فضائل التوكل وفوقها ما لا يصلح رسمــه في كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين، منها أنه أعطاهم كن باطلاعه إيــاهم عـــلى الاسم فزهدوا في كون كن لأجل كان، توكلاً عليه وحياء منه أن يعارضوه في قدرته »[١]، وقال ابن برجان: « وعلى قدر صدقه[٢]،في سيره، وطهارة عيبه وجهده؛ يطلع له علم الهداية، ويظهرله التعلق بالإسم المحجوب، وربما أعطي فوائد "كن" المتصلة بـــ "كان" عوضا من الـــ "كن" المتصلة بـــ "يكون" المعهودة في دار الدنيا »[٣].

٢- وقـــال أيضاً: « ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الأنفس ونهبوا الأموال، اجتمع إلى ســـهل إخوانه فقالوا: لو سألت الله ﷻ في هذا الأمر؟ ولو دعوت؟ فسكت، ثم قال: لله تعالى عـــباد في هـــذه البلدة، لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليله، ولكن لا يفعلون. قيل: و لم؟ قال: لأنهم لا يحبون ما لا يحب. ثم ذكر من إجابة الله تعالى أشياء لا نستطيع ذكرها. حتى قال: لو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها، وأعلم أن العبد إذا بلغ من الله

---

[١] القوت جــ٢/١٥ .

[٢] أي الولي.

[٣] انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ٣ أ.

تعالى هذا المكانة حتى يعطيه كن؛ اقتضته الحال أن يقول: وفقني لما تحب واعصمني مما تكره؛ فإني بشـــر جاهل لا أحسن التدبير ولا أعرف المقادير ولا علم لي بعواقب الأمور، وأخاف أن يكون في قولي تفاوت وفي إرادتي اضطراب، وإذا أجابه تعالى إلى ذلك، سكت فلم ينطق وسلّم »[١].

ومـــا ذكره وإن ساقها على أنها كرامة، فإنها تتضمن قدرة من ذكرهم على التصرف في الكـــون، وهذا مشاركة في الألوهية، فإذا قدر هؤلاء الأولياء على أن يقولوا للشيء كن فيكون، فما بقى للرب ــ تعالى ــ؟ وهل حصل للأنبياء مثل هذا؟

وقـــد كـــذب شيخ الإسلام ابن تيمية النقل عن سهل في الثانية[٢]، لكن أبا طالب ساق القصة على وجه الاستدلال.

وأما حكم هذه المقولة فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « من قال: إن أحداً من أولياء الله يقول للشيء: كن فيكون، فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، فإنه لا يقدر على ذلك أحد إلا الله ــ سبحانه وتعالى ــ، وليس كل ما يريده ابن آدم يحصل له »[٣].

وقـــال الصـــنعاني عن هذه المقولة: « سبحانك هذا بهتان عظيم، بينما المجيب يخوض في إثـــبات الكرامة لولي، صار الكلام في إثبات خواص الإلهية له، والحال أن الرسل الذين هم الهداة للأمم، وباتباع شعاع أنوارهم صار الولي ولياً، إذا قالت لهم الأمم يأتون بآية يقولون إنما الآيات عند الله، ويأمر أفضل رسله ﷺ أن يقول: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾[٤]، وينهاه أن يقول للشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله، وهؤلاء يقولون: أمر الولي بين الكاف والنون، وهذا غلوٌّ كغلو النصارى في المسيح، أو نوع من الجنون.

وقـــد اختلف أئمة الأصول هل يجوز أن يفوض الله إلى رسوله ﷺ حكماً من الأحكام الشـــرعية، فكيف إطلاق التصرف في الأكوان؛ إيجاداً وإعداماً في الأمور الكونية، وبالجملة فردٌ

---

[١] القوت جـــ٢/١١٧ .

[٢] انظر:ماتقدم في ص١٢٠ .

[٣] انظر: المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع محمد القاسم جـــ١/٣٣ .

[٤] سورة يونس الآية: ٤٩ .

هـذا الهذيان لا يحتاج إلى دليل من سنة ولا قرآن، وإنما يحتاج إلى عقل يفرق بين خالق الأكوان وبين الإنسان »[١].

ب ــ كرامات فيها دعوى القدرة المطلقة للأولياء وعلم الغيب:

ذكـر الصـوفية ومنهم السالمية الصوفية كثيراً من الكرامات، التي فيها دعاوى عريضة، وتسـليم مطـلق بقدرة الأولياء المطلقة، قال أبو الحسن أحمد بن سالم عن معنى قوله: "الإيمان بالقدرة" فقال: « هو أن تؤمن ولا ينكر قلبك بأن يكون عبد بالمشرق ويكون من كرامة الله ــ تعالى ــ له أن يعطيه من القدرة ما ينقلب من يمينه على يساره فيكون بالمغرب، يعني تؤمن بجواز ذلك وكونه »[٢].

وروى عنه السراج الطوسي أقوالاً أخرى دون هذه في الكرامات[٣].

وروى أبو طالب المكي كرامات فيها قدرة الأولياء الخارقة على التنقل فقال: « قيل لأبي يزيد: بلغت جبل قاف؟ فقال: جبل قاف أمره قريب، الشأن في جبل كاف وجبل عين وجبل صاد، قال: وما هذا؟ قال: هذه جبال محيطة بالأرضين السفلى، حول كل أرض جبل بمترلـة جبل قاف محيط بهذه الدنيا، وهو أصغرها، وهذه أصغر الأرضين، وقد كان أبو محمد يخبر أنه صعد جبل قاف، ورأى سفينة نوح مطروحة فوقه، وكان يصفه ويصفها، وقال: لله عـبد بالبصرة يرفع رجله وهو قاعد فيضعها على جبل قاف، وقد قيل: الدنيا كلها خطوة للولي، وإن ولياً لله خطا خطوة واحدة خمسمائة عام، ورفع رجله على جبل قاف والأخرى على جانب الجبل الآخر، فعبر الأرض كلها، وقيل لأبي يزيد: دخلت إرم ذات العماد فقال: قد دخلت ألف مدينة لله في ملكه، أدناها ذات العماد، ثم عدد[٤] كلها »[٥]، وهذه المواضع كلها كذب لا وجود لها.

---

[١] الإنصاف في حقيقة الأولياء ص٣٩-٤٠ ، وانظر: الخرافات الصوفية جـ٢/٦٥٩-٦٨٢ ، وأولياء الله / دمشقية ص١٤٨-١٥٤ .

[٢] اللمع ص٣٩٠ .

[٣] انظر: نفس المرجع ص٣٩٣-٤٠٠ .

[٤] كذا في الأصل ولعلل الصواب: عددها.

[٥] القوت جـ٢/١١٥ .

ومـــن الكـــرامات الـــتي ذكرها أبو طالب لبعض الأولياء أن الكعبة تطوف بهم فقال: « ويقـــال إن لله عباداً تطوفهم الكعبة تقرباً إلى الله ـــ تعالى ـــ، وحدثني شيخ لنا عن أبي علي الكرماني شيخنا بمكة، وكان من الأبدال إلا أني سمعت هذه الحكاية منه، قال سمعته يقول: رأيت الكعبة ذات ليلة تطوف بشخص من المؤمنين »[1].

وقـــد رد العلماء هذه المقولات الباطلة، الضالة، قال ابن أبي العز الحنفي: « فمن ادعى أنه مع محمـــد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوز ذلك لأحد من الأمة، فليجدد إسلامه، وليشهد شهادة الحق، فإنـــه مفارق لدين الإسلام بالكلية، وكذا من يقول بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا، فهلا خرجت الكعبة إلى الحديبية فطافت برسول الله ﷺ حين أحصر عنها، وهو يود منها نظره »[2].

وقـــال الصنعاني ـــ رحمه الله ـــ: « إن أكثر الكرامات التي شاعت بين العوام، وحازت على عقول الخواص، كذب من العوام الذين هم فتنة دين الإسلام، أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، وهم الهمج الرعاع »[3].

أما معرفة الأولياء لعلم الغيب فقد وصف أبو طالب المكي شيخ السالمية أبا الحسن أحمد بن سالم بمعرفة الغيب وانقلاب الأعيان له فقال: « وقدكان للشيخ أبي الحسن بن سالم ـــ رحمه الله تعـــالى ـــ من هذا الطريق؛ مشاهدات ومطالعات وسياحات في الغيوب، وجريان في الآخـــريات، وانقلـــبت له الأعيان وظهرله العيان، وطوىله المكان؛ ورأى ألف ولي لله تعالى، وحمل عن كل واحد علماً، ثم انقطع الطريق بعد فقده وعفا الأثر ودرس الخبر »[4]، وهذا باطل فإن الغيب لا يعلمه إلا الله ـــ تعالى ـــ.

وقـــد تقـــدم ذكر بعض الأقوال في زعم بعض الصوفية رؤية الرب ـــ تبارك وتعالى ـــ في الدنيا، وقد أرشد شيوخ الصوفية هذا الرائي بأن يبصق على ما يراه، لأنه شيطان، فلما بصق عليه تمزق و لم يره بعد ذلك، مما دل على أنه شيطان تمثل لهم ليضلهم.

---

[1] نفس المرجع جـــ٢/٢٠٢-٢٠٣ .

[2] شرح العقيدة الطحاوية ص٥١١-٥١٢ .

[3] انظر: الانصاف في حقيقة الأولياء ص٢٥ .

[4] القوت جـــ٢/١٢٧، وانظر: جـــ١/٣٢٩ .

وقد سبق بيان بعض كراماتهم والتي زعموا فيها رؤية الله ـ تعالى ـ عياناً في الدنيا، ودخول بعضهم الجنة وغير ذلك من الضلالات[١].

فهذه النماذج توضح مدى الكذب الحاصل في روايات الكرامات العجيبة المسطورة في كتب التصوف، ولذا فإن المنكر لهذه الكرامات لا يكون منكرا لكرامات الأولياء، لا سيما إذا كان مقراً بأن من منهج أهل السنة والجماعة إثبات الكرامة، فإن إنكار الكرامة ضلالة وانحراف عن الحق، وإنما يكون منكرا للخرافة التي لا سند لها، بل غالبها مسروق مقتبس[٢].

وقد أنكر الإمام ابن أبي زيد القيراواني على أبي عبد الرحمن الصقلي الذي غالى في ذكر الكرامات، والصقلي ممن تتلمذ على سهل التستري، واتصل بالسالمية[٣]، وقد أفرد ابن الجوزي باباً في "تلبيس إبليس على المتدينين بما يشبه الكرامات" قال فيه: « ولقد استغوى الشيطان بعض ضعفاء الزهاد بأن أراه ما يشبه الكرامة »[٤]، وقال: « وقد لبس على قوم من المتأخرين؛ فوضعوا حكايات في كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم، والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل، فكشف الله ـ تعالى ـ أمرهم بعلماء النقل »[٥]، وذكر بعض هذه الكرامات ثم قال: « هذا كذب محال لا يشك فيه عاقل »[٦]، وقال: « وقد أندس بين الصوفية أقوام تشبهوا بهم؛ وشطحوا في الكرامات، وادعائها، وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم »[٧].

---

[١] انظر: ما تقدم في ص٥٨١-٥٨٣ .

[٢] انظر: أولياء الله / دمشقية ص١٦١ ، والتصرف المنشأ والمصادر / إحسان إلهي ظهير ص ٥١-٥٣ ، وشبهات التصوف / عمر قريشي ص١٣٥ ، ومع المسلمين الأوائل (العباد الأوائل) / د. مصطفى حلمي ص ١١٨ .

[٣] انظر:ما سيأتي في ص٧٥٥-٧٥٧ .

[٤] تلبيس إبليس ص٣٩٠ .

[٥] نفس المرجع ص٣٩٤ .

[٦] انظر: نفس المرجع ص٣٩٠-٣٩٦ .

[٧] نفس المرجع ص٣٩٦ .

الفصل الثاني

منهج السالمية وآرائهم في اليوم الآخر

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : الروح عند السالمية.

المبحث الثاني : محاسبة الكفار عند السالمية.

المبحث الثالث : ذبح الموت عند السالمية.

المبحث الرابع : مسألة البرزخ وعلم الساعة عند السالمية.

تمهيد:

السـالمية كغيرها من الفرق الكلامية عدا المعتزلة، يؤمنون باليوم الآخر على اعتقاد أهل السـنة والجماعة في العموم، وقد أفردوه في مباحث وفصول وأبواب، قال أبو طالب المكي في عقيدتـه: « عقود القلب التي هي السنة المجتمع عليها، نقلها الخلف عن السلف؛ و لم يختلف فيه اثـنان من المؤمنين، فيها ست عشر خصلة، ثمان واجبات في الدنيا، وثمان واقعات في الآخرة، ثم ذكر الثماني الواقعات في الآخرة وهي:

١-أن يعتقد العبد مسألة منكر ونكير.

٢-أن عذاب القبر حق وحكمة وعدل على الجسم والروح والنفس.

٣-الإيمان بالميزان ذي الكفتين واللسان وأنه حق وعدل وحكمة.

٤-يعتقد أن الصراط حق على ما جاء.

٥-الإيمان بوقوع الحساب وتفاوت الخلق به.

٦-الإيمان بالنظر إلى الله ﷻ عياناً بالأبصار كفاحاً مواجهة.

٧-يعتقد إخراج الموحدين من النار بعد الانتقام.

٨-أن لكل مؤمن شفاعة بإذن الله[1].

وقـد سـبق الكـلام على الرؤية، وما ذكره في هذا الباب يوافق ما ذكره أهل السنة والجماعـة، سوى قوله (بعد الانتقام) فلا يصح إطلاق هذا القول، ولعل مراده التمحيص لأهل الكبائر، و لم يذكر السلف هذه الكلمة.

وقـال أبو محمد ابن عبد الله البصري في أصول السنة والتوحيد: « كان إجماع السلف والخـلف، وأئمـة الديـن وفقهاء المسلمين،... على أن عقيدة السنة أربع عشرة خصلة: سبعة متعلقة بالشهادة، وهي مما يدان بها في الدنيا، وسبعة متعلقة بالغيب وهي مما يؤمن بها من أحكام الآخرة »، ثم قال: « والمتعلقة بالآخرة:

١-الإيمان بأحكام البرزخ.

---

[1] انظر: القوت جـ٢/٢٠٥-٢١٠.

٢-والآيات التي بين يدي الساعة.

٣-والبعث بعد الموت.

٤-ورؤية الله تعالى.

٥-والإيمان بالحوض.

٦-والشفاعة، والصراط، والميزان.

٧-وخلود الدارين.

فمن خالف شيئاً من هذا فقد خالف اعتقاد السنة والجماعة »[1].

وأما أبو الحسن أحمد بن سالم شيخ السالمية فلم يرد إلا قوله إن الثواب والعقاب للروح والجسد، ورد القول بالتناسخ[2].

وقد تطرق لمسائل اليوم الآخر ابن برجان في تفسيره في شرح الأسماء الحسنى، والزبيدي لكن على وجه الإجمال، غير أن السالمية خالفوا في بعض المسائل أهل السنة والجماعة، وهي المباحث التالية:

المبحث الأول : الروح عند السالمية.

المبحث الثاني : محاسبة الكفار عند السالمية.

المبحث الثالث : ذبح الموت عند السالمية.

المبحث الرابع : مسألة في البرزخ، وعلم الساعة عند السالمية.

---

(1) انظر: أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٥٠٣ .

(2) انظر: اللمع ص٢٩٤ .

المبحث الأول: الروح عند السالمية.

الـــروح: في الـــلغة: بالضـــم، ما به حياة للأنفس، ويذكر ويؤنث والجمع: الأرواح، ويطـــلق الروح على القرآن، والوحي، وجبريل، وعيسى عليه السلام، والنفخ، وأمر النبوة، وحكم الله ـــ تعالى ـــ، وأمره[١].

والروح في القرآن الكريم له عدة معاني منها:

أحدهـــا: الوحي كقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[٢]، وقوله تعالى:﴿ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[٣] وسمى الوحي روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح.

الـــثاني: القـــوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من يشاء من عباده المؤمنين كما قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[٤].

الثالث: جبريل كقوله تعالى:﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾[٥] .

الـــرابع: الـــروح التي سأل عنها اليهود فأجيبوا بأنها من أمر الله، وقد قيل: إنها الروح المذكورة في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ ﴾[٦]، وقيل إنها الروح المذكورة في قوله تعالى:﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾[٧].

الخـــامس: المسيح ابن مريم قال تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ

---

[١] انظر: لسان العرب جـــ٢/٣٦٢ مادة (روح)، والقاموس المحيط ص٢٨٢ مادة (روح).

[٢] سورة الشورى الآية: ٥٢ .

[٣] سورة غافر الآية: ١٥ .

[٤] سورة المجادلة الآية: ٢٢ .

[٥] سورة الشعراء الآية: ١٩٣ .

[٦] سورة النبأ الآية: ٣٨ .

[٧] سورة القدر الآية: ٤ .

﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[1]، وأما أرواح بني آدم فلم تقع تسميتها في القرآن إلا بالنفس كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾[2].

وأما في السنة فجاءت بلفظ النفس والروح، والمقصود أن كونها من أمر الله لا يدل على قدمها وأنها غير مخلوقة[3].

وأما قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[4]، فقد قيل في تعريف هذه الروح المسؤول عنها أقوال كثيرة: قيل سألوه عن جبريل، وقيل: سألوه عن ملك عظيم له ألسنة، وقيل: سألوه عن الروح التي تكون بها الحياة في الجسد، وقال أهل النظر: سألوه عن كيفية مسلك الروح في البدن وامتزاجه به.

وقال كثير من أهل العلم إنهم سألوه عن روح الإنسان، لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله ولا تجهل أن جبريل ملك، وأن الملائكة أرواح، وعليه أكثر المفسرين[5].

ورجح ابن القيم أن المراد الثاني فقال: « إن الروح المسؤول عنها في الآية ليست أرواح بني آدم، بل هو الروح الذي أخبر الله عنه في كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة وهو ملك عظيم »[6].

---

(1) سورة النساء الآية: ١٧١ .

(2) سورة الفجر الآية: ٢٧ .

(3) انظر: الروح لابن القيم ت/ د. بسام العموش جـ٢/٥٢٣-٥٢٤ ، ط/ الثانية ١٤١٢هـ الناشر دار ابن تيمية – الرياض.

(4) سورة الإسراء الآية: ٨٥ .

(5) انظر: تفسير القرآن لابن المظفر السمعاني ت/ ياسر إبراهيم وغنيم عباس جـ٣/٢٧٤ ، ط/ الأولى ١٤١٨هـ الناشر دار الوطن – الرياض، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٠/٣٢٤ ، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان ت/ عادل عبد الموجود وآخرون جـ٦/٧٤ ، وفتح الباري جـ٨/٥١٣ ، وروح المعاني للألوسي جـ١٥/١٥٢، وفتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة صديق حسن القنوجي جـ٧/٤٤٧ ، ط/ عبد الله الأنصاري ١٤١٢هـ الناشر المكتبة العصرية بيروت– لبنان.

(6) الروح لابن القيم جـ٢/٥١٧ .

وعـــلل ابن القيم ذلك بأن اليهود: « إنما سألوه عن أمر لا يعرف إلا بالوحي وذلك هو الـــروح الذي عند الله لا يعلمها الناس، وأما أرواح بني آدم فليست من الغيب »[١]، وقد خالفه كـــثير مـــن أهل العلم وردوا ما قال[٢]، وروح بني آدم من أعظم المعجزات فهي بين جنبيه ولا يعـــرف حقيقتها، قال القرطبي: « ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها، وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا، كان يعجزه[٣] عن إدراك حقيقة الحق أولى، وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاورله، دلالة على أنه عن إدراك خالق أعجز »[٤].

والـــراجح ــ والله أعلم ــ أن المراد هو روح الإنسان، وهو المنقول عن الجمهور وعليه أكثر السلف[٥]، لأنه « لما أنجر الكلام إلى ذكر الإنسان وما جبل عليه، ذكر الله سبحانه سؤال السائلين لرسول الله ﷺ عن الروح »[٦].

وأمـــا تعريف الروح فقد « حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانيـــة عشـــر [و][٧] مائة قول، فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع بعد أن علموا أن الله ـــ سبحانه ـــ قد استأثر بعلمه، ولم يطلع عليه أنبياء ولا أذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث على حقيقته فضلاً عن أممهم المتقدمين.

وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه،...

ولذا رد ما قيل في حده قديماً وحديثاً »[٨]، ويدخل تبعاً لروح الإنسان روح الحيوان.

---

[١] الروح جـــ٢/٥١٨ .

[٢] انظر: روح المعاني جـــ١٥/١٥٢ ، وفتح الباري جـــ٨/٥١٣ .

[٣] كذا في الأصل والأولى (عجزه).

[٤] الجامع لأحكام القرآن جـــ١٠/٣٢٤ .

[٥] انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر جـــ٣/٢٧٤ ، وروح المعاني جـــ١٥/١٥٢ ، وفتح البيان جـــ٧/٤٤٦ وغيرها.

[٦] فتح البيان للقنوجي جـــ٧/٤٤٦ .

[٧] سقطت من الأصل ولا تستقيم العبارة بدونها.

[٨] فتح البيان جـــ٧/٤٤٨ .

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، على أن روح الآدمي مخلوقة.

وقال بقدم الروح صنفان:

الأول: الصابئة الفلاسفة يقولون هي قديمة أزلية، لكن ليست من ذات الرب، ويزعم من دخل من أهل الملل فيهم أنها هي الملائكة.

الثاني: زنادقة هذه الأمة وضلالها ـــ من المتصوفة والمتكلمة والمحدثة ـــ يزعمون أنها من ذات الله[1]، وممن يقول بهذا القول بعض أعلام السالمية كابن برجان، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ « أي ما هو الروح، فلذلك كان الجواب معبراً عن حقيقة المسؤول عنه، ومم هو وجوده، والسؤال عن الأمر بما[2] هو؟ فإن السائل عنه لا يخلو أن يكون سؤاله عن الأمر الذي هو الشأن كقوله جل ذكره: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[3] معناه إنما شأنه أو ما يكون معبراً عنه أو مفسراً له، ويجمع[4]هذا الأمر على أمور، وعلى هذا فيكون صفة من الصفات، وإن كان من الأمر الذي قوله، فهو إذا ما يكون عن الكلام العليّ فهو روح ليس بمخلوق ولا محدث ولا بفناء سبحانه وتعالى عن ذلك،أوتكون هذا المشارإليه المعبر عنه بالروح من الأمر محدثاً من الأمر كما قال:﴿ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾[5]،فهذا محدث موجود من الأمر الذي هو الكلام وهو المقول له كن فيكون روحاً أو أمراً أو جسماً لكن على النحو الذي يشاؤه منه به »[6]، فظاهرمن قوله هنا أنه يقول أن الروح غير مخلوقة.

وقد نسب هذا القول للسالمية أبو الفرج الشيرازي فقال: « يسأل عن الروح؟ فإن قال: لا تفنى وإنما تخرج من نفس وتدخل في أخرى، فهو سالمي مجوسي دهري »[7].

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/٢٢١-٢٢٢ .

[2] كذا في الأصل، والأولى حذف الألف في (بما).

[3] سورة يس الآية: ٨٢ ، وفي الأصل كرر أول الآية.

[4] في الأصل لم تنقط الياء.

[5] سورة الروم الآية: ٢٠ ، فاطر الآية: ١١ ، وغافر الآية: ٦٧ .

[6] تفسير ابن برجان ورقة ٤٠٨ ب، وانظر: انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ٣٢ أ،ب.

[7] جزء فيه امتحان السني من البدعي ص٤٦١ .

ولعل مراده أن الذي يقول به هذه الطوائف الثلاث السالمية والمجوس والدهرية، وليس أن السالمي مجوسي دهري، وإن قال بذلك فهذا تجاوز منه ــ رحمه الله ــ[١].

كما نسب إليهم أيضاً القول بأن الحيوان لا روح فيه، وأن قائل ذلك سالمي حشيشي[٢]، لكن المنقول عن ابن سالم (الأب) شيخ السالمية يخالف هذا، قال السراج الطوسي: « سمعت ابن سالم، وقد سئل عن الثواب والعقاب، يكون للروح والجسد أو للجسد وحده؟ فقال: الطاعة والمعصية لم تظهر من الجسد دون الروح، ولا من الروح دون الجسد،حتى يكون الثواب والعقاب على الجسد دون الروح أو على الروح دون الجسد، ومن قال في الأرواح بالتناسخ؛ والتنقل؛ والقدم؛ فقد ضل ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً »[٣]، وهذا القول يوافق مذهب أهل السنة والجماعة، والأولى أن ينسب القول بقدم الروح لابن برجان وليس للسالمية فهذا شيخ السالمية يرد هذه المقولة ويضلل القائل بها.

وأما ابن برجان فاستدل على ما ذكره بقوله: « فصل المعهود في الوجود أنه جل ذكره لـه بكل صفة اسم هو من أسمائه، وأن كل اسم له مسلكه في الوجود، من ذلك أنه السميع البصير فأوجد السمع والبصر،... وله الروح، قال عزّ من قائل:﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[٤]، وقال في المسيح عليه السلام:﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[٥]، وقال:﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[٦]، كذلك قال خلق خلقاً هو الروح:﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[٧]، ومنه روح القدس والروح الأمين جبريل عليه السلام، والمؤمنون يتحابون بروح الله، وقال رسول الله ﷺ: "لا

---

[١] انظر: جزء فيه امتحان السني من البدعي ص ٤٥٥.

[٢] انظر: ماسيأتي في ص٨٨٢ .

[٣] اللمع ص٢٩٤ .

[٤] سورة الحجر الآية: ٢٩ ، وسورة ص الآية: ٧٢ .

[٥] سورة النساء الآية: ١٧١ .

[٦] سورة المجادلة الآية: ٢٢ .

[٧] سورة المعارج الآية: ٤ .

تسبوا الريح فإنها من روح الرحمن"[١]، فكل روح اتصف به فهو صفة له، وهو منه، وكل ما بان عنه فهو خلقه، ومنه تسبيح الملائكة، ورسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ "سبوح قدوس رب الملائكة والروح"[٢] ثم من هذا الروح ما هو منه قريب كالروح الذي نفخ منه في آدم عليه السلام، والروح الذي سمى به عبده ورسوله عيسى بن مريم، فذلك تحقيق حقيقة لمن آثره به وخصه بخصوصيته، ثم إلى ما وراء ذلك درجات وما أوتينا من العلم إلا قليلاً »[٣].

واستدلال ابن برجان على معاني الروح لا يدل على مراده في أن الروح غيرمخلوقة، فما ذكر هو من معاني الروح كما سبق.

وأما استدلاله بإضافتها إليه سبحانه في قوله تعالى:﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[٤]، فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله ـ سبحانه ـ نوعان:

الأول: صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وإرادته وقدرته وحياته؛ صفات له غير مخلوقة.

الثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ومصنوع إلى صانعه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتميز به المضاف عن غيره؛ كبيت الله وإن كانت البيوت كلها ملكاً له، وكذلك ناقة الله والنوق كلها ملكه وخلقه؛ لكن هذه إضافة إلى إلهيته؛ تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته؛ حيث تقتضي الاختيار، والله يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه كما قال تعالى:

---

[١] أخرجه أبو داود في (كتاب الأدب، باب: ما يقول إذا هاجت الريح) جـ٥/٢٠٦ حديث رقم ٥٠٩٧ ، وابن ماجه في سننه (أبواب الآداب، باب: النهي عن سب الريح) جـ٢/٣٢٠ حديث رقم ٣٧٧٢ واللفظ له، والحاكم في المستدرك جـ٤/٢٨٥ وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين، وصححه د. بشار معروف في هامش سنن ابن ماجه جـ٥/٢٩٤ ورقم الحديث عنده ٣٧٢٧ .

[٢] أخرجه مسلم في (كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود) جـ١/٣٥٣ حديث رقم ٢٢٣ بلفظه، والنسائي في (كتاب الافتتاح، باب: الذكر في الركوع) جـ٢/١٩٠-١٩١ حديث رقم ١٠٤٨ .

[٣] تفسير ابن برجان ورقة ٤٠٩ .

[٤] سورة الحجر الآية: ٢٩ ، وسورة ص الآية: ٧٢ .

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[1]، وإضافة الروح إليه من هذه الإضافة الخاصة لا من العامة ولا من باب إضافة الصفات فتأمل هذا الموضع فإنه يخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها ما شاء الله من الناس.

فإن قيل فما تقولون في قوله تعالى:﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾[2] فأضاف النفخ إلى نفسه وهذا يقتضي المباشرة منه تعالى كما في قوله:﴿ خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾[3]... قيل هذا الموضوع هو الذي أوجب لهذه الطائفة أن قالت بقدم الروح، وتوقف فيها آخرون، ولم يفهموا مراد القرآن، فأما الروح المضافة إلى الرب فهي روح مخلوقة أضافها إلى نفسه إضافة تخصيص وتشريف كما بينا، وأما النفخ فقد قال تعالى في مريم : ﴿ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾[4]، وقد أخبر في موضع آخر أنه أرسل إليها الملك فنفخ في فرجها وكان النفخ مضافاً إلى الله أمراً وإذناً وإلى الرسول مباشرة.

يبقى هنا أمران:

أحدهما: أن يقال: فإذا كان النفخ حصل في مريم من جهة الملك وهو الذي ينفخ الأرواح في سائر البشر فما وجه تسمية المسيح روح الله؟ وإذا كان سائر الناس تحدث أرواحهم من هذه الروح فما خاصية المسيح ؟.

الثاني: أن يقال: فهل تعلق الروح بآدم كانت بواسطة نفخ هذا الروح هو الذي نفخها فيه بإذن الله كما نفخها في مريم أم الرب تعالى هو الذي نفخها بنفسه كما خلقه بيده؟ قيل لعمر الله إنهما سؤالان مهمان! فأما الأول فالجواب: أن الروح الذي نفخ في مريم هو الروح المضاف إلى الله الذي اختصه لنفسه وأضافه إليه، وهو روح خاص من بين سائر الأرواح، وليس بالملك

---

[1] سورة القصص الآية: ٦٨ .

[2] سورة الحجر الآية: ٢٩ وسورة ص الآية: ٧٢ .

[3] سورة ص الآية: ٧٥ .

[4] سورة التحريم الآية: ١٢ .

الموكل بالنفخ في بطون الحوامل من المؤمنين والكفار، فإن الله ــ سبحانه ــ وكل بالرحم ملكاً ينفخ الروح في الجنين فيكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته[١].

وأما هذا الروح المرسل إلى مريم فهو روح الله الذي اصطفاه من الأرواح لنفسه فكان لمريم اختصاص عن سائر النوع، فإن نفخته لما دخلت في فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للأنثى من غير أن يكون هناك وطء، وأما ما اختص به آدم فإنه لم يخلق كخلقه المسيح من أم ولا كخلقه سائر النوع من أب وأم ولا كان الروح الذي نفخ الله فيه ومنه هو الملك الذي نفخ الروح في سائر أولاده، ولو كان كذلك لم يكن لآدم به اختصاص، وإنما ذكر في الحديث ما اختص به على غيره وهو أربعة أشياء: خلق الله له بيده، ونفخ فيه من روحه، وإسجاد ملائكته له، وتعليمه أسماء كل شيء، فنفخه فيه من روحه يستلزم نافخاً ونفخاً ومنفوخاً منه، فالمنفوخ منه هو الروح المضافة إلى الله فمنها سرت النفخة في طينة آدم والله ــ تعالى ــ هو الذي نفخ في طينته من تلك الروح.

هذا هو الذي دل عليه النص، وأما كون النفخة بمباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده أو أنها حصلت بأمره كما حصلت في مريم ــ عليها السلام ــ فهذا يحتاج إلى دليل والفرق بين خلق الله له بيده ونفخة فيه من روحه أن اليد غير مخلوقة والروح مخلوقة والخلق فعل من أفعال الرب، وأما النفخ فهل هو من أفعاله القائمة به أو هو مفعول من مفعولاته القائمة بغيره المنفصلة؟ هذا مما يحتاج إلى دليل، وهذا بخلاف النفخ في فرج مريم فإنه مفعول من مفعولاته وأضافه إليه لأنه بإذنه وأمره فنفخه في آدم هل هو فعل له أو مفعول؟ وعلى كل تقدير فالروح التي نفخ منها في آدم روح مخلوقة غير قديمة وهي مادة روح آدم فروحه أولى أن تكون حادثة مخلوقة وهو المراد[٢].

---

[١] يشير إلى ما أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) جـ٥/٢٣٢٨ حديث رقم ٧٤٥٤ ، ومسلم في (كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي، في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) جـ٤/٢٠٣٦ حديث رقم ٢٦٤٣ .

[٢] انظر: الروح جـ٢/٥٢٥-٥٢٨ ، وانظر: الحجة في بيان المحجة إملاء قوام السنة الأصبهاني جـ١/٤٦٨ ، وقد أفرد فصلاً في الرد على من ينكر أن الأرواح مخلوقة.

وهذا القول شر من قول الصابئة والفلاسفة، فإن « هؤلاء جعلوا الآدمي نصفين: نصف لاهوت، وهو روحه، ونصف ناسوت، وهو جسده: نصفه رب ونصفه عبد.

وقد كفر الله النصارى بنحو من هذا القول في المسيح، فكيف بمن يعم ذلك في كل أحد؟ حتى في فرعون وهامان وقارون! وكل ما دل على أن الإنسان عبد مخلوق مربوب، وأن الله ربه وخالقه ومالكه وإلهه، فهو يدل على أن روحه مخلوقة، فإن الإنسان عبارة عن البدن والروح معاً، بل هو بالروح أخص منه بالبدن، وإنما البدن مطية للروح »[1].

ومن « قال: إن أرواح بني آدم قديمة غير مخلوقة، فهو من أعظم أهل البدع الحلولية، الذين يجر قولهم إلى التعطيل، بجعل العبد هو الرب وغير ذلك من البدع الكاذبة المضلة.

وأما قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[2] فقد قيل إن الروح هنا ليس هو روح الآدمي، وإنما هو ملك في قوله[3]: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾[4]، وقوله: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾[5]، وقوله: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾[6]، وقيل: بل هو روح الآدمي، فليس فيها ما يدل على أن الروح غير مخلوقة لوجهين:

أحدهما: أن الأمر في القرآن يراد به المصدر تارة، ويراد به المفعول تارة أخرى وهو المأمور به، كقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾[7]، وقوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾[8] وهذا لفظ غير الأمر كلفظ الخلق والقدرة والرحمة والكلمة وغير ذلك.

---

[1] رسالة عن الروح ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢٢/٤.

[2] سورة الإسراء الآية: ٨٥ .

[3] في هامش الأصل منصه(نسخة أو ما ذكر في قوله: ﴿ يوم يقوم الروح ﴾) إلخ.

[4] سورة النبأ الآية: ٣٨ .

[5] سورة المعارج الآية: ٤ .

[6] سورة القدر الآية: ٤ .

[7] سورة النحل الآية: ١ .

[8] سورة الأحزاب الآية: ٣٨ .

ولـــو قيل: إن الروح بعض أمر الله أو جزء من أمر الله، ونحو ذلك مما هو صريح في أنها بعض أمر الله، لم يكن المراد بلفظ الأمر إلا المأمور به لا المصدر، لأن الروح عين قائمة بنفسها، تذهب وتجيء وتنعم وتعذب، وهذا لا يتصور أن يكون مسمى مصدر: أمر يأمر أمراً، وهذا قول سلف الأمة وأئمتها وجمهورها.

ومن قال من المتكلمين إن الروح عرض قائم بالجسم، فليس عنده مصدر أمر يأمر أمراً.

والقـــرآن إذا سمـــى أمـــر الله فالقرآن كلام الله والكلام اسم مصدر: كلم يكلم تكليماً وكلامـــاً، وتكـــلم تكلماً وكلاماً، فإذا سمي بمعنى المصدر كان ذلك مطابقاً، لا سيما والكلام نوعان: أمر وخبر.

أمـــا الأعيان القائمة بأنفسها فلا تسمى أمراً لا بمعنى المفعول به وهو مأمور به كما سمي المسيح كلمة لأنه مفعول بالكلمة وكما يسمى المقدور قدرة، والجنة رحمة، والمطر رحمة، في مثل قوله:﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ ﴾[1]، وفي قول النبي ﷺ فـــيما يرويه عن ربه أنه قال للجنة: « أنت رحمتي أرحم بك من شئت »[2]، وقوله: « إن الله خلق الرحمة ـــ يوم خلقها ـــ مائة رحمة »[3] ونظائر ذلك كثيرة، وهذا جواب أبي سعيد الخراز، قال: فإن قيل: قد قال تعالى:﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ وأمره منه قيل أمره تعالى هو المأمور به المكون بتكوين المكون له...

والوجه الثاني: أن لفظة "من" في اللغة قد تكون لبيان الجنس، كقولهم: باب من حديد، وقد تكون لابتداء الغاية، كقولهم: خرجت من مكة ، فقوله تعالى:﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾

---

[1] سورة الروم الآية: ٥٠.

[2] أخـــرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾) جـــ٣/١٥٤٠ حديث رقم ٤٨٥٠ ، ومســـلم في (كـــتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) جـــ٤/٢١٨٦ حديث رقم ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ولفظهما (أشاء).

[3] أخرجه البخاري في (كتاب الرقاق، باب: الرجاء مع الخوف) جـــ٤/٢٠٣٠ حديث رقم ٦٤٦٩ بلفظه، وأخرجه مسلم في (كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه) جـــ٤/٢١٠٩ حديث رقم ٢١ بنحوه.

ليس نصاً في أن الروح بعض الأمر، ومن جنسه، بل قد تكون لابتداء الغاية إذ كونت بالأمر، وصدرت عنه، وهذا معنى جواب الإمام أحمد في قوله: وروح منه حيث قال: « "وروح منه" يقول: من أمره كان الروح فيه[1] كقوله:﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[2] »[3] ونظير هذا أيضاً قوله:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[4].

فإذا كانت المسخرات والنعم من الله، ولم تكن بعض ذاته بل منه صدرت، لم يجب أن يكون معنى قوله في المسيح روح منه أنها بعض ذات الله، ومعلوم أن قوله:﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ أبلغ من قوله: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾، فإذا كان قوله "وروح منه" لا يمنع أن يكون مخلوقاًولا يوجب أن يكون بعضاًله، فقوله:﴿ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ أولى بأن لا يمنع أن يكون مخلوقاً ولا يوجب أن يكون ذلك بعضاً له، بل ولا بعضاً من أمره.

وهذا الوجه يتوجه إذا كان الأمر هو الأمر الذي هو صفة من صفات الله، فهذان الجوابان كل منهما مستقل، ويمكن أن يجعل منهما جواب مركب، فيقال: قوله:﴿ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾إما أن يراد بالأمر المأمور به، أو صفة لله ـ تعالى ـ، وإن أريد به الأول أمكن أن تكون الروح بعض ذلك، فتكون مخلوقة، وإن أريد بالأمر صفة الله كان قوله الروح من أمر ربي كقوله: ﴿ وَرُوح مِّنْهُ ﴾، وقوله:﴿ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ ونحو ذلك.

وإنما نشأت الشبهة حيث ظن الظان أن الأمر صفة لله قديمة، وأن روح بني آدم بعض تلك الصفة، ولم تدل الآية على واحد من المقدمتين، والله ـ سبحانه ـ اعلم »[5].

وقد « كذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا:

---

[1] في مجموع فتاوى ابن تيمية: منه.

[2] سورة الجاثية الآية: ١٣ .

[3] الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ت/ د. عميرة ص١٢٥ .

[4] سورة النحل الآية: ٥٣ ، وهي في الأصل (وما أصابكم).

[5] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢٦/٤-٢٣٠ رسالة عن الروح.

عيســى روح الله وكلمته، [إلا أن][1] الكلمة مخلوقة، وقال النصارى: عيسى روح الله من ذات الله، [وكلمة الله][2] من ذات الله، كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب.

وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان، وليس هو الكلمة » قال: « وقول الله: (وروح منه) يقول من أمره كان الروح فيه، كقوله:﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾، يقول من أمره، وتفسير روح الله[3]: أنها روح بكلمة الله، خلقها الله، كما يقال: عبد الله، وسمــاء الله »[4]، فقد ذكر الإمام أحمد « أن زنادقة النصارى هم الذين يقولون: إن روح عيسى من ذات الله، وبين أن إضافة الروح إليه إضافة ملك وخلق، كقولك: عبد الله، وسماء الله، لا إضــافة صــفة إلى موصوف، فكيف بأرواح سائر الآدميين؟ وبين أن هؤلاء الزنادقة الحلولية يقولون بأن الله إذا أراد أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه »[5].

فإذا تبين بطلان قولهم فقد أجمع السلف ــ رحمهم الله ــ على أن روح الآدمي مخلوقة، قــال شيخ الإسلام ابن تيمية: « روح الآدمي مخلوقة، مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهــل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين، مثل "محمد بــن نصــر المروزي"[6] الإمام المشهور، الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف، أو من أعلمهم.

---

[1] كذا في مجموع فتاوى ابن تيمية وفي الرد على الزنادقة (لأن) وهو خطأ.

[2] كذا في مجموع فتاوى ابن تيمية وفي الرد على الزنادقة (كلمته).

[3] في الرد على الزنادقة زاد (إنما معناها).

[4] الردّ على الزنادقة والجهمية ص١٢٤-١٢٥ .

[5] رسالة عن الروح ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢٠/٤.

[6] هــو أبــو عبد الله محمد بن نصر المروزي الفقيه، الإمام الحافظ، ونسبته إلى مرو الشاهجان أشهر مدن خرسان،له عدة مؤلفات منها: "اختلاف العلماء" طبع بتحقيق السيد صبيحي السامرائي، وكتابه من أجل الكتب في الخلاف، وهو من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم، توفي سنة ٢٩٤هــ ولم يذكر مسائل الاعتقاد في كتابه هذا. انظر: تأريخ بغداد جــ٣/٣١٥-٣١٨ ترجمة رقم ١٤١٦ ، والسير جــ١٤/٣٣-٤٠ ترجمة رقم ١٣ .

وقال أبو إسحاق بن شاقلا[1] فيما أجاب به في هذه المسألة، سألت رحمك الله عن الروح مخـلوقة أو غـير مخلوقة، قال: هذا مما لا يشك فيه من وفق للصواب، إلى أن قال: والروح من الأشياء المخلوقة، وقد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء والمشائخ، وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة.

وصنف الحافظ أبو عبد الله بن منده في ذلك كتاباً كبيراً في "الروح والنفس"[2] وذكر فيه من الأحاديث والآثار شيئاً كثيراً،... وقد نص على ذلك الأئمة الكبار، واشتد نكيرهم على من يقـول ذلك في روح عيسى بن مريم، لا سيما في روح غيره كما ذكره أحمد في كتابه في "الرد على الزنادقة والجهمية »[3].

وقال ابن قتيبة: « وقد بلغني أن قوماً يذهبون إلى أن روح الإنسان غير مخلوقة،... وهذا هـو النصـرانية والقول باللاهوت والناسوت،... وأجمع الناس على أن الله خالق الحبة وبارئ النسمة أي خالق الروح »[4].

« وقال الشيخ أبو سعيد الخراز، أحد أكابر المشائخ الأئمة، من أقران الجنيد، فيما صنفه في أن الأرواح مخلوقة، وقد احتج بأمور منها: لو لم تكن مخلوقة لما أقرت بالربوبية، وقد قال لهم حين أخذ الميثاق ـ وهم أرواح في أشباح: كالذر ـ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾[5]،

---

[1] ابـن شاقلا لم أجد له كتاباً وهو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن شاقلا، البغدادي البزاز، شيخ الحنابلة، جليل القدر، توفي سنة ٣٦٩هـ. انظر: طبقات الحنابلة جـ٢/١٢٨-١٣٩ ترجمة رقم ٦١٤ ، والسير جـ١٦/٢٩٢ ترجمة رقم ٢٠٧ .

[2] هذا الكتاب في حكم المفقود. انظر: مقدمة كتاب الإيمان لابن منده تأليف د. علي الفقيهي جـ ٧٣/١ .

[3] مجموع فتاوى ابن تيمية ٢١٦/٤-٢١٧ رسالة عن الروح، وقد سبق ذكر ما أشار إليه من كلام الإمام أحمد.

[4] الاخـتلاف والـلفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص٦٥ ، ط/ الأولى ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتب العلمية -بيروت، وعلى الكتاب حاشية لم يذكر اسم كاتبها، لكن يظهر أنها للضال المضل الهالك الكوثري الجركسي، مليئة بسب السلف والمؤلـف.وابن قتيبة هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الكاتب، العلامة صاحب التصانيف، ثقة ديناً فاضلاً، توفي سنة ٢٧٦هـ. انظر: السير جـ١٣/٢٩٦-٣٠٢ ترجمة رقم ١٣٨ ، والأعلام جـ٤/١٣٧ .

[5] سورة الأعراف الآية: ١٧٢ .

وإنمـــا خاطب الروح مع الجسد، وهل يكون الرب إلا لمربوب؟ قال: ولأنها لو لم تكن مخلوقة ما كان على النصارى لوم في عبادتهم عيسى، ولا حين قالوا: إنه ابن الله، وقالوا: هو الله.

قـــال: ولأنـــه لو كان الروح غير مخلوق ما دخلت النار، ولأنها لو كانت غير مخلوقة لما حجـــبت عن الله، ولا غيبت في البدن ولا ملكها ملك الموت، ولما كانت صورة توصف، ولأنها لـــو لم تكـــن مخلوقة لم تحاسب ولم تعذب، ولم تتعبد ولم تخف، ولم ترج، ولأن أرواح المؤمنين تتلألأ وأرواح الكفار سود مثل الحمم.

وقال ﷺ: " أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ترتع في الجنة، وتأوي في فناء العرش، وأرواح الكفار في برهوت"[١].

وقال الشيخ أبو يعقوب النهرجوري[٢]: هذه الأرواح من أمر الله مخلوقة، خلقها الله من المـــلكوت، كمـــا خلق آدم من التراب، وكل عبد نسب روحه إلى ذات الله أخرجه ذلك إلى الـــتعطيل، والذين نسبوا الأرواح إلى ذات الله هم أهل الحلول الخارجون إلى الإباحة، وقالوا: إذا صـــفت أرواحنا من أكدار نفوسنا فقد اتصلنا، وصرنا أحراراً، ووضعت عنا العبودية، وأبيح لنا كـــل شـــيء من اللذات من النساء، والأموال وغير ذلك، وهم زنادقة هذه الأمة، وذكر عدة مقالات لها وللزنادقة »[٣].

---

[١] أخـــرجه مسلم في (كتاب الإمارة، باب:بيان أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون) جـــ٣/١٥٠٢، حديث رقم ١٨٨٧، والترمذي في (كتاب تفسير القرآن، باب:من سورة آل عمران)جـــ٤/٢٣١ حديث رقم ٣٠١١، وابـــن ماجه في (أبواب الجنائز، باب:ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حضر) جـــ١/٢٦٧ حديث رقم ١٤٤٨، وفي (أبـــواب الجهاد، باب: فضل الشهادة في سبيل الله) جـــ٢/١٣٦ حديث رقم ٢٨٢٨، والإمام أحمد في مسنده جـــ٦/ ٣٨٦، من حديث كعب بن مالك ﷺ، جميعهم بلفظ قريب.

[٢] هو أبو يعقوب إسحاق بن محمد الصوفي النهرجوري، صحب الجنيد، وعمرو بن عثمان المكي، وجاور مدة، مات بمكة سنة ٣٣٠هـــ. انظر: السير جـــ١٥/٢٣٢-٢٣٣ ترجمة رقم ٨٩ ،والأعلام جـــ١/٢٩٦ .

[٣] انظر: رسالة عن الروح ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/٢١٦-٢٢١ .

ويدل على خلقها أدلة كثيرة منها:

١-قول الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[١] فهذا اللفظ عام ولا تخصيص فيه بوجه، فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق.

ومعلوم قطعاً أن الروح ليست هي الله ولا صفة من صفاته، وإنما هي مصنوع من مصنوعاته فوقوع الخلق عليها كوقوعه على الملائكة والجن والإنس[٢].

٢-قوله تعالى لزكريا:﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ ﴾[٣]، وهذا الخطاب لروحه وبدنه ليس لبدنه فقط، فإن البدن وحده لا يفهم ولا يخاطب ولا يعقل وإنما الذي يفهم ويعقل ويخاطب هو الروح[٤].

٣-قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦ ﴾[٥]، وقوله:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾[٦]، وهذا الإخبار إنما يتناول أرواحنا كما يقول الجمهور، وإما أن يكون واقعاً على الأرواح قبل الأجساد كما يقوله من يزعم ذلك، وعلى التقديرين فهو صريح في خلق الأرواح[٧].

٤-النصوص الدالة على أنه سبحانه ربنا ورب آبائنا الأولين، ورب كل شيء وهذه الربوبية شاملة لأرواحنا وأبداننا، فالأرواح مربوبة له مملوكة، كما أن الأجسام كذلك وكل مربوب مملوك فهو مخلوق.

---

[١] سورة الزمر الآية: ٦٢ .

[٢] انظر: الروح لابن القيم جـ٢/٥٠٧ .

[٣] سورة مريم الآية: ٩.

[٤] انظر: الروح جـ٢/٥٠٧ .

[٥] سورة الصافات الآية: ٩٦ .

[٦] سورة الأعراف الآية: ١١ .

[٧] انظر: الروح جـ٢/٥٠٨ .

٥-النصـــوص الدالة على أن الإنسان عبد بجملته، وليست عبوديته واقعة على بدنه دون روحه، بل عبودية الروح أصل وعبودية البدن تبع كما أنه تبع لها في الأحكام، وهي التي تحركه وتستعمله وهو تبع لها في العبودية.

٦-قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ ﴾[١]، فلو كانت روحه قديمة لكان الإنسان لم يزل شيئاً مذكورا، فإنه إنما هو إنسان بروحه لا ببدنه[٢].

٧-حديـــث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »[٣] والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة.

٨-أن الـــروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال وهو شأن المخلوق المحدث المربوب، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٢ ﴾[٤]، والأنفس ها هنا هي الأرواح قطعاً[٥]، وفي خبر نوم النبي ﷺ وأصحابه عـــن صـــلاة الفجر، قال رسول الله ﷺ: يا بلال أين ما قلت لنا؟ فقال: والذي بعثك بالحق ما ألقيـــت علي نومة مثلها، فقال رسول الله ﷺ: « إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين

---

[١] سورة الإنسان الآية: ١ .

[٢] انظر: الروح جـــ٢/٥٠٩ .

[٣] أخرجه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب: الأرواح جنود مجندة) جـــ٢/١٠٢٥، حديث رقم ٣٣٣٦، ومسلم في (كتاب البر والصلة والآداب، باب: الأرواح جنود مجندة) جـــ٤/٢٠٣١-٢٠٣٢، حديث رقم ٢٦٣٨، واللفظ للبخاري.

[٤] سورة الزمر الآية: ٤٢ .

[٥] انظر: الروح جـــ٢/٥١١ .

شـــاء »[١]، فهـــذه الروح المقبوضة هي النفس التي يتوفاها الله حين موتها وفي منامها وهي التي يتوفاها ملك الموت[٢].

والأدلـــة على هذه المسألة كثيرة جداً، «والأمر أوضح من أن تساق الأدلة عليه، ولولا ضـــلال من المتصوفة[٣] وأهل البدع، ومن قصر فهمه في كتاب الله وسنة رسوله، فأتى من سوء الفهم لا من النص، تكلموا في أنفسهم وأرواحهم بما دل على أنهم من أجهل الناس بها »[٤].

---

[١] أخرجه البخاري في (كتاب مواقيت الصلاة، باب: الأذان بعد ذهاب الوقت) جـــ١/١٩٣، حديث رقم٥٩٥ .

[٢] انظر: الروح جـــ٢/٥١٢ .

[٣] كذا في الأصل ولعل الصواب: « ولولا ضلال من ضل من المتصوفة ».

[٤] الروح جـــ٢/٥١٥ .

المبحث الثاني: محاسبة الكفار عند السالمية.

الحساب في اللغة يطلق ويراد به العدد والمعدود، والإحصاء بالدقة التامة دون زيادة أو نقصان.

وأما شرعاً: فيوم الحساب: معناه أن الباري ـــ سبحانه ـــ يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة، يعدد[١] عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض[٢]، أي السيئات بالحسنات لإظهار أيهما أرجح، وعليه يحكم على الشخص، إن كان من أهل الخير أو أهل الشر.

قال د. غالب عواجي: « وهذا التعريف أليق من التعاريف السابقة، لأنه أدخل المعنى اللغوي وقيده بالمراد منه في الشرع »[٣].

وقد أكثر الله ـــ تعالى ـــ من ذكر الحساب في القرآن الكريم، في مواضع متعددة، مصوراً هوله، أو مخبراً عنه، أو منذراً منه، ليكون الناس على بينة من حالهم، قال تعالى:﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٤] والأدلة من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى، لذا أجمع أهل الإسلام ومنهم السالمية على الإيمان به.

ولكن اختلف الناس في بعض المسائل فمنها محاسبة الكفار، هل يحاسب الكافر أم لا؟

وهذه المسألة تنازع فيها أهل السنة[٥]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « هذه المسألة تنازع فيه المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم، فممن قال إنهم لا يحاسبون: أبو بكر عبد العزيز[٦]، وأبو الحسن التميمي، والقاضي أبو يعلى وغيرهم.

---

[١] كذا في الأصل والأولى (ويعدد).

[٢] انظر: التذكرة للقرطبي تخريج/ أبو سفيان البسطويسي جـ١/٣٤٣ .

[٣] انظر: الحياة الآخرة د.غالب عواجي جـ٢/٩١٠ ، ط/ الأولى ١٤١٧هـ الناشر دار لينة مصر.

[٤] سورة الأنبياء الآية: ٤٧ .

[٥] انظر: درء التعارض جـ٥/٢٢٩ .

[٦] هو الإمام أبو بكر عبد العزيز بن جعفر البغدادي، المعروف بغلام الخلال، وهو تلميذ لأبي بكر الخلال، من بحور العلم كبير الشأن، ثقة، لم يكن في أصحاب أحمد مثله بعد الخلال، توفي سنة ٣٦٣هـ. انظر: طبقات الحنابلة جـ٢/ ١١٩-١٢٧ رقم الترجمة ٦١٠ ، والسير جـ١٦/١٤٣-١٤٥ ، ترجمة رقم ١٠٢ .

وممن قال: إنهم يحاسبون: أبو حفص البرمكي[1] من أصحاب أحمد، وأبو سليمان الدمشقي[2]، وأبو طالب المكي »[3].

والقول الثاني هو مذهب السالمية، قال أبو طالب المكي تحت عنوان: "مسألة محاسبة الكفار": « فأما محاسبة الكفار فهذه مسألة اختلف الناس فيها، فمنهم من ذهب إلى أنهم يحاسبون، ومنهم من أنكر حسابهم، وقد اختلفت الآثار في ذلك، فقد جاء في بعضها ما يدل على حسابهم وبه تعلق من قال به، وجاء في كثير منها ما يدل على أنهم لا يحاسبون، وبه احتج من أنكر حسابهم، وإنما يرجع عند الاختلاف إلى كتاب الله ــ تعالى ــ ...

فنقول والله أعلم ــ: إن الله سبحانه ــ ذكر في كتابه آيتين تدل على مسألة الكفار عن الشرك الذي أدخلوا في التوحيد، وعن إجابة المرسلين وتكذيبهم »[4].

وقال: « والناس من أهل الجنة والنار يحشرون يوم القيامة على ست طبقات... (ذكر ثلاث طبقات لأهل الجنة) وكذلك أهل النار ثلاث طبقات، طائفة تدخل النار بغير سؤال ولا حساب، عالمان من عبدة الأوثان من ولد يافث بن نوح وهم يأجوج ومأجوج خلق خلقوا للنار، وطائفة تدخل النار بعد الحساب الطويل والمناقشة، وهم أهل الكبائر والمنافقون، وطائفة بسؤال وتوقيف من غير [محاجة][5] على الأعمال، وهم أمم الأنبياء المرسل إليهم المرسلون »[6].

ونقل هذا المذهب عن شيخ مشايخ السالمية سهل التستري فقال: « وقد كان إمامنا سهل بن عبد الله يقول: يسأل الكفار عن التوحيد ولا يسألون عن السنة »[7].

---

(1) أبو حفص أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل البرمكي، صحب جماعة ممن صحبوا الإمام أحمد ولزم أبا الحسن بن بشار، ومنه نقل هذه المسألة، لم يذكر تأريخ وفاته. انظر: طبقات الحنابلة جـ٢/٧٤-٧٥ ترجمة رقم ٦٠٦ .

(2) لم أجد له ترجمة

(3) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠٥/٣ ، وانظر: طبقات الحنابلة جـ٢/٥٩ .

(4) القوت جـ٢/٢٦٤ .

(5) في الأصل (محابة) ولا يستقيم المعنى.

(6) نفس المرجع جـ٢/٢٦٥ .

(7) نفس المرجع جـ٢/٢٦٥ .

وقال سهل: « لا يثبت للكفار والمنافقين والمبتدعين الحسنات ولا المرائي، وتثبت لأصحاب الكبائر والمظالم »[١]، وقال: « وليس يثبت حساب الكفار[٢] لأنه لا دين لهم »[٣]، وهذا يوافق نقل أبي طالب عنه.

وأما غيره من شيوخ السالمية فلا أجد له قولاً في هذه المسألة، سوى ما ورد في رؤية الكفار لله ﷻ يوم القيامة عن ابن برجان فقد يفهم منه الدلالة على محاسبة الكفار[٤]، ولما ذكر الحساب جعله عاماً، وقال: « ومن حوسب عذب لا محالة »[٥].

وابن برجان يتابع أبا طالب المكي في كثير من أقواله.

وقد نسب كثير من أهل العلم هذا القول للسالمية، قال القاضي أبو يعلى: « والكفار لا يحاسبون خلافاً لابن سالم وأبي حفص البرمكي من أصحابنا في قولهما يحاسبون »[٦]، وابن سالم سواء أبو الحسن أم ابنه أبي عبد الله لم أقف على نقل عنهما في هذه المسألة، إلا أنهما لن يخالفا شيخهما سهل التستري، وقال الشيرازي: « يسأل عن الكفار هل يحاسبون أم لا؟ فإن قال: يحاسبون، فهو سالمي. وإن قال: لا، فهو سني »[٧].

وقد استدل أبو طالب المكي على أن الكفار يسألون عن التوحيد، وعن إجابة المرسلين وتكذيبهم بقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[٩]، قال أبوطالب:

---

[١] كلام سهل ص١٢٠ .

[٢] في الأصل (الكفارة).

[٣] كلام سهل ص٦٧ .

[٤] انظر: ما تقدم في ص٥٤٣.

[٥] انظر: انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ٤٥ ب .

[٦] المعتمد في أصول الدين ص٨٣ (المختصر).

[٧] جزء فيه امتحان السني من البدعي ص٢١٥ .

[٨] سورة القصص الآية: ٦٢ .

[٩] سورة القصص الآية: ٦٥ .

« فنقول إنهم على هذا يسألون عن التوحيد فقط، وعن تكذيب المرسلين [في][1] هاتين الآيتين، وقال في الآيتين الأخرتين: ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[2]، وقال في الأخرى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾[3]، ثم قال: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾[4]، فهذا نص في ترك المسألة على الذنوب والأعمال، فنقول بهاتين الآيتين: إنهم لا يسألون عن الأعمال وإنما يحاسب على العمل من كانت بينه وبينه معاملة، ومن ثبتت له حسنات يقع بها ترجيح وموازنة.

وقد روينا عن أنس بن مالك ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾[5]، قال عن قول لا إله إلا الله، وقد روينا عن النبي ﷺ مرفوعاً إلى النبي، فهذا على معنى ما ذكرناه أنهم يسألون عن التوحيد »[6]، وقد روى نحو هذا عن أبي العالية قال: « يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة: عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسلين »[7].

وأما المروي عن أنس بن مالك ﷺ في هذه الآية، قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من داع دعا إلى شيء إلا كان موقوفاً يوم القيامة لازماً له لا يفارقه، وإن دعا رجل رجلاً ثم قرأ قول الله ﷻ: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾[8] »[9]، وأما ماذكره

---

[1] سقطت من الأصل ولا تستقيم الجملة دونها.

[2] سورة القصص الآية: ٧٨ .

[3] سورة الرحمن الآية: ٣٩ .

[4] سورة الرحمن الآية: ٤١ .

[5] سورة الصافات الآية: ٢٤ .

[6] القوت جـ٢/٢٦٤-٢٦٥ .

[7] تفسير الطبري جـ٧/٤٥٨ رقم ٢١٤٠١ .

[8] سورة الصافات الآية: ٢٤-٢٥ .

[9] أخرجه الترمذي في (كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الصافات) جـ٥/٣٦٤ ، رقم ٣٢٢٨ ، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وأخرجه ابن أبي حاتم في (تفسير القرآن العظيم) ت/ أسعد الطيب جـ١٠/٣٢٠٧ رقم ١٨١٥٧ ، ط/ الأولى ١٤١٧هـ الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، قال المبارك كفوري في تحفة الأحوذي جـ٩/ ٦٩-٧٠ ، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت: « في سنده ليث بن أبي سليم وكان قد اختلط أخيراً و لم يتميز حديثه فترك،=

أبو طالب فلم يثبت عن أنس في هذه الآية؛ وإنما روي عنه في قوله تعالى:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[1]، وعن ابن عباس في قوله تعالى:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾،ثم قال:﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾، قال: « لا يسألهم:هل عملتم كذا وكذا، لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لهم: لم عملتم كذا وكذا »[2].

ونقل القرطبي عن ابن عباس ﷺ قوله:"لا يسألون سؤال شفاء وراحة وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ، لم عملتم كذا وكذا"، والقاطع، لهذا قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[3]، وقال عكرمة: " القيامة مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها"، وقال أهل التأويل: "عن لا إله إلا الله"[4]، ثم قال القرطبي: « وقد قيل إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذي كان [طول][5] العمر دثارهم وشعارهم، وكل دلالة من دلائل الإيمان خالفوها وعاندوها فإنهم يبكتون عليها، ويسألون عنها، عن[6] الرسل وتكذيبهم إياهم لقيام الدلائل على صدقهم »، ثم ذكر آيات تدل على هذا ثم قال: « والآي في هذا المعنى كثيرة، ومن تأمل آخر سورة المؤمنين:﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾[7] إلى آخرها تبين له الصواب في ذلك، والحمد لله على ذلك »[8].

= وفيه أيضاً بشر عن أنس وهو مجهول » ا.هـ.

[1] سورة الحجر الآية: ٩٢ ، وانظر: تفسير الطبري جـ٧/٥٤٨ رقم ٢١٣٩٦ ، وفيه "ليث بن أبي سليم عن بشير بن نهيك"

[2] أخرجه الطبري في تفسيره جـ٧/٥٤٨ رقم ٢١٤٠٣ قال الطبري: حدثني المثنى، قال ثنا عبد الله قال: ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس.

[3] سورة الحجر الآيتان: ٩٢-٩٣ .

[4] انظر الأقوال السابقة في: التذكرة جـ١/٤٣٦ وقد ذكرها القرطبي هكذا بدون أسانيد.

[5] كذا في التذكرة ص٣٣٠ ، ط/ الثانية ١٤٠٧هـ الناشر دار الكتب العلمية – بيروت، وفي الأصل (دول) وهو خطأ.

[6] كذا في النسختين والأولى (وعن).

[7] سورة المؤمنون الآية: ١٠١ .

[8] التذكرة جـ١/٤٣٦، واستدل بهذا أيضاً ابن حجر في فتح الباري جـ١٣/٦٥٨ .

وقال أيضاً: « فإن قيل: فهل يلقى الكافر ربه ويسأله؟ قلنا نعم بدليل ما ذكرنا »[١]، وقال في قول الله تعالى:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ « أخبر أنهم يســألهم عن أعمالهم، وهذه الآية في الكافرين، ومن قال يسألهم عن أصل كفرهم ثم عن تجريدهم إياه كل وقت باستهزائهم بآيات الله ـــ تعالى ـــ ورسله فقد سألهم عما كانوا يعملون، وذلك هو المراد »[٢].

وقد استدل من نفى محاسبة الكفار بأدلة منها:

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ ﴾[٣]، وقوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝ ﴾[٤]،وقوله:﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[٥]، وقوله:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ﴾[٦].

وقـــد اعـــترض القائلون بمحاسبة الكفار بأن « القيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك فيه »[٧].

ومن أدلة النفاة لمحاسبة الكفار قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ ﴾[٨]، فقد يكون وجه الدلالة أن الله شبههم بالأنعام، والأنعام لا حساب عليهم والكفار أضل فيدخلون في النار، وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ

---

[١] التذكرة جـ١/٤٣٥ ، وانظر: الجامع لأحكام القرآن جـ١٠/٦٠-٦١ .

[٢] نفس المرجع جـ١/٤٣٧-٤٣٨ .

[٣] سورة القصص الآية: ٧٨ .

[٤] سورة الرحمن الآية: ٣٩ .

[٥] سورة البقرة الآية: ١٧٤ ، وسورة آل عمران الآية: ٧٧.

[٦] سورة المطففين الآية: ١٥ .

[٧] انظر: الجامع لأحكام القرآن جـ١٠/٦١ .

[٨] سورة الأعراف الآية: ١٧٩ .

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝﴾[1]، وقوله:﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝﴾[2]، فوجه الدلالة منها أنه ذكر عذاباً دون حساب.

وقوله:﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝﴾[3]، فقد ذكر الله فيها إيتاءه كتابة وليس فيها حساب[4]، وهذه الأدلة ذكرها الشيرازي وليست صريحة في الدلالة على مراده.

ومن أدلة من نفى محاسبة الكفار من السنة، ما أورده اللالكائي تحت "سياق ما روى عن النبي ﷺ مما يدل على أن الكفار لا يحاسبون" [5].

وعن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله يدني المؤمن حتى يضع عليه كنفه ويستره من الناس، فيقول له: أتعرف كذا وكذا؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: أتعرف؟ فيقول: نعم، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد غفرتها لك فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد ــ وفي حديث خالد ــ فينادي على رؤوس الأشهاد:﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾[6] »[7].

وفي حديث أبي سعيد الخدري في الصحيح: « إذا كان يوم القيامة نادى منادي: لتلحق كل أمة بما كانت تعبد، لا يبقى أحد كان يعبد صنما ولا وثنا ولا صورة إلا ذهبوا تساقطوا في النار، ويبقى من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب، قال: ثم تعرض جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً ».

---

[1] سورة مريم الآية: ٧٢ .

[2] سورة الشعراء الآيتان: ١٠٠ ، ١٠١ .

[3] سورة الإنشقاق الآيات: من ١٠ إلى ١٣ .

[4] انظر: جزء فيه امتحان السني من البدعي ص٢١٥ ، ٢١٨ .

[5] انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ٣/١١٧٤ .

[6] سورة هود الآية: ١٨.

[7] سبق تخريجه في ص٥٤٩ بلفظ الإمام البخاري، وهذا اللفظ للالكائي.

وعن عائشة ﷺ قالت: « لا يحاسب رجل يوم القيامة إلا دخل الجنة، الله يقول:﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ ﴾[1]،يقرأ عليه عمله، فإذا عرفه غفرله ذلك، لأن الله يقول:﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝ ﴾[2]، ويلقى الكفار فيقال: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝ ﴾[3] »[4].

وقد اعترض القرطبي على هذه الأدلة فقال: « ما روى عن عائشة قد خالفها غيرها في ذلك للآيات والأحاديث الواردة في ذلك، وهو الصحيح، ومعنى لا يكلمهم الله أي بما يحبون»[5].

وما ورد عن عائشة لا يثبت ففي السند رجل ضعيف، وقد صح عن عائشة عن النبي ﷺ قال: « ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك »[6].

وقبل الترجيح بين القولين لا بد من الإشارة إلى ما سبق ذكره في رؤية الكفار للرب ـ تبارك وتعالى ـ[7]، وهو أن الخلاف في هذه المسألة لا ينبغي فيه التبديع ولا التفسيق ولا الهجران، فهو من المسائل المختلف فيها بين أهل السنة، وليست مختصة بالسالمية، بل قول السالمية فيها ليس على إطلاقه.

ولتحديد موطن النزاع لا بد من تعريف الحساب المراد، فكثير ممن قال إن الكفار

---

[1] سورة الإنشقاق الآية: ٧-٨ .

[2] سورة الرحمن الآية: ٣٩ .

[3] سورة الرحمن الآية: ٤١ .

[4] أخرجه اللالكائي جـ٣/١١٧٦ رقم ٢٢١٤ وفي سنده: أبو مروان وهو يحي بن أبي زكريا الغساني، الواسطي، توفي سنة ١٩٠هـ ضعيف، قال ابن حبان: لا تجوز الرواية عنه لما أكثر من مخالفة الثقات في روايته عن الأثبات. انظر: تهذيب التهذيب جـ٦/١٣٢ رقم ٨٨٢١ ، وتقريب التهذيب جـ٢/٣٠٢ رقم ٧٥٧٧ .

[5] التذكرة جـ١/٤٣٧ .

[6] أخرجه البخاري في (كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب) جـ٤/٢٠٤٨ حديث رقم ٦٥٣٧ .

[7] انظر: ما تقدم في ص٥٤١ .

يحاسبون اختلفوا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وفصل الخطاب: أن الحساب يراد به عرض أعمالهم وتوبيخهم، ويراد بالحساب موازنة الحسنات والسيئات.

فإن أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم محاسبون بهذا الاعتبار.

وإن أريد المعنى الثاني: فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر »[(١)].

وهذا هو المأثور عن ابن عباس ﷺ قال: « لا يسألهم: هل عملتم كذا وكذا، لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لهم: لم عملتم كذا وكذا »[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب، فعقاب من كثرت سيئاته، أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذاباً من أبي لهب، قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾[(٣)]، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[(٤)]، والنار دركات.

فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذاباً من بعض لكثرة سيئاتهم وقلة حسناتهم، كان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة »[(٥)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠٥/٤ .

(٢) تفسير الطبري جـ٥٤٨/٧ رقم ٢١٤٠٣ .

(٣) سورة النحل الآية: ٨٨ .

(٤) سورة التوبة الآية: ٣٧ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠٥/٤-٣٠٦ ، وانظر:جزء فيه امتحان السني من البدعي ص٣١٦-٣١٨، والحياة الآخرة د.غالب عواجي جـ٩٦٠/٢ .

المبحث الثالث: ذبح الموت عند السالمية.

ثـبت في السنة أن الموت سيذبح يوم القيامة، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادى مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت »[1] الحديث.

ومع صحة الإسناد فقد استشكل بعض الناس هذا الحديث، لذا اختلفوا فيه على عدة أقوال:

الأول: طائفة أنكرت صحة الحديث ودفعته، قال أبو بكر ابن العربي المالكي: « استشكل هذا الحديث لكونه يخالف صريح العقل، لأن الموت عرض، والعرض لا ينقلب جسماً، فكيف يذبح؟ فأنكرت طائفة صحة هذا الحديث ودفعته ».

الثاني: تأولت طائفة، فقالوا: هذا تمثيل، ولا ذبح هناك حقيقة، ونقل هذا عن المازري أنه قال: « الموت عندنا عرض من الأعراض، وعند المعتزلة ليس بمعنى، وعلى المذهبين لا يصح أن يكون كبشاً ولا جسماً، وأن المراد بهذا التمثيل والتشبيه ».

الثالث: قالت طائفة: بل الذبح على حقيقته، والمذبوح متولي الموت، وكلهم يعرفه، لأنه الذي تولى قبض الأرواح ».

« وقد يخلق الله ـ تعالى ـ هذا الجسم ثم يذبح، ثم جعل مثالاً لأن الموت لا يطرأ على أهل الجنة » ونقل قريباً منه عن القرطبي[2].

---

(١) أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب: ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾) جـ٣/١٤٧١-١٤٧٢ حديث رقم ٤٧٣٠ ، ومسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) جـ٤/٢١٨٨ حديث رقم ٢٨٤٩ .

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي جـ١٧/١٩٢ ، وإكمال إكمال المعلم للأبي، ومكمل إكمال المعلم للسنوسي (كلاهما شرح لصحيح مسلم) ت/ محمد سالم هاشم جـ٩/٢٩٣-٢٩٤ ، ط/ الأولى ١٤١٥هـ، وفتح الباري جـ١١/ ٥١٢-٥١٣ ، وحادي الأرواح ص٢٨٣ ، وتوقيف الفريقين على خلود أهل الدين للعلامة مرعي الحنبلي ت/ خليل السبيعي ص٧٦ ، ط/ الأولى ١٤١٩هـ الناشر دار ابن حزم – بيروت، ولوامع الأنوار البهية جـ٢/٢٣٥-٢٣٦ .

الـــرابع: مذهب أهل السنة والجماعة، قالوا: إن الموت يذبح بين الجنة والنار كما جاءت الأحاديث الصحيحة، وأن الكبش والإضجاع والذبح ومعاينة الفريقين كل ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل[1].

قـــال ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ: « وهذا الكبش، والإضجاع، والذبح، ومعاينة الفريقين، ذلـــك حقيقـــة لا خيال ولا تمثيل، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً، وقال: الموت عرض، والعـــرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح، وهذا لا يصح، فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كـــبش يذبح، كما ينشئ من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب، والله ـــ تعالى ـــ ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها، وينشئ من الأجسام أعراضاً، ومن الأجسام أجساماً، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب ـــ تبارك وتعالى ـــ، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال، ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله، والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول من كلامـــه، فظـــن هذا القائل أن لفظ الحديث دل على أن نفس العرض يذبح، وظن غالط آخر أن العـــرض يعدم ويزول، ويصير مكانه جسم يذبح، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه، وأن الله ســـبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً ويجعلها مادة لها كما في الصحيح عنه ﷺ: " تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان "[2].

فهـــذه القـــراءة التي ينشئها الله ـــ سبحانه ـــ غمامتين، ... وكذلك قوله في حديث عـــذاب القـــبر ونعيمه المصورة التي يراها: " فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح وأنا عملك السيئ "[3]، وهذا حقيقة لا خيال ولكن الله ـــ سبحانه ـــ أنشأ له من عمله صورة

---

[1] انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص٢٨٣-٢٨٤ ، ط/ مكتبة المتنبي – القاهرة، وفتح الباري جـــ٥١٤/١١ .

[2] أخرجه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة) جـــ٥٥٣/١ حديث رقم ٨٠٤ ، وغيره بسياق أطول من هذا.

[3] هذه ألفاظ من حديث البراء عازب ﷺ الطويل المشهور، وقد أخرجه أبو داود في (كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر) جـــ٥/٧٥-٧٦ حديث رقم ٤٧٥٣ ، ، ولم يذكر اللفظ الذي ذكر ابن القيم، وأخرجه الإمام أحمد جـــ٤ /٢٨٧ ، ٢٩٦ وذكر الألفاظ المذكورة أعلاه، وكذلك عبد الرزاق في المصنف جـــ٣/٥٨٠-٥٨١ حديث رقم ٦٧٣٧ ، وأبو داود الطيالسي جـــ٢/١١٤-١١٩ حديث رقم ٧٨٩ ت/ د. محمد التركي ط/ الأولى١٤٢٠هـــ الناشر دار هجر،=

حسنة وصورة قبيحة »[١].

وهذه المسألة مما لا خلاف فيها بين أهل السنة والجماعة وأدلتها ثابتة، ولكن نزاع من نازع فيها من جهة رد الأحاديث أو من جهة التأويل، لذا الخلاف معهم خلاف منهجي ليس هذا موضع بحثه، قال الإمام أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ لما ذكر الإيمان بالقدر والأحاديث الواردة فيه: « ومن لم يعرف تفسير الحديث، ويبلغه عقله، فقد كفى ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان به والتسلم،...

وإن نبت عن الأسماع، واستوحش منها المستمع، وإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفاً واحداً، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات، وأن لا يخاصم أحداً ولا يناظره »[٢].

ولم أجد للسالمية قولاً في هذه المسألة، والمنهج العام لكثير منهم على التسليم بمثل هذه المسألة كأبي طالب المكي وأبي علي الأهوازي وغيرهم، فقد سلموا بأحاديث موضوعة.

أما ابن برجان فيقول: « الآخرة جسمانية كلها إلا ما شاء الله ــ تعالى ــ وكل ما في الدنيا من المعاني الغيبية فهي هنالك موجودة مشهودة مجسمة، حتى إن الموت يتجسم فيها حين يذبح »[٣]، فهذا يدل على إثبات الحديث في الجملة.

وقد نسب الشيرازي للسالمية إنكار ذبح الموت فقال: « يسأل عن الموت هل يؤتى به ويذبح أم لا؟ فإن قال: يذبح بين الجنة والنار، فهو سني، وإن أنكره فهو سالمي طاغ »، وفي

=قال المحقق: حديث صحيح، وابن أبي شيبة في مصنفه جـ٣/٣٨٠-٣٨٤، والحاكم في المستدرك جـ١/٣٧-٣٨ ، وسكت عنه هو والذهبي في التلخيص، وابن منده في الإيمان جـ٢/٩٦٢-٩٦٥ حديث رقم ١٠٦٤ ، وقال ابن منده: « هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء » ا.هـ، وقال المحقق د. علي الفقيهي: « إسناد ابن منده حسن » ا.هـ، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة جـ٢/٦٠٣-٦٠٦ حديث رقم ١٤٣٨ ، ١٤٤١ ، وأخرجه غيرهم، وقوي الحديث ابن القيم في عون المعبود جـ١٣/٦٤-٦٦ (ط/ دار الكتب العلمية – بيروت)، وأجاب عن علله.

[١] انظر: حادي الأرواح ص٢٨٣-٢٨٤ .

[٢] أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل ص١٨-٢٠ ، ط/ الأولى ١٤١١هـ الناشر دار المنار الخرج – المملكة، مع شرح الشيخ عبد الله الجبرين.

[٣] شرح الأسماء الحسنى ورقة ٣٩ ب.

المختصر:«...فإن آمن بذلك فهو سني، وإن أنكر ذلك فهو بدعي »[1].

ومن المسائل المتعلقة بهذه المسألة: ما ذكر بعض الصوفية أن الذي يتولى ذبح الموت جبريل عليه السلام، وقيل يحي بن زكريا عليه السلام، بين يدي النبي ﷺ.

وهذا لا دليل عليه[2]، ولا يجوز الكلام في الأمور الغيبية بدون دليل صحيح.

---

(1) جزء فيه امتحان السني من البدعي ص٣١٥ .

(2) انظر: التذكرة جـ٢/٢١٣ ، وفتح الباري جـ١١/٥١٢ ، وتوقيف الفريقين لمرعي الحنبلي ص٧٦ ، ولوامع الأنوار البهية جـ٢/٢٣٧ .

المبحث الرابع: مسألة في البرزخ، وعلم الساعة عند السالمية.

أولاً: مسألة في البرزخ عند السالمية:

نُسب للسالمية أنهم يقولون إن الميت يأكل ويشرب، وينكح في القبر، قال ابن الجوزي: « ومن أعجب أحوال الظاهرية! قول السالمية إن الميت يأكل في القبر ويشرب وينكح، لأنهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم إلا هذا، ولو قنعوا بما ورد في الآثار من أن أرواح المؤمنين تجعل في حواصل طير تأكل من شجر الجنة »[1].

ونسب هذا القول للزبيدي، قال السمعاني: « وسمعت جماعة يحكون عنه أشياء السكوت عنها أولى، وقيل: كان يذهب إلى مذهب السالمية، ويقول: إن الأموات يأكلون ويشربون وينكحون في قبورهم »[2].

ولم أجد في مؤلفات الزبيدي ـ التي بين يدي ـ، ذكراً لهذه المسألة، ولعل هناك خلطاً في النقل أو عدم الدقة فيه، وقال ابن برجان عن الغيب إنه منازل: « والمنزلة الثانية حكمها حكم حياة الشهيد التي أخبر عنها بصدق قيله[3]إنه حي يرزق،ويسر ويستبشر،ويأكل ويشرب، ولهانا أن نقول فيهم أمواتا، فهذا باطن غيب، وحقيقة موجودة على ضد ما هو ظاهره »[4]، وقال: « فاعلم ـ وفقك الله ـ أن حياة الشهداء عند ربهم ﷻ حياة كاملة، بالإضافة إلى حياتهم في دار الدنيا، مخلصة من حيث الأجساد الدنيوية، مطهرة من ارجاسها، سالمة من تمانع الأضداد التي تحويها »[5].

وقد نقل عن بعض المتصوفة المتأخرين القول بأن الأنبياء وغيرهم أحياء في قبورهم يأكلون

---

[1] تلبيس إبليس ص٩١ .

[2] انظر: السير جـ٢٠/٣١٨ .

[3] كذا في الأصل.

[4] تفسير ابن برجان ورقة ٣٧٢ أ، وانظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ٢٨ ب.

[5] شرح الأسماء الحسنى ورقة ٢٨ ب.

ويشربون ويصلون ويحجون بل وينكحون، وأن الشهداء مثلهم[١].

كمـــا ذكر السيوطي أيضاً أخباراً عن بعض المتصوفة تحت العناوين التالية: ذكر صلاة الموتـــى في قـــبورهم[٢]، ذكرقراءة الموتى في قبورهم[٣]، ذكر تعليم الملائكة المؤمن القرآن في قـــبره[٤]، ذكر كسوة المؤمن في قبره[٥]، ذكر الفراش للمؤمن في قبره[٦]، ومفادها أن الأموات يصلون صلاة حقيقية وأنهم يقرؤون القرآن الكريم، وأن الملائكة تعلم من لا يعرف القراءة، إلى غير ذلك من الضلالات والتي ليس لها أسانيد يعتمد عليها، وحاصلها نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم.

ونقـــل الحـــافظ ابن حجر بعض الأقوال التي تفيد أن هناك من يقول بمثل هذا للأنبياء ـــ عليهم صلوات الله وسلامه ـــ، لكن لم يذكر أن هناك من يقول بمثله للشهداء[٧].

وقبله قال البيهقي: « وحلولهم (وفي نسخة: وصلاتهم) في أوقات بمواضع مختلفات جائز في العقل، كما ورد به خبر الصادق، وفي كل ذلك دلالة على حياتهم »[٨]، وعقب عليه ابن حجر فقال: « وإذا ثبت أنهم أحياء من حيث النقل فإنه يقويه من حيث النظر كون الشهداء أحياء بنص القرآن، والأنبياء أفضل من الشهداء »[٩].

وهذه الأقوال على تهافتها ليس فيها ذكر الأكل والشرب والنكاح.

---

[١] انظر: الإنصاف في حقيقة الأولياء ص٣٠ ، ٣٦ .

[٢] انظـــر: بشرى الكئيب بلقاء الحبيب للسيوطي ص٣٥٠ ، ط/ الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الكتب العلمية – بيروت، مع كتاب شرح الصدور له.

[٣] انظر: نفس المرجع ص٣٥١ .

[٤] انظر: نفس المرجع ص٣٥٢ .

[٥] انظر: نفس المرجع ص٣٥٣ .

[٦] انظر: نفس المرجع ص٣٥٤ .

[٧] انظر: فتح الباري جـ٦/٦٠٢-٦٠٣ .

[٨] انظر: حياة الأنبياء في قبورهم للبيهقي ت/ د.أحمد الغامدي ص٨٥ .

[٩] انظر: فتح الباري جـ٦/٦٠٣ .

وقد انتقد ابن حجر لذكره هذه العبارات مع أنه لا يراها[١].

والحــق أن مــن خرج من هذه الحياة الدنيا فإنهم أموات قال تعالى:﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٢]، وقال:﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[٣]. ومــا ورد في أخبار صحيحة أن بعض الناس أحياء في قبورهم، فتلك حياة برزخية لا تماثل الحياة الدنيا، ولا يثبت لها من أحكامها شيء.

ولمــا أنكر ابن حزم أن الميت يحيى في قبره، وأن روح من مات لا ترجع إلى جسده[٤]، رد عليه ابــن القيم وغيره فقال: « ما ذكره أبو محمد فيه حق وباطل، وأما قوله: من ظن أن الميت يحيا في قبره فخطــأ، فهــذا فيه إجمال: إن أراد الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتديره وتصرفه، ويحتاج معها إلى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ كما قال، والحس والعقل يكذبه كما يكذبه النص.

وإن أراد بــه حياة أخرى غير هذه الحياة، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا ليسأل ويمتحن في قبره، فهذا حق ونفيه خطأ، وقد دل عليه النص الصحيح الصريح »[٥].

ثانياً: محاولة معرفة الغيب عند ابن برجان:

أجمع المسلمون على أن الغيب لا يعلمه إلا الله ــ تعالى ــ، قال تعالى:﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿

---

[١] قــال محمــد إسحاق كندو في منهج الحافظ ابن حجر في العقيدةمن خلال كتابه فتح الباري جـ٣/١٣٠٨-١٣٠٩ (ط/الأولى ١٤١٩هــالناشر مكتبةالرشد ــ الرياض): « ولكنه (أي ابن حجر) مع ذلك أطلق عبارات في هذا الشأن، ونقل نقولات يفهم منها أن حياة الأنبياء في قبورهم حياة حقيقية كالحياة الدنيوية، ولا شك أن هذا يؤدي إلى اعتقاد باطل، ويفتح الطريق للضالين الذين يلوذون ويعوذون بأصحاب القبور »، ويعتذر عنه في نفس المرجع جـــ٣/١٣١٢ فيقــول: « لكــن الحافظ في مواضع أخرى تكلم على حياة الأنبياء وغيرهم، في قبورهم بعبارات أدق وأبعد عن الأشكال ».

[٢] سورة الزمر الآية: ٣٠ .

[٣] سورة الأنبياء الآية: ٣٤ .

[٤] انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، عناية/ أحمد شمس الدين جــ٢/٣٧٣.

[٥] الروح ص٢٦٢-٢٦٣ ، وانظر: لوامع الأنوار البهية جــ٢/٢٦-٢٧ .

[٦] سورة النمل الآية: ٦٥ .

عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾[2].

ولهذا فادعاء علم الغيب من أحد من البشر يعدّ منازعة لله في هذه الصفة وكفراً، ومن هذا القبيل الاعتقاد بأن رسول الله ﷺ يعلم الغيب، والله ﷻ يقول لرسوله ﷺ : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[3]

وروى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: « مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم قرأ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾[4]»[5]، وفي بعض ألفاظ الحديث: « ولا يعلم ما في غد إلا الله »[6].

ومع هذا الوضوح فقد حاول بعض ضلال الفرق معرفة الغيوب، وذلك بعد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرر لمعرفة أيام الدنيا[7]، وبعض حروف السور لمعرفة بعض المغيبات، والسالمية كطائفة من طوائف التصوف التي ظهر فيها هذا الضلال نسب إلى بعض

---

[1] سورة الجن الآيات: ٢٦-٢٧ .

[2] سورة الأنعام الآية: ٥٩ .

[3] سورة الأعراف الآية: ١٨٨ .

[4] سورة لقمان الآية: ٣٤ .

[5] أخرجه البخاري في (كتاب الاستسقاء، باب: لا يدري متى يجئ المطر إلا الله) جـ١/٣١٠ حديث رقم ١٠٣٩ ، واللفظ له، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام) جـ١/٣٩ حديث رقم ٩ .

[6] أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ عالم الغيب ... ﴾) جـ٥/٢٣٠٣ حديث رقم ٧٣٧٩ .

[7] انظر: فتح الباري جـ١١/٤٢٦-٤٢٧ ، ط/ دار السلام – الرياض، والتنجيم والمنجمون د.عبد المجيد المشعبي ص٣١١ .

أعلامها والمعظمين عندها، فمما نسب لسهل التستري رسالة في الحروف تدور على محاولة معرفة المغيبات، وقد سبق بيان بطلان نسبتها إليه[١]، وأما أبو طالب المكي فلم يذكر هذه المسألة إلا أنه زعـــم أن ابـــن عباس ﷺ استنبط ليلة القدر أنها ليلة سبع وعشرين، وذلك أنه عدّ كلمات سورة القدر حتى انتهى إلى قوله هي فكان سبعاً وعشرين كلمة[٢]، وهذا باطل.

وأما ابن برجان فهو من فرسان هذا العلم،وقد أمعن في تفسيره في ذكر الحروف المقطعة في أوائل السور، وذكر في تفسيره أسرار الحروف وخواصها، وذكر بعض مترجميه أنه يستنبط من تفسيره معرفة علم الغيب[٣]، قال في شرح الأسماء الحسنى:«ومنها اسما عن حروف مركبة أو مفردة هي كتابات لذوات المخاطبين، وإشارات من ضماير المخاطبين منها قولك هو وذلك أظهـــرها اســـم مركب مفرد، مركب من حرفين هما أول حروف الباطن، وبه تشير بواطن المخاطـــبين بعضها إلى بعض، إلى معاهدها[٤]، ومنها اسما هي باطنة يعبر بها في أثناء التخاطب عن المراد به كالألف والهاء والياء والواو والنون والتاء والكاف والثامن سر محجوب مكنون، ...كما قال بعضهم: إن بين اللام والكاف سر من سر إلى سر وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة وبـــه تتخاطب الذوات وتتفاهم العقول»[٥]، وقد جاء من اعتنى بهذا الباطل وألف حوله جل مؤلفاته وهو الحرالي، الذي يتابع السالمية[٦].

وحقيقة حال ابن برجان أنه من المنجمين، وإنما ذكر الحروف ليخفى بها تنجيمه، قال ابن عربي ـــ في كلامه على آلم ـــ: « كان أبو الحكم بن برجان لم يذكره في كتابه من هذا الباب الذي تذكره، وإنما ذكره...من جهة علم الفلك، وجعله ستراً على كشفه، قطع به في فتح بيت المقدس سنة ثلاثة وثمانين وخمسمائة »[٧]، وقد ذكر المؤرخون تحديد ابن برجان لفتح

---

(١) انظر: ما تقدم في ص١٢٩-١٣٠ .

(٢) انظر: القوت جـــ٢/٢٤٨ ، وتحديد أن ليلة القدر سبع وعشرين ورد بأثار عن بعض الصحابة ﷺ وليست بهذه الضلالات.

(٣) انظر: ما تقدم في ص٢٥٢-٢٥٣ .

(٤) كذا في الأصل.

(٥) شرح الأسماء الحسنى ورقة ٤ أ.

(٦) انظر: ما تقدم في ص٢٦٣-٢٦٧ .

(٧) الفتوحات المكية جـــ١/٢٦٨ .

بيت المقدس في السنة التي ذكر، مع أنه توفي سنة ٥٣٦هـ، وأشار بعضهم إلى أنه قال هذا بواسطة التنجيم[١].

والتنجيم هو: الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية[٢]، وهو أنواع[٣]، والمراد هنا الوهميات وهو ما يزعمه المنجمون من أحكام النجوم، وتأثيرها، وهؤلاء منهم من يعتقد أن الكواكب تدبر هذا الكون، وأنها أحياء ناطقة مختارة، يصدر منها الخير والشر، ومنهم من يعتقد أن الخالق والمدبر هو الله، وأن للكواكب تأثيراً في الكون، وهذا التأثير من الله، وهذا مذهب الرافضة، والأول مذهب الفلاسفة والحلولية ومن وافقهم[٤]، وابن برجان ينتسب للفلاسفة[٥]، وهذا الباطل ورد أنه مأثور عن فلاسفة اليونان، ومروي أيضاً عن بعض اليهود[٦]، ولهؤلاء والرافضة أيضاً دور كبير في نشره بين المسلمين[٧].

وادعاء علم الغيب من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صدقه به واعتقده كفر[٨]، وكما قال ابن عباس منكراً على الذين يتخذون هذه الصناعة: « إن قوماً يحسبون أبا جاد، وينظرون في النجوم، ولا أرى لمن فعل ذلك من خلاق »[٩].

---

[١] انظر: ما تقدم في ص٢٥٣.

[٢] انظر: انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٣٥/١٩٢ ، والتنجيم والمنجمون تأليف د. عبد المجيد المشعبي ص٣٥ .

[٣] يقسم إلى حسابيات مثل عمل التقاويم وغيرها، وطبيعيات مثل الاستدلال بالنجوم على فصول السنة، وعلى القبلة وغير ذلك، ويسمى علم التسيير، والثالث: الوهميات وهو المراد أعلاه. انظر: التنجيم والمنجمون ص٣٧-٣٨ .

[٤] انظر: التنجيم والمنجمون ص٣٨-٤١ .

[٥] انظر: ما تقدم في ص٥٢٥.

[٦] انظر: فتح الباري جـ١١/٤٢٧ ، ط/ دار السلام – الرياض، ومجموع فتاوى ابن تيمية جـ٣٥/١٩٠ .

[٧] انظر: التنجيم والمنجمون ص١٢٧-١٤٦.

[٨] انظر: معارج القبول جـ١/٣٢٦ .

[٩] أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" جـ١١/٢٦ ، وابن عبد البر في "الجامع" جـ٢/٣٩ ، قال ابن حجر في الفتح جـ١١/ ٤٢٧ : « صح عن ابن عباس ».

الفصل الثالث

آراء السالمية في القضاء والقدر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : مذهب السالمية في القدر.

المبحث الثاني : مسائل متعلقة بالقضاء والقدر.

تمهيد:

القضـــاء والقدر من المسائل الكبرى في تاريخ الإنسانية، المؤمن والكافر، لما له من ارتباط بحيـــاة الناس وأحوالهم اليومية، وقد تنازع الناس ومنهم أهل الإسلام في مسائل القدر، والسالمية مـــن الفرق التي خالفت في بعض مسائل القدر، بل وقع الاختلاف بين أعلام السالمية في بعض المسائل.

وغـــالب أعلام السالمية تكلموا على القدر في مواضع كثيرة، كأبي طالب المكي وابن بـــرجان، القاسم بن عبد الله البصري الذي جعل من العقائد التي أجمع عليها السلف: الإيمان بالقضـــاء والقـــدر، ثم قال: « وسنتكلم على كل مسألة بذاتها، ونقيم الدليل على ذلك من الكتاب وسنة ونظر »[1]، والزبيدي ذكر بعض مسائل القدر في أجوبة عن أصول الدين[2]، أما ابن سالم وابنه فلا يوجد لدينا نقل عنهم، سوى عبارة واحدة نقلها السراج الطوسي عن ابن سالم في عد القدر من أركان الإيمان[3]، لكن نجد في كتب سهل التستري وهم النقلة عنه ما يوافق الحق.

ولكـــن نـــلحظ بينهم اختلافاً بيناً، فأبو طالب المكي وابن برجان صرحوا بالجبر، بينما قاربهم الزبيدي، أما القاسم بن عبد الله البصري فأقربهم للصواب.

وفي هذا الفصل مبحثان:

المبحث الأول : مذهب السالمية في القدر ويتضمن:

١- أفعال العباد عند السالمية.

٢- القدرة وعلاقتها بالفعل.

المبحث الثاني : مسائل متعلقة بالقضاء والقدر وهي:

١- تعليل أفعال الله عند السالمية.

---

[1] انظر: في أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـــ٨/٥٠٣ .

[2] انظر: أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٣٧-٤٧ ، وانظر: أيضاً ورقة ٩٣-٩٥ ، وورقة ٨٥-٨٦ .

[3] انظر: اللمع ص٣٠٩ .

٢- التحسين والتقبيح عند السالمية.

٣- الإرادة وعلاقتها بالرضا والمحبة عند السالمية.

المبحث الأول: مذهب السالمية في القدر.

قبل البدء في مسائل الفصل لا بد من تعريف القضاء والقدر باختصار:

القَدَر: بالتحريك: القضاء، والحكم، وهو ما يقدره الله ﷻ من القضاء، ويحكم به من الأمور[١].

والقضاء: أصلها قضاي لأنها من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت، وهو الحكم، والصنع، والحتم، والبيان، وأصله القطع، والفصل، وقضاء الشيء، وإحكامه، وإمضاءه، والفراغ منه[٢].

وقد قيل في العلاقة بين القضاء والقدر عدة أقوال حاصلها أن بينهما رابطاً قوياً، فكل منهما يأتي بمعنى الأخرى، وإن كانت معاني القضاء ترجع إلى إحكام الأمر وإنفاذه، ومعاني القدر ترجع إلى التقدير[٣].

والقضاء والقدر اصطلاحاً:

قال الإمام أحمد: القدر: قدرة الله على العباد[٤]، وقد استحسن ابن عقيل هذا الكلام جداً، وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد وتبصره في معرفة أصول الدين، وهو كما قال أبو الوفاء[٥].

« وهو تقدير الله ـ تعالى ـ الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات مخصوصة معلومة، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له، ووقوعها حسب ما قدرها، وخلقه لها »[٦].

---

[١] انظر: لسان العرب جـ٥/٧٤ مادة (قدر)، والقاموس المحيط ص٥٩١ مادة (قدر).

[٢] انظر: لسان العرب جـ١٥/١٨٦ مادة (قضي)، والقاموس المحيط ص١٧٠٨ مادة (قضى).

[٣] انظر: لسان العرب جـ١٥/١٨٦، والقضاء والقدر د.المحمود ص٣٩، والقضاء والقدر د.عمر الأشقر ص٢٨، ط/ الثالثة ١٤١٥هـ الناشر دار النفائس – الأردن، والإيمان بالقضاء والقدر تأليف محمد الحمد ص٢٠ ، ط/ الثالثة ١٤١٩هـ الناشر دار ابن خزيمة – الرياض.

[٤] مسائل الإمام أحمد رواية ابن هانئ ت/ زهير الشاويش جـ٢/١٥٥ رقم ١٨٦٨ ، ط/ ١٤٠٠هـ الناشر المكتب الإسلامي، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة جمع عبد الإله الأحمدي جـ١/١٣٥.

[٥] انظر: شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم عناية/ مصطفى أبو النصر الشلبي جـ١/٨٨،ط/ الأولى ١٤١٢هـ الناشر مكتبة السوادي – جدة، المملكة.

[٦] القضاء والقدر د.المحمود ص٣٩-٤٠ .

أولاً: أفعال العباد عند السالمية:

مذاهب الناس في القدر قبل الإسلام وبعده لم تتغير إجمالاً، فهي ثلاثة مذاهب: القدرية، والجبرية، والوسط بينهما مذهب اتباع الأنبياء[1]، لكن قد يقسمهم الباحثون في القدر إلى عدة فرق، تدور على مسألة أفعال العباد، وأهم الأقوال هي:

الأولى: القدرية النفاة، لنفيهم خلق الرب ـ تعالى ـ لأفعال العباد: ويسمون القدرية المجوسية لمشابهتهم المجوس بالقول بإلهين، إله للخير وإله للشر، وهم ثلاث فرق:

أ- الغلاة نفاة علم الرب ـ تعالى ـ وهم أوائلهم.

ب-القدرية المعتزلة الذين أثبتوا العلم ونفوا خلق أفعال العباد.

ج- الفلاسفة الذين ينفون علم الله بالجزئيات، فيغلب عليهم هذا الطريق. وهؤلاء فيهم ميل لليهود، ولذلك كثير من اليهود قدرية، ومتأخرو الرافضة والخوارج يقولون بمذهب المعتزلة[2].

الثانية: القدرية الإبليسية: ويسمون بالقدرية الإبليسية لمشابهتهم إبليس في قوله الذي ذكره الله عنه عندما قال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾[3]، وهم يصدقون بأن الله صدر عنه الأمران، لكن عندهم هذا تناقض، وهم خصماء الله ـ تعالى ـ ومنهم الزنادقة من الشعراء وغيرهم[4].

الثالث: الجبرية: ويسمون القدرية المشركين لمشابهتهم المشركين في قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ

---

(1) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم ص٨٦ .

(2) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٢٥٨-٢٥٩ ، ٤٤٤ ، ولوامع الأنوار البهية جـ١/٣٠٠-٣٠٥ ، ومعارج القبول جـ٣/٩٤٣-٩٤٥ ، والدرة البهية في حل المشكلة القدرية للشيخ السعدي، عناية/ أشرف عبد المقصود ص١٧-٢٣ ، ط/ الأولى ١٤١٩هـ الناشر مكتبة أضواء السلف – الرياض، والقضاء والقدر د.عبد الرحمن المحمود ص٣٠٥-٣٠٧ ، والإيمان بالقضاء والقدر تأليف/ محمد الحمد ص١٦٥ .

(3) سورة الأعراف الآية: ١٦ .

(4) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٢٦٠ ، ٤٤٦ ، وطريق الهجرتين ص٨٦ ، والإيمان بالقضاء والقدر للحمد ص١٦٧ .

مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾[1]، أو الجهمية الجبرية، أو غلاة الجهمية، وهؤلاء اعترفوا بالقضاء والقدر، وزعموا أن ذلك يوافق الأمر والنهي، وأمرهم يؤول إلى تعطيل الشرائع والأمر والنهي، وقال بهذا الجهمية الجبرية اتباع جهم بن صفوان، وطوائف من الصوفية، وهو حقيقة قول الأشاعرة والماتريدية وغيرهم[2].

وأما أتباع الأنبياء ــ عليهم السلام ــ من كل الديانات، وأهل السنة والجماعة، فهداهم الله ﷻ للحق، وسيأتي بيان مذهبهم بأدلته.

والسالمية قالوا بالمذهب الثالث الجبر، سواء على طريقة الصوفية، أو طريقة المتكلمين، فإن المشهور عن كثير من الصوفية المتأخرين أنهم جبرية، أما أئمة الصوفية والمشايخ المتقدمون فهم على مذهب أهل السنة والجماعة[3].

نقل ابن الجوزي عن ابن بطه قوله: « وسموا بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية »[4]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « والذين ادعوا المحبة من الصوفية وكان قولهم في القدر من جنس قول الجهمية المجبرة »[5]، وقال: « وقد كثر في كثير من المنتسبين إلى المشيخة والتصوف شهود القدر فقط، من غير شهود الأمر والنهي، والاستناد إليه في ترك المأمور وفعل المحظور، وهذا أعظم الضلال »[6]، والجبر عند الصوفية نشأ في البصرة[7].

---

(1) سورة الأنعام الآية: ١٤٨ .

(2) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٥٦/٨ ، ٤٤٤-٤٤٥ ، ولوامع الأنوار البهية جـ١/٣٠٦-٣١٠ ، ومعارج القبول جـ٣/٩٤٦-٩٥٠ ، والدرة البهية للشيخ السعدي ص٢٤-٢٧ ، وقد جعل القدرية المشركين غير الجبرية، والقضاء والقدر د. المحمود ص٣٠٢-٣٠٤ ، وقد أفرد الأشعرية والماتريدية عن الجبرية ص٣٠٨-٣١٨ ، والإيمان بالقضاء والقدر للحمد ص١٦٦ ، وقد جعل لكل طائفة قول مستقل.

(3) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٨/٣٦٩ .

(4) انظر: تلبيس إبليس ص٢٤٦ .

(5) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٨/٣٦٥ .

(6) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٢/٣٢٨ .

(7) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٣/١٢٦ .

وأما أقوال أعلام السالمية في هذه المسألة فهي:

١-قال السراج الطوسي سمعت ابن سالم (الأب) يقول: « الإيمان أربعة أركان: ركن منه الإيمان بالقدر، وركن منه الإيمان بالقدرة، وركن منه التبري من الحول والقوة، وركن منه الاستعانة بالله ﷻ في جميع الأشياء »[١]، وقد لا يفهم من هذا الجبر، لكن أبا طالب المكي يفسره فيقول: « وقيل لبعض علمائنا: ما التوكل؟ قال: التبري من الحول والقوة، والحول أشد من القوة، يعني بالحول والحركة، والقوة والثبات على الحركة وهو أول الفعل، يعني بهذا لا ينظر إلى حركتك مع المحرك إذ هو الأول ولا إلى ثباتك أيضاً بعد الحركة في تثبيته إذ هو المثبت الآخر، فتكون الأولية والآخرية حقيقة شهادتك له به أنه الأول الآخر بعين اليقين.

... وقد كثر قوله ــ رحمه الله ــ في ترك التدبير، وينبغي أن يعرف ما معناه: ليس يعني بترك التدبير ترك التصرف فيما وجه العبد فيه وأبيح له، كيف وهو يقول:من طعن على التكسب فقد طعن في السنة،...»

ثم شرح قوله ــ ترك التدبير ــ فقال: « فهذا يعني به ترك الأسباب التي توجب التدبير، وإخراج السبب الذي يجب تدبيره لأنه يكون مسبباً متيقناً للأسباب وهو ترك تدبيرها،... »[٢]، وهذا القول يتأكد أنه لأبي الحسن ابن سالم لأنه ذكر أنه يقول: من طعن على التكسب، وهذا من أقوال أبي الحسن بن سالم الثابتة له، وأبو طالب هنا في شرحه قد يفهم منه الميل للجبر، ويؤيد هذا قوله: « قد كان أبو حسن ــ رحمه الله ــ يتكلم في علم الأمر والخبر وفي الابتلاء والقهر بمعان لا يهتدي إليها اليوم،... يعني يظهر الأمر بالترك، ويظهر النهي بالفعل، ويظهر الأحكام بوقوع البلاء، ويقهر الجوارح بالجبر على إرادته »[٣].

وأما أبو طالب المكي، فيقول عن مذهبه في القدر: « وكنت أنا مرة خاطبت بعض إخواننا في شيء من الاستطاعة مع الفعل لا أنه قبله ولا بعده فتكلمت في ذلك بمذهب المثبتة من أهل الكلام، قبل أن يكشف لي بمشاهدة علم اليقين فرأيت في النوم كأن قائلاً يقول: القدر من

---

[١] اللمع ص٣٩٠ .

[٢] انظر: القوت جـ٢/٩-١٠ .

[٣] القوت جـ١/٢٣٢ .

القـــدرة، والقدرة صفة القادر، فيقع القدر على الحركة ولا يتبين فتظهر الأفعال من الجوارح، أو قال: فتتحرك الجوارح بالأفعال، ولا تتبين، فكيف يتكلم في شيء لا يتبين، فجعلت على نفسي أني لا أناظر أحداً منهم بعد ذلك في شيء من هذا الباب »[١].

فمـــن هذا اتضح أنه كان على مذهب الكلابية ثم تاب منه إلى الجبر الخالص، ينقل عن أحـــد الأبدال ــ لم يسمه ــ على سبيل الاستدلال بقوله: « نحن يكشف لنا عن سر الملكوت فنـــنظر إلى الطاعات تنـــزل صوراً من السماء حتى تقع على جوارح قوم فتتحرك الجوارح بها، ونـــنظر إلى المعاصي صوراً مصورة تنـــزل من السماء فتقع على جوارح قوم فتتحرك بها »[٢]، وذكر نقولاً عمن لا يسميهم في القول بالجبر[٣].

ولكنه يعظم الأمر والنهي فيقول: « وفصل الخطاب: أنه (أي العبد) يرضى بسوء القضاء عقـــد[٤] إلا من نفسه فعلا، ويرضى به عن الله، ولا يرضى به من نفسه لأن الموقنين والمحبين لا يســـقطون الأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا ينكرون إنكار المعاصي وكراهتها بالألسنة والقـــلوب من قبل أن الإيمان فرضها، والشرع ورد بها، ولأن الحبيب كرهها، فكانوا معه فيما كـــره، كما كانوا معه فيما أحب، ومقام اليقين لا يسقط فرائض الإيمان، ومشاهدة التوحيد لا تـــبطل شرائع الرسول ولا تسقط اتباعه، فمن زعم ذلك فقد افترى على الله ورسوله، وكذب عـــلى الموقنين والمحبين »[٥]، وهذا القول الأخير قد يناقض ما سبق، فهو يحاول نفي ما يلزمه من قـــوله في الجـــبر، قـــال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وقد كثر في كثير من المنتسبين إلى المشيخة والتصـــوف شهود القدر فقط، من غير شهود الأمر والنهي، والاستناد إليه في ترك المأمور وفعل المحظور، وهذا أعظم الضلال،ومن طرد هذا القول والتزم لوازمه:كان أكفر من اليهود والنصارى والمشـــركين، لكـــن أكـــثر مـــن يدخـــل في ذلـــك يتناقض ولا يطرد قوله»[٦]، فأبوطالب

---

(١) القوت جــ١/١٨٨-١٨٩ .

(٢) نفس المرجع جــ١/١٨٨ .

(٣) نفس المرجع والصفحة نفسها .

(٤) كذا في الأصل.

(٥) نفس المرجع جــ٢/٧٥ .

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٢٨/٢ ، وانظر: جــ٨/٣٦٨-٣٦٩ ، وجــ٨/٢٣٠ وغيرها.

متناقض هنا كما في كثير من أقواله، وأقواله في الجبر الصريح أكثر مما ذكرت[١].

وأمــا ابن برجان فيسير على منوال شيخه أبي طالب المكي فيقول: « وفعلنا نحن كسب لنا وخلق له، فاعلم بذلك أنه يستعملنا ويستخرج بأفعالنا أعاجيبه، كما يستخرج بأفعاله، وذلك منه إشعار لنا أن كلا منه وبه وله، كما نص عليه في قوله الحق:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[٢]، وقوله:﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[٣]، وسبيل العبرة من هذا أنه خلق للجنة والنار خلقاً، واستعمل العاملين بما يبلغ[٤] إلى منال موجوداتها على ما سبق في تقديره، فهو عز جلاله يستخرج بأعمالهم ثواباً وعقاباً »[٥].

وقال في شرح اسم الجبار:« تقدم الكلام على الحركة ومنبعثها وأنها تنقسم أعني الحركة الظاهرة والباطنة إلى نوعين ضروري وهو الأصل فيها، وكسبي وهو الفرع، وإلى الضروري يعود هــذا الــنوع فاعلم ذلك، وتقدم في ذلك أيضاً أن الاضطرار على وجهين اضطرار قدرة وإرادة معاً، وذلك كحركة الذي تقدم إلى القتل فيفعل السعي إلى المكان الذي يقتل فيه بقدرة موجودة فيه لا بإرادة منه، وكذلك اضطر القدرة: وهو عجزها عن مرادها وصغار عما يريده المحل، ...

والحركة لازمة عن القدرة بإذن الله، والقدرة لازمة عن الإرادة وجود إرادة المريد منقدح مــن خــزائن الغيــب عن المشيئة العامة والعلم السابق والتقدير الأول المثبت في الذكر ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٦]، وإذ قد تمهد هذا فالجبر ظاهر، والاضطرار بيّن، وإن وجد الاختيار فالجبر أولى به، وهو أصله الذي ينبعث عنه »[٧]، فالقول بالجبر الخالص واضح جداً، لكن لم أقف على تعظيم للأمر والنهي كما ذكر أبو طالب المكي.

---

[١] انظر: القوت جـ١/٢٢٣ ، وجـ٢/١١٧ وغيرها.

[٢] سورة الصافات الآية: ٩٦ .

[٣] سورة الأنفال الآية: ١٧ .

[٤] كذا في الأصل لم تنقط الأولى.

[٥] تفسير ابن برجان ورقة ٣٨٨ ب.

[٦] سورة التكوير الآية: ٢٩ ، وسقط من الآية: (وما).

[٧] نفس المرجع ورقة ٣٨٤ ب، وانظر: انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ٨١ أ.

أما الزبيدي فيقول: « مذهب الجماعة وأئمة السنة: إن الله ـ تعالى ـ خالق كل شيء، وما يخلقه الله ﷻ لا يتصور فيه إجبار ولا تخيير، ويتصور أن يسند إلينا فعل ما نكسب على نحو قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[1]، [ويسند][2] إلينا الرمي بصيغه فعل، ولا نسنده إلينا بصيغه خلق، ولا صيغة اختراع، ولا يسند إلى الله فعل المعاصي بصيغة عصى، وعن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أنه كره أن يسمى الكسب خلقاً في حال كونه كسباً، وذلك أنه يصير قضاء، فيسمى بالقضاء، ويقال هو قضاء الله، لأن المعدوم لا يقع عليه تسمية الخلق إلا بحالة وجوده، ولا نعلم أحداً يقول لا يسند الكسب إلى العبد إلا مجازاً، وأهل الإجبار والتخيير جميعهم عندنا مذمومون ممقوتون »[3].

وقد نسب إليه القول بالجبر وأن الزاني لا يلام، وشارب الخمر لا يلام[4].

وما ذكره الزبيدي هنا هو مذهب الماتريدية، وهو وإن كان قريباً من مذهب الأشاعرة، إلا أنهم حاولوا التوسط بين قول المعتزلة وقول الأشعرية، والماتريدية والأشعرية متفقة على أن الله هو الخالق، والعبد كاسب، بمعنى متسبب بعزمه في أن يخلق الله الفعل ويجريه على يديه، لكن اختلفوا: هل العبد هو الذي يوجه إرادة نفسه مختاراً في هذا التوجيه ؟ أم أن الله هو الذي يوجه إرادة العبد إلى الشيء أو ضده، ولا يملك العبد لذلك نقضاً ولا تحويلاً؟ قال بالأول الماتريدية، وبالثاني الأشاعرة[5].

وأما نقله عن الإمام أحمد فلم أجده، بل لم أجد في أقوال أحمد في القدر ذكر لفظ الكسب، وحقيقة مذهب الماتريدية أن للعباد إرادة غير مخلوقة وهي مبدأ الفعل، والعباد على مذهبهم يتصرفون بمبادئ أفعالهم باستقلال تام كما يشاؤون، وخلق الله لأفعالهم إنما هو تبع لإرادتهم غير المخلوقة، وهذا قريب من قول المعتزلة[6]، إلا أن الزبيدي هنا لم يوضح مراده.

---

[1] سورة الأنفال الآية: ١٧ .

[2] في الأصل (فنسند) بالنون، وفي الجملة تكرار: "ويسند إلينا الرمي بصيغه" ، فلعل الصواب الثانية المكررة.

[3] أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٤٢ ب، ٤٣ أ.

[4] انظر: ما تقدم في ص٢٥٠.

[5] انظر: القضاء والقدر د. عبد الرحمن المحمود ص٣١٩ ، والماتريدية دراسة وتقويماً ص٤٤٢.

[6] انظر: الماتريدية للحربي ص٤٤١-٤٤٢ .

فهذه أقوال بعض أعلام السالمية في القدر والتي تتراوح بين الجبر الخالص، أو التناقض في ذلك، أو ما يؤول في حقيقته إلى الجبر.

لكن نجد أحد أعلام السالمية يرد عليهم، ويناقشهم، وهو أبو محمد القاسم البصري فيقول: «لعنت القدرية والمرجئة، وكذلك المجبرة، والله لا يجبر أحداً على فعل»[١]، وقال: « من زعم أنه ما سبق في علمه عواقبهم، وما قضى عليهم بما وجد منهم، ولا شاء ذلك في ملكه،وخلق أعمالهم، ... فهو قدري ومعتلي مكابر معتزلي، مدعي الحول والقوة، وأن الأمر إليه.

ومن زعم أنه كلفهم صبغة، وجبرهم على الأفعال،وجعل كسبهم مجازاً وأعمالهم لاصنع لهـم فيها، فهو أخس القدرية، وأعتى المجبرة، وهو الغالي في دين الله، المرجئ المحيل بمعاصيه على ربه، وبفجوره على من تقدس عن كسبه، بل تنـزه عما يقول الظالمون »[٢].

وقال في الرد على الجبرية: « وقد أشفى في الحديث بما فيه مقنع بقوله ﷺ: " ما من مولود إلا وهـو يولـد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه "[٣]، وهو إجماع المسلمين أن الكافـر لا يعـاقب [ويخلد][٤] على ما خلق، إنما يعاقب و[يخلد] على نيته وكسبه، وهو موضع إيثارهم لما نهاهم عنه، على ما أمرهم به من الإيمان، فكان تكذيبه لهم على كسب اكتسبوه، وفعل فعلوه، ونهي ارتكبوه،وأمر خالفوه، وهو ما أحدثوه،لا شيء جبلوا عليه ولا اضطروا له، ولا خلقوا مجبولين عليه، إذ لو خلقهم كفاراً لكانوا إلى ذلك مضطرين، ولم يقل بذلك أحد من المسلمين.

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ

---

(١) في أصول السنة والتوحيد، نقلاً عن درء التعارض العقل والنقل جـ٤٩٨/٨ .

(٢) نفس المرجع جـ٥٠٠/٨ .

(٣) أخرجه البخاري في (كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام) جـ٤٠٣/١ حديث رقم ١٣٥٩ ، ومسلم في (كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) بلفظه، جـ٢٠٤٧/٤ حديث رقم ٢٦٥٨ .

(٤) في الأصل (ويجلد)، وفي الهامش: "ولعل الصواب (ويخلد)" وقد أثبته، فإن يجلد لا معنى لها.

ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[1]، فأعلمنا أن كذبهم وكفـرهم هو كسبهم الذي حرمهم البركات، وعليه توعدهم بالعقوبات، وكون الكافر مخلوقاً كافـراً صراح بالجبر، ومن قال: ما سبق في العلم والنظر، ولا هو داخل في القضاء والقدر، فهو قـدري رديء، وقد لعنت القدرية والمرجئة، وكذلك المجبرة، والله لا يجبر أحداً على فعل، إذ لو جبر لكانوا عن التكليف خارجين كما جبلت الملائكة على الطاعة.

وقد قال سفيان، وأحمد، وسهل، والإمام، وأهل العلم: إن الله لا يجبر على طاعة ولا على معصية، وهو الجبار الذي جبر القلوب على فطرتها ».

إلى أن قال: « قال سبحانه:﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[2]، مع كونه سبحانه فعالاً لمـا يريد، وليس معنى "شاء" معنى "علم" ولا معنى "علم وشاء" معنى "خلق"، فشاءهم وعلمهم وقدّرهم وقضاهم مؤمنين وكافرين في حكم الكينونة، وهي العواقب التي لم يزل بها عالماً، وعليها قـادراً، ولها شائياً، ولم يخلقهم في العبودية والدينونة والبنية والتركيب كفاراً، ولا إقراراً للزوم المطالـبة والعـبودية، ومحال أن يخلقهم لذلك ويتعبدهم، ويطالبهم، كما زعم أهل الإجبار، من ضـرار وأصـحابه، وسالكي البدعة، والمضاهي لهم بالعدوان والطغيان، والمغترّين المحيلين على الأقدار، والمتمسكين بمعاذير ليست لهم بأعذار، لم يؤمنوا أن الأعمال محصاة، والعواقب مشهودة، وأعمالهم في القبضتين داخلة، وإلى المعبود صائرون، وعلى اكتسابهم محاسبون، وبها مؤاخذون.

قال أصدق القائلين : ﴿ وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴾[3]، وهل الكفـر وغـيره إلا عملان وكسبان ؟...بل تنـزه عما يقول الظالمون،ولم يزل عليما شائياً، حكيماً عادلاً متفضلاً، منصفاً محققاً، مجبراً خالقاً،آمراً ناهياً،غير عابث ولا تارك لأمورهم سدى، ولا لهـا مهمـلاً، فخلق الكافر على الفطرة، وخلق كفره وشاءه في ملكه، ولا يجبره عليه ولا اضطره إليه، ولم يتولّه، بل تبرأ منه، وتركه معه، ونهاه عن اعتقاده والتلبس به وبفعاله، وجعل له

---

[1] سورة الأعراف الآية: ٩٦ .

[2] سورة فصلت الآية: ٤٦ .

[3] سورة المؤمنون الآية: ٦٣ .

قـــدرة واستطاعة على كسبه، وتركه مع هواه، فلما دخل تحته، واعتقده في نفسه، واتصل به، واختاره وأحبه، كان كما ذكرنا في الجمع والتفرقة، والخلقة والكسب، فصار بما اعتقد واكتسب كافراً، وسمي فاجراً، ولا هو لنفسه خالقاً، ولا لكفره مخترعاً، بل له مكتسباً، وبه اجتمع ففارق الإيمان والإحسان الذي أمر بمواصلتها، فصار لذلك مجانباً، وخالط الكفر فصار فيه والجاً، فتوجه نحـــوه التهديد، ولزمه الوعيد، فألزمه ما اكتسب، وردّه إلى ما علم، وأدخله في وعيده،واستحق عقوبته، وخلده بنيّته:﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

وقد قال ﷺ: "يقول الله ﷻ: خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين" [2]، وهذا نص من صاحب الشريعة جلي واضح لا شبهة فيه، يسفر عن إيضاح ما أوردناه »[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية تعقيباً عليه: « وهو يثبت القدر، وأن الله خالق أفعال العباد، وينكر أن يكونوا جبلوا على ذلك واضطروا إليه، أو جبروا عليه ...

وقد بينا مذهب الأئمة كالأوزاعي والثوري وأحمد بن حنبل وغيرهم، أنهم ينكرون إثبات الجـــبر ونفيه معاً، ... وأما ما حكاه عن أحمد ونحوه: أن الله لا يجبر على طاعة ولا معصية، فهو حكاه بحسب ما بلغه واعتقده، والمنصوص الصريح عنه الإنكار على من قال جبر وعلى من قال: لم يجبر »[4].

وقـــال القاسم بن عبد الله البصري: « لم يجبر سبحانه على معرفة توحيد، ولا على معرفة المـــزيد، إذ لو كان كذلك لأغنى عن بعث الرسل، وإنزال الكتب، وإقامة الحجج، وإنما هو الجبّار الـــذي جبر القلوب على فطرها، وأقامها مع مقدرها، ولم يكلّفها فوق الطاقة، ولا شططا، فجبر على معرفة ربوبيته ووحدانيته، ولم يجبر على ما سوى ذلك من المعارف كما زعمت المجبرة »[5].

---

[1] سورة فصلت الآية: ٤٦ .

[2] أخرجه مسلم في (كتاب الجنة صفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) جـــ٤/ ٢١٩٧ حديث رقم ٢٨٦٥، وأخرجه أحمد في مسنده جـــ١٦٢/٤، كلاهما بلفظ قريب، وقد أخرجه غيرهم.

[3] أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـــ٤٩٧/٨-٥٠٠ .

[4] درء التعارض جـــ٥٠١/٨-٥٠٢ .

[5] في أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـــ٥١٨/٨-٥١٩ .

وأمـــا المـــنقول عن سهل التستري فهو يوافق السلف[١]، وأما مناقشة أدلة السالمية فكما يلي:

١- لم يذكـــر أبـــو طالب المكي أي دليل على ما ذكر، أما ابن برجان والزبيدي فقد استدلا بقول الله ــ تعالى ــ:﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[٢]، واستشهادهم بهذه الآيـــة قال به: « طائفة من الجهال[٣]، وذلك أن الله لم يضف الرمي هنا إلى نفسه، لمجرد كونه خالقاً لأفعال العباد، فإن هذا قدر مشترك بين رمي النبي وسائر أفعاله غير الرمي، وبين رمي غيره من الناس وبين أفعالهم، فأفعال العسكرين يوم بدر خلقها الله كما خلق سائر أفعال الحيوان، ولو جاز أن يقال إن الله رمى، لكونه خلق حركة العبد، لقيل أنه يكر ويفر ويركب ويعدو ويصوم ويطوف، ونحو ذلك، لكونه يخلق ذلك ...

والله ــ تعالى ــ قال : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ لأن النبيﷺ أخذ حفنة من تراب وغيره، فرمى بها المشركين فأصابت عيونهم، وهزمهم الله بها، ولم يكن في قدرة النبي ﷺ ذلك، بل الله ــ تعالى ــ أوصل ذلك إليهم، والرمي له طرفان حذف بالرمي، ووصول إلى العدو ونكاية فيهم، والنبي ﷺ فعل الأول،والله فعل الثاني،والمعنى ما أوصلت الرمي إذ حذفته، ولكن الله أوصله وهزمهم به،﴿ إِذْ رَمَيْتَ ﴾،ونفى عنه رمياً بقوله:﴿ وَمَا رَمَيْتَ ﴾ فكان هذا غير هذا، لئلا يتناقض الكلام »[٤].

وهـــذه الآية نزلت في يوم بدر، قال ابن جرير الطبري: « فأضاف الرمي إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمي به إلى الذين رموا به من المشركين، والمسبب الرمية لرسوله.

فيقـــال للمنكرين ما ذكرنا : قد علمتم إضافة الله رمي نبيه ﷺ المشركين إلى نفسه، بعد

---

[١] انظر: كلام سهل ص٩٣ ، ٩٥ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، والمعارضة والرد ص٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ .

[٢] سورة الأنفال الآية: ١٧ .

[٣] استدل بها الاتحادية على مذهبهم ، انظر: معجم مصطلحات الصوفية د. عبد المنعم الحفني ص ١٨١ حرف العين ط/الأولى ١٤٠٠هـــ الناشردار المسيرة ببيروت.

[٤] الاستغاثة في الرد على البكري جـــ١/١٩٧-١٩٩ .

وصف نبيه به، وإضافته إليه، وذلك فعل واحد، كان من الله تسبيبه وتسديده، ومن الرسول ﷺ الحذف والإرسال »[١].

ولو كان المراد كما ظنه هؤلاء وأمثالهم، ممن يحتج بهذه الآية: « على أن الله خالق أفعال العباد، ...لساغ أن يقال مثل هذا في جميع أفعال العباد، فيقال: ما ركبت إذ ركبت ولكن الله ركب، وما طفت إذ طفت ولكن الله طاف، وما أكلت إذ أكلت ولكن الله أكل، ولكان يقال لكل من رمى بقوس ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى، ويقال للكفار إذ رموا المسلمين ما رميتم ولكن الله رمى، وأشباه هذا مما لا يقوله مسلم، ولا عاقل.

ثم إن الله ــ تعالى ــ ذكر هذه الآية لبيان نعمته على نبيه وعلى المؤمنين يوم بدر، وما أيدهم به من النصر، فلو أريد كونه خالقاً لفعله، لكان هذا قدراً مشتركاً بين جميع الناس، بل لا بد أن يكون لرميه خاصة يعجز عنها الخلق، فعلها الله تأييداً لنبيه ونصراً له، وإنعاماً عليه وعلى المؤمنين »[٢].

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ ﴾[٣]: « فليس فيها أن نفس الفعل القائم بالرسول ومخاطبته لهم ومد يده لمبايعتهم هو نفس فعل الله ومخاطبته ومبايعته، بل فيها أن من بايع الرسول فقد بايع الله كما قال تعالى:﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴾[٤] »[٥].

---

[١] تفسير الطبري جـ٦/٢٠٢-٢٠٣، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٧/٣٨٥،وتفسير ابن كثير جـ٢/٢٩٥ .

[٢] الاستغاثة جـ١/١٩٩-٢٠١ ، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/٤٠ ، جـ٨/١٨ ، ودفع الشبهة والغرر للشيخ مرعي الحنبلي ت/ عبد الله الغفيلي ص١٣٥-١٣٨، ط/ الأولى ١٤١٩هـ الناشر دار المسير – الرياض، وشفاء العليل جـ١/١٦٩ .

[٣] سورة الفتح الآية: ١٠ .

[٤] سورة النساء الآية: ٨٠ .

[٥] الاستغاثة جـ١/١٨٠ .

٢- ومن أدلتهم: الآيات الدالة على أن الله خالق كل شيء، مثل قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[١]، فهذه الآيات دلالتها حق، ولكن لا يفهم منها أن العبد لا يكون قادراً مريداً، فاعلاً بمشيئته وقدرته، وأنه هو الفعال حقيقة.

قال ابن القيم: وكل: « دليل صحيح للجبرية إنما يدل على إثبات قدرة الرب ــ تعالى ــ، ومشيئته وأنه لا خالق غيره وأنه على كل شيء قدير،... وهذا حق، لكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادراً مريداً فاعلاً بمشيئته وقدرته، وأنه هو الفاعل حقيقة وأفعاله قائمة به، وأنها فعل له لا لله، قائمة به لا بالله »[٢].

وسيأتي ذكر آيات تدل على نسبة الفعل للعبد.

٣- ومن أدلتهم: الآيات الدالة على أن المشيئة لله وحده، مثل قوله تعالى:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾[٣]، فهذه الآيات دلالتها حق، ولكن هذه الآيات وغيرها كثير، تدل على إثبات المشيئة للعباد، كما في سورة الإنسان.

عن عمرو بن مهاجر قال: « بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان يقول في القدر، فبعث إليه، فحجبه أياماً، ثم أدخله عليه، فقال: يا غيلان!ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: عمرو بن مهاجر: فأشرت إليه ألا يقول شيئاً، قال:فقال:نعم يا أمير المؤمنين، إن الله ﷻقال:﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[٤]، قال اقرأ آخر السورة : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ

---

[١] سورة الصافات الآية: ٩٦ .

[٢] انظر: شفاء العليل جـ١/١٥٠ ، والقضاء والقدر د.المحمود ص٣٤٧ .

[٣] سورة الإنسان الآية: ٣٠ .

[٤] سورة الإنسان الآيات: ١-٣ .

مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾[١]، ثم قال: ما تقول يا غيلان! قال:قدكنت أعمى فبصرتني، وأصم فأسمعتني، وضالاً فهديتني،فقال عمر:اللهم إن كان عبدك غيلان صادقاً، وإلا فاصلبه، فأمسك عن الكلام في القدر،فولاه عمر بن عبد العزيز دار الضرب بدمشق، فلما مات عمر بن عبد العزيز وأفضت الخلافة إلى هشام، تكلم في القدر، فبعث إليه هشام فقطع يده، فمر به رجل والذباب على يده فقال له: يا غيلان! هذا قضاء وقدر، فقال:كذبت، لعمر الله ما هذا قضاء ولا قدراً، فبعث إليه هشام، فصلبه »[٢].

ففي هذه السورة رد على الطائفتين القدرية والجبرية[٣].

٤- ما زعمه ابن برجان أن الحركة تنقسم إلى ضروري وكسبي والأصل هو الضروري، فغلط فإن « الحركات كلها: إما طبيعية وإما إرادية، وإما قسرية، فالقسرية تابعة للقاسر، والطبيعية هي التي لا إحساس للمتحرك بها كحركة التراب إلى أسفل، والإرادية هي التي للمتحرك بها حس كحركة الحيوان »[٤].

فهذه أدلتهم التي ذكروا، والجبرية عموماً قد يذكرون أدلة أخرى، وهي من جنس ما ذكر، وقد رد عليهم العلماء قديماً وحديثاً[٥]، **ويرد عليهم بوجوه منها:**

ه- أن لفظ الجبر مبتدع لم يرد في كتاب الله ـ تعالى ـ ولا سنة نبيه ﷺ، وقد منع كثير من السلف إطلاقه[٦]، فيجب عدم إطلاق هذا اللفظ.

---

[١] سورة الإنسان الآيات: ٣٠-٣١ .

[٢] أخرجه ابن بطه في الإبانة (القدر) جـ٢/٢٣٦ رقم ١٨٤٠ ، والآجري في الشريعة جـ١/٤٣٨ رقم ٥٥٥ ، وقال محقق الشريعة الوليد سيف النصر: « أثر عمر بن عبد العزيز صحيح أو حسن، رجاله ثقات ويشهد له ما يأتي (أي بعده)،... ورواه ابن بطه من طريق موصولة فيها ضعف » ا.هـ.

[٣] انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي جـ٣/٥٦٩، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٤٨٨ ، ٤٨٩ .

[٤] مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/١٧١ .

[٥] انظر: السنة للخلال جـ٣/٥٤٩-٥٥٧ من رقم ٩١٩-٩٣٦ ، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد جمع الأحمدي جـ٢/١٥٧-١٥٨ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة جـ٤/٧٠٠-٧٠١ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٨/١٠٥، ١٣٢، ٢٩٤ ، ٤٦٣-٤٦٤ ، وشفاء العليل لابن القيم جـ١/٣٥١-٣٧٤ .

[٦] انظر: المراجع السابقة، ودفع الشبهة والغرر تأليف مرعى الحنبلي ، وكل الكتاب رد على الجبرية، وغيرها.

٦- أن إنكار الاختيار في أفعال العباد نقص في العقل، فنحن نعلم من أنفسنا أن حركتنا ليست كحركة الجماد، الذي لا يملك شيئاً لذاته في تحركه وسكونه، بل نفرق بين الحركات غير الإرادية التي تجري في أجسادنا وبين الحركات الإرادية.

والكتاب العزيز مليء بإسناد الأفعال إلى من قاموا بها كقوله تعالى:﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾[١]، وقوله:﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾[٢]، وغيرها كثير جداً[٣].

٧- أنهم تناقضوا في زعمهم أن كل شيء قدره الله وخلقه فقد رضيه وأحبه، وسيأتي بيانه.

٨- أنهم تناقضوا أيضاً في زعمهم أن الإيمان بالقضاء والقدر يقتضي ترك العمل وإنكار الأسباب أو إهمالها[٤].

ثانياً: اعتقاد أهل السنة في القدر ومراتبه:

أ- اعتقاد أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر:

هو:«ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو أن الله خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها، من أفعال العباد، وغير أفعال العباد.

وأنه سبحانه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته، وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وقد دخل في ذلك أفعال العباد، وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة، وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء

---

[١] سورة يس الآية: ٢٠ .

[٢] سورة القصص الآية: ١٥ .

[٣] انظر: القضاء والقدر للأشقر ص٨٠-٨١ .

[٤] انظر: ما تقدم في ص٣٥٢ .

قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون »[١]، وأنه: « لا حجة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده »[٢]، وأنه سبحانه: « يضل من يشاء ويهدي من يشاء [و][٣] أن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم، وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم: إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله »[٤].

ب- مراتب القضاء عند أهل السنة والجماعة:

للقضاء والقدر عند أهل السنة والجماعة أربع مراتب من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، وهي:

المرتبة الأولى: علم الرب ــ سبحانه ــ بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

المرتبة الرابعة: خلقه لها[٥].

المرتبة الأولى: العلم[٦]:

هو الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً، فعلمه محيط بما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٤٤٩-٤٥٠ .

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٤٥٢ .

[٣] في الأصل بياض، ولا يستقيم السياق بدونها.

[٤] مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٤٥٩ .

[٥] انظر: مراتب القدر عند السلف في العقيدة الواسطية ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/١٤٨-١٥٠، وشروحها ومنها: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية تأليف عبد العزيز الرشيد ص٢٦٣-٢٦٧، ط/ دار الرشيد، وشرح العقيدة الواسطية تأليف د.محمد خليل هراس ص١٥٣، وغيرها، وانظر: شفاء العليل جـ١/٩١-١٦٣ ، ومعارج القبول جـ٣/٩٥٠-٩٥١ وغيرها.

[٦] انظر: المراجع السابقة وللتوسع، انظر:شفاء العليل جـ١/٩١-١١٤، ومعارج القبول جـ٣/٩٢٠-٩٢٤، والقضاء والقدر د.المحمود ص٥٥-٥٩، والقضاء والقدر د.الأشقر ص٢٩-٣٣، والإيمان بالقضاء والقدر للحمد ص٥٩-٦١ وغيرها.

وقد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، فعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم، وسكناتهم، وأهل الجنة، وأهل النار.

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾[1]، وقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾[2]، وقوله: ﴿ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾[3].

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ﷺ قال: « سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين »[4]، وقال ﷺ: « ما منكم من نفس إلا وقد علم مترلها من الجنة والنار »[5].

و لم ينكر هذه المرتبة والتي بعدها إلا غلاة القدرية قديماً نفاة العلم[6].

ولكن لبعض أعلام السالمية قول مخالف في هذه المرتبة،قال أبو طالب المكي: « وجود الأشياء لا يضطره إلى النظر إليها إن أراد الإعراض عنها لأنه مقتدر قهار وعدمها لا يضطره إلى أن يراها سبق علمه بها، لأنها معلوم علمه ذي الأخبار، ولأنه هو الجبار إذ الموجود والمعدوم يضطر غيره إلى النظر لضعفه عن الامتناع، والعدم يضطر سواه إلى الفقد لعجزه عن الاختراع، وهو تعالى مباين لسواه بعزه، غير مماثل لغيره بقهره، ولأن المعدوم كالمحجوب وهو تعالى يرى

---

[1] سورة الحشر الآية: ٢٢ .

[2] سورة البقرة الآية: ٢٥٥ .

[3] سورة سبأ الآية: ٣ .

[4] أخرجه البخاري في (كتاب القد، باب: الله أعلم بما كانوا عاملين) جـ٥/٢٠٦٤ حديث رقم ٦٥٩٧ ، وفي (كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين) جـ١/٤١٠ حديث رقم ١٣٨٣ و ١٣٨٤ ، ومسلم في (كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) جـ٤/٢٠٤٩ حديث رقم ٢٦٥٩ .

[5] أخرجه مسلم في (كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتاب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) جـ٤/٢٠٣٩ حديث رقم ٢٦٤٧ .

[6] انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤٨/٣ .

المحجوب، من الذرة من تحت الثرى من وراء السموات والأرضين، ولا يحجبن نفاذ نظره إليها ولا يمنعن قربه منها، ولا يحجزن قدرته عليها ولا يجاوز دون حيطته بها، إذ الحجب واقعة على الخلق غير متصلة بالخالق، وبواطن الأشياء وغوامضها منكشفة للخالق وهو أيضاً يشهد المآل والأواخر إلى نهاية نهاياتها في أبد آبدها، كما يشهد ذلك اليوم أعني من غد وبعد غد، وما وراءه إلى يوم القيامة وما فيها، وهذا كله عدم لم يخلقه بعد، لأنه علمه بذلك شهادة له لأنه ليس بينه وبين علمه حجاب، فهو يشهد الكون من أوله إلى آخره من حيث علمه بعلم هو وصفه، ومشاهدة هي نعته »[1].

وقال في قوله تعالى:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾[2] « فأخبر أنه سمع الأصوات في القدم بعلمه قبل خلق المصوتين في الحديث، فكيف لا يرى الكون عن آخره في القدم بعلمه قبل ظهورهم له متصورين بفعلهم »[3].

وقال عن القدرية: « اختلفوا في العلم فقالت العبادية من القدرية وهم أصحاب عباد: إن الله ـــ تعالى ـــ لا يرى الشيء حتى يكون، يضاهون بذلك قول النظام وبشر المريسي في أن الله ـــ تعالى ـــ لا يرى الأشياء حتى تكون »[4].

وهذا القول من أبي طالب المكي لعله أراد به التأكيد على نفي الصفات الاختيارية، كما تقدم في صفة العلم[5].

وتابعه ابن برجان فقال:«وأنه ما ينظر إلى شيء قط في وجوده بعد أن لم ينظر إليه حال عدمه، ولا سمع قط شيئاً لم يسمعه قبل حدوثه، ولا كلم شيئاً قط بعد أن لم يكلمه حال العدم، ولا علم شيئاً قط بعد أن لم يعلمه »[6].

---

[1] القوت جـ٢/١٤٣ .

[2] سورة المجادلة الآية: ١ .

[3] القوت جـ٢/١٤٥ .

[4] القوت جـ٢/١٤٧ .

[5] انظر: ما تقدم في ص٣٩٠-٣٩١.

[6] انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٨ ب.

وقد نسب الشيرازي للسالمية القول بنظر الرب ـ تعالى ـ إلى المخلوقات قبل كونها فقال: « يسأل عن الباري ﷻ هل كان ناظراً إلى أشخاص المخلوقات قبل كونها أم علمها قبل كونها؟ فإن قال: علمها قبل كونها، فهو سني، وإن قال: نظر إليها قبل كونها، فهو سالمي »[١]، كما نسب القاضي أبو يعلى هذا القول لابن سالم البصري[٢].

وقد رد عليهم الشيرازي فقال: « دليلنا قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝ ﴾[٥].

وإذا ثبت أن المعدوم ليس بشيء لا يجوز أن يقال: إنه نظر إليها، لأن النظر لا يقع إلا على الشيء، ولأن هذا يؤدي إلى القول بقدم العالم، ومن قال بقدم العالم، فهو كافر لا شك في كفره »[٦]، وما ذكره أن: « المعدوم ليس بشيء في الخارج » هو مذهب الجمهور وهو الصواب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « والتحقيق أن الشيء اسم لما يوجد في الأعيان، ولما يتصور في الأذهان، فما قدره الله وعلم أنه سيكون هو شيء في التقدير والعلم والكتاب، وإن لم يكن شيئاً في الخارج »[٧]، وهذا فرق دقيق جداً.

ورد عليهم القاضي أبو يعلى فقال: « والباري ـ سبحانه ـ فيما لم يزل لم يكن رائياً للعالم وجوداً له عدماً في ذاته، بل كان رائياً لذاته وسائر صفاته الذاتية فقط، خلافاً لابن سالم البصري في قوله: إن الباري فيما لم يزل كان رائياً للعالم وجوداً له عدماً في ذاته، والدلالة على

---

[١] جزء فيه امتحان السني من البدعي ص٣٥٤ .

[٢] انظر: المعتمد ص٢١٧ .

[٣] سورة الإنسان الآية: ١ .

[٤] سورة مريم الآية: ٦٧ .

[٥] سورة مريم الآية: ٩ .

[٦] جزء فيه امتحان السني من البدعي ص٣٥٤ .

[٧] مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٩-١٠ .

فساد قولهم قوله تعالى في قصة زكريا: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾[٢]، فأخبر أنه يرى أعمالهم بعد فعلها، ولأن العالم لا يخلو فيما لم يزل من أن يكون الباري موجوداً أو معدوماً، فإن كان معدوماً والباري يراه موجوداً له، أدى إلى أن يكون الباري ﷻ يرى المرئي على خلاف ما هو عليه، وهذه صورة الجاهل، والله يتعالى عن ذلك، فإن كان العالم موجوداً فيما لم يزل، أدى إلى قدم العالم لأن كل شيء موجود فيما لم يزل وجب أن يكون قديماً، وقد دلت الأدلة على حدث العالم، وإذا كان كذلك بطل كون العالم مرئياً للباري وجوداً له عدماً في ذاته »[٣].

المرتبة الثانية: الكتابة[٤]:

وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ.

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[٦]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء »[٧]، وقال النبي ﷺ: « ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة »[٨].

---

[١] سورة مريم الآية: ٩ .

[٢] سورة التوبة الآية: ١٠٥ .

[٣] المعتمد ص٢١٧ .

[٤] انظر: شفاء العليل جـ١/١١٥-١٢٣ ، ومعارج القبول جـ٣/٩٢٤-٩٤٠ ، والقضاء والقدر د.المحمود ص٥٩-٦٩ ، والقضاء والقدر د. الأشقر ص٣٣-٣٤ ، والإيمان بالقضاء والقدر الحمد ص٦١-٦٢ .

[٥] سورة يس الآية: ١٢ .

[٦] سورة الأنعام الآية: ٣٨ .

[٧] أخرجه مسلم في (كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى ـ عليهما السلام ـ) جـ٤/٢٠٤٤ حديث رقم ٢٦٥٣ واللفظ له.

[٨] أخرجه البخاري في (كتاب الجنائز، باب: موعظة المحدث عند القبر) جـ١/٤٠٥ حديث رقم ١٣٦٢ ، ومسلم في (كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه) جـ٤/٢٠٣٩ حديث رقم ٢٦٤٧ واللفظ لهما.

المرتبة الثالثة: المشيئة[1]:

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكــن وأنه حركة، ولا سكون، ولا هداية، ولا إضلال إلا بمشيئته سبحانه، والنصوص الدالة على هذا الأصل كثيرة جداً من الكتاب والسنة، منها قوله تعالى:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾[2]، وقوله :﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٩ ﴾[3]،وقال:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝٢٥٣ ﴾[4].

وقال ﷺ: « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء »[5].

وقد خالف في هذه المرتبة ثلاث طوائف:

الأولى: الفلاســفة أعــداء الرســل، أنكروا مشيئة الله بالكلية، و لم يثبتوا له مشيئة ولا اختياراً.

الثانية: القدرية المعتزلة، الذين جوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله، وأن يشاء ما لا يكون، وهم نفاة مشيئة وخلق أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم.

الثالثة: الجبرية، الذين ينفون مشيئة العبد وإرادته، وقد تقدم، ذكر خلافهم ورد شبهاتهم، والخلاف في هذه المرتبة والتي بعدها واحد[6].

---

[1] انظر: شفاء العليل جـ١/١٢٥-١٤١ ، ومعارج القبول جـ٣/٩٤٠-٩٤٢ ، والقضاء والقدر د.المحمود ص٦٩-٧٦ ، والقضاء والقدر د. الأشقر ص٣٥-٣٦ ، والإيمان بالقضاء والقدر الحمد ص٦٢-٦٣ .

[2] سورة التكوير الآية: ٢٩ .

[3] سورة الأنعام الآية: ٣٩ .

[4] سورة البقرة الآية: ٢٥٣ .

[5] أخــرجه مســلم في (كتاب القدر، باب: تصريف الله تعالى ــ القلوب كيف يشاء) جــ٤/٢٤٥ حديث رقم ٢٦٥٤ واللفظ له.

[6] انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤٨/٣ .

المرتبة الرابعة: الخلق[١]:

وهـــذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، وبأن كل من سوى الله مخلوق موجد من العدم، كائن بعد أن لم يكن.

والأدلة على هذه المرتبة لا تكاد تحصى، منها قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[٢]، وقال سبحانه:﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣].

وإثبات المرتبتين الثالثة والرابعة المشيئة والخلق لا ينفي أن « للعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشـــيئة، وأن الله ـــ تعالى ـــ خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم، وهو الذي منحهم إياها،وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة، وبحسبها كلفوا عليها يثابون ويعاقـــبون، وقد أثبت الله ـــ تعالى ـــ ذلك لهم في الكتاب والسنة، ووصفهم به، ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله ـــ تعالى ـــ عليه ولا يشاءون إلا أن يشاء »[٤].

والأدلـــة عـــلى هذا كثيرة جداً، سبق ذكر بعضها ومنها قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[٥]، وقوله تعالى:﴿ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[٦]، وغيرها كثير.

---

[١] انظر: شفاء العليل جـــ١/١٤٥-١٦٢ ، ومعارج القبول جـــ٣/٩٤٢-٩٥٠ ، والقضاء والقدر د. المحمود ص٧٦-٨٣، والقضاء والقدر د. الأشقر ص٣٦ ، والإيمان بالقضاء والقدر للحمد ص٦٣-٦٤ .

[٢] سورة الزمر الآية: ٦٢ .

[٣] سورة فاطر الآية: ٣ .

[٤] انظر: معارج القبول جـــ٣/٩٤٠-٩٤١ .

[٥] سورة الزخرف الآية: ٧٢ .

[٦] سورة السجدة الآية: ١٤ .

ثالثاً: القدرة المتعلقة بالفعل:

وهذه المسألة من مواضع الشبهة ومثارات الغلط، فقد تنازع الناس في القدرة هل يجب أن تكـــون مقارنة للفعل؟ أو يجب أن تكون متقدمة عليه[١]، وهي مرتبطة بمذاهب الفرق في القدر، ولهم فيها قولان متناقضان، وهما:

الأول: جعلوا القدرة قبل الفعل، وهو الغالب على النفاة من المعتزلة والشيعة، وجعلوها صالحة للضدين، ولا تقارن الفعل أبداً.

الـــثاني: جعلوا القدرة مع الفعل فقط، وهذا هو الغالب على مثبتة القدرمن المتكلمين من أصحاب الأشعري ومن وافقهم من الحنابلة، وجعلوها لا تصلح إلا لفعل واحد، إذ هي مقارنة له لا تنفك عنه[٢].

أما الجبرية الخالصة فلا يذكرون هذه القدرة ولا يثبتونها للعبد لا قبل الفعل ولا بعده[٣].

وأما أهل السنة والجماعة فقالوا: القدرة متقدمة على الفعل ومقارنة له أيضاً، فتقارنه أيضاً قدرة أخرى لا تصلح لغيره.

وأعلام السالمية لهم أقوال مختلفة حسب مذاهبهم في القدر إجمالاً، وهم كما يلي:

أبـــو طـــالب المكـــي كان يرى أن الاستطاعة مقارنة للفعل ثم ترك هذا القول إلى الجبر الخالص[٤]، أما ابن برجان فيقول: « وأما القدرة فما يوجدها إلا حال إيقاع فعل المقدور للفعل لا قبله ولا بعده »[٥]، غير أنه يفرق بين القدرة والقوة، فيقول: « فوصفوا القدرة بوصف القوة، وحملوا القدرة أفاعيل القوة، وما فرق الله ﷻ بينهما في الذكر إلا وقد علم أن بينهما فرقانا بينا في العلم، وسبيلا معرباً عن حقيقتهما في الوجود »[٦]، ويعرفها فيقول: « القدرة هو ما يقتدر به

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٤١/٨ .

[٢] انظر: الملل والنحل جـــ٤٥/١ ، ٨٥ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧١/٨ .

[٣] انظر: الفرق بين الفرق ص٢١١ ، والإرشاد للجويني ص١٩٥ ، والملل والنحل جـــ٨٥/١ .

[٤] انظر: القوت جـــ١٨٨/١-١٨٩ ، وسبق كلامه بنصه في ص ٦٨٧.

[٥] انظر: تفسير ابن برجان ورقة ٣٨٤ ب.

[٦] نفس المرجع ورقة ٧٧ أ.

المراد من جهة الإيجاد، فالقوة إذ هو ما يجد به القادر نفسه مستطيعاً على تقدير المراد، وإن كان لم يفعلــه بعد ولا انتهض إليه »[١]، وهذا التعريف باطل فإن القدرة هي القوة وهي الطاقة[٢]، ولكن أداه لهذا مذهبه الجبري، ولذا قال: « لما وُجد الفعل لم يكن بد من إضافته إلى فاعل فعله، كــانت إضـــافته إلى محله الموجود عنه أولى مع وجود شروطه وهي حياة المحل وقوته واختياره وعـــزمه عليه، وتحركه نحوه وبوجود القدرة وبهذه الصفة استاق القاهر الحق المقهور على إرادة نفســـه إلى إرادتـــه هو،... بل غيبه عن معنى نفسه وأشهده معنى ما أراده منه »[٣]، فكلاهما لا يقول بهذه القدرة أصلاً لا قبل الفعل ولا معه، بل الإنسان مجبور على فعله.

أمـــا الزبيدي فيقول:« والوسع قدر الطاقة فمع القاعد طاقة القعود ووسع القيام، وليس معـــه طاقة القيام في حال كونه قاعداً، ومعه وسع القعود في حال كونه قائماً، وليس معه طاقته، والطاقـــة هي الاستطاعة، وهي عند الفعل لا قبله ولا بعده »[٤]، فهو يرى أن الوسع غير الطاقة فقال في قوله تعالى:﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾[٥] « معناه أنه لم يكن الظهور من وسعهم ولا طاقتهم وكان النقب من وسعهم ولم يكن لهم طاقة »[٦].

وهذا القول موافق لمذهب الماتريدية ومن وافقهم، وأما ما ذكره من الوسع فمراده سلامة الأســـباب والآلات، وليس القدرة، لذلك قال الطاقة هي الاستطاعة[٧]، والصواب أن الوسع هو الطاقة والجدة[٨]، والموسوع هو الذي تسعه وتطيقه[٩].

---

[١] نفس المرجع ورقة ٧٧ أ.

[٢] انظر: لسان العرب جـــ٥/٧٦-٧٧ مادة (قدر).

[٣] نفس المرجع ورقة ٨٢ أ.

[٤] أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٤٤ أ .

[٥] سورة الكهف الآية: ٩٧ .

[٦] انظر: مسائل في الأصول ورقة ٨٦ أ.

[٧] انظر: الماتريدية الحربي ص٤٤٥، وقد خفي عليه فرق لطيف جداً، وقال: إن مذهب الماتريدية هو مذهب السلف وليس كذلك، فالماتريدية ينفون القدرة السابقة للفعل ويذكرون بعض هذه القدرة.

[٨] انظر: الجامع لأحكام القرآن جـــ٣/٤٢٩ .

[٩] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧٢/٨ .

وهــذا هو الفرق بين مذهب أهل السنة والماتريدية، فقال الماتريدية: هو سلامة الأسباب والآلات والصحة فقط، ونفوا القدرة، وأهل السنة قالوا بالقدرة السابقة للفعل والمقارنة، والقدرة المقارنة شيء آخر غير سلامة الأسباب والآلات[١].

أمــا أبو محمد القاسم بن عبد الله البصري فلم يذكر هذه المسألة، وظاهر مذهبه إثبات القدرة السابقة للفعل، أما المقارنة للفعل فقد يفهم من بعض العبارات أنه يقول بها، فقال في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾[٢]، الآية « تدل على أنه لم يفعل بالكافر ما فعل بالمؤمن »[٣]، وقال: « فبوجود الرسل صح التكليف، وبالعقل تمثيل ذلك بعد التوفيق »[٤].

فهذه آراء أعلام السالمية في القدرة، أما اعتقاد أهل السنة والجماعة، فإن القدرة نوعان:

إحداهما: القدرة الشرعية المصححة للفعل التي هي مناط الأمر والنهي.

والثانية: القدرة القدرية الموجبة للفعل التي هي مقارنة للمقدر لا يتأخر عنها.

فــالقدرة الشــرعية هي المذكورة في قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾[٥]، فإن هذه الاستطاعة لو كانت هي المقارنة للفعل لم يجب حج البيت إلا عــلى من حج، فلا يكون من لم يحج عاصياً بترك الحج سواء كان له زاد وراحلة وهو قادر عــلى الحج أو لم يكن، وكذلك قول النبي ﷺ لعمران بن الحصين: « صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب »[٦]، وكذا قوله تعالى:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾[٧]، لو أراد الاستطاعة التي لا تكون إلا مع الفعل لكان قد قال فافعلوا منه ما تفعلون، فلا يكون من

---

[١] انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٢-٤٣٣.

[٢] سورة الحجرات الآية: ٧ .

[٣] في أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٤٩٦ .

[٤] نفس المرجع جـ٨/٥١٣ .

[٥] سورة آل عمران الآية: ٩٧ .

[٦] أخرجه البخاري في (كتاب تفسير الصلاة، باب: إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب) جـ١/٣٣٣ حديث رقم ١١١٧ .

[٧] سورة التغابن الآية: ١٦ .

لم يفعل شيئاً عاصياً له، وهذه الاستطاعة هي المذكورة في كتب الفقه ولسان العموم[1]، وهذه القدرة التي هي الشرعية متقدمة على الفعل صالحة للضدين، وهي مناط الأمر والنهي، والثواب والعقاب.

أما الثانية: فهي القدرة القدرية المقارنة للفعل وهي الكونية التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل[2] وهي المذكورة في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴾[3]، وقوله : ﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴾[4]، ونحو قوله : ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدًّا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدًّا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾[5]، فإن الاستطاعة المنفية هنا ــ سواء أكان نفيها خبراً أم ابتداء ــ ليست هي الاستطاعة المشروطة في الأمر والنهي، فإن تلك إذا انتفت انتفى الأمر والنهي والوعد والوعيد والحمد والذم والثواب والعقاب، ومعلوم أن هؤلاء في هذه الحال مأمورون منهيون موعودون متوعدون، فعلم أن المنفية هنا ليست المشروطة في الأمر والنهي المذكورة في قوله:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾[6]، لكن قد يقال: الاستطاعة هنا كالاستطاعة في قول الخضر لموسى:﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ﴾[7]، فإن هذه الاستطاعة المنفية، لو كان المراد بها مجرد المقارنة في الفاعل والتارك لم يكن فرق بين هؤلاء المذمومين وبين المؤمنين، ولا بين الخضر وموسى، فإن كل أحد فعل أو لم يفعل لا

---

(1) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/١٢٩-١٣٠ .

(2) انظر: نفس المرجع جـ٨/٣٧٣ .

(3) سورة الكهف الآية:١٠١.

(4) سورة هود الآية:٢٠.

(5) سورة يس الآيتان: ٨-٩ .

(6) سورة التغابن الآية:١٦.

(7) سورة الكهف الآية: ٦٧.

تكون المقارنة موجودة قبل فعله، والقرآن يدل على أن هذه الاستطاعة إنما نفيت عن التارك لاعـــن الفـــاعل، فعلم أنها مضادة لما يقوم بالعبد من الموانع التي تصد قلبه عن إرادة الفعل وعملـــه، وبكل حال فهذه الاستطاعة منتفية في حق من كتب عليه أنه لا يفعل، بل وقضى عليه بذلك، وقد قالت القدرية بالقدرة الشرعية الأولى، وقالت الجبرية بالقدرة الكونية الثانية، والصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة: إن الاستطاعة متقدمة على الفعل ومقارنة له أيضاً وتقارنه أيضاً استطاعة أخرى لا تصلح لغيره[١].

والقدرة المقارنة للفعل لا تكون إلا مع الفعل: « وهي القوة الواردة من الله ﷻ بالعون أو الخـــذلان، وهذا خلق الله ـــ تعالى ـــ للفعل فيما ظهر منه، وسمي من أجل ذلك فاعلاً، لما ظهـــر منه إذ لا سبيل إلى وجود معنى غير هذا البتة، فهذا هو حقيقة الكلام في الاستطاعة، بما جاءت به نصوص القرآن والسنن والإجماع، وضرورة الحس، وبديهة [العقل][٢] »[٣].

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٢٩١-٢٩٢ .

[٢] في الأصل (الفعل) ولا يستقيم المعنى.

[٣] انظر: الفصل لابن حزم جـــ٢/٦٥ ، ط/ أحمد شمس الدين.

المبحث الثاني: مسائل تتعلق بالقدر.

الخلاف في مسائل العقيدة مترابط، وكثير من المسائل يرتبط القول فيها بمسائل أخرى، ولا سيما باب القضاء والقدر، فكل فرقة ذهبت إلى مذهب معين في القدر، التزمت في الغالب آراء أخرى حتى لا يتناقض مذهبهم، وقد يكون العكس لما قالوا بهذه الأقوال لزمهم أن يقولوا بلوازمها، وقد تقدم بيان مذاهب الفرق في القدر، وتفصيل مذاهب أعلام السالمية، وبقيت بعض المسائل المتعلقة بالقدر لها ارتباط وثيق جداً بقولهم بالقدر، بل قولهم في بعض المسائل استدلوا به على صحة مذهبهم في القدر وفي مسائل أخرى في العقيدة.

وأهم هذه المسائل ما يلي:

أولاً: تعليل أفعال الله ـ تعالى ـ:

وهذه المسألة كبيرة من أجل المسائل الكبار التي تكلم فيها الناس، وأعظمها تشعباً وفروعاً، وأكثرها شبهاً ومحارات، فإن لها تعلقاً بصفات الله ـ تعالى ـ وبأسمائه وأفعاله، وأحكامه من الأمر والنهي والوعد والوعيد، وهي داخلة في خلقه وأمره، فكل ما في الوجود متعلق بهذه المسألة، فإن المخلوقات جميعاً متعلقة بها وهي متعلقة بالخالق ـ سبحانه ـ، وهي متعلقة بمسائل القدر والأمر، وبمسائل الصفات والأفعال، وهذه جوامع علوم الناس[1].

وقد اختلف الناس في هذه المسألة على قولين:

الأول: أن الله ـ تعالى ـ خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات، لا لعلة ولا لداع، ولا لباعث، بل فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الإرادة، وقال بهذا القول الأشعرية، وكثير من نفاة القياس الظاهرية، والجبرية، وبعض الفلاسفة[2].

---

(1) انظر: أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٨١ .

(2) انظر: نهاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني ص٣٩٧ ، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ت/ طه عبد الرؤوف ص٢٩٦ ، ط/ الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الكتاب العربي – بيروت، وبذيله تلخيصه لنصير الكفر الطوسي، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٨٣ ، والاستغاثة جـ١/٣٢٨ ، وطريق الهجرتين ص١٤٧ ، والقضاء والقدر د.المحمود ص٢٤٣ .

الثاني: أن الله ــ تعالى ــ فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة، وهذا قول أكثر الناس من المسلمين وغير المسلمين، وأهل السنة والحديث، وطوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم، وأكثر قدماء الفلاسفة ومتأخريهم، وكل منهم على أصوله، لذلك اختلفوا على أقوال:

أ ــ قال المعتزلة والشيعة ومن وافقهم: إن الحكمة المطلوبة مخلوقة منفصلة عن الرب ــ تعالى ــ، ونشأ من هذا الكلام نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسألة التحسين والتقبيح العقلي[1].

ب ــ قال الكلابية ومن وافقهم: إن الحكمة المطلوبة قائمة بذات الله ــ سبحانه وتعالى ــ ولكنهم يجعلونها قديمة غير مقارنة للمفعول[2].

ج ــ وقال جمهور المسلمين، أهل السنة والجماعة، وغيرهم من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية والكرامية وبعض المتفلسفة وغيرهم، إن الله ــ تعالى ــ يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، وقد يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته ما يطلعهم عليه وقد لا يعلمون[3].

والسالمية لهم أقوال متفاوتة في هذه المسألة، ولا يوجد عن أبي الحسن أحمد بن سالم وابنه نقل في هذه المسألة، أما أبو طالب المكي فيثبت الحكمة مع ذكره لما يناقضها أحياناً فيقول: « ففي كل قضاء الله ــ تعالى ــ حكمة بالغة وعدل، ... جارية في خلقه بحكمة»[4]، ووصف ما خص به المشاهدين فقال: « وذلك لظهور حكمته وخفى قدرته ولطيف صنعه، ودقيق صنعته »[5]، وقال: « إذا أراد شيئاً قال له: كن بخفى قدرته فكان بظاهر حكمته،... والعبد

---

(1) انظر: المقالات للأشعري جـ١/٣١٨ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٨٩-٩٠ ، وطريق الهجرتين ص١٤٨ .

(2) انظر: المقالات جـ١/٣٥٠ ، وابن تيمية السلفي للشيخ د.محمد خليل هراس ص١٧٤ ، والقضاء والقدر د. المحمود ص٢٤٦ .

(3) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٩٢-٩٣ .

(4) القوت جـ٢/٢٠٩ .

(5) نفس المرجع جـ١/٤٤٥ .

ضـــعيف، عاجـــز، جـــاهل، لا يقدر على شيء قد ابتلى بالأسباب ووقع عليه الحجاب، ... فالأسباب أواسط البلاء »[١].

فهـــو هنا أنكر الأسباب، وقال أيضاً: « فعلى العبد أن يرضي به عدلاً وقدراً ويسلمه لمولاه حكمة وحكماً »[٢]، وكلامه كثير في نفي الأسباب كما سبق ذكره، وفي هذا تناقض، فإن الأسباب تدل على الحكمة[٣]، لذلك ذكر أشياء باطلة في حكمة الرب ــ تبارك وتعالى ــ عمـــا يقـــول الظالمون علواً كبيراً، فقال: « ومن خوف العارفين علمهم بأن الله ــ تعالى ــ يخـــوف عـــباده بمـــن شاء من عباده الأعلين، يجعلهم نكالاً لأدنين، ويخوف العموم من خلقه بالتنكيل ببعض الخصوص من عباده حكمة له وحكماً منه، ...

قـــد أخـــرج طائفة من الصالحين نكالاً خوف بهم المؤمنين، ونكل طائفة من الشهداء خوف بهم الصالحين، وأخرج جماعة من الصديقين خوف بهم الشهداء »[٤]، وقد سبق مناقشة هذه المقولة[٥].

ويـــتابعه ابن برجان كما تابعه في كثير من أقواله فيثبت الحكمة فيقول: « من فقه عن الله ــ سبحانه ــ حكمته في مصنوعاته وما خلقها به تميزت له الدنيا من الآخرة »[٦]، وقال: « الحكمـــة صفة من صفات الذات، يظهرها الفعل، ويعبر عنها المحكمات، وتشهد لها العقول بما شاهدته في الموجودات كغيرها من صفات الحق »[٧]، وقال: « وهو أيضاً الحكيم في جعله غضبه وعقابه ولعنه على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا، ورضاه وكرامته للمتقين »[٨].

---

[١] القوت جـ١/٢٢٢ .

[٢] نفس المرجع جـ٢/٧٥ ، وانظر أيضاً جـ٢/١٤٤ ، ٢١٣ وجـ١/٤٠٦ .

[٣] انظر: شفاء العليل جـ٢/٨٢ ، الحكمة والتعليل في أفعال الله ص١٨٥ .

[٤] القوت جـ١/٤٠٦ .

[٥] انظر: ما تقدم في ص٣٣٩-٣٤٠ .

[٦] تفسير ابن برجان ورقة ٣٥٦ أ.

[٧] شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٠٦ أ.

[٨] نفس المرجع ورقة ٣٨٦ أ ، وانظر: ورقة ٣٤٥ ب، شرح الأسماء الحسنى ورقة ١٠٧ ب.

فهما يوافقان الكلابية في زعمهم أن الله لم يزل راضياً عمن علم أنه سيموت مؤمناً، وإن كـــان أكثر عمره كافراً، ولم يزل ساخطاً على من علم أنه سيموت كافراً، وإن كان أكثر عمره مؤمناً[1]، فيقول أبو طالب المكي ــ نقلاً عن أبي سليمان الداراني ــ: « إن الله ﷻ أعـــز من أن يغضبه أفعال خلقه، لكنه نظر إلى قوم بعين الغضب قبل أن يخلقهم، فلما أظهـــرهم استعملهم بأعمال أهل الغضب فأسكنهم دار الغضب، وهو أكبر من أن يرضيه أفعال خلقه، ولكنه نظر إلى قوم بعين الرضا قبل أن يخلقهم، فلما أظهرهم استعملهم بأعمال أهـــل الرضـــا فأســـكنهم دار الرضا »[2]، وقال ابن برجان: « فهو عز جلاله يستخرج بأعمالهم ثواباً وعقاباً »[3]، ويوافقهم الزبيدي الذي يقول: « من علمه الله أنه سعيد في آخر أمره لا يـــلقاه إلا ســـعيداً وهو السعيد مع تلبسه بجنس ما يقتضي الشقاوة، ومن علمه الله أنه شقي كان شقياً عند لقاء الآخرة، وهو الشقي في حال كونه قد تلبس بجنس ما تلبس به أهل السعادة »[4].

والزبيدي ممن ينفي التعليل والحكمة في أفعال الله ــ تعالى ــ على طريقة المتكلمين من الأشعرية وغيرهم، فيقول: « مذهب الجماعة وأئمة السنة أن الله ﷻ لا يعتبر في أفعاله كلها أن يكـــون شيء منها لسبب ولا علة، لأن السبب طريق الفاعل إلى الفعل، والعلة عذر الفاعل في إيقاع الفعل، والله ــ سبحانه ــ يتنـــزه عن ذلك »[5].

وأما أبو محمد القاسم بن عبد الله البصري فقد أثبت الحكمة لله ــ تعالى ــ فقال عن الرب ــ تعـــالى ــ: « وأنزل الكتب وأرسل الرسل، وكل ما منه حق غير عابث، عدل غير ظالم، عالم لا يخفى عليه شيء »[6]، وقال: « لم يزل عليماً شائياً، حكيماً عادلاً متفضلاً »[7]، وقال:

---

[1] انظر: المقالات جـ١/٣٥٠ ، وابن تيمية السلفي ص١٧٤ .
[2] القوت جـ٢/١٤٤-١٤٥ .
[3] تفسير ابن برجان ورقة ٣٨٨ ب.
[4] أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٤٦ أ.
[5] نفس المرجع ورقة ٤٣ أ، ٤٣ ب، وانظر: ورقة ٩٤ أ.
[6] في أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـ٨/٤٩٥ .
[7] نفس المرجع جـ٨/٥٠٠ .

« وهو الفاعل لما يريد، ذو الحكمة البالغة، والعدل الشامل »[١].

فهـذه آراء أعـلام السالمية في تعليل أفعال الله والحكمة خالفوا الحق، ووافقوا طوائف الضـلال، مـا عدا ابن عبد الله البصري، فالذي يظهر من قوله موافقة الحق، مع أنه لا توجد كتب توضح مذهبه سوى هذا النـزر القليل، وغالب السالمية مالوا لأقوال الجبرية.

واعـتقاد أهـل السنة والجماعة أن كل ما خلقه الله فله فيه حكمة، والحكمة تتضمن شيئين: **أحدهما**: حكمة تعود إليه يحبها ويرضاها.

والـثاني: حكمة تعود إلى عباده هي نعمة عليهم يفرحون بها ويلتذون بها، وهذا يكون في المـأمورات وفي المخـلوقات[٢]، وهـو « سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى، ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها فنذكر بعض أنواعها »[٣].

النوع الأول: التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه كقوله: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٥]، وقوله: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ﴾[٦].

والحكمـة هـي: العلم النافع؛ والعمل الصالح، وسمي حكمة لأن العلم والعمل قد تعلقا بمتعلقهما وأوصلا إلى غايتهما، وكذلك لا يكون الكلام حكمة حتى يكون موصلاً إلى الغايات المحمودة والمطالب النافعة، فيكون مرشداً إلى العلم النافع والعمل الصالح، فتحصل الغاية المطلوبة.

---

(١) في أصول السنة والتوحيد نقلاً عن درء التعارض جـ٨/ ٥٢٠ ، وانظر: جـ٨/٥٢٣ .

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٣٥-٣٦ .

(٣) شفاء العليل جـ٢/٨٧ ، وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٣/١٣١٠-١٣١١ .

(٤) سورة القمر الآية: ٥ .

(٥) سورة النساء الآية: ١١٣ .

(٦) سورة البقرة الآية: ٢٦٩ .

النوع الثاني: إخباره أنه فعل كذا لكذا، وأنه أمر بكذا لكذا، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[1].

النوع الثالث: الإتيان بكي الصريحة في التعليل كقوله تعالى : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾[2]، فعلل سبحانه قسمة الفيء بين هذه الأصناف كي لا يتداوله الأغنياء دون الفقراء والأقوياء دون الضعفاء.

وقوله سبحانه:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[3]، فأخبر سبحانه أنه قدّر ما يصيبهم من البلاء في أنفسهم قبل أن يبرأ الأنفس أو المصيبة أو الأرض أو المجموع، وهو الأحسن.

ثم أخبر أن مصدر ذلك قدرته وأنه يسير عليه، وحكمته البالغة التي منها أن لا يحزن عباده على ما فاتهم إذا علموا أن المصيبة بقدره وكتابته، ولا بد قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم الفائت فلم يأسوا عليه و لم يفرحوا بالحاصل لعلمهم أن المصيبة مقدرة في كل ما على الأرض، فكيف يفرح بشيء قد قدرت المصيبة فيه قبل خلقه.

النوع الرابع: ذكر المفعول له وهو علة للفعل المعلل به كقوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾[4]، ونصب ذلك على المفعول له أحسن من غيره كما صرّح به في قوله : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[5]، وقوله : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى

---

[1] سورة المائدة الآية: ٩٧ .

[2] سورة الحشر الآية: ٧ .

[3] سورة الحديد الآيتان: ٢٢ ، ٢٣ .

[4] سورة النحل الآية: ٨٩ .

[5] سورة النحل الآية: ٤٤ .

عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾[١]، فإتمام النعمة هو الرحمة.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾[٢]، أي لأجل الذكر، كما قال: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[٣].

النوع الخامس: الإتيان بأن والفعل المستقبل بعدها تعليلاً لما قبله، كقوله: ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾[٤].

النوع السادس: ذكر ما هو من صرائح التعليل، وهو من أجل، كقوله: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[٥].

النوع السابع: التعليل بلعل، وهي في كلام الله سبحانه للتعليل مجردة عن معنى الترجي، فإنها إنما يقارنها معنى الترجي إذا كانت من المخلوق، وأما في حق من لا يصح عليه الترجي فهي للتعليل المحض، كقوله تعالى: ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٦].

النوع الثامن: تعليله سبحانه عدم الحكم القدري والشرعي بوجود المانع منه، كقوله: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾[٧]، وقوله: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ

---

[١] سورة البقرة الآية: ١٥٠ .

[٢] سورة القمر الآية: ١٧ .

[٣] سورة الدخان الآية: ٥٨.

[٤] سورة الأنعام الآية: ١٥٦ .

[٥] سورة المائدة الآية: ٣٢ .

[٦] سورة البقرة الآية: ٢١ .

[٧] سورة الزخرف الآية: ٣٣ .

مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ ﴾[١]، وقوله:﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٢]، فأخبر سبحانه عن المانع الذي منع من إنزال الملك عياناً بحيث يشاهدونه، وأن حكمته وعنايته بخلقه منعت من ذلك، فإنه لو أنزل الملك ثم عاينوه و لم يؤمنوا لعوجلوا بالعقوبة و لم ينظروا.

وقد أطال ابن القيم في ذكر أنواع الأدلة، وما ذكرت إلا مختصر لبعض أنواعها[٣].

فإذا تبين هذا فإن هؤلاء « بإنكارهم الحكمة والتعليل سدّوا على نفوسهم باب الإيمان والهدى وفتحوا عليهم باب المكابرة وجحد الضروريات، فإن ما في خلق الله وأمره من الحكم والمصالح المقصودة بالخلق والأمر والغايات الحميدة أمر تشهد به الفطر، والعقول ولا ينكره سليم الفطرة »[٤].

ولذلك لزمتهم لوازم باطلة في مسائل كثيرة، كما في مسألة المعجزات[٥].

كما أن هؤلاء النفاة للتعليل والحكمة يتناقضون، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « لكن كثير من هؤلاء يتناقض، فيتكلم في الفقه بلون، وفي أصول الفقه بلون، وفي أصول الدين بألوان، ففي الفقه يثبت الأسباب والحكم، وفي أصول الفقه يسمي العلل الشرعية أمارات، خلاف ما يقوله في الفقه، وفي أصول الدين ينفي الحكمة والتعليل بالكلية، لظنه أن قول القدرية لا يمكن إبطاله إلا بذلك »[٦]، وقد ذكر هذا التناقض كثير من أهل العلم[٧].

---

[١] سورة الشورى الآية: ٢٧ .

[٢] سورة الأنعام الآيتان: ٨ ، ٩ .

[٣] انظر: شفاء العليل جـ٢/٨٧-١٢١ .

[٤] شفاء العليل جـ٢/١١٣ .

[٥] انظر: ما تقدم في ص٦٠٨ .

[٦] الاستغاثة في الرد على البكري جـ١/٣٢٧ .

[٧] انظر: إيثار الحق على الخلق لابن المرتضى اليماني ص٢٠٠-٢٠١ ، ط/ مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ومكتبة العلم – جدة، والعلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ للعلامة المقبلي اليمني ص١٨٨ ، ط/ مكتبة دار البيان – دمشق، وبهامشه الأرواح النوافح له، وقد ذكره غيرهم.

وما أطلت في رد هذه المقولة إلا لأن « جناية هذا القول على الشرائع من أعظم الجنايات »[١]، « وشأنها أعظم، وخطرها أجل، وفروعها كثيرة »[٢]، « وفي هذا المقام تاهت عقول كثير من الخلائق »[٣].

والنزاع في هذه المسألة أدى للتراع في المسألة التالية.

(١) شفاء العليل جـ٢/١٢٤ .

(٢) نفس المرجع جـ٢/٢٥ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٣٩٩ .

ثانياً: التحسين والتقبيح:

النـــزاع في التحسين والتقبيح من ثمار النزاع في الحكمة وتعليل أفعال الله ــ تعالى ــ، فمــن أثبت الحسن والقبح العقليين قال بتعليل أفعال الله ــ تعالى ــ بالحكم، ومن نفى الحسن والقــبح العقليين نفى التعليل، بل الجبرية ــ والسالمية منهم ــ يجعلون نفي الحسن والقبح من أقوى أدلتهم على الجبر[(١)]، ولمسألة الحسن والقبح ارتباط بمسائل أخرى في الاعتقاد.

والناس فيه طرفان ووسط:

الأول: القائــلون بتحسين العقل وتقبيحه ــ هو قول المعتزلة ومن وافقهم ــ قالوا: ما حسن من المخلوق حسن من الخالق، وما قبح من المخلوق قبح من الخالق.

الثاني: القائلون بنفي تحسين العقل وتقبيحه، وأن التحسين والتقبيح بالشرع فقط، وهذا قول الأشعرية ومن وافقهم[(٢)].

والوسط: مذهب أهل السنة والجماعة وأكثر الطوائف من المسلمين، وسيأتي بيانه.

والسالمية وافقوا القائلين بنفي تحسين العقل وتقبيحه، وإن كانت عباراتهم قليلة جداً، فلم يرد عن أبي الحسن أحمد بن سالم وابنه وابن عبد الله البصري وابن برجان قول في هذه المســألة، أما أبو طالب المكي فلم يذكرها إلا عرضاً فقال: « فالعقل مطبوع على التمييز مجبول على التحسين والتقبيح، والنفس مجبولة على الشهوة مطبوعة على الأمر بالهوى »[(٣)]، وهذا لا يفهم منه إقرار أو نفي، لكن ظاهر حاله أنه لا ينفى تحسين العقل وتقبيحه، فعندما رد عــلى المعتزلة[(٤)]، وبين المسائل التي خالفوا فيها إجمالاً، لم يذكر هذه المسألة، فعلى هذا يكــون ممن يقول بالتحسين والتقبيح لكن لم يوضح مذهبه، لكن لعله يوافق الكلابية كما وافقهم في مسائل كثيرة.

---

(١) انظــر: مفتاح دار السعادة لابن القيم ت/ علي بن حسن بن عبد الحميد جــ٢/٣٦٨ ، ط/ الأولى ١٤١٦هــ الناشر دار ابن عفان – الخبر – المملكة.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٩٠-٩١ ، رقم ٤٢٨٢ ، ومنهاج السنة جــ١/٤٤٨-٤٥٠ .

(٣) القوت جــ١/٢١٠ .

(٤) انظر:ما سيأتي في ص٩٨٠-٩٨٣ .

أمـــا الـــزبيدي فذكـــر قـــولاً قريباً من قول السلف، فقال: « وأما العقل فهو شرط في التكـــليف، ويـــدرك به الحسن والقبح، ولا يدرك إيجاب التحسين والتقبيح إلا مع مخاطبة الشـــرع، ولا يحصل العلم إلا من جهة الشرع »[١]، وهذا هو قول الحنفية، فقالوا: لا يقضى العقـــل بمقتضى ما أدركه من حسن أو قبح بوجوب ولا حرمه في شيء من الأحكام إلا بعد ورود الشرع.

قال ابن الهمام[٢]: « قالت الحنفية قاطبة بثبوت الحسن والقبح للفعل على الوجه الذي قالته المعتزلة، ثم اتفقوا على نفي ما بنته المعتزلة على إثبات الحسن والقبح للفعل....

واختـــلفوا هل يعلم باعتبار العلم بثبوتهما في فعل حكم الله في ذلك الفعل [تكليفا][٣]، فقال الأستاذ أبو منصور وعامة مشايخ سمرقند: نعم، وجوب الإيمان بالله وتعظيمه وحرمة نسبة ما هو شنيع إليه، وتصديق النبي ﷺ وهو معنى شكر المنعم، ...

وقال أئمة بخارى منهم: لا يجب إيمان ولا يحرم كفر قبل البعثة، ... إذ لا يمتنع عقلاً أن لا يأمر الباري بالإيمان ولا يثبت عليه وإن كان حسناً ولا ينهى سبحانه عن الكفر ولا يعاقب عليه وإن كان قبيحا، والحاصل أن لا يمتنع عدم التكليف عقلاً إذ لا يحتاج سبحانه إلى الطاعة، ... ولا يتضرر بالمعصية، ... »[٤].

وكـــلا القولـــين طـــرفا نقيض والصواب التفصيل، وليس بين حسن الأفعال وقبحها والثواب والعقاب عليها تلازم، بل « الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة، كما أنها نافعة وضارة،

---

[١] أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٤٠ أ.

[٢] هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد، السيواسي الأصل، الإسكندري، ثم القاهري، الحنفي، من أعلام الماتريدية المشهورين له كتاب"المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة "،من المراجع المهمة في عقائد الماتريدية، (ت سنة ٨٦١هـ) بالقاهرة. انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي جـ٨/١٢٧-١٣٢ رقم ٣٠١، ط/ الأولى ١٤١٢هـ التاشر دار الجيل -بيروت، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني جـ٢/ ٢٠١-٢٠٢ رقم ٤٦٩، ط/ مكتبة ابن تيمية، والماتريدية دراسة وتقويما ص١٢٤-١٢٧.

[٣] في الأصل (تكليفي).

[٤] المســـايرة له ص ١٧٩-١٨٥ ط/المكتبة التجارية الكبرى- القاهرة، ملحقة بالمسامرة، وبهامشها نتائج المذاكرة تأليف محمد عبد الحميد، وانظر: أصول الدين للبزدوي ص٩٢ ، ت/ د. بترلنسن ط/ ١٣٨٣هـ الناشر عيسى البابي الحلبي.

والفـــرق بينهما كالفرق بين المطعومات والمشمومات والمرئيات، ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي، وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون قبيحاً موجباً للعقاب مع قبحه في نفسه، بل هو في غاية القبح، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل، فالسجود للشيطان والأوثـــان، والكذب والزنا، والظلم والفواحش، كلها قبيحة في ذاتها، والعقاب عليها مشروط بالشرع »[1]، وقد دل القرآن الكريم أن لا تلازم بين الأمرين، كما دل على أنه:

أ- لا عقاب إلا بعد إرسال الرسل:

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[2]، وقال: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[3]، وقال: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾[4]، فلم يسألوهم عن مخالفتهم للعقل، بل للنذر، وبذلك دخلوا النار.

ب- الفعل في نفسه حسن وقبيح:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝ ۞ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ

---

[1] مدارج السالكين جـ١/٢٥٥ .

[2] سورة الإسراء الآية: ١٥ .

[3] سورة النساء الآية: ١٦٥ .

[4] سورة الملك الآيتان: ٨-٩ .

كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]، فأخبر سبحانه عن فعلهم فاحشة قبل نهيه عنها، وأمر باجتنابها بأخذ الزينة، و"الفاحشة" ههنا هي طوافهم بالبيت عراة ــ الرجال والنساء ــ غير قريش، ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ أي لا يأمر بما هو فاحشة في العقول والفطر، ولو كان إنما علم كونه فاحشة بالنهي، وأنه لا معنى لكونه فاحشة إلا تعلق النهي به، لصار معنى الكلام: إن الله لا يأمر بما ينهى عنه، وهذا يصان عن التكلم به آحاد العقلاء، فضلاً عن كلام العزيز الحكيم، وأي فائدة في قوله: إن الله لا يأمر بما ينهى عنه؟ فإنه ليس لمعنى كونه "فاحشة" ــ عندهم ــ إلا أنه منهيّ عنه، لا أن العقول تستفحشه.

ثم قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ﴾ والقسط عندهم: هو المأمور به، لا أنه قسط في نفسه، فحقيقة الكلام: قل أمر ربي بما أمر به.

ثم قال: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ دل على أنه طيب قبل التحريم، وأن وصف الطيب فيه مانع من تحريمه مناف للحكمة.

ثم قال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ولو كان كونها فواحش إنما هو لتعلق التحريم بها، وليست فواحش قبل ذلك، لكان حاصل الكلام: قل إنما حرّم ربي ما حرّم، وكذلك تحريم الإثم والبغي، فكون ذلك فاحشة وإثماً وبغياً بمنزلة الشرك شركاً، فهو شرك في نفسه قبل النهي وبعده، والأدلة كثيرة جداً[2].

فإذا اتضح هذا فإن الأفعال في الشرع ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة، ولو لم يرد الشرع بذلك، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم، فهذا

---

[1] سورة الأعراف الآيات: ٢٨-٣٣ .

[2] انظر: نفس المرجع جـ١/٢٥٦-٢٥٨ .

النوع هو حسن وقبيح، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن، لكـــن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقباً في الآخرة، إذا لم يرد شرع ذلك، وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح.

الـــنوع الثاني: أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع.

الـــنوع الثالث: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد، هل يطيعه أم يعصيه، ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه، فلما أسلما وتله للجبين حصل المقصود ففداه بالذبح، وكذلك حديث الأبرص والأقرع والأعمى، لما بعث الله إليهم من سألهم الصدقة، فلما أجـــاب الأعمـــى، قـــال الملك: امسك عليك مالك، فإنما ابتليتم فرضي عنك، وسخط على صاحبيك[١].

فالحكمة منشأها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به، وهذا النوع والذي قبله لم يفهمـــه المعتزلة، وزعمت أن الحسن والقبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك بدون أمر الشـــارع، والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتحان، وأن الأفعال ليست لها صـــفة لا قبل الشرع ولا بالشرع، وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة، وهو الصواب[٢].

---

[١] أخـــرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع ...) جـــ٢/١٠٧٦ حديث رقم ٣٤٦٤ ، ومسلم في (كتاب الزهد والرقائق، ولم يبوب) جـــ٤/٢٢٧٥ حديث رقم ٢٩٦٤ .

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـــ ٨/٤٣٤-٤٣٦ ، و منهاج السنة جـــ١/٤٤٨-٤٥١ ، ومدارج السالكين جـــ١/٢٥٤-٢٦١ .

ثالثاً: الإرادة وعلاقتها بالرضا والمحبة:

هذه المسألة لها علاقة بالمسألتين السابقتين، ودليل لكل فرقة على مذهبها في القدر، والطوائف المفارقة لأهل السنة والجماعة، خالفوا الصواب في هذه المسألة، ثم اختلفوا في تفسير قولهم.

والخلاف في هذه المسألة على قولين:

القـــول الأول: أن الإرادة تستلزم الرضا والمحبة، وهذا قول الجهمية والمعتزلة وأغلب الأشاعرة، ثم اختلفوا فيما يقع من الكفر والمعاصي هل هو محبوب لله لكونه مراداً له؟ فقالت المعـــتزلة القدريـــة: قد علم أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح ولا يحب الفساد، ولا يرضى الكفر والمعاصي، فلما كان هذا ثابتاً لزم أن تكون المعاصي ليست مقدرة له ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه، وقالت الجهمية ومن اتبعها من الأشاعرة: ما شاء الله كان، وما لم يشـــأ لم يكن وكل ما في الوجود فهو بمشيئته وقدرته، وهو خالقه، وعلى هذا فالكون كله، قضاءه وقدره، وطاعته ومعصيته، وخيره وشره، محبوب لله، لأنه مريد له وخالقه وقد حاول بعض الأشاعرة التخفيف من الألفاظ وبعضهم تجنب التصريح بذلك ونهى عنه[1].

والقول الثاني: أن الإرادة لا تستلزم الرضا والمحبة، وهو قول عامة أهل السنة .

والســـالمية منهم من وافق القول الأول، ومنهم من وافق القول الثاني، ومنهم من لم يذكر في هذه المسألة شيئاً، فلم يرد عن ابن سالم وابنه شيئاً في هذه المسألة، أما أبو طالب المكي فيقول بالقول الأول فينقل عن سهل التستري قوله عن الأولياء: « أنهم لا يحبون إلا ما أحب »[2]، أي ما أحب الله ـــ تعالى ـــ وقد قال هذا بعد ذكره لدخول الزنج للبصرة وقتـــلهم لأنفـــس ونهـــب الأموال، فلما سألوا سهل الدعاء رفض ذلك، وأجابهم الجواب السابق، وهذا يدل على أن أبا طالب المكي يرى أن كل ما أراد الله ـــ تعالى ـــ كوناً وقدراً من المعاصي محبوب لله ـــ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـــ، وقد تقدم بيان عدم صحة

---

[1] انظر: الفصل لابن حزم جـــ٣/١٧٩-٢٠٠، وشرح الأصول الخمسة ص٤٥٩ وما بعدها، والإرشاد للجويني ص٢١١-٢١٩، وشرح المقاصد جـــ٤/٢٧٤-٢٨١، ومجموع فتاوى ابن تيمية جـــ١١/٣٥٦-٣٥٨،وجـــ٨/٢٤٠-٢٤١.

[2] القوت جـــ٢/١١٧ .

هذه القصة عن سهل، لكن أبا طالب المكي يثبتها ويستدل بها، وقد نقل عن البسطامي ما يؤيد قوله[١].

وقـــد عنون أبو طالب المكي بـــ "ذكر أحكام مقام الرضا" فقال فيه: « الرضا عن الله ـــ ســبحانه وتعـــالى ـــ من أعلى مقامات اليقين بالله »[٢]، ذكر فيه نقولاً كثيرة عن السلف وبعضـــها عن الأمم السابقة في التسليم للقدر حاصلها نقل غير مصدق، عن قائل غير معصوم، منها قوله: « وفي الأخبار السالفة أن نبياً من الأنبياء شكا إلى الله الجوع والفقر عشر سنين ».

فـــزعم أن الله ـــ تعالى ـــ قال له: « هكذا سبق لك مني، ... أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك، أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك، فيكون ما تحب فوق ما أحب، ويكون ما تريد فوق ما نريد »[٣]، وقال: « الراضي عن الله متأدب بين يدي الله يستحي أن يعارضه في داره، أو يعترض عليه في حكمه »[٤]، وقال: « فمن عقل عن الله حكمته كان مع الله ـــ تعالى فيما حكم مسلماً له ما شهد »، ونقل في نفس الصفحة عمن سماه أحد كبار العارفين قوـــله عن الرب ـــ تعالى ـــ: « لو جعلني جسراً على جهنم ... لأحببت ذلك من حكمه، ورضـــيت به من قسمه »[٥]، وقال: « قال بعض الصوفية: سر العارف في الأشياء واقف مثل الماء في البئر لا يختار المقام، وإن أخرج خرج، ... وأول الرضا الصبر ثم القناعة ثم الزهد ثم المحبة ثم التوكل »[٦]، وقال: « لا يكون في ملكه إلا ما قضاه فعلى العارفين به الرضا بالقضاء »[٧].

وقد نقل أبو طالب هذا الضلال عن سهل التستري فقال: « قال أبو محمد سهل ـــ رحمه الله تعالى ـــ: إذا عمل العبد حسنة، فقال: يا رب أنت استعملتني، شكر الله له ذلك، فقال: أنت عمـــلت، فإذا نظر إلى نفسه فقال: أنا عملت، يقول الله: بل أنا استعملت، قال: وإذا عمل سيئة

---

[١] انظر: علم القلوب ص٢٣٠ .

[٢] انظر: القوت جـ٢/٦٣ .

[٣] نفس المرجع جـ٢/٦٨ ، وانظر: نقله عن السلف وغيرهم جـ٢/٦٣-٨١ .

[٤] نفس المرجع جـ٢/٦٩ .

[٥] نفس المرجع جـ٢/٧٠ .

[٦] نفس المرجع جـ٢/٧٤ .

[٧] نفس المرجع جـ٢/٧٤ .

فقـــال: أنت قدرت وأنت أردت، يقول الله تعالى: أنت ظلمت وأنت عصيت بشهوتك وهواك، فإن قال العبد: ظلمت نفسي وعصيت بجهلي استحيا الله منه، فقال: أنا قدرت وأنا قضيت، قد غفـــر لك باعترافك بالظلم على نفسك »[١]، وقد نقل هذه المقولة شيخ الإسلام ابن تيمية بلفظ قـــريب جداً ثم قال: « وقد كثر من المنتسبين إلى المشيخة والتصوف شهود القدر فقط، من غير شهود الأمر والنهي، والاستناد إليه في ترك المأمور وفعل المحظور، وهذا أعظم الضلال.

ومـــن طرد هذا القول والتزم لوازمه كان أكفر من اليهود والنصارى والمشركين، لكن أكثر من يدخل في ذلك يتناقض ولا يطرد قوله ».

رحـــم الله شيخ الإسلام، فإن أبا طالب متناقض في هذا، ثم قال شيخ الإسلام: « فمن رضـــي بالمعاصي والمناكير منه أو من غيره، وأحب لأجلها ووالى عليها ونصر عليها، أو ادعى أن ذلـــك مـــن مقام الرضا الذي يجازي عليه بالرضا، أو أنه حال الراضين الذين وصفهم الله ـــ تعالى ـــ ومدحهم، فهو مع هؤلاء الذين ذم الله ومقت »[٢].

ثم ذكـــر بعـــض النقول في وجوب إنكار المنكر، وقد سبق ذكر بعض أقواله في تعظيم الأمر والنهي[٣].

وأما ابن برجان فهو جبري مثله يتابعه في كثير من أقواله، يرى أن الإرادة نوع واحد[٤]، ويقـــول « ومـــن وجد حبه فليحبه الحب كله، فعلى قدر ذلك منه لا يستقبح له موجوداً، ولا تستثقل منه حكماً، بل يستقبل أحكامه كلها بالرضى والشكر له على جميع صنعه »[٥].

وهؤلاء: « الذين ادعوا المحبة من الصوفية وكان قولهم في القدر من جنس قول الجهمية المجبرة هم في آخر الأمر لا يشهدون للرب محبوباً إلا ما وقع وقدر، وكل ما وقع من كفر

---

[١] القوت جـــ٢/٨٠ .

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٢٨/٨ .

[٣] انظر: ما تقدم في ص٦٨٨.

[٤] انظر: شرح الأسماء الحسنى ورقة ٧٦ أ.

[٥] نفس المرجع ورقة ١٣٦ أ.

وفسوق وعصيان فهو محبوبه عندهم »[١].

حتى « آل أمرهم إلى أن لا يستحسنوا حسنة، ولا يستقبحوا سيئة، لظنهم أن الله لا يحب مأموراً ولا يبغض محظوراً، فصاروا في هذا من جنس من أنكر أن الله يحب شيئاً كما هو قول الجهمية نفاة الصفات، وهؤلاء قد يكون أحدهم مثبتاً لمحبة الله ورضاه، وفي أصل اعتقاده إثبات الصفات لكن إذا جاء إلى القدر لم يثبت شيئاً غير الإرادة الشاملة، وهذا وقع فيه طوائف من مثبتة الصفات، تكلموا في القدر بما يوافق رأي جهم والأشعرية فصاروا مناقضين لما أثبتوه من الصفات، ...

وأما أئمة الصوفية والمشايخ المشهورون من القدماء مثل الجنيد بن محمد وأتباعه، ومثل الشيخ عبد القادر وأمثاله، فهؤلاء من أعظم الناس لزوماً للأمر والنهي، وتوصية باتباع ذلك، وتحذيراً من المشي مع القدر، كما مشى أصحابهم أولئك، وهذا هو "الفرق الثاني" الذي تكلم فيه الجنيد مع أصحابه، والشيخ عبد القادر كلامه كله يدور على اتباع المأمور وترك المحظور، والصبر على المقدور، ولا يثبت طريقاً تخالف ذلك أصلاً، لا هو ولا عامة المشايخ المقبولين عند المسلمين، ويحذر عن ملاحظة القدر المحض بدون اتباع الأمر والنهي، كما أصاب أولئك الصوفية الذين شهدوا القدر وتوحيد الربوبية، وغابوا عن الفرق الإلهي الديني الشرعي المحمدي، الذي يفرق بين محبوب الحق ومكروهه، ويثبت أنه لا إله إلا هو.

وهذا من أعظم ما تجب رعايته على أهل الإرادة والسلوك، فإن كثيراً من المتأخرين زاغ عنه فضل سواء السبيل، وإنما يعرف هذا من توجه بقلبه وانكشفت له حقائق الأمور، وصار يشهد الربوبية العامة والقيومية الشاملة، فإن لم يكن معه نور الإيمان والقرآن الذي يحصل به الفرقان، حتى يشهد الألهية التي تميز بين أهل التوحيد والشرك، وبين ما يحبه الله وما يبغضه، وبين ما أمر به الرسول ﷺ وبين ما نهى عنه، وإلا خرج عن دين الإسلام بحسب خروجه عن هذا »[٢].

وأما الزبيدي فقال: « مذهب الجماعة أئمة السنة ... أن الرضى والمحبة والمشيئة

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٥/٨ ، وانظر: نفس المرجع جـ ٣٦٦/٨ .

[٢] نفس المرجع ٣٦٨/٨-٣٦٩ .

والاختيار والإرادة بمعنى واحد، إلا أن في كل صيغة من هذه الكلم زيادة معنى على غيره، فكل مرضي محبوب مراد مختار وليس كل مراد مرضياً، ولا مختاراً ولا محبوباً، وقول الله ﷻ: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾[1] نفـي تقييد، وكذلك قوله تعالى:﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾[2]، والله ـ تعـالى ـ لا يرضـى بالكفر على الإطلاق، بحيث يكون الكفر موجباً للرضى ولا طريقاً إليه، ويجوز أن يرضى الله جنس الطاعة وهو جنس المعصية، إذ هو جـنس واحد، لا يتنوع إلا بالوصف إذا صار طاعة أو صار معصية »[3]، ثم ذكر أن بين الأشعرية خلافاً في هذه المسألة.

وما ذكره الزبيدي فيه إجمال وصواب، فالرضا غير المحبة، وكذلك المشيئة غير الإرادة، وما ذكره أن كل مراد ليس مرضياً ولا محبوباً صحيح.

أما أبو محمد القاسم البصري فالنقل عنه نزر يسير، لذا لا نجد له قولاً في هذه المسألة.

وجوابهم من وجوه:

١- الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية شرعية، فالكونية القدرية كقوله تعالى:﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[4]، وقوله:﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾[5]، وقوله : ﴿ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾[6]، وقوله : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[7].والدينية كقوله : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ

---

(١) سورة الزمر الآية: ٧ .

(٢) سورة غافر الآية: ٣١ .

(٣) انظر: أجوبة عن مسائل في أصول الدين ورقة ٤٥ أ، ب.

(٤) سورة هود الآية: ١٠٧ .

(٥) سورة الإسراء الآية: ١٦ .

(٦) سورة هود الآية: ٣٤ .

(٧) سورة القصص الآية: ٥ .

بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[١]، وقوله:﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾[٢]،فلو كانت هذه الإرادة كونية لما حصل العسر لأحد منا، ووقعت التوبة من جميع المكلفين.

وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الإرادة[٣].

٢- الإرادة الدينية الأمرية الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، فالإرادة الدينية هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به، والإرادة الكونية هي المذكورة في قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن[٤]، وكذلك ينقسم القضاء والحكم والكتابة والأمر والإذن والكلمات إلى كوني متعلّق بخلقه وديني متعلّق بأمره، وهما غير متلازمان، فقد يقضي ما لا يأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره، ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانهم[٥].

وأنبياء الله « ورسله وأتباعهم حظهم من هذه الأمور الديني منها، وأعداءه واقفون مع القدر الكوني، فحيث ما مال القدر مالوا معه، فدينهم دين القدر، ودين الرسل وأتباعهم دين الأمر، فهم يدينون بأمره ويؤمنون بقدره، وخصماء الله يعصون أمره ويحتجون بقدره، ويقولون نحن واقفون مع مراد الله، نعم مع مراده الكوني لا الديني، ولا ينفعكم وقوفكم مع المراد الكوني، ولا يكون ذلكم عذراً لكم عنده، إذ لو عذر بذلك لم يذم أحدا من خلقه، ولم يعاقبه، ولم يكن في خلقه عاص إلا كافر، ومن زعم ذلك فقد كفر بالله وكتبه كلها وجميع رسله »[٦].

وعلى هذا فالقضاء: « الديني يجب الرضى به، وهو من لوازم الإسلام، والكوني منه ما يجب الرضا به، كالنعم التي يجب شكرها، ومن تمام شكرها الرضا بها، ومنه ما لا يجوز الرضا

---

[١] سورة البقرة الآية: ١٨٥ .

[٢] سورة النساء الآية: ٢٧ .

[٣] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٤٤٠ ، وشفاء العليل لابن القيم جـ٢/٢٨٨ .

[٤] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/٣٥٦-٣٥٨ ومجموع فتاوى ابن تيمية ٨/٢٤٠-٢٤١ ، وشفاء العليل جـ١/١٤١-١٤٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١١٣-١١٤ ، ٢٥١ ، والقضاء والقدر د. المحمود ص ١٩٦-٢٠٠ .

[٥] انظر: شفاء العليل جـ٢/٢٨٧ .

[٦] نفس المرجع جـ٢/٢٩٥-٢٩٦ .

به كالمعائب والذنوب التي يسخطها الله وإن كانت بقضائه وقدره، ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب ، وفي وجوبه قولان، هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي »[١].

« وقد تنازع الناس في الفقر والمرض والذل هل يجب الرضا به أم يستحب على قولين، والراجح أنه لا يجب بل هو مستحب، وإنما أوجب الله ــ تعالى ــ الصبر على ذلك »[٢].

٣- القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله، كعلمه، وكتابه، وتقديره، ومشيئته، فالرضا به واجب لأنه من تمام الرضا بالله رباً، وإلهاً ومالكاً ومديراً[٣].

٤- دلت الأدلة من الكتاب والسنة على أن الإرادة الكونية هي المشيئة،قال تعالى:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٦]، وقوله:﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[٧]، والآيات الدالة على المشيئة كثيرة جداً[٨]، سبق ذكر بعضها في مرتبة المشيئة من مراتب القدر.

وفي الحديث قال ﷺ: « إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء »[٩].

---

(١) شفاء العليل جـ٢/٢٨٢ .

(٢) منهاج السنة جـ٢/٤٩ ، ط/ مكتبة الرياض الحديثة، وبهامشه درء التعارض.

(٣) انظر: شفاء العليل جـ٢/٢٨٢ .

(٤) سورة التكوير الآية: ٢٩ .

(٥) سورة الأنعام الآية: ١٢٥ .

(٦) سورة الأنعام الآية: ٣٩ .

(٧) سورة القصص الآية: ٦٨ .

(٨) انظر: شفاء العليل جـ١/١٢٥-١٤٢ .

(٩) سبق تخريجه في ص ٦٦١، وهذه اللفظة أخرجها البخاري في (كتاب التوحيد، باب: في المشيئة والإرادة ... وقوله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾)جـ٥/٢٣٣٣ رقم الحديث ٧٤٧١.

والأحـــاديث كثيرة أيضاً[١]، فمشيئته سبحانه متعلقة بالإرادة الكونية، وتتعلق كذلك بما يحـــب وبمـــا يكرهه، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشيطان والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها[٢].

٥- دلت الأدلة من الكتاب والسنة على أن الرب ــ تعالى ــ لا يرضى بالكفر، ولا يحب الفساد، قال تعالى:﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾[٣] فهو لا يرضى ما وجد من الكفر وإن وقع بمشيئته، وقال:﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[٤]، فهو سبحانه لا يحبه كوناً، ولا ديـــناً وإن وقع بتقديره،كما أخبر سبحانه أنه يمقت أفعالاً كثيرة يكرهها ويبغضها ويسخطها فقال:﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾[٥]، وقال:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ﴾[٦]، وقال:﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[٧]، وقال: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾[٨]، وفي الحديث قال ﷺ :((إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البـــنات، ومـــنع وهات،وكره لكم قيل وقال،وكثرة السؤال،وإضاعة المال))[٩]، فهذه كراهة لموجودات تعلقت بها مشيئة الله ــ تعالى ــ.

---

[١] انظر: شفاء العليل جـ١/١٣١-١٣٨ .

[٢] انظر: نفس المرجع جـ١/١٤٢ .

[٣] سورة الزمر الآية: ٧ .

[٤] سورة البقرة الآية: ٢٠٥ .

[٥] سورة النساء الآية: ٢٢ .

[٦] سورة محمد الآية: ٢٨ .

[٧] سورة الصف الآية: ٣ .

[٨] سورة الإسراء الآية: ٣٨ .

[٩] أخرجه البخاري في (الاستقراض، باب: ما ينهى عن إضاعة المال) جـ٢/٧١٨ حديث رقم ٢٤٠٧ ، ومسلم في (كتاب الأقضية، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة) جـ٣/١٣٤٠ حديث رقم ١٧١٥ واللفظ للبخاري.

« ومحـــال أنه يحب ذلك ويرضى به، وهو سبحانه يكرهه ويتقدس عن محبة ذلك وعن الرضا به، بل لا يليق ذلك بعبده، وعيب في المخلوق أنه يحب الفساد والشر، والظلم، والبغي، والكفر يرضاه، فكيف يجوز نسبة ذلك إلى الله تبارك وتعالى »[١].

٦- غلط مثبتي القدر في هذه المسألة يوازن غلط النفاة في إنكار القدر، أو هو أقبح منه، وبه تسلط عليهم النفاة وتمادوا على قبح قولهم، وأعظموا الشناعة عليهم به[٢].

٧- صح في بداهة العقول أن يريد الإنسان شيئاً وهو لا يحبه كما في الدواء وغيره[٣].

فهذه أهم المسائل التي ذكرها السالمية في القدر، تعرضت لما ذكروه وأطالوا فيه، ويظهر منه موافقتهم لأهل الكلام في كثير من المسائل وخاصة الكلابية والماتريدية.

---

[١] انظر: شفاء العليل جـ٢/٢٨٤-٢٨٥ .

[٢] انظر: شفاء العليل جـ٢/٢٨٥ .

[٣] انظر: القضاء والقدر د.المحمود ص٢٠٠ .